عين الحياة

فرق كبير بين أن تشرب من ماء العين رأساً ، وبين أن تشرب من جريان الماء بعد مروره على ما يغيره . فهو يمر على الحلو والمر ، والصالح والفاسد .

إن شربت من عين الحياة : لم تمت ، ولم يمت علمك ولا معرفتك ولا وقفتك ، ولا جسمك ولا روحك ، ولا عقلك ولا قلبك . ولكن تنتقل من حياة إلى حياة بغير موت ، فينقلك العلم إلى المعرفة ، والمعرفة إلى الوقفة ، والوقفة إلى التوحيد ، والقرب إلى الله تعالى .

أما إن شربت من جريان العلم : فَسَدَ علمك ، ورَدَّكَ إلى الجهل .

وإن شربت من جريان المعرفة : فَسَدَتْ المعرفة ، وأرجعتك إلى العلم .

وهذا كتاب قد جُمِعَ من عين الحياة ، فمن شرب منه : فلا يظمأ أبدا ، ولا يموت أبدا ، ولا يضل أبدا .

الإنسان : خلق كامل ، من روح و جسم ، والروح لابد لها من تعلق ، والجسم لابد له من تعلق . وقضى الله في أزله أن تتعلق الروح بمن برأها، وهو الحق . ويتعلق الجسم بالخلق . ولكن أناس أبوا إلا أن تتعلق أرواحهم وأجسامهم بالخلق ، فكانت حياتهم كلها بالخلق وللخلق ، وفي الخلق وإلى الخلق ، علما وعملا ، وتحققا وتعلقا .

فهو الذي يطعم ويشرب ويمشي ويحسن ويذنب ، ويرى أن رزقه يأتي من الخلق . إن أحسن فإلى الجنة ، وإن أساء فإلى النار ، وأنه سيدخل القبر ويقف على الصراط ، ويحشر في المحشر ، أو تحت ظل العرش ،

أو توزن أعماله بالميزان ، ويأتيه عمله الصالح في القبر ، ثم ينعَّم بالنعيم في الجنة ، أو يعذَّب بالعذاب في النار .

ولا يعلم أن الله تعالى لا يرضى لهذا الإنسان المكرم أن يتعلق بشيء من الخلق ، أو يقيم فيه . إذ أنه عند الله تعالى أكبر من كل خلقه . ولم يخلقه إلا لنفسه فقط . إذ أن الله تعالى غيور ، حتى أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : **((قليل الرياء شرك))**(١) .

فليس - في الحقيقة - في الوجود إلا الله تعالى ، وأفعاله وصفاته .

وكل من رأى معه غيره في هذا الكون ؛

بل كل من رأى الكون أصلا مع الله ؛ فقد أشرك .

وقد عذرهم الله تعالى في هذا الشرك ، حيث قال :

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ}(٢) .

فهذا الإنسان الكامل الذي لا يرى إلا الرب ، ولا يرى العبد أبدا ، ولا يرى نفسه أبدا ، فيعيش بالله ولله ، ويأنس في قبره بالله ، لا بعمله ، ويحشر إلى الله ، لا إلى الجنة . وينعمه الله بنفسه ، لا بغيره .

وفرق كبير بين من ينعمه الله بنفسه ، وبين من ينعمه بغيره ، كنسبة الله إلى خلقه ، فهو تعالى لا ينعمهم بالنعيم . إذ النعيم حجاب ، والعذاب حجاب ، والقرب حجاب ، والبعد حجاب . فالله تعالى ينعم بما به يعذب ، ويؤنس بما به يوحش ، ويبسط بما به يقبض ، ويضل بما به يهدي : **{يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً}**(٣) .

١- بهذا اللفظ أخرجه أبو الشيخ عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن جده . وبلفظ (إن يسيرا من الرياء شرك) أخرجه الحاكم وصححه ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن معاذ بن جبل .

٢- آية ١٠٦ سورة يوسف .

٣- آية ٢٦ سورة البقرة .

والعذاب لا يعرف الله ، ولو عرفه لانشغل به عن التعذيب . والنعيم لا يعرف الله ، إذ لو عرفه لانشغل به عن التنعيم . فلا يعرف الله عبد خوف، ولا عبد أمن ، ولا عبد إخلاص ، ولا عبد علم ، ولا عبد عمل ، ولا عبد معرفة ، ولا عبد قرب ، ولا عبد بعد . ولا يعرفه تعالى إلا عبد الله : **{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ}**(١) فهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الأصالة ، وللأفراد من أمته بالتبعية . ويحشره إليه ، وفيه . لا تحت ظل عرش ، ولا تحت ظل أي خلق آخر .

بل العرش وحملته هم الذين يستظلون بظله .

خرج عن علمه ، فخرج عن المحاسبة .

وخرج عن عمله ، فخرج عن مطالبته بالإخلاص .

خرجوا عن الكون إلى المكون .

وعن الذكر إلى المذكور .

خرجوا عن التقييد إلى الإطلاق .

خرجوا عن البعد إلى القرب ، ومن القرب إلى الذات .

دخلوا قبورهم بغير نظر إلى علم ولا عمل ، ولا رجاء ولا خوف ، ولا إخلاص ولا حب .

فدخلوها وحدهم ، فرأوا الله وحده .

فاستأنسوا تحت الأرض ، بما استأنسوا به فوق الأرض .

فمن قام هذا المقام ؛ شرب من عين الحياة ، لا من جريان العين .

فعاش بالحقيقة .

فلا يموت بالحجاب في الدنيا ولا في الآخرة .

١- آية ١٩ سورة الجن .

مراتب الوجود

اعلم أن الذات الإلهية المقدسة هي ذات مطلقة ، لا تقبل التقييد ولا النِسَب، ولا الأسماء ولا الصفات ، وهي تُشهَدْ ولا تُعلمْ . فهي تشهد بالروح : إذ لها الإطلاق ، ولا تعلم بالعقل : إذ العقل تقييد في تقييد .

وهي المعبر عنها بنفس الله : **{وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}**(١) ، **{وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ}**(٢) . وهي التي كانت قبل أن يخلق الله الخلق .

سئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين كان الله قبل أن يخلق الخلق ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : **((كان في عماء))**(٣) أي كان في عماء عن العقول المقيدة . ولا يتجلى الله تبارك وتعالى - التجلي الذاتى - إلا لقلوب المحبوبين من عباده ، فلا يتجلى بذاته لملَك ، ولا لفلَك ، ولا لأي مخلوق، إلا لقلوب أحبابه من بني آدم فقط . ثم أن الذات المقدسة في هذا الإطلاق، حيث الإنفراد المطلق ، حيث لا شيء ، ولا خلق ، ولا نِسَب .

وفي الحقيقة أن الخلق كله كان موجودا في عدم العدم ، كمثل رجل عنده مقتنيات في خزانة ، وقد أحكم غلق الباب عليها ، فهذه المقتنيات موجودة، ولكنها في داخل الخزانة ، وهذه تشبه مرتبة عدم العدم ، حيث الذات ولا شيء . ثم أن هذا الرجل فتح باب خزانته ، وهذه تشبه مرتبة العدم ، وهي

١- آية ١١٦ سورة المائدة .
٢- آية ٢٨ وآية ٣٠ سورة آل عمران .
٣- أخرجه الطيالسي وأحمد والترمذي وحسنه وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن حبان في صحيحه وابن أبي عاصم في السنة والديلمي في الفردوس وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الكبير وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه .

المرتبة الثانية ، التي نظر الله تعالى فيها إلى الأشياء نظر عناية ، وهي مرتبة الألوهية : التي هي أول مرتبة برزت عن الذات ، وهي مرتبة نظر الذات إلى الأشياء ، وإعدادها للوجود ، وهي مرتبة تُعلم ولا تُشاهَد ، واسم هذه المرتبة الله .

ثم أن صاحب هذه الخزانة ، أخذ في إخراج مقتنياته من ظلام الخزانة إلى نور الوجود ، فتخرج إلى الوجود على حسب ما هي عليه ، فيخرج الذهب ذهبا ، والفضة فضة ، وهي المرتبة الثالثة ، حيث تُخرَج الأشياء من العدم إلى الوجود ، وهي مرتبة الأسماء والصفات .

فالمراتب ثلاثة :-

١- الذات المقدسة ٢- ومرتبة الألوهية ٣- ومرتبة الأسماء والصفات

فالذات المقدسة : إطلاق وعماء ، لا يدخل عليها شيء .

والألوهية : لا يدخل عليها إلا اسم الله تعالى .

والأسماء والصفات :- على كثرتها - لا يدخل منها على الله إلا الرحمن ، ثم تدخل جميع الأسماء والصفات على الرحمن .

والتجليات : إما ذاتية ، من الذات على قلوب بني آدم . وإما أسمائية وصفاتية ، يتجلى الله بها على جميع خلقه .

١- الذات المقدسة :

إعلم أن الإطلاق : هو شيء وراء طور العقل ، فالعقل لا يدرك إلا المقيدات . خلقه الله تعالى للإنسان ، ليدبر به شؤون حياته . فإذا مات : مات عقله ، ودخل على الله بروحه المجردة عن كل نسبة .

إذ لا يدخل على الإطلاق إلا الإطلاق ، فالروح هي نفخة الإطلاق فيك . والطفل الرضيع يخلقه الله تعالى ولا عقل له ، بل يكون كل علمه لدُنِّيًا من لدن الله تعالى ، فيسمع ما لا نسمع ، ويرى ما لا نرى ، من حضرة الإطلاق . ولسانه لا يستطيع التعبير . وكلما مرت الأيام والليالي عليه ، تَكَوَّن عقله شيئا فشيئا ، ونضب عنده الإطلاق ، حتى يصير ذكرى . وبدلا من أن يستقي من الإطلاق والحرية ، أصبح يستقي من عقله وتقييده ، وأصبح يحن إلى الحرية ، ويهرب إليها متى وجدها .

فالشرع كله تقييد ، فهو يحاول أن يهرب منه إلى موطن حريته ، ولكن الله قضى عليه هذا التقييد ، وأنه لا يخرج إلى الإطلاق إلا من تقييد غاية التقييد . فظاهر الأمر قيد ، وباطنه فيه الرحمة .

وجاء ظاهر الشرع تقييدا ، وجاء باطنه إطلاقا ، فظاهر الصلاة تقييد بحركات وأقوال ، تدرك بالعقل . وباطنها خشوع وجمع على الله ، يدرك بالروح . فالإنسان كقطرة ماء أخذت من البحر ، فما دامت هذه القطرة خارج البحر فإن لها كينونة مستقلة ، إلا أنها صغيرة وحقيرة ، ومقيدة بكل قيد ، ومحددة بكل إناء توضع فيه، فإذا ألقيتها في بحرها مرة أخرى، فإنها تتكلم بلسان هذا البحر المطلق العظيم ، ولا تستطيع أن تفصلها عنه، إذ أن ذراتها قد ذابت في ذراته ، وذاتها قد تلاشت في ذاته .

وحتى يصل الإنسان إلى هذا الإطلاق فلابد من ضرب المثل :

ملكة في قصرها ، يحكي الحاكون ، ويقص القصاصون ، ويتناقل الناس الحكايات عن جمالها وحسنها ، وكذا وكذا ....إلا أنهم جميعا لم يروها ، إذ أن بلادها بعيدة ، وحراسها أشداء ، وأسوار قصرها عالية حصينة ،

فحال الناس معها متباين ، فمنهم من اكتفى بعلمه عنها ، وهؤلاء العلماء ، فما أوصلهم علمهم إلا إلى العلم ، وكلما ازدادوا علما ازدادوا قربا إلى العلم . ومنهم من علت همته ، وعزم على شد الرحال إلى قصرها مهما كلفهم هذا من جهد وعناء ، وهؤلاء هم العاملون بعلمهم ، أوصلهم علمهم إلى العمل .

فلما ساروا في الطريق ؛ افتقروا إلى الأدلاء الذين يوصلونهم إلى ما أرادوا ، والأدلاء هم المشايخ الذين ساروا قبلهم في هذا الطريق . وإذا بالطريق قد امتلأ بالعوائق والمهالك ، من كان منهم في بلاد الحر ، مات في البرد . ومن كان منهم في بلاد البرد ، مات في الحر . فوقع أجره على الله .

وهذا كله مع إخلاص المشايخ لهم ، في الدلالة على أيسر الطريق ، وأقصره ، حتى إذا قطعوا المفاوز والقِفار ، والفيافي والبحار ، إذ عنت لهم جنَّة غناء ، فيها القصور والحور والماء والراحة ، فمنهم من أخلد إليها ، وقالوا يكفينا ما لقينا من عناء ، فأقاموا وانقطعوا عن مقصودهم ، وقال لهم الأدلاء إن ما تطلبون أمامكم ، وإنما هي فتنة ، فما استجابوا . وانطلق الأدلاء مع القليل ، وكلما تركوا جنَّة وفتنة ، قابلتهم فتنة أكبر منها ، وتخلف في كل جنَّة ، أناسٌ .

حتى أشرفت مآذن القصر المقدس الكبير ، وعلم القوم أنهم قد أشرفوا على الوصول ، وتنفسوا جميعا الصعداء ، وألقوا أنفسهم على الأعتاب ، ما بين مقَبِّل وباك ، ومسرور وشاك ، وحدث لهم جميعا حال عظيم ، وشوق جسيم إلى لقاء المحبوب ، وهؤلاء هم الواصلون .

فبعثت إليهم الملكة : ما مطلوبكم ؟

فأعطت كل واحد مطلوبه ، وصرفته . فمنهم من كان مطلوبه الولاية ، ومنهم من كان مطلوبه الجنة ، ومنهم القطبانية ، ومنهم غير ذلك ، ودون ذلك منهم من يريد الدنيا ، ومنهم من يريد الآخرة .

إلا أن القليل - وهم أهل الأدب - قالوا : والله ما تركنا الأموال والأولاد والأوطان ؛ إلا شوقا إلى رؤية الملكة ، والجلوس إليها ، وأن تنظر إلينا بعين الرضا . فتسلط عليهم العبيد بالسياط ، حتى تبتلي حبهم لها ، فيهرب منهم من كان يدعي المحبة ، ويثبت من كان صادقا في محبته ، وهم قليل .

ثم تأذن لهم الملكة : واحداً واحداً . فيدخلون داخل سور القصر ، فيرون مُلكاً عظيماً ، ونعيماً مقيماً ، ويسألون كل من يروه عن الملكة وجمالها .

- اعلم أن الأمر كله كسبي ، إلى أن يبلغ السالكون إلى باب سور القصر ، فإذا وصلوه ، فإن الأمر بعد ذلك وهبي ، فإن الملكة تعطي ما شاءت لمن شاءت .
- واعلم أن كل ما عرفه السالكون ، إلى أن يصلوا إلى رؤية الملكة هو كله معرفة ، ويسمى هؤلاء العارفون بالله .

فإذا أدركتهم العناية الإلهية :

- فمنهم من تدخله إلى بهو القصر .
- ومنهم من تدخله إلى غرفة الاستقبال .
- ومنهم إلى أخصِّ غرفةٍ لها : وهي مخدعها .
- فكل من رآها من وراء نقابها : فهم مُشاهِدون ، لا مُشاهِدون .
- وكل من كلمها ، وباسطته في غرفة دون مخدعها : فهم مُكَلَّمون ، لا مُكلَّمون .

- وكل من رأى هذا الجمال وسمع عذوبة صوتها وقف وقفة دهش .
- فليس كل من رأى الله ، رأى وجهه .
- وكل من رأى وجهه ، فقد رآه .
- وكل من جالسته من وراء نقابها : فهم مُجَالَسُون ، ولكن من وراء وراء .
- وكل من لم يدخل قصرها : فهو في الفرق .
- وكل من دخل قصرها ، وجالسها ، وكلمها من وراء نقابها : فهو في الجمع .

ثم أنها تتركهم يرجعون إلى دنياهم وأهليهم ومشاغلهم ، وتبعث عليهم من يرقب أفعالهم وكلامهم ، وهذا هو **فرق الجمع** . فكل من حفظ سرها ، ولم يبح به لأحد ، كان أمينا ، وجمعته عليها مرة أخرى . وكل من أفشى سرها وعرَّف الناس طريقها وأحوالها ، قطعته وظل في **الفرق** .

ولا تزال بمن يحفظ سرها : تجمعه تارة ، وتفرقه تارة ، إلى أن تثق به كل الثقة ، فتدخله مخدعها ، ويحصل بينهما جمع وفناء ، وهذا يسمى **جمع الجمع** .

ثم بعد ذلك ؛ إن أرادت منه أن يرجع إلى دنياه ، استغاث بها أن تبقيه في قصرها وحضنها ، فتطمئنه ، وتقول له : اذهب حيث شئت وأنا معك : **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}**(١) فيرجع حيث تأمره ، ويعمل بما توظفه له ، وتبعث معه من الحرس ؛ مَن يحرسونه ويعصمونه من أذى الخلق ، ويحفظونه بحفظها . وصار في وظيفته ، ولكن صورتها لا تفارق عينيه ، وحبها لا يزايل قلبه ، ويصبح سرها معه ، لا يفشيه لأحد أبدا .

١- آية ٤ سورة الحديد .

٢- مرتبة الألوهية :

- كان الخلق جميعا في **عدم العدم .**

- ثم خرج إلى **العدم .**

- ومنه **للوجود** .

وهذه المراتب الثلاث : هي مراتب موجودة بالنسبة لله - وإن كانت مرتبة العدم ، وعدم العدم ، غير موجودة بالنسبة للخلق - وذلك كما في مثال الخزانة السابق . فالله تعالى ما خلق إلا عن وجود ، لا عن عدم .

ومرتبة الألوهية : هي الأحدية ، حيث الله ولا شيء معه .

والأحدية غير الواحدية ، إذ الواحدية : نسبة . فتقول : واحد واثنين ، أما الأحدية : فهي مرتبة اضمحلال جميع النسب والأسماء والصفات في مرتبة واحدة ، فلا تتميز نسبة من نسبة ، ولا صفة من صفة .

وذلك كمثل بحيرة ، يصب فيها ماء جداول مختلفة ، فما دام الماء في جدوله - لم يصل البحيرة بعد - فإنه يتميز عن ماء من جدول آخر ، أما إذا صب الماء كله في البحيرة ، فلا يتميز ماء جدول من ماء جدول آخر .

وهذه هي الأحدية : **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}**(١) .

ومرتبة الألوهية ، لها وجه إلى الذات ، ووجه إلى الأسماء والصفات .

فهي برزخ عظيم بين بحرين .

فوجهها الذي للذات : هو مطلق ، لا تقييد فيه .

أما الوجه الذي للأسماء والصفات : فهو تقييد بكل اسم ، وكل صفة ، وكل عَرَض . وهذا هو موقف السواء ، فمن أراد من الأولياء عبور الأسماء والصفات إلى الذات ، فلابد له من المرور **ببرزخ السواء .**

١- آية ١ سورة الإخلاص .

فما دمنا في بوتقة الأسماء والصفات ، تتصرف فينا ، وتتقوت علينا .
فالله تعالى يتصف بصفات المخلوقين ، تأنيسا لهم . فيتسمى بأسماء - لولا أن الشرع جاء بها - لما صدقها العقل : فيتصف بالفرح والتبشبش ، والمكر والخداع ، والاستهزاء والضحك . وهذه الصفات جميعا ليست صفات الذات ، إذ أن الذات مطلقة ، لا تقبل هذه النسب ، ولكنها كلها تجليات الأسماء والصفات ، قبل الوصول إلى برزخ السواء .
فنثبت لمرتبة الألوهية : الساق والعين واليد ، ولا نثبتها للذات .
وفي بوتقة الأسماء والصفات : نتصف نحن بأوصاف الله من العلم والقدرة والسمع والبصر ، وكل هذه تجليات الأسماء والصفات ، وليست الذات .
فإذا ارتفعنا إلى موقف السواء : فالعبدُ عبدٌ ، والربُ ربٌ - حيث تحفظ المقامات - ولا تجلي هناك إلا بالأحدية .
فإذا تجاوزت البرزخ إلى الإطلاق : فما ثَمَّ إلا الذات ، ولا عبد هناك .
ولكن من بلغ هذا المنزل ، استُهلِكَ كله ، فلا شيئية له ، كرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كان يدعو ، ويقول : واجعلني نورا .
فهو مستهلك كله في الله ، وليست فيه ذرة واحدة لغير الله .
فمن رآه فقد رأى الحق ، يعني كأنه رأى الله تعالى .

٣- مرتبة الأسماء والصفات :
اما المرتبة الثالثة : فهي مرتبة الأسماء والصفات ، لما برزت إلى الوجود، وتجلت بها الذات ، افتقرت إلى أعيان يظهر فيها حكمها :
فكيف يكون كريما ، من لم يجد من يتكرم عليه ؟
وكيف يكون رحيما ، من لم يجد من يرحم ؟
فطلبت الأسماء من الله تعالى قوتا لها ، تفرح بالتقوت عليه .

فهي إلى قوتها ، أحوج من قوتها إليها !

فخلق الله الخلق كله ، وأخرجه من العدم إلى الوجود ، إلا الإنسان .

ولكن هذه الموجودات جميعا ، لم تستنفذ كل الأسماء والصفات الإلهية .

فالحيوان ، تجلى الله عليه بالقدرة ، فجعله قديرا . وبالسميع ، فجعله سميعا . وبالبصير ، فجعله بصيرا .

وعلى الجمادات باسم أو اسمين ، وعلى الطيور وغيرها .

حتى خلق الإنسان ، فتحمل كل الأسماء والصفات ، فجعله مؤهلا لتجلي جميع الأسماء والصفات ، على ما فيها من أضداد **((خلق الله آدم على صورته))**(١) .

ولله تعالى أصل : وهو ذاته ، وصورة : وهي تجلياته الأسمائية .

فخلق الله تعالى الكون كله على صورة الجمال ، وهي صورته تعالى : **((إن الله جميل يحب الجمال))**(٢)، فخرج الكون كله جميلا في منتهى الجمال . فكان العالم هو المخلوق الأول المطوَّل .

ثم خلق الله الإنسان ، فكان ملخص هذا العالم الكبير : **{ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ**

١- حديث : خلق الله آدم على صورته ، رواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] عن أبي هريرة وقال السيوطي في التعليق على هذا الحديث في الجامع الصغير : (خلق الله آدم على صورته) أي على صورة آدم التي كان عليها من مبدأ فطرته إلى موته، .. ، وقيل الضمير (راجع) لله تعالى، بقرينة رواية "خلق آدم على صورة الرحمن " . أي أعطاه من الصفات ما يوجد مسماها عند الله عز وجل، كالموت والحياة والعلم والكلام والرحمة، والتي لم تعط بمجموعها للحيوان ولا للملائكة ولا للجن، وإن كان الاشتراك فقط في مسميات هذه الصفات وليس في عينها، حيث أن المشترك بين قدرة العبد وقدرة الخالق هو الاسم فقط، وهكذا بشأن جميع الصفات .

٢- رواه مسلم في صحيحه والترمذي عن ابن مسعود وأحمد في مسنده عن أبي ريحانة والطبراني في الكبير عن أبي أمامة والحاكم في المستدرك عن ابن عمر، وابن عساكر عن جابر وعن ابن عمر والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد وابن عدي في الكامل عن ابن عمر.

وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}(١) .

ولكن خلق الناس أكمل من خلق السماوات والأرض ، فالإنسان هو نسخة العالم كله . يحتاج إليه العالم ، ولا يحتاج هو إلى العالم ، فله الكمال ظاهرا وباطنا ، جسما وروحا . فجسمه : خلقه الله بيديه تشريفا له : **{مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}**(٢) .

قال صلى الله عليه وسلم : **((إن الله خلق آدم على صورته))**(٣) .

فصورة الإنسان لها الشرف على جميع المخلوقات .

وروح الإنسان وباطنه : كانت نفخة ربانية ، لم يحظ بها مخلوق سواه .

ومنذ أن خلق الله الإنسان ، وهو في بوتقة التجليات الإلهية :

- **إما تجليات ذاتية :** لم يتجلى الله بها إلا على قلب الإنسان خاصة .
- **وإما تجليات أسمائية وصفاتية :** تجلى الله بها على جميع خلقه ، بما في ذلك الإنسان .

وما زال الإنسان في هذه البوتقة ، تتوالى عليه أحكام الأسماء والصفات ، وهو يتقلب معها ويتلون فيها ، وتشتاق روحه إلى التمكين والثبوت ، وجمع الجمع ، فيأمره الحق تعالى بالفرار من البوتقة : **{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}**(٤) . فيفر من هذه التلونات إلى الأحدية الإلهية الثابتة ، فترتاح روحه ، ويستقر قلبه .

- وأنت تستطيع أن تحقق هذا الفرار - حيث الجمع على الله - في أقل

١- آية ٥٧ سورة غافر .
٢- آية ٧٥ سورة ص .
٣- تقدم تخريجه ص ١٢.
٤- آية ٥٠ سورة الذاريات .

من ثانية ، وفي أي مكان كنت ، بأن تغمض عينيك - ولو قليلا - ثم تأخذ نفسا عميقا ، وتغيب عمن حولك ، فتجد الله في قلبك ، حيث كان منك ، وكنت منه ، قبل أن تخرج إلى هذا العالم ، وقبل أن تُلقًى في هذه البوتقة.

- تستطيع أيضا قبل أن تنام ، أن تُقَبِّلَ الله تعالى ، وتنام في حضنه إلى الصباح .
- تستطيع أيضا أن تدخل الجمع ، في السجود في الصلاة ، فإن الإنسان إذا سجد : **((اعتزل الشيطان يبكي))**(١) ، ودخل (أي الإنسان) في جمع مع الله تعالى : **((أقرب ما يكون ابن آدم من ربه وهو ساجد))**(٢) .

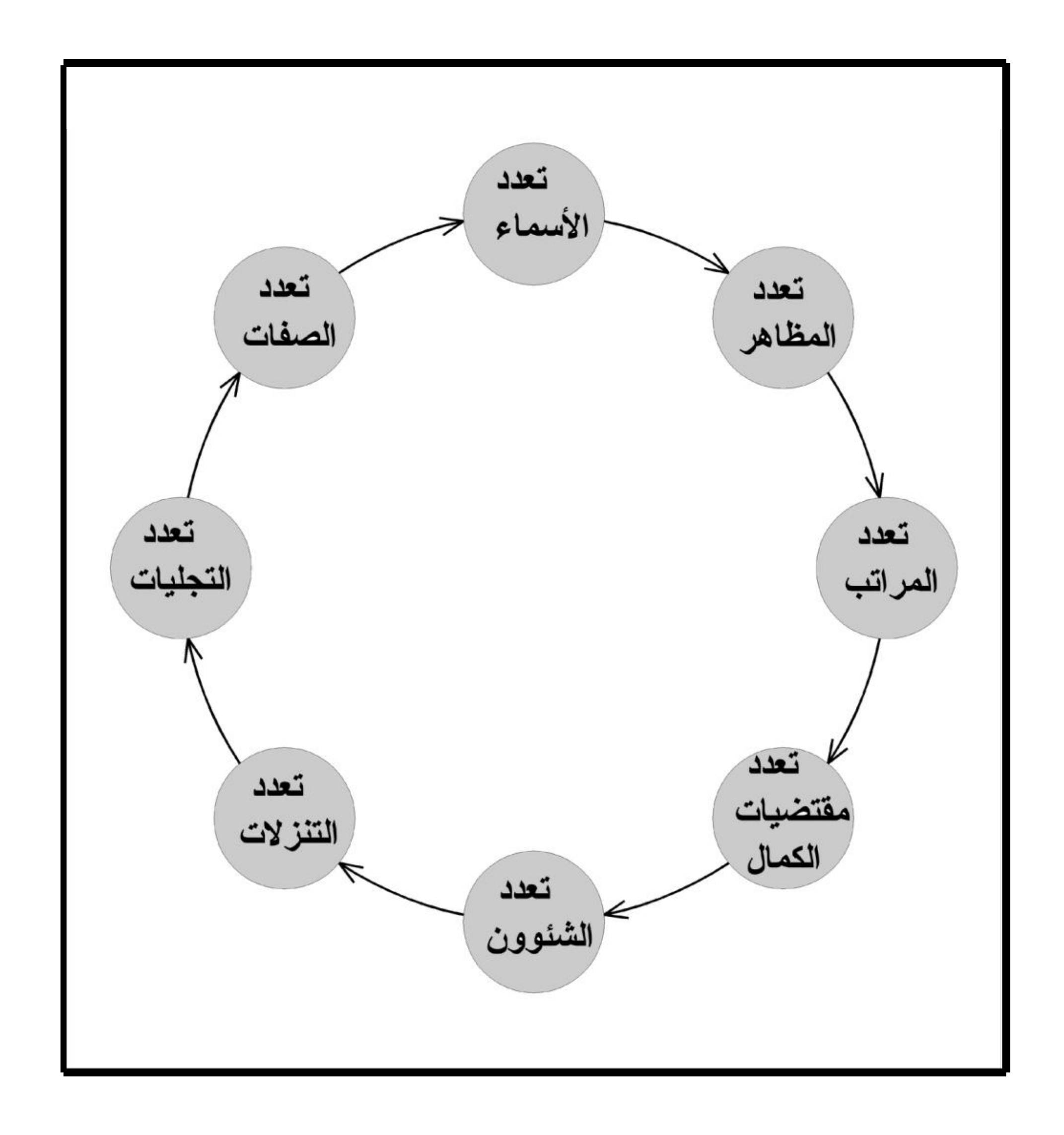
١- أخرجه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وابن ماجة والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢- أخرجه مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه البزار والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه ، ورواه ابن النجار عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه .

الأسماء – الصفات – الذات

كل تجلٍ ، لابد أن تكون له صفة ، وكل صفة ، لابد أن يكون لها اسم .

فتعددت الأسماء ، لتعدد الصفات
وتعددت الصفات ، لتعدد التجليات
وتعددت التجليات ، لتعدد التنـزلات
وتعددت التنـزلات ، لتعدد الشؤون
وتعددت الشؤون ، لتعدد مقتضيات الكمال
وتعددت مقتضيات الكمال ، لتعدد المراتب
وتعددت المراتـب ، لتعـدد المظاهـر
وتعددت المظاهـر ، لتعـدد الأسمـــاء



فدار الأمر وانبهر ، وصار أولًا ما كان آخرًا .

عُرِفَ على قدر ما ظهر ، وجُهِلَ على قدر ما بطن .

فصفاته ظاهرة ، وذاته باطنة . ولذا فالكل جاهلون بذاته ، وليس الكل جاهلين بصفاته . إذ بها تعرَّفَ إلى الخواص ، وبأفعاله إلى العوام ، فالعوام يعرفون أفعاله ، والخواص يعرفون صفاته ، وخواص الخواص يعرفون أسماء ذاته .

وينفرد سبحانه وتعالى بالمعرفة الذاتية ، المنـزهة عن الاسم والوصف والإضافة والعين والعلم .

و التجليات الإلهية على قلوب العباد :

- لها من حيث المرتبة ، حكم .
- ومن حيث الظهور ، حكم .

- **فحكمها من حيث المرتبة : التنـزيه .**

فلا جهة ، ولا ممازجة ، ولا حلول ، ولا اتحاد ، ولا انفصال ، ولا اتصال ، ولا تغيير ، ولا صورة .

- **ومن حيث الظهور : التشبيه .**

فلا يستحيل ظهورها بالجهة ، والممازجة ، والحلول ، والإتحاد ، والإنفصال ، والإتصال ، والتشبيه ، والصورة ، والتغيير .

فهو سبحانه وتعالى يظهر فيما يشاء كما يشاء ، فلا يقيده حكم ، ولا يحصره حد ولا رسم ، فيظهر كيف شاء بلا كيفية ، ويحتجب كيف شاء بلا كيفية ، فله التنـزيه ، وله التشبيه .

فقد ظهر تعالى في الملكوت لإبراهيم ، وفي النار لموسى ، وفي صورة المعتقدات لأهل المحشر .

ونسب إلى نفسه اليد والقدم ، والوجه والعين ، والسمع والبصر ، والضحك والكلام .

واعلم أن : الله تعالى هو صانع العالم وموجده ، فالعالم كله في غاية الجمال ، ما فيه شيء من القبح ، بل قد جمع الله له الحسن كله ، والجمال كله . فالعالم كله جمال ذاتي ، لأنه على صورة الحق تعالى ، وحسنه ، ولهذا هام فيه العارفون ، وتحقق بمحبته المتحققون .

لأنهم ما رأوا فيه إلا صورة الحق وتجليه ، فهو تعالى الظاهر في المظاهر ، وهو سبحانه الجميل والجمال ، وهو تعالى ما كثر لنا الآيات في العالم وفي أنفسنا إلا لنصرف نظرنا إليه : ذِكرا ، وفِكرا ، وعَقلا ، وإيمانا ، وعِلما ، وسَمعا ، وبَصرا ، ونُهَىً ، ولباً .

وما خلقنا إلا لنعبده ، ونعرفه .

وما أحالنا في ذلك على شيء ، إلا على النظر في العالم ، لجعله عين الآيات والدلالات على العلم به ، مشاهدة وعقلا .

فإن نظرنا ، فإليه . وإن سمعنا ، فمنه . وإن عقلنا ، فعنه .

وإن فكرنا ، ففيه . وإن علمنا ، فإياه . وإن آمنا ، فبه .

فهو المتجلي بجماله في كل وجه ، والمطلوب من كل آية .

والمنظور إليه بكل عين ، والمعبود في كل معبود .

والمقصود في الغيب ، والمشهود والمحبوب في عين كل محب .

فجميع العالم ، له مُصَلٍ .

وإليه ساجد .

وبحمده مسبح .

فالألسنة ، به ناطقة .

والقلوب ، بجماله هائمة عاشقة .

والألباب حائرة .

للذات ثلاث حضرات هي أصولها :-

١- حضرة الفردانية : وهي حالة وجودها في عين الجمع ، حيث كانت ، ولم يكن معها شيء . فيها تضمحل الأسماء والصفات بظهور الذات .

٢- حضرة المعية : وهي حالة وجودها مع كل شيء ، في عالم التفرقة . وفيها تحتجب الذات بالأسماء والصفات .

٣- حضرة الوترية : هي حالة بقائها بعد فناء كل شيء ، في مقام الجمع. وفيها كل واحدة من الذات والصفات متجلية ، لا تحتجب بالأخرى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن الله تعالى وتر يحب الوتر))**(١) **((أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة))**(٢) حيث توجهت . لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، كله وجه ، بلا قفا ، فإنه قال : **((إني أراكم من خلف ظهري))**(٣) .

ومن كانت هذه حاله ، فحيث كانت القبلة ، فهو مواجهها : **{فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ}**(٤) فمن كان وجها كله ، يستقبل ربه بذاته .

ثم ختمها بقوله **{إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(٤)** فجل جلاله هو قبلة القلوب . وقد وسع علمه السماوات والأرض ، ووسعت رحمته علمه والسماوات والأرض .

١- رواه مسلم وأحمد والحاكم وصححه والبيهقي والطبراني وابن حبان والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه أحمد وابن أبي شيبة عن سليمان بن سعد والطبراني في الكبير عن ابن عمر والحاكم والترمذي وحسنه وأحمد وأبو داود وابن ماجة عن علي كرم الله وجهه . وأبو يعلي وأبو داود وابن ماجة عن ابن مسعود رضي الله عنه . وابن أبي شيبة عن أبي عبيدة . وعبد بن حميد مرسلا .

٢- رواه البخاري والترمذي وصححه وأحمد عن سعيد ابن يسار من حديث ابن عمر.

٣- رواه البخاري ومسلم عن أنس والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن أبي هريرة .

٤- آية ١١٥ سورة البقرة .

قال تعالى : **{وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ}**(١) .

أول النفوس في الخلق : هي نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال صلى الله عليه وسلم : **((أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر))**(٢) ، **((كنت نبيا وآدم بين الماء والطين))**(٣) .

وأول الأجسام في الخلق والتكوين : هو جسم آدم عليه السلام ، وليس منا أحد ، إلا وفي جسمه من العوامل الوراثية ، ما كانت في آدم عليه السلام، وكذلك ما منا أحد ، إلا وفي روحه من نور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما به اهتدى : **((خلقت الخلق ، ثم رششت عليهم من نوري ، من أصابه ذلك النور اهتدى))**(٤) .

وهذا النور : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالنفس الواحدة : هي نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الوترية : تدل على عدم الاحتياج .

والشفعية : تدل على احتياج كل زوج إلى زوجه ، فكل شيء احتاج إلى شيء فهو شفع .

١- آية ٩٨ سورة الأنعام .

٢- قال العجلوني في كشف الخفاء : رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر ابن عبد الله .

٣- قال العجلوني في كشف الخفاء عن هذا الحديث بهذا اللفظ : قال العلقمي في شرح الجامع الصغير حديث صحيح . وأخرج أحمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن ميسرة الفخر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد ". وأخرج أحمد والدارمي والبزار والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " قيل يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد " وقال السيوطي صحيح . ونقل العلقمي عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده مرفوعا أنه قال : كنت نورا بين يدي ربي عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام .

٤- رواه أحمد في مسنده والترمذي والحاكم في المستدرك عن ابن عمرو " إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ، ومن أخطأه ضل " وقال السيوطي : صحيح .

- أما الله تعالى ، فلا حاجة له إلى خلقه ، فهو الوتر الأول .
- ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا احتياج له إلى الخلق ، بل كل الخلق محتاجون إليه يوم القيامة ، فهو الوتر الثاني .
- أما الإنسان فله ذات ، وله مراتب . فذاته : وتر ، ومراتبه : شفع . وهذا هو الوتر الثالث .

((إن الله وتر يحب الوتر))(١) : يعني أنه تعالى يحب ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحب ذوات جميع المؤمنين . والله تعالى ذاته ، وتر . أما مراتبه وصفاته : فهي في حاجة إلى ظهور أحكامها في الموجودات ، فصفاته شفع ، يتجلى الله بذاته على مراتبنا :

- فيتجلى بوتريته ، على وترية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي ذاته ، ثم تتجلى وترية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على وترية من يشاء من العباد .
- وإذا تجلى الله تعالى بشفعيته ، على شفعية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنه يتجلى على شفعية خلقه .

فالله تعالى : هو ذات الذات .

وذات الذاتين : يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذات الذوات : يعني خلقه من البشر .

كلما ابتعد الإنسان عن شفعه ، اقترب من وتريته ، والعكس صحيح .

اعلم أن لكل إنسان ذاتا ، ومراتب .

أما ذاته : فهي نفسه وروحه ، ولها الإطلاق ، حيث أنها النفخة الإلهية الأزلية .

١- سبق تخريجه ص ١٩ .

فإذا نفخت هذه الروح في الجسد ، أصبحت له مرتبة الإنسانية .

فإذا أسلم أصبح له مرتبة الإسلام ، ثم الإيمان ، ثم الإحسان .

فإذا تعلم أصبح له مرتبة العلم ، وهي مراتب كثيرة ، متغيرة ومتلونة ومقيدة .

أما ذاته : فثابتة ومطلقة .

والله جل جلاله له ذات هي نفسه : **{تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}**(١) ، ولها الإطلاق والثبوت . ثم أن له مراتب :

- كمرتبة الألوهية ، وهي مرتبة تجليه على الأشياء في حال عدمها ، فأوجدها .
- ومرتبة الربوبية، وهي مرتبة إمداد الأشياء بما تستحقه مراتبها للوجود.
- ومرتبة الأسماء والصفات وغيرها ، وهي مراتب تلوين ومتباينة ، ولها الظهور في كل مظهر ، مقيدة بهذا المظهر . فتارة تظهر للأشياء ، وتارة تظهر في الأشياء .

قال الله تعالى : **{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ}** (٢) .

وقال : **{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ}** (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم:**((لا شخص أغير من الله))**(٤) وهي رواية اتفق

١- آية ١١٦ سورة المائدة .

٢- آية ١٩ سورة الأنعام .

٣- آية ٨٨ سورة القصص .

٤- بهذا اللفظ أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم والحاكم في مستدركه وابن مردويه عن المغيرة بن شعبة ، في حديث سعد بن عبادة . وبلفظ "لا أحد أغير من الله" أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي شيبة والبيهقي في الأسماء والصفات وابن المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود .

عليها البخاري ومسلم . فسمى نفسه : بشيء ، وشخص . وهذا في غاية التقييد . أما ذاته فهي مطلقة ، لا تقبل التسميات ، ولا الصفات ، ولا المقيدات ، ولا النسب . والمطلق لا يقبل إلا المطلق ، فلا نستطيع الدخول على الله إلا بالروح المطلق ، فلا تستطيع الدخول عليه بالجسم ولا بالعقل ولا بغيرها . والمطلق لا يعطي إلا الإطلاق . فأهل التقييد في الدنيا يعطيهم الله على الحسنة : عشر أمثالها ، ومائة أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف . أما أهل الإطلاق فعطاؤه لهم على الحسنة الواحدة ما لا نهاية من الحسنات . ومن كان هذا حاله مع الله : فصلاته في مكانه كصلاته في المسجد الحرام ، بل والكعبة نفسها تطوف حوله ، وتقبِّل رأسه ، بل والجنة تشتاق إليه . وفي الحديث : **((اشتاقت الجنة إلى علي وعمار وبلال وسلمان))**(١) .

وأفضل الفريضة صلاة المغرب ، إذ أنها وتر النهار ، كما أن أفضل السنن : الوتر ، لوتريتها ، وحب الله لها زائد : **((إن الله وتر يحب الوتر))**(٢) ، ولذا كانت فرضا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون أمته(٣) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((إن الله تعالى رفيق يحب الرفق))**(٤) .

١- رواه الحاكم في مستدركه عن أنس ورمز لصحته كذا رواه ابن عساكر وأبو نعيم في الحلية عن حذيفة .

٢- هذا الحديث سبق تخريجه ص ١٩ .

٣- أخرج أحمد في مسنده والحاكم عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ثلاث هن علي فريضة، وهن لكم تطوع : الوتر ، وركعتا الضحى والفجر(والنحر) " وأخرج الطبراني في الأوسط عن أم المؤمنين السيدة عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاث هن علي فريضة وهم لكم سنة: الوتر والسواك وقيام الليل " .

٤- أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجة عن السيدة عائشة والبخاري في الأدب وأبو داود عن عبد الله بن مغفل وابن ماجة وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة وأحمد في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان عن علي والطبراني في الكبير عن أبي أمامة ، والبزار عن أنس.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن الله تعالى عفو يحب العفو))**(١) .

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **((إن الله تعالى : طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود))**(٢).

(ففي الحقيقة أنه تعالى ما أحب إلا نفسه)

١- أخرجه عبد الرزاق وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والخرائطي في مكارم الأخلاق ، والحاكم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في سننه، عن أبي وائل والحاكم في المستدرك وأحمد عن ابن مسعود وابن عدي في الكامل عن عبد الله بن جعفر .

٢- رواه الترمذي عن سعد وحسنه السيوطي .

الأسماء الحسنى

اعلم أن الأسماء الحسنى لله تعالى : كأنها أنهار ، تصب في عين واحدة ، فما دام الماء في أنهاره ، أمكن تمييز كل ماء من أي نهر هو، فإذا اختلطت الأنهار في العين ، لم يمكن تمييز ماء كل نهر من الأنهار . فالأنهار هي الأسماء الحسنى ، والعين هي عين الأحدية ، حيث لا نِسَب .

الله جل جلاله

لفظ الجلالة الله ، الله .

هو الذكر الجاري على نفوس جميع العوالم ، شاءوا أم أبوا ، في كل نفس من أنفاسهم ، وكل حركة من حركاتهم ، بل وكل سكون من سكناتهم .

واعلم أن تسبيح الكائنات - عدا الجن والإنس - ليس هو صوت كأصواتنا ولكن منها ساكن ، ومتحرك :

فالساكن : تسبيحه كصوت دوى النحل .

والمتحرك : فتسبيحه هو صوت حركته ، كهدير الماء .

أما الساكن مرة ، والمتحرك مرة : كصهيل الفرس ، فهو الذكر الظاهر له، فإن سكت ، فله ذكر الساكنات ، لمن قدر على سماعه .

فكل المخلوقات من حيث الذكر : لا تذكر سواه .

أما ذوقاً ، فلم يتعبد فيه سوى النور المحمدى .

وذلك لما خلقه الله تعالى أول من خلق ، وأوجده أول من أوجد ، ولا شيء معه ، فأخذ هذا النور الأقدس يتعبد في هذا المحراب الأنفس ،

تعبدا في خلوة ، بينه وبين ربه تعالى ، حيث لا أحد سوى وترية الله تعالى ، وعبودية المصطفى صلى الله عليه وسلم . وتلك هي أول الخلوات ، وأعظمها . ثم الخلوة الكبرى في المعراج : حيث زُج برسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث لا أحد إلا الله تعالى . قال صلى الله عليه وسلم : **((رأيت ربي))**(١) .

الله : مفتاح الإيمان ، وسر الإسلام .

فلا يؤمن إلا من نطق بها ، فمن قال : لا إله إلا الرحمن ، لا يكون مسلما، أو قال أي اسم كذلك .

فلا يخرجه من ظلمات الكفر ، إلى نور الإسلام ، إلا لا إله إلا الله ، لأن اسم الذات الجامعة : **(الله)** ؛ يقوم مقام كل اسم ، ولا يقوم اسم مقامه .

فمن طلب الرزق ، قال : يا رزاق .

ومن طلب الرحمة ، قال : يا رحيم .

وحجب بهذا الاسم ، عن باقى الأسماء .

١- أخرجه عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي قال: لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم نزعم أن نقول: إن محمدا قد رأى ربه مرتين، فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد عليهما السلام ، فرأى محمد ربه مرتين وكلم موسى مرتين . وأخرج النسائي والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال : أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم"هل رأيت ربك؟ فقال: نور، أنى أراه ". وأخرج مسلم وابن مردويه عن أبي ذر " أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ فقال : رأيت نورا " .
قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري : وممن أثبت الرؤية لنبينا صلى الله عليه وسلم الإمام أحمد فروى الخلال في " كتاب السنة " عن المروزي قلت لأحمد إنهم يقولون إن أم المؤمنين السيدة عائشة قالت " من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية " فبأي شيء يدفع قولها ؟ ، قال : بقول النبي صلى الله عليه وسلم "رأيت ربي" ، قول النبي صلى الله عليه وسلم ، أكبر من قولها .

أما من قال : يا الله ، وهو يريد رزقا ، قام مقام الرزاق ، ومن قاله ، وهو يريد رحمة ، قام مقام الرحيم .

فاسم (الله) ، ينوب عن كل اسم ، ويجمع جميع الأسماء ، ويقوم مقامها ، ولا ينوب عنه في مرتبة الألوهية اسم آخر .

أما في مرتبة الربوبية ، فينوب عنه اسمه الرحمن ، فقط .

والألوهية نعني بها : توجه الحق للحق .

والربوبية نعني بها : توجه الحق للخلق .

فتجلي الحق لنفسه : هي الألوهية .

وتجلي الحق على خلقه ، بالإنعام والتربية والإمداد : هي الربوبية .

فهو اسم الذات المشرفة ، لا يدخل حضرته من الأسماء إلا الرحمن ، وذلك بعد الاستئذان ، والإذن .

ثم أن جميع الأسماء الشريفة الحسنى ، تدخل على اسم الرحمن بغير استئذان ، إذ عنه برزت ، وفيه انتهت .

ألا ترى قوله تعالى : **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}**(١) ؟

والعرش في بطنه الكرسي ، والكرسي وسع السماوات والأرض ، فما استوى على عرش الأسماء والمسميات إلا بالرحمن .

فالحضرات أربع :

١- **حضرة تفريد اسم الله تعالى بالذكر :** حيث قال تعالى : **{وَاذْكُرُواْ اللّهَ}**(٢) ، **{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ}**(٣) ، قال رسول الله ، صلى الله عليه

١- آية ٥ سورة طه .
٢- آية ٢٠٣ سورة البقرة . وآية ٤٥ سورة الأنفال ، وآية ١٠ سورة الجمعة .
٣- آية ٣٥ سورة الأحزاب .

وسلم : **((لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله))**(١)، وكرر لفظ الجلالة هنا ليبين أنه ذكر .

٢- **وحضرة النيابة والتوكيل :** حيث ينيب ، اسم الذات : الله ، اسمه تعالى : الرحمن ، ليقوم بتدبير أمور المملكة ، من أسماء ومسميات ، ومحو وإثبات ، وإيجاد وإمداد ، وهو قوله تعالى : **{قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ}**(٢) .

٣- **وحضرة التخصيص :** وهو اختصاص كل اسم ، بأمر من الأمور ، فالرحيم : للرحمة ، والحليم : للحلم ، والرزاق : للرزق ، وهو قوله تعالى : **{وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ}**(٣) .

٤- **والحضرة الرابعة :** هي حضرة التشتيت ، حيث تتشتت الأرباب ، فمن أحب المال ، حتى أنه يترك كل شيء لأجله ، فربه المال . ومن أحب النساء ، وأمضى حياته متعبدا في محرابهم ساجدا راكعا ، فربه النساء . ومن أحب الله تعالى ، قلبا وعقلا وروحا ، فربه الله . وهو قوله تعالى : **{وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا}**(٤)، وقوله تعالى : **{وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ}**(٥)، وقوله تعالى : **{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا}**(٦) وقوله تعالى : **{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا}**(٧) .

١- أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه والترمذي والحاكم عن أنس ، ورواه الحاكم في المستدرك وصححه عن عبد الله .
٢- آية ١١٠ سورة الإسراء .
٣- آية ١٨٠ سورة الأعراف .
٤- آية ٤١ سورة آل عمران .
٥- آية ٢٠٥ سورة الأعراف .
٦- آية ٨ سورة المزمل .
٧- آية ٢٥ سورة الإنسان .

عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله : أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق ؟ قال :

((كان في عماء ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، وكان عرشه على الماء))(١) .

لما شاء الحق سبحانه وتعالى - من حيث أسمائه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء ، أن يرى أعيانها ، وإن شئت قلت أن يرى عينه - فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ، ما هي مثل رؤيته في أمر آخر يكون له كالمرآة - وقد كان الحق تعالى ، أوجد العالم كله ، وجود شبح مسوى ، لا روح فيه، فكان كالمرآة غير مجلوة ، فكان آدم - هذا الإنسان الكامل - هو عين جلاء مرآة العالم .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **((المؤمن مرآة المؤمن))**(٢) والمؤمن اسم من أسمائه سبحانه وتعالى ، فالحق تعالى يرى صورته في الإنسان الكامل .

عن عوف بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **((الأبدال في أهل الشام ، فبهم تنصرون ، وبهم ترزقون))**(٣) والناصر والرازق هو الله تعالى .

١- تقدم تخريجه ص ٤ .

٢- الطبراني في الأوسط والضياء والبزار والقضاعي عن أنس وحسنه السيوطي ، ورواه البخاري في الأدب وأبو داود وابن جرير عن أبي هريرة . وقال العراقي إسناده حسن .

٣- أخرجه بهذا اللفظ الطبراني وابن عساكر عن عوف ابن مالك وحسنه السيوطي . وقد جمع كل من : الحافظ جلال الدين السيوطي جزءا تحت عنوان (الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال) وهو في القسم الخاص بالفتاوي الصوفية في الجزء الثاني من كتاب (الحاوي للفتاوي) له . والحافظ أبو نعيم الأصبهاني في (حلية الأولياء) معظم الأحاديث المروية في هذا الموضوع فليراجع هناك لمن أراد الإستزادة .

ولذلك عبر عن الإنسان الكامل بمرآة الحق ، وهو معنى قوله تعالى :
{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}(١) .
وكما أن ذات الله تعالى خفيت عن الأبصار ، فقد خفيت عن الأفكار والعقول والملائكة ، وأن الملأ الأعلى ليطلبونه سبحانه وتعالى كما يطلبه غيرهم (٢) ونحن مطالبون بالعلم بتوحيده ، لا بذاته : **{وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ}**(٣) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب . وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه))**(٤) .

فالكامل منا له نافلة ، وليس للملائكة نافلة .

فهم عبيد اضطرار ، ونحن عبيد اضطرار من فرائضنا ، وعبيد حب واختيار من نوافلنا ، فالكامل منا يبلغ أن يكون الحق سمعه وبصره ، وجميع قواه .

١- آية ٤ سورة التين .
٢- رواه العلامة البيجوري في شرح جوهرة التوحيد بلفظ " أن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار، وأن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه " .
كما روي أيضا بلفظ " احتجب الله عن أهل السماءِ كما احتجبَ عن أهل الأرضِ ، واحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وأنه تعالى ما دخل في شيءٍ ، ولا غاب عن شيءٍ ، وأن الملأ يطلبونه كما تطلبونه أنتم " .
٣- آية ٢٨ وآية ٣٠ سورة آل عمران .
٤- رواه البخاري عن أبي هريرة . ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلي والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر عن أم المؤمنين السيدة عائشة . ورواه ابن السني في الطب عن سمويه . وأبو يعلي عن أم المؤمنين السيدة ميمونة .

فحينئذ يتعرف على الله بالله ، لا بنفسه ، إذ أنه تعالى لا يعرفه إلا هو . كما قال قائلهم :

أعارته طرفا رآها بـه   فكان البصير لها طرفها

والإحسان : **((أن تعبد الله كأنك تراه))**(١).

فأمرنا أن نشرع في العمل على الحجاب ، حتى نراه ، فنرى العمل صادرا منه ، فينا : **{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى}**(٢) .

فلما أحب الحق تعالى أن يَعْرِفه خلقه ، وعلم ضعفهم عن ذلك ، تجلى لهم في أول حضرة من الحضرات ، وهي حضرة أسمائه وصفاته ، فعَرَّفَهُم نفسه بصفات يعرفونها ، وجعل بيننا وبينه حجابا وبرزخا .

في هذا البرزخ يتصف الحادث بصفات القديم ، كالعلم والقدرة والغنى ، ويتصف القديم بصفات الحوادث ، حتى نعرفه ونأنس به ، كصفة الفرح والإتيان ، والتبشبش والنزول ، والسمع والبصر والحلم ، وغيرها من صفات البشر .

بل يتودد إلينا ، ويستقرضنا ، ويستحيي من الشيخ الكبير .

فإذا تخطينا هذا البرزخ ، فالخلق خلق ، والحق حق .

وإلا فالله تبارك وتعالى ، جلت صفاته ، وتنزهت عن إدراك عقولنا ، لكمالها ، لأننا صنعة الله ، ولا يمكن لصنعة أن تدرك صانعها .

١- رواه مسلم في صحيحه ، والثلاثة : [أبو داود ، الترمذي ، النسائي] عن عمر . ورواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] وابن ماجة عن أبي هريرة .

٢- آية ١٧ سورة الأنفال .

ثم ألقى الله تعالى من نور هذه الأسماء على خلقه ، فانفعلت لها الأكوان جميعا :

- فمن المخلوقات من تحمل اسما واحدا ، كالجمادات ، كانت عدما فأوجدها باسمه الخالق .
- ومنها من تحمل اسمين .
- ومنها من تحمل ثلاثة .
- فالحيوانات خلقها ، ورزقها وقدرها ، وأمدها بسمع وبصر ، بأسمائه تعالى الخالق القادر الرزاق السميع البصير .
- ولم يكن في مقدور مخلوق ، أن يتحمل الإمداد بجميع أسمائه تعالى إلا الإنسان ، وهذه هي الأمانة في قوله تعالى : **{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ}**(١) .

وليست الأمانة هي التكاليف ، لأن الجن مكلفون ، أما الذي حمل الأمانة في الآية : الإنسان فقط : **{وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ}**(١) فمن حملها **عَرْضاً** ، فقد هلك ، ومن حملها من الإنسان **جَبْراً** ، فهو مؤدٍ لها على كل حال ، فهذه أمانة الخلافة عن الله : **{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}**(٢) .

فهذا الإنسان الكامل : الخليفة عن الله ، هو الذي تخلق بأسمائه تعالى ، على ما ينبغي أن يكون التخلق ، وعلى أعلى كمال في المُتَخَلِّق ، وعندما تظهر بوادر العصيان من الرعية على هذا الخليفة **{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء}**(٢) فإنه يسألهم عن علمهم بالأسماء ،

١- آية ٧٢ سورة الأحزاب .
٢- آية ٣٠ سورة البقرة .

التي يجب أن يتخلق بها الخليفة عن الله ، فلا يجيبون ، فيظهر علمه وعجزهم ، ولكن تبقى فيهم بعض روائح الغبطة ، بلغة حسن الظن ، فيأتي هذا الملك بوزرائه المقربين ، ويأمرهم بالسجود لهذا الخليفة ، فيسجد الجميع طاعة للأمر ، وإذعانا للمقام ، ثم من لم يسجد ، طُرد ولُعِن . فعندئذ ، تحقق لهذا الخليفة المعظم السيادة ، والتقدم بلا شريك ، ولا منازع في خلافته .

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **((خلق الله آدم على صورته))**(١) أي : هو الوحيد الذي تخلق بأخلاق الحق جميعا ، فكان الحق جميع قواه ، فإذا نظرت إلى هذا الإنسان الكامل، ذكرت الله تعالى ، فهذه النشأة الإنسانية بكمالها ، روحا وجسدا ونفسا ، خلقها الله تعالى على صورته : **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**(٢) أي : ليس مثل مثله شيء ، وليس مثله إلا من خلقه على صورته ، فليس مثل الله شيء ، وليس مثل هذا الإنسان شيء . فلا يتولى حل نظامها إلا من خلقها ، ألا ترى من وجب عليه القصاص ، كيف شُرِّع لولي الدم أخذ الفدية منه ، أو العفو عنه ، ألا ترى إذا كان أولياء الدم جماعة ، فرضي واحد بالدية ، أو عفا عنها - وباقي الأولياء لا يريدون إلا القصاص - كيف يراعَى من عفا، ألا تراه يقول في صاحب النِّسْعة (٣) : **((إنْ قَتَلَه كان مثله))**(٤) .

١- تقدم تخريجه ص ١٢ .
٢- آية ١١ سورة الشورى .
٣- قال ابن الأثير النِّسْعة بالكسر: سَيْرٌ مَضْفور، يُجعل زماما للبعير وغيره . وفي هذا الحديث كان القاتل مقيدا بالنسعة .
٤- رواه بهذا اللفظ أبو داود والطبراني في الكبير عن علقمة ابن وائل عن أبيه . وبلفظ " إن قتله فهو مثله " رواه مسلم عن علقمة ابن وائل عن أبيه وبلفظ " "أَمَا إِنَّهُ إِنْ كانَ قوله صَادِقاً فَقَتَلْتَهُ دَخَلْتَ النّارَ" رواه الترمذي وصححه عن عن علقمة ابن وائل عن أبيه وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي القرآن : **{وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا}**(١) فجعل القصاص سيئة ، أي يسوء مع كونه مشروعا **{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}**(١) لأنه على صورته ، فأجره على من هو على صورته ، وما ظهر تعالى بالإسم الظاهر ، إلا بوجوده ، فمن راعاه إنما يراعي الحق ، وما يذم الإنسان لعينه ، ولكن لفعله ، وفعله ليس عينه .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ألا أنبئكم بما هو خير لكم ، وأفضل من أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا رقابهم ، ويضربوا رقابكم : ذكر الله))**(٢) .

وذلك أنه : لا يعلم قدر هذه النشأة الإنسانية ، إلا من ذكر الله الذكر المطلوب منه ، فإنه تعالى جليس من ذكره ، والجليس مشهود ، **ومتى لم يشاهد الذاكرُ الحقَ - الذي هو جليسه - فليس بذاكر** . فإن ذكر الله ، سار في جميع العبد . أما إذا ذكر العبد بلسانه فقط ، فإن الحق يكون جليس اللسان فقط .

ومع أن داود عليه السلام ، خليفة - وقاتل عن أمر الله - ولكن الله تعالى حرمه من إتمام بيت المقدس ، لما تلطخت يده من دماء خلقه ، وإن كان محقا ، وبإذن .

ويتولى الحق تعالى هدم النشأة ، المسمى موتا ، وليس بإعدام ولكن يأخذه الحق إليه ، ويسوي له مركبا غير هذا المركب ، من جنس الدار التي انتقل إليها .

١- آية ٤٠ سورة الشورى .

٢- أخرجه أحمد والترمذي والحاكم وصححه وابن ماجة وابن جرير عن أبي الدرداء رضي الله عنه . وأحمد عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه .

وكما أن هذا الكون شهادة عندنا ، والله غيب نؤمن به ، فإن لله تعالى في خلقه ضنائن مجهولين في العالم ، لا يشهدون في الكون إلا الله . لا يعرفون **عالَماً** ، لأنهم لا يشهدونه **عالَماً** ، فهم يشهدون الحق ، **عيناً** ، **ويشهدون العالَمَ إيماناً وغيباً** ، لأن الحق أخبرهم أن ثَمَّ عالماً ، فيؤمنون به ، ولا يرونه : **{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ}**(١) ولا شهادة على غائب ، فهم يشهدونه تعالى أولا ، ثم يرون أنوار الإيجاد والإمداد ، نازلة من أسمائه على شتى المخلوقات ، وكل يتحمل منها على حسب طاقته وفطرته واستعداده .

فعند أهل الله : الحق مشهود ، والخلق معقول . وعند غيرهم ، العكس .

فأهل الله يمشون على طريق يعرفونها ، ويعرفون غايتها : **((كنت رجله التي يمشي بها))**(٢) فهي في حقهم صراط مستقيم ، ومن الناس من يمشي على طريق يجهلها ، ولا يعرف غايتها . فالعارف يدعو إلى الله على بصيرة ، وغير العارف يدعو إلى الله على التقليد .

ولما أراد تعالى خلق هذا الخليفة المعظم ، نفخ فيه من روحه ، ليصح النسب ، وقد صح من جهة الكشف ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من عرف نفسه عرف ربه))**(٣) وفي **كتاب (أدب الدنيا والدين)** للماوردي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : سُئِل النبي صلى الله عليه وسلم : **((من أعرف الناس بربه ؟ فقال : أعرفهم بنفسه))**(٤) .

١- آية ١٨ سورة آل عمران .
٢- تقدم تخريجه ص ٣٠ .
٣- هذا الحديث هو من الأحاديث التي ترويها السادة الصوفية كشفا وليس له إسناد معروف .
٤- ذكره العجلوني في كشف الخفاء .

فتعَيَن على كل إنسان - يحترم إنسانيته - أن يتعرف على سر سجود الملائكة . وهل غير روحه ؟؟

فلا يغرنك قول من قال : عدم جواز الخوض في الروح وعلومها ، مدعيا حرمة ذلك ، لقوله تعالى : **{قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}**(١) فإن اليهود لعنهم الله ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح : **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ}** أي يهود **{قُلِ}** أي قل لهم : **{الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}** أي عن أمر ربي **{وَمَا أُوتِيتُم}** أي أيها اليهود **{مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}** وليس في ذلك ما يفيد عدم جواز البحث وراء هذا السر العظيم ، ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف روحه ، فقد أعظم الفرية .

كيف ؟ وقد نفخ الله تعالى ، هذه الروح الروحانية ، في هذه الجثة الجثمانية ، للدلالة على وحدانيته ، وربانيته ، من عشرة أوجه :

الأول : أن الهيكل كان مفتقرا إلى مدبِّر ومحرِّك ، وهذه الروح مدبرة ومحركة ، فعلمنا أن هذا العالم لابد له من مدبر ومحرك .

الثاني : لمَّا كان مدبر الهيكل واحدا ، وهو الروح ، علمنا أن مدبر هذا العالم واحد ، لا شريك له في تدبيره وتقديره .

الثالث : لمَّا كان هذا الجسد لا يتحرك ، إلا بإرادة الروح وتحريكها له ، علمنا أنه مريد لما هو كائن في كونه ، لا يتحرك متحرك بخير أو بشر إلا بتقديره وإرادته وقضائه .

الرابع : لمَّا كان لا يتحرك في الجسد شيء، إلا بعلم الروح وشعورها به ، علمنا أنه لا يعزب عنه مثقال ذرة ، في الأرض ولا في السماء .

١- آية ٨٥ سورة الإسراء .

الخامس : لمَّا كان هذا الجسد ، لم يكن فيه شيء أقرب إلى الروح من شيء ، بل هو قريب إلى كل شيء في الجسد ، علمنا أنه تعالى أقرب إلى كل شيء ، ليس شيء أقرب إليه من شيء ، ولا شيء أبعد إليه من شيء .

السادس : لمَّا كان الروح موجودا قبل وجود الجسم ، ويكون موجودا بعد عدم الجسم ، علمنا أنه سبحانه وتعالى موجود قبل كون خلقه ، ويكون موجودا بعد فقدهم .

ما زال ، ولا يزال ، وتقدس عن الزوال .

السابع : لمَّا كان الروح في الجسد ، لا يُعرَف له كيفية ، عَلِمنا أنه مقدس عن الكيفية .

الثامن : لمَّا كان الروح في الجسد ، لا يُعرَف له أينية ، علمنا أنه منزه عن الأينية ، فلا يوصف بأين ، بل الروح موجودة في كل الجسد، ما خلا منها شيء من الجسم ، وكذلك الحق تعالى ، موجود في كل مكان ، ما خلا منه مكان ، وتنزه عن المكان والزمان .

التاسع : لمَّا كان الروح لا يُدرَك بالبصر ، ولا يمثل بالصور ، علمنا أنه لا تدركه الأبصار .

العاشر : لمَّا كان الروح لا يُحَسُّ ولا يُمَسُّ ، علمنا أنه تعالى منزه عن الحس والجسم واللمس .

وهذا معنى من معاني **((من عرف نفسه عرف ربه))**(١) فإذا أردت أن تتعرف على روحك ، فقل : (الله) في سرك ، بغير حركة لسان ، فستجدك

١- سبق الكلام عليه ص ٣٥ .

قلتها بغير لسان ، وسمعتها بغير آذان ، فتلك هي روحك القائلة ، السامعة **((إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها))**(١) فهي المحدثة ، السامعة حديثها ، العالمة بما حدثت به أنفسها ، وهذا هو ربك المجالِس لك: **((أنا جليس من ذكرني))**(٢) وهذا هو مقام الإحسان : **((أن تعبد الله كأنك تراه))**(٣)، فإذا رأيته ظهر لك في مرآة قلبك باسمه الظاهر ، ففنيت به عن كل كون ، إذ الحادث لا يثبت لمن وصفه القدم .

فلم تهوَنِي ما لم تكن فِي فانيـا ولم تفن ما لم تُجتَلى فيك صورتي

وهذه الروح التي هي أصلك ، وجوهرك ، إنما هي نسخة العالم ، من فرشه إلى عرشه ، وهي رائحة ربك ، ونفخته فيك ، فإذا عرفتها ، وتحققت بها ، فقد عرفت ربك ، وتحققت به ، وإنما يدلك على عظمها ، ما ورد من حديث البراء بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ؛ نزل ملائكة من السماء ، بيض الوجوه، كأن وجوههم**

١- متفق عليه [البخاري ومسلم] والأربعة [أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه] وسفيان وعبد بن حميد وابن المنذر عن أبي هريرة وابن جرير عن قتادة والطبراني في الكبير عن عمران بن حصين .

٢- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد في الزهد وأبو نعيم والبيهقي في شعب الإيمان عن كعب الأحبار . ورواه الديلمي بلا سند عن أم المؤمنين السيدة عائشة مرفوعاً ، وللبيهقي في موضع آخر عن شعبة من جهة أبي أسامة، قال: قلت لمحمد بن النضر: أما تستوحش من طول الجلوس في البيت، فقال: ما لي أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني، وكذا أخرجه أبو الشيخ من جهة حسين الجعفي قال: قال محمد بن النضر الحارثي لأبي الأحوص: أليس تروي أنه قال: أنا جليس من ذكرني؟ فما أرجو بمجالسة الناس، وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني.

٣- سبق تخريجه ص ٣١ .

الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط الجنة ، حتى يجلسوا مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت ، حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة ! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان !..... وإن العبد الكافر ، إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال على الآخرة ، نزل ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت ، حتى يجلس عند رأسه ....))(١) فتنزل ملائكة مد البصر ، من أجل روح واحدة ، حتى تستطيع السيطرة عليها إن كانت كافرة ، وحتى تشيعها في موكب يليق بها إن كانت طيبة .

وأنت ما تعرف من ربك إلا قدر ما تعرف من روحك ، وكل موجود ما له من الله إلا ربه خاصة ، إذ يستحيل أن يكون له الكل ، وكل نفس مطمئنة قيل لها : **{ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ}**(٢) فما أمرها أن ترجع إلا إلى ربها الذي دعاها ، فعرفته من الكل ، ولم تنظر إلى رب غيره .

وفي يوم القيامة : **((يأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا أتانا ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه))**(٣) .

١- أخرجه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد وهناد بن السري وعبد بن حميد وأبو داود في سننه وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه وابن خزيمة والضياء والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن البراء بن عازب .

٢- آية ٢٨ سورة الفجر .

٣- أخرجه عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح والدارقطني في الرؤية والبيهقي في الأسماء عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه البخاري ومسلم في صحيحهما وأحمد والحاكم في المستدرك وصححه وأبو داود وابن جرير وعبد بن حميد والدار قطني والبيهقي عن أبي سعيد .

من هنا قال من قال : أما أنا ، فعرفته ، وما بقى إلا أن يعرفني .
وذلك أن لكل معتقد ربا في قلبه ، أوجده ، فاعتقده ، وهم أصحاب العلامة يوم القيامة ، فما اعتقدوا إلا ما نحتوا ، ولذلك لما تجلى لهم ، في غير صورة ما اعتقدوه ، بهتوا ، وأنكروا ، فهم عرفوا ما اعتقدوا ، والذي اعتقدوه ما عرفهم . لأنهم أوجدوه في عقولهم وضمائرهم ، والمصنوع لا يعرف الصانع .
فما في أحد من الله شيء ، وما في أحد من سوى نفسه شيء ، فأي صاحب كشف شاهد في كشفه شيئا ، فتلك صورة نفسه ، لا غير . فمن شجرة نفسه جنى ثمرة عقله ، فأنت صورته . وهو روحك .
وإن الله تعالى ، جعل حجابا بين الجسد والروح ، تزداد كثافته بالمعاصي ، وكثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى ، وكثرة الضحك ، فإن : **((كثرة الضحك تميت القلب))**(١)، **((إن هذه القلوب تصدأ))**(٢) ويرق بكثرة ذكر الله تعالى ، فتبدأ في التعرف على روحك ، التي هي معراجك إلى ربك ، وكلما رق الحجاب ، ازداد تعرفك إلى ربك ، وملك الموت يأتي فيرفع هذا الحجاب ، فتشاهد عينك الباصرة القاصرة ، ما يهولها من عظمة تلك الروح ، فيسقط الجسد ، وتبقى الروح - وما كمن فيها من معرفتك بربك - وهو مقدارك عند ربك - وعليه يكون الحساب :
{فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}(٣) .

١- رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد في مسنده والترمذي والبيهقي في شعب الإيمان وابن ماجة وأبو نعيم في الحلية والقضاعي عن أبي هريرة والديلمي عن ابن عمرو .
٢- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ومحمد بن نصر والخرائطي في اعتلال القلوب وأبو نعيم في الحلية والخطيب وابن شاهين في الترغيب في الذكر ، عن ابن عمر .
٣- آية ٢٢ سورة ق .

الأرواح لا تفاضل بينها من حيث أنها مدبرة ، ولكن بينها تفاضل كبير في قابليتها للاستقبال النوراني ، إذ لا يظهر فيك علامة منه إلا على قدر قبول روحك وصفاء مرآتها ، فالفيض الإلهي واسع ، ومالك منه إلا ما تقبله ذاتك ، فذاتك حجرت عليك هذا الواسع ، فذلك القدر الذي تعرفه ، هو ربك الذي تعبده ، ولا تعرف غيره ، فتأتي يوم القيامة ، فيظهر لك بهذه العلامة ، فتقول إن ربي ما عودني إلا كذا وكذا : **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}**(١) فالمؤمن يجد ربه عند حسن ظنه ، أما الكافر : **{وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ}**(٢) ولا يصح أن يكون أحد مع الله ، ولكن الله مع كل أحد ، بما هو عليه ذلك الواحد .

رَقَّ الزجاجُ ، ورَقَّت الخمرُ فتشابها ، فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

وسُئِل الجنيد عن المعرفة ؟ فقال : **لون الماء ، لون إنائه .**

وهي عبارة غاية المعرفة والدلالة . فهو تعالى : السلام للمسلم ، والمؤمن للمؤمن ، والمحسن للمحسن ، فمن جمع هذه النعوت ، وظهرت عليه أحكامها ، تجلى الحق له في كل صورة ، فلا ينكره حيث تجلى ، ولا يظهره في المواطن التي يجب أن يخفى فيها ، فإن الحق تعالى قد حجر علينا إظهار الحق في مواطن : كالغيبة والنميمة وكتم الأسرار ، وكلها حق ممنوع الظهور في الكون القولي .

١- آية ٤ سورة الحديد .
٢- آية ٤٧ سورة الزمر .

والإحسان : من الحق : رؤية ، ومن العبد : كأنه .

والإيمان من الحق والخلق على حقيقته ، وكذلك الإسلام .

غير أنه لا يقال في الحق : أنه مسلم ، فما كل ما يُدرَى ، يقال . ولا كل ما يُشهَد ، يُذاع .

صدور الأحرار ، قبور الأسرار

الواحد الأحد

فالواحد : نسبة ، أي ليس اثنين ، فهو نهر من الأنهار .

أما الأحد : فهو تلك العين التي تُفنِي ، ويغرق فيها من ينـزلها ، فلا يميز بين إسم ، وإسم .

وكلها تنزلات منه تعالى : إما للتحقق ، وإما للتخلق ، وإما للتعلق .

فالذات واحدة ، ثم تتصف بالضر والنفع في آن واحد ، وتتصف بالإعزاز والإذلال ، وليس المعز هو المذل ، ولكن تلك حضرة ، وهذه أخرى . وهذا كمن بينه وبين الشمس حجب من زجاج ملون ، كلما ارتفع حجاب رأى الشمس على خلاف ما رآها من قبل ، والشمس واحدة ، وهذا يسمى التلوين . ثم أنه تعالى يجتبي من يشاء ، من حضرة الفرق والتلوين ، إلى حضرة الجمع والتمكين ، التي تنعدم فيها النسب ، وهي عين الأحدية : **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}**(١) فيشهد الله بالله . **{فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّه}**(٢) وإن شئت قلت : يشهد روحه ، بروحه . **{وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى }**(٣) .

١- آية ١ سورة الإخلاص .
٢- آية ١١٥ سورة البقرة .
٣- آية ٤٢ سورة النجم .

يراها أمامي في صلاتي ناظري ويشهدني قلبي أمام أئمتي
ولا غرو إن صلى الإمام إليّ أن ثوت بفؤادي وهي قبلة قبلتي
وكل الجهات الست نحوي توجهت بما ثم من نسك وحج وعمرة

فحينئذ تتم له السعادة ، ويكون :

بالله ، إلى الله ، من الله ، مع الله ، في الله ، لله ، على الله ، عن الله .

وهؤلاء الذين صانوا أنفسهم عن أنفسهم ، فلا تعرفهم أنفسهم .

الكريم الجواد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((إن الله تعالى كريم يحب الكرم))**(١) أما عطاء السخاء : فهو العطاء على قدر الحاجة ، من اسمه الحكيم ، وهو قول موسى عليه السلام : **{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}**(٢) وقوله تعالى : **{وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ}**(٣)، **{وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ}**(٤)، **{وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء}**(٥).

١- رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن سهل بن سعد وصححه السيوطي . ورواه الحاكم عن طلحة . ورواه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص . والترمذي عن سعيد بن المسيب .
٢- آية ٥٠ سورة طه .
٣- آية ٨ سورة الرعد .
٤- آية ٢١ سورة الحجر .
٥- آية ٢٧ سورة الشورى .

وأما سخاء العبد : فإعطاؤه كل ذي حق حقه ، فلنفسه عليه حق ، ولأهله عليه حق ، ولزوره عليه حق .

أما عطاء الجود : فعن الجود صدر الوجود ، وهو العطاء قبل السؤال .

فالجود من الحق : هو ظهوره في الأعيان ، وهو امتنان ذاتي .

والجود من الخلق : هو استعدادهم الذاتى ، للانفعال للأسماء ، وهو ذاتي لا امتنان فيه .

والجَوْد : بفتح الجيم، هو المطر الكثير، وهو مقلوب وجد ، مثل جذب وجبذ .

أما عطاء الكرم : فهو العطاء بعد السؤال ، وهو على نوعين :

سؤال بالحال - وسؤال بالمقال

فسؤال الحال عن كشف من الطرفين .

وسؤال المقال من العبد ، يا رب اعطني ، اغفر لي .

وسؤال المقال من الحق : **{ادْعُونِي}**(١)، **{أَقِمِ الصَّلاةَ}**(٢)، **{وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ}**(٣)، وكل طلب تصور من الحق يطلبه من عباده ، وهي الفرائض كلها ، فمن الكرم تؤدى الفرائض ، ومن الجود تكون النوافل .

وعطاء المحسن ، غير عطاء المؤمن والمسلم .

فعطاء المحسن لا يتقيد ، بل يعم جميع الخلق ، فلا يشترط فيه صغيرا ولا كبيرا ، ولا ذكرا ولا أنثى ، ولا غنيا ولا فقيرا ، ولا مؤمنا ولا كافرا ، ولا عاقلا ولا مجنونا ، وتخلقا باسمه المعطي والمحسن والرب والرحمن ،

١- آية ٦٠ سورة غافر .
٢- آية ٧٨ سورة الإسراء ، وآية ١٧ سورة لقمان .
٣- آية ٩ سورة الرحمن .

فالله لا يفرق في العطاء ، بل يعطي جميع خلقه ، فيعطي العطاء لأول من يلقاه ، فإن رده عليه ، حينئذ أعطاه للثانى . وأما إن كان العطاء مقيدا ، فهو بحسب ما تقيد به ، فحكم ذلك راجع إلى حكم الشرع ، فيعمل الأولى ، ويبتديء بالذي أمره الشارع أن يبتديء به ، ويبحث عنه حتى يجده .

المعطي الوهاب الرزاق

العطايا : إما ذاتية ، أو أسمائية . فالعطايا الذاتية : لا تكون إلا عن تجلٍ إلهي ، والتجلي من الذات ، لا يكون إلا بصورة استعداد المتجلي .

فالمتجلَّى له : ما رأى سوى صورته في مرآة الحق ، وما رأى الحق ، ولا يمكن أن يراه ، واجهد في نفسك عندما ترى الصورة في المرآة أن ترى جرم المرآة . لا تراه أبدا ، **فلون الماء لون إنائه** ، فهو تعالى مرآتك ، في رؤيتك نفسك ، وأنت مرآته في رؤيته أسمائه ، وظهور أحكامها : **((المؤمن مرآة المؤمن))**(١) فتارة تكون المؤمن الأولى : اسم من أسمائه تعالى ، وتارة تكون الثانية .

وهذه العطايا هي لأهل الفتح والوصول ، وكلها من حضرة اسمه الوهاب ، فيعطى لينعم ، ولا يكون من الواهب تكليف المُعطَى له بعوضٍ على ذلك ، من شكر أو عمل ، لأنها وهب ، والهبة لا تقتضي العوض .

وعطايا الأنبياء عليهم السلام ، مواهب . على طريق الإنعام والإفضال ، لا يطلب عليها منهم جزاء :**{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ}**(٢)،**{وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ}**(٣)

١- سبق تخريجه ص ٢٩ .
٢- آية ٨٤ سورة الأنعام . وآية ٧٢ سورة الأنبياء . وآية ٢٧ سورة العنكبوت .
٣- آية ٤٣ سورة ص .

{وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا}(١)، ولما طلب الشكر على ذلك العمل ، طلبه من آل داود ، ولم يتعرض لذكر داود عليه السلام ، ليشكره الآل على ما أنعم به على داود عليه السلام ، فهو في حق داود عليه السلام عطاء نعمة وإفضال ، من اسمه الوهاب ، وفي حق آله غير ذلك .

وإن كانت الأنبياء عليهم السلام ، قد شكروا الله على ما أنعم به عليهم ، فلم يكن ذلك على طلب من الله ، بل تبرعوا بذلك من نفوسهم .

وهذه المواهب والعطايا ، لا تكون عن سؤال أصلا ، وإن كانت عن سؤال فيكون هذا السؤال بأمر إلهي خاص ، ويكون للطالب الأجر التام على طلبه ، فمن أعطاه بسؤال عن أمر إلهي ، فإن الله لا يحاسبه في الدار الآخرة ، ومن أعطاه بسؤال عن غير أمر إلهي ، فالأمر فيه إلى الله ، إن شاء حاسبه ، وإن شاء لم يحاسبه .

أما عطاياه الأسمائية ، فما من مخلوق إلا أصابته تلك العطايا ، بل ولا حياة إلا بها ، فأوجده وخلقه باسمه الباريء ، واسمه الخلاق ، والخالق ، ورزقه باسمه الرزاق ، وأمده باسمه السميع ، فأسمعه . والبصير ، فأبصره فجعله بصيرا . وأعطاه قوته من حضرة اسمه القادر . وحكمه في غيره باسمه المقتدر . فتارة يعطي الله تعالى على يدي الواسع ، فيعم . أو على يدي الحكيم ، فينظر في الأصلح في الوقت . أو على يدي الوهاب ، فيعطي لينعم بغير طلب .

ولما قال تعالى في حق الكل : **{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ}**(٢)، اختص سليمان عليه السلام ، بأن التسخير كان

١- آية ٥٣ سورة مريم .
٢- آية ١٣ سورة الجاثية .

عن أمره : {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ}(١) وليس من كونه تسخيرا عن أمر الله .

وهذا النوع الوهبي لا ينقص صاحبه شيئا من آخرته ، ولا يُحسَب عليه ، لقوله تعالى : {هَذَا عَطَاؤُنَا}(٢) ولم يقل لك ، ولا لغيرك . {فَامْنُنْ} أي أعط {أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} فعلمنا أن سؤال سليمان عليه السلام ذلك كان عن أمر ربه ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد عُرض عليه أن يكون نبيا ملكا ، يدين العالم له ، سفليه وعلويه ، بغير أن ينقص ذلك مما له عند الله في الآخرة ، فأبى إلا أن يكون عبدا نبيا ، تواضعا لله تعالى ، فما أرفعه من مقام .

فالوهب يكون من غير عوض ، والعطايا تكون لطلب عوض ، وصاحب اسم الوهاب ، يقوم بالإحسان إلى نفسه ، وإلى كل عباد الله ، بدون طلب شكر ، إلا لمجرد الإنعام : {لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا}(٣) .

الولي

نعتٌ إلهيٌ للعبد . خُلق لا تخلق . {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ}(٤) .

سرى في كل ما ينسب إليه الألوهية ، مما ليس بإله .

ولكن لما تقرر في نفس المشرك ، أن هذا الحجر ، أو هذا الكوكب ،أو ما كان من المخلوقات أنه إله - وهو مقام محترم لذاته - تعَيَّنَ على المشرك

١- آية ٣٦ سورة ص .
٢- آية ٣٩ سورة ص .
٣- آية ٩ سورة الإنسان .
٤- آية ٢٥٧ سورة البقرة .

احترام المنسوب إليه ، لكون المشرك يعتقد أن تلك النسبة إليه صحيحة .
ولما علم سبحانه أن المشرك ما احترم ذلك المخلوق ، إلا لكونه إلها في زعمه ، نظر الحق إليه لأنه مطلوب ، فإذا وَفَّى بما يجب لتلك النسبة من الحق ، والحرمة ، وكان أشد احتراما لها من الموحد ، وتراءى الجمعان ، كانت الغلبة للمشرك على الموحد ، إذ كان معه النصر الإلهي ، لقيامه بما يجب عليه من الاحترام لله ، وأخطأ في النسبة ، وقامت الغفلة والتفريط في حق الموحد ، فلم تتعلق به الولاية ، لأنه غير مشاهد لإيمان ، فالله يقول : **{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}**(١) فأي شخص صدق في احترام الألوهية ، واستحضرها ، وإن أخطأ في نسبتها ، ولكن مشهوده كان النصر الإلهي ، مع غيرة إلهية على المقام الإلهي ، فإنه العزيز الذي لا يغلب ، فما جعل نصره واجبا عليه للموحد ، وإنما جعله للمؤمن بما ينبغي للألوهية من حرمة .
فالولاية من الله ، عامة في مخلوقاته من حيث هم عبيده ، وبهذه الولاية تولاهم في الإيجاد . ولما كان متعلق الولاية للمؤمنين ، لذلك أشهدهم على أنفسهم : **{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}**(٢)ولم يقل لهم ألست بواحد ، لعلمه بأنه إذا أوجدهم أشركوا ، ووحد بعضهم ، واجتمعوا في الإقرار بالربوبية ، وزاد المشرك الشريك ، ثم إنه سبحانه وتعالى من عموم ولايتهم ، أن تولاهم بالوجود في أعيانهم ، ويحفظ الوجود عليهم ، وتولاهم برزقه مما فيه قوام عيشهم ، ثم تولاهم بإنزال الشرائع ، فلم يتولَّ تعالى إلا المؤمنين .

وما ثَمَّ إلا مؤمن . والكفار عَرَض

١- آية ٤٧ سورة الروم .
٢- آية ١٧٢ سورة الأعراف

أما الرسل ، فرسالتهم ، غير ولايتهم .

فالرسل ، من حيث هم رسل ، لا من حيث هم أولياء وعارفون ، على مراتب ما هي عليه أممهم ، فما عندهم من العلم الذي أرسلوا به ، إلا قدر ما تحتاج إليه أمة ذلك الرسول ، لا زائد ولا ناقص .

- فتفاضل الرسل ، في علم الإرسال ، بتفاضل أممها : **{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ}**(١).

  والرسالة لا تستصحب الرسول بعد موته ، إنما تصحبه :
  - **نبوته .**
  - **ومعرفته .**
  - **وولايته .**
- أما تفاضل الأنبياء ، فبحسب استعدادهم في المعرفة والنبوة : **{وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ}**(٢) .
- أما تفاضل الخلق ، فقال تعالى فيهم: **{وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ}**(٣) والرزق منه : روحاني كالعلوم ومنه حسي كالأغذية .

فالولاية لم تنقطع ، أما نبوة التشريع أو الرسالة فقد انقطعت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا نبي بعده ، مشرعا ، أو مُشَّرعا له . وإلا فإن عيسى عليه السلام نازل لا محالة ، وهو نبي ورسول ، ولكنه على شرع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يأتي بشرع جديد .

١- آية ٢٥٣ سورة البقرة .
٢- آية ٥٥ سورة الإسراء .
٣- آية ٧١ سورة النحل .

والله تعالى ، ما تسمى بنبي ، ولا رسول ، ولكنه تسمى بالولي : **{فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ}**(١) **{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ}**(٢) **{وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}**(٣) .

ولكن رحمة بعباده ، أبقى للناس :

- النبوة العامة ، التي لا تشريع فيها .
- وأبقى لهم التشريع ، في الاجتهاد ، في ثبوت الأحكام ، وهي وراثة سليمانية ، حيث أعطيت هذه الأمة رتبة سليمان عليه السلام : **{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ}**(٤) .
- وأبقى لهم الوراثة في التشريع فقال: **((العلماء ورثة الأنبياء))**(٥).

فإذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، يتكلم بكلام خارج عن التشريع ، فمن حيث هو ولي ، وعارف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من سن سنة حسنة))** فلا شك أن الشرع قد أباح له أن يسن سنة حسنة**((فله أجرها وأجر من عمل بها))**(٦) وهو من جملة ما ورث من الأنبياء .

وكيف ينكرون ذلك ؟ وهم يثبتون حكم المجتهد إذا أخطأ وله أجر ، وقد أقره الشرع ، حكم شرعي مقبول .

١- آية ٩ سورة الشورى .
٢- آية ٢٥٧ سورة البقرة .
٣- آية ٢٨ سورة الشورى .
٤- آية ٧٩ سورة الأنبياء .
٥- بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه وبلفظ " العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر " رواه أحمد والنسائي وابن ماجة والترمذي وأبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء .
٦- رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جرير . ورواه ابن ماجه عن أبي جحيفة ، والطبراني في الكبير عن واثلة بن الأسقع ، وقال عنه ابن حجر الهيثمي (رجاله موثقون) .

{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ}(١) .
أي : من العلم بهم ، إلى العلم به .
وولاية العبدِ ، ربَه ، في قوله : **{إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ}**(٢) .
وكذا فيها ولاية الرب ، لعبده .
والولاية ، هي سر العناية .
لا تنال بحيلة ، ولا تدرك بطلب .

المقدم المؤخر

من أراد أن يحصِّل علم الله في خلقه ، فليقف عند ترتيب حكمته تعالى في الأشياء ، فيقدم ما قدم الله ، ويؤخر ما أخر الله ، فإذا أخرت ما قدمه ، أو قدمت ما أخره ، فهو نزاع خفي ، يورث حرمانا ، قال تعالى : **{وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلا أَن يَشَاء اللَّهُ}**(٣) فأخَّر الاستثناء وقدمه موسى عليه السلام ، في : **{قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا}**(٤) فلم يصبر ، فلو أخَّره ، لصبر .
فليقف كل مسلم على شعائر الله ، التي بَيَّنَها ولا يتعداها .
ألا تراه صلى الله عليه وسلم ، لما صعد على الصفا ، في حجة الوداع ، قرأ : **{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ}** (٥) . ثم قال : **((ابدأ ، بما**

١- آية ٢٥٧ سورة البقرة .
٢- آية ٧ سورة محمد .
٣- آية ٢٣ – ٢٤ سورة الكهف .
٤- آية ٦٩ سورة الكهف .
٥- آية ١٥٨ سورة البقرة .

بدأ الله به))(١) وما قاله إلا تعليما لنا ، ولزوم الأدب مع الله ، ولولا أنه جائز له أن يبدأ بالمروة في سعيه ، لما قال هذا ، ورجح ما بدأ الله به ، على ما في المسألة من التخيير ، فما بدأ الله به إلا لسر يعلمه ، فمن لم يبدأ به ، حُرِمَ فائدته .

كان رجل بالقيروان أراد الحج ، فتردد خاطره في سفره بين البر والبحر، فقال : أول رجل ألقاه ، أشاوره ، فحيث يرجح لي ، أحكم به ، فأول من لقى يهوديا ، فتألم ، ثم عزم ، وقال : والله لأسألنه ، فلما سأله ، تعجب له اليهودي ، وقال : ألم تر أن الله يقول في كتابكم : **{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}**(٢) فقدم البر على البحر ، فلولا أن لله فيه سرا - وهو أولى بكم - ما قدمه ، وأخر البحر ، إلا إذا لم يجد المسافر سبيلا إلى البر . فقال الرجل : فسافرت في البر ، فلم أجد سفرا أيسر منه .

الواسع

إثبات الإعادة يعطي السعادة ، فلا تكرار في الوجود ، وإن خفى الشهود ، وذلك لوجود الأمثال ، ولا يعرفه إلا الرجال .

لو تكرر لضاق النطاق ، ولم يصح الإسم الواسع بالاتفاق ، وبطل كون الممكنات لا تتناهى ، ولم يثبت ما كنت به أتباهى . يعني أنه لا تكرار يقع في الكون ، فليس هذا التجلي تكرار لتجل آخر . وإنما مثله ، والمثلية ليست تكراراً .

١- أخرجه مسلم والترمذي وصححه وأحمد وابن جرير والبيهقي في سننه والدار قطني في السنن وابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

٢- آية ٢٢ سورة يونس .

قال أبو طالب المكي ، عن وسع تجلي الله سبحانه وتعالى :
(لا يتجلى بوصف مرتين ، ولا يظهر في صورة لإثنين ، ولا يرد منه - بمعنى واحد - كلمتان . بل لكل تجل منه صورة ، ولكل عبد - عند ظهوره له - صفة ، وعن كل نظرة كلام ، وبكل كلمة إفهام ، ولا نهاية لتجليه ، ولا غاية لأوصافه ، ولا نفاد لكلمه) .

{إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}(١)، الكل طامع ، والمطموع فيه واسع . أترى هذه السعة تضيق عن شيء ؟ وهي لم تضق عن الممكنات ؟ إذ كانت في الشر المحض ، وهو العدم . فكيف تضيق عن الممكنات ؟ إذ هي في الخير المحض ، وهو الوجود . وهي في كل موطن بحسب ذلك الموطن ، فأثرها في النار ، غير أثرها في الجنة : **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}**(٢) والغضب شيء وسعته الرحمة ، وحصرته ، وحكمت عليه ، فلا يتصرف إلا بحكمها ، فترسله إذا شاءت ، وتمسكه إذا شاءت ، فمآل الكل إلى الرحمة ، وإن تخلل الأمر آلام وعذاب ، وعلل وأمراض ، فإنما هي أعراض عرضت .

ولسعة الرحمة موطن ، تظهر فيه بصورتها ، ولها موطن تظهر فيه بحكمها ، فعند إقامة الحدود ، تظهر الرحمة بحكمها ، ثم يكون الحد كفارة لصاحبه .

ومن العباد من يبسط رحمة الله على عباد الله ، طائعهم وعاصيهم ، ومنهم من يريد إزالة رحمة الله عن بعض العباد ، ويحجر رحمته تعالى ، التي وسعت كل شيء . وصاحب هذه الصفة ، لولا أن سبقت رحمة الله غضبه،

١- آية ٣٢ سورة النجم .
٢- آية ١٥٦ سورة الأعراف .

لما نالته رحمة أبدا ، ألم تر أن الله تعالى يقول : **{خَالِدِينَ فِيهَا}** (١)، أي في النار ، ولم يقل خالدين فيه : أي في العذاب ، فهم خالدون في النار ، لا في العذاب ، فهم في النار خالدون ، وفي العذاب إلى أمد الجزاء الوفاق. وأهل الجنة ينعمون إلى أمد الجزاء الوفاق ، ثم ينتقلون إلى نعيم المنن الإلهية ، التي لم ترتبط بأعمال .

إن صاحب النفس - وإن شقيَ بدخول النار - فهو كمن يشقى هنا بأمراض البدن ، وهو غير مؤثر في شرف النفس ، فهي منفوخة من الروح المضافة إلى الله تعالى بطريق التشريف ، أما رأيته صلى الله عليه وسلم : **((قام لجنازة يهودي فسئل فقال : " أليست نفسا " ؟))**(٢) .

ولو دام غضب الله ، لدام الشقاء ، وقد انتهى الغضب في يوم العرض الأكبر ، وأمر تعالى بإقامة الحدود ، فأقيمت ، وإذا أقيمت زال الغضب ، فلم يبق إلا الرضا ، وهو الرحمة التي وسعت كل شيء .

الأول الآخر الظاهر الباطن

{هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}(٣).

إذن ، فهو الوجود كله .

و(ال) تتضمن عدم مشاركة أحد له في هذه الصفات .

فإذا قلت : (ظاهر) ، يقتضى ظهور غيره ، أما إذا قلت : (الظاهر) يعني

١- وردت في (١٤) موضع في القرآن أولها الآية ١٦٢ سورة البقرة . وآخرها آية ٦ سورة البينة .

٢- رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي والطبراني في الكبير عن قيس ابن سعد وسهل ابن حنيف .

٣- آية ٣ سورة الحديد .

عدم ظهور غيره . فهو تعالى الظاهر في المظاهر ، الظاهر له ، ولك . الباطن عنك ، لا ، عنه . الأول ، بك . الآخر ، إذا كان عينك .

قال تعالى : **{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ}**(١) ولا راد لقضاء الله على عباده أن يعبدوا سواه ، أو يروا سواه ، فتجلى لهم في صورة كل شيء .

فما منعنا من رؤيته إلا شدة ظهوره ، وفرط قربه .

فلو تباعد عنا لرأيناه .

ولكنه لو فارقنا ، لانعدمنا .

ففى أسرع من طرفة عين ، نُخْتَلَس منه ، إن نظرنا إلى غيره .

لا ، لضعفه ، ولكن لضعفنا .

قال تعالى : **{فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ}**(٢) .

فالله تعالى هو الظاهر في كل مظهر .

فالظهور شهادة ، والبطون غيب

فما غاب من العالم عن العالم : فهو غيب ، والقلب من عالم الغيب .

وما شاهد العالم من العالم : فهو شهادة ، وكله لله شهادة وظاهر.

قال تعالى في الحديث القدسى : **((فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها))**(٣) وفي الحديث الآخر: **((يا ابن آدم : استطعمتك فلم تطعمني ، قال : وكيف أطعمك، وأنت رب العالمين ؟ قال : استطعمك فلان ، فلم تطعمه ، ألا إنك**

١- آية ٢٣ سورة الإسراء .
٢- آية ١١٥ سورة البقرة .
٣- سبق تخريجه ص ٣٠ .

لو أطعمته لوجدت ذلك عندي))(١) .

فهوية الحق : سمع العبد وبصره وجميع قواه ، فظاهر العبد صورة خلقية محدودة ، وباطنه هوية الحق غير محدودة .

فمن حيث الصورة الظاهرة : هو من جملة من يسبح بحمد الله .

ومن حيث باطنه : فالحق يسبح نفسه بصورة عبده .

فإذا ذكر العبد ربه : فالله تعالى هو الذكر والمذكور والذاكر نفسه بعبده .

والمجموع ، هو العبد .

أثنى عليَّ عبدي : أي أثنيت على نفسي في صورة عبدي .

فالله له الظهور في المظاهر ، تجليا ، لا ذاتيا .

إذ أن ذاته تعالى جلت عن التقييد في الأغراض ، بل لها الإطلاق التام .

كل ذلك لا يذاق إلا بالمشاهدة .

وفرق بين من يقول : علمت . ومن يقول : عاينت . وهم أهل الليل خاصة، والليل من حضرة الباطن ، فإن الله جعل الليل لأهله ، مثل الغيب لنفسه ، فهم خير عصبة في حق الله ، وهم شر فتية في حق أنفسهم ، فأهل الليل فازوا بهذه الحظوة ، في تلك الخلوة ، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه ؟ يقول الله في حقه : فأنا أتلو كتابي عليه بلساني ، وهو يسمع . فإذا وقف مع معانيه ، فقد خرج عني بفكره .

أوقفني بين يديه ، وقال : الليل لي ، لا للقرآن يتلى .

فهذا العبد ، إذا طلع الفجر ، ومشى إلى معاشه ، فتحت بيني وبينه بابا في خلقي ، ينظر إلي منه ، والخلق لا يشعرون ، فأحدثه على ألسنتهم ، وهم لا يعرفون .

١- أخرجه مسلم والبيهقي في الاسماء والصفات والترمذي في الزهد عن أبي هريرة .

فالظاهر ، هو : الذي ليس بغيره ظهور .

فالله عين وجود الأشياء ، لا عين الأشياء .

فتراه تعالى يدخل نفسه ، تحت حكم الأحكام التي شرعها لعباده ، من وجوب وحظر ، وندب وكراهية وإباحة : **((إني حرمت الظلم على نفسي))**(١) .

فأول ظهور له تعالى ، كان بالأسماء .

وأول من تحمل هذه الأسماء تخلقا وتعلقا وتحققا ، هو : رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا هو الإنسان الكامل .

فمن نظر إليه ، فكأنما نظر إلى الله تعالى .

فتعرَّفَ تعالى إلى خلقه برسوله صلى الله عليه وسلم .

قال صلى الله عليه وسلم : **((من رآني فقد رأى الحق))(٢) .**

وقال تعالى : **{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}**(٣) .

وقال تعالى : **{مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ}**(٤) .

وقال تعالى : **{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى}**(٥) .

وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

ألا أخبركم بخياركم ؟

١- رواه مسلم في صحيحه وأحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي ذر .

٢- رواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] عن أبي قتادة وأحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري وأحمد عن أبي هريرة وابن ماجة عن أبي جحيفة وحذيفة ورواه الطبراني في الأوسط والكبير عن عبد الله ابن عمرو وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

٣- آية ١٠ سورة الفتح .

٤- آية ٨٠ سورة النساء .

٥- آية ١٧ سورة الأنفال .

قالوا : بلى . قال : خياركم : **((الذين إذا رُؤُوا ذكِرَ الله))(١)** .

فالله تعالى له التجلي التام ، في روحه صلى الله عليه وسلم ، وفي أرواح ورثته من العلماء والأولياء . فمن أطاعهم فقد أطاعه ، ومن بايعهم فقد بايعه تعالى ، ومن رآهم فقد رآه تعالى .

ثم إن العلماء ورثة الأنبياء ، فمنهم من ورث علمهم ، ومنهم من ورث أحوالهم ، ومنهم من جمع الله له بين العلم والحال ، فمن رأى هؤلاء فكأنما رأى الله تعالى .

وصح عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : **((كان خلقه القرآن))(٢)** . فمن أراد أن يرى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ممن لم يدركه من أمته ، فلينظر إلى القرآن . فإذا نظر فيه ، فلا فرق بين

١- حديث " الذين إذا رؤوا ذكر الله " أخرجه أحمد وابن ماجة والحكيم الترمذي وابن مردويه عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها وأخرجه أبو الشيخ من طريق مسعر عن سهل بن الأسد رضي الله عنه وأخرجه ابن مردويه من طريق مسعر بن بكر بن الأخنس عن سعد رضي الله عنه وأخرجه أحمد عن عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد رضي الله عنه وأخرجه ابن أبي شيبة عن أبي الضحى رضي الله عنه . وبلفظ " الذين إذا رؤوا يذكر الله لرؤيتهم " أخرجه ابن المبارك والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه الطبراني والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا وموقوفا ، وبلفظ " يذكر الله لرؤيتهم " أخرجه ابن المبارك وابن أبي شيبة وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير رضي الله عنه . وأخرج أحمد والحكيم الترمذي عن عمرو بن الجموح رضي الله عنه " أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحق للعبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله تعالى ، فإذا أحب لله وأبغض لله ، فقد استحق الولاء من الله ، وإن أوليائي من عبادي ، وأحبائي من خلقي " الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم " .

٢- البخاري في الادب المفرد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن يزيد بن بابنوس عن أم المؤمنين السيدة عائشة . وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وأحمد وأبو داود وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن سعد بن هشام عن أم المؤمنين السيدة عائشة وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي الدرداء عن أم المؤمنين السيدة عائشة وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن أم المؤمنين السيدة عائشة وأخرجه ابن مردويه عن زينب بنت يزيد بن وسق عن أم المؤمنين السيدة عائشة .

النظر إليه ، والنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والقرآن صفة الله تعالى ، فكان محمد صلى الله عليه وسلم صفة الحق تعالى ، فيكون محمد صلى الله عليه وسلم ما فُقِدَ من الدنيا ، فمن تخلق بالقرآن فقد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم من قبره : **{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ}**(١) .

((السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته))(٢) .

تقولها في التشهد بضمير المخاطَب ، والمخاطِب لا يخاطِب غائبا .
ولمَّا **((خلق الله آدم على صورته))(٣)** : فله الثبوت في ظاهره ، والتنوع في باطنه .
والله تعالى : (الظاهر الباطن) : فله الثبوت في باطنه ، والتنوع في ظاهره .

*** فالباطن - الحق - عين ظاهر الإنسان ***

*** والظاهر - الحق - عين باطن الإنسان ***

*** فهو كالمرآة : إذا رفعت يمينك ، رفعت صورتك يسارها ***

*** فيمينك ، شمالها . وشمالك ، يمينها ***

*** فظاهرك أيها الإنسان ، على صورة اسمه الباطن ***

*** وباطنك ، على صورة اسمه الظاهر ***

*** فأنت ، صورته ***

١- آية ٧ سورة الحجرات .
٢- حديث التشهد رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وأبو داود وابن ماجه عن ابن مسعود ومسلم عن ابن عباس وأحمد ومسلم والنسائي وأبو داود وابن ماجة عن أبي موسى الأشعري والموطأ والبيهقي عن أم المؤمنين السيدة عائشة وفي الموطأ والبيهقي عن عمر وغيرهم .
٣- سبق تخريجه ص ١٢ .

قال تعالى : **{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ}(١)** وهو القاتل .

وقال تعالى : **{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى}**(١) وهو الرامي .

وقال تعالى : **{سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ}**(٢) وهو الواقى .

قال تعالى: **{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ}**(٣) أي من العلم بهم ، إلى العلم به . وعلمنا به فرع عن علمنا بنا ، إذ نحن عين الدليل : **((من عرف نفسه فقد عرف ربه))(٤)** كما أن وجودنا فرع عن وجوده ، ووجوده أصل لنا ، فهو أصل في وجودنا ، فرع في علمنا به تعالى .

وتحقيق ما سبق ، هو موقف السواء . **وموقف السواء : أن يتساوى عند الحضرتين القديمة والحديثة** ، فمن هذا قال بالاتحاد من قال ، ومن هنا يترقى العارفون إلى الكمال ، أو يحط بهم إلى الطرد والإهمال ، **فيظهر العبد في هذا الموقف بصورة الرب** . فالإنسان ، وإن كان يرى في نفسه أنه عبد ضعيف ، تؤلمه قرصة البعوضة ، ومع ذلك فإنه يظهر بالرياسة ، لما عليه صورته التي خُلِقَ بها ، فرجال الله هم الذين لم يصرفهم خلقهم على الصورة ، عن الفقر والذل والعبودية . فإن لم يمن الله على هذا العبد بالعصمة والحفظ - حيث يضع عبوديته أمام عينيه - وإلا زلت قدمه ، فهو مقام **{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ}**(١) .

١- آية ١٧ سورة الأنفال .
٢- آية ٨١ سورة النحل .
٣- آية ٢٥٧ سورة البقرة .
٤- سبق الكلام عليه ص ٣٥ .

فموقف السواء : هو المقام الذي لا يتميز فيه سيد من عبد ، ولا عبد من سيد ، فإن قلت فيه في هذه الحالة سيد ، صدقت . وإن قلت عبد ، صدقت. فكونه ، رمى ، حق . وكونه ، لم يرم ، حق : **((كنت أنا يده التي يبطش بها))**(١) . واعلم أن للحق في كل خلق ظهورا ، فهو الظاهر في كل مفهوم ، وهو الباطن عن كل فهم . وما عُبِدَ شيء في العالم ، إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد ، والظهور بالصورة في قلبه ، وأعظم مجلى عُبِدَ فيه ، وأعلاه : الهوى ، كما قال تعالى : **{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ}**(٢) وهو أعظم معبود ، وأكثر تابعا . فإنما لا يعبد شيء إلا به ، ولا يعبد هو إلا بذاته ، حتى عبادة الله تعالى كانت هوىً أيضا ، لأنه لو لم يقع له هوىً في الجناب المقدس - وهي الإرادة بالمحبة - ما عبد الله ، ولا آثره على غيره . وكذلك كل من عبد صورة من صور العالم ، واتخذها إلها ، ما اتخذها إلا بالهوى . فكل عابدٍ أمراً ما ، يُكَفِّر من يعبد معبودا سوى معبوده .

والذى يحير العقول : هو اتحاد الهوى ، بل أحديته ، فإنه عين واحدة في كل عابد ، ولذلك سموه كلهم إلها ، ولذلك قال الكفار : **{أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}**(٣) فما أنكروه ، ولكن تعجبوا من ذلك، ولذلك قامت الحجة عليهم ، بقوله : **{قُلْ سَمُّوهُمْ}**(٤) فسيقولون : هذا حجر ، وهذا شجر . فأين الله إذن في ما عبدتم ؟ .

١- سبق تخريجه ص ٣٠ .
٢- آية ٢٣ سورة الجاثية .
٣- آية ٥ سورة ص .
٤- آية ٣٣ سورة الرعد .

عن أبي يزيد قال :

رأيت الهوى ، في بعض مكاشفاتي ، ظاهرا بالألوهية . جالسا على عرشه ، جميع عباده حافُّون من حوله ، فما وجدت معبودا أكثر عابدا منه .

*** فبالهوى ، يُجْتَنَب الهوى ***

*** وبالهوى ، يُعْبَد الهوى ***

*** ولولا الهوى ، ما هوى ، من هوى ***

*** ولذلك حاز جنة المأوى ، من نهى نفسه عن الهوى ***

*** وحق الهوى ، إن الهوى ، سبب الهوى ***

*** ولولا الهوى في القلب ، ما عُبِدَ الهوى ***

وكل من عبد شيئا سوى الله ، فإنه محجوب بوصف ، دون سائر الصفات .

فمنهم من عبد الجَمال حيث رآه ، وترك باقى الصفات .

ومنهم من عبد الشمس ، لتجلي الله فيها بالدفء .

ومنهم من عبد البقر ، لتجلي الله فيها بالخير .

فمن لم يعبد الله تعالى على جميع صفاته ، فلا حجة له في الآخرة .

قال تعالى : **{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ}**(١) .

وقال تعالى : **{وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}** (٢) .

١- آية ١٩ سورة آل عمران .

٢- آية ٥ سورة البينة .

وأعظم ظهور لله تعالى ، هو تجليه في المرأة للرجل ، وفي الرجل للمرأة، فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها))(١) .**

وذلك أن الله أوجد هذا المخلوق المسمى إنسانا ، حبا له ، وتوددا إليه ، فهو الودود . ثم نفخ فيه من روحه ، فما اشتاق إلا لنفسه ، ثم اشتق له منه شخصا على صورته ، سماه امرأة ، ولذلك كان للرجل درجة على المرأة ، بأنه خلقه بيديه ، ثم خلق منه المرأة ، فالرجل بالأصالة ، والمرأة بالتبعية : **{وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}**(٢) ولذلك سُمُوا نساء ، من النَّسَأ وهو التأخر ، أي لتأخر خلقهن عن الرجال ، ولذلك يُنضَح بول الصبى ويُغسَل بول الجارية ، ما لم يطعما .

فظهرت هذه المرأة بصورة تشبه صورته ، فحن إليها حنين الشيء إلى نفسه ، وحنت إليه حنين الشيء إلى وطنه ، وكان الله تعالى قد حن إلى هذا الرجل الذي نفخ فيه من روحه ، حنين الشيء إلى نفسه ، وحن هذا الرجل إلى ربه حنين الشيء إلى وطنه . فإذا نظر الرجل إلى المرأة ، تذكر نظر الله إليه ، وإذا نظرت هي إليه ، تذكر نظرته إلى ربه ، ومن هنا حُبِبَ إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، النساء ، عن تحبب ، لا عن حب .

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

١- أخرجه البزار والحاكم والبيهقي في سننه والترمذي وابن حبان والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والنسائي عن أبي هريرة ، وأخرجه الحاكم وصححه عن بريدة ، وأخرجه أحمد والنسائي عن أنس ، واخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجه عن أم المؤمنين السيدة عائشة ، وأحمد عن معاذ ابن جبل ، وصححه السيوطي . وأخرجه أبو داود من حديث قيس ابن سعد.

٢- آية ٢٢٨ سورة البقرة .

((ما أصبنا من دنياكم إلا نساءكم))(١) .

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : **((لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخيل ثم قال : اللهم غفرا بل النساء))(٢) .**

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((حبب إلي من دنياكم النساء))(٣)** وهذا هو الرجل الكامل .

أما الرجل الحيوان : فينظر إلى المرأة على أنها شهوة عاجلة فقط .

وانظر إلى دقة قوله تعالى : **{وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}**(٤) فالرجولة درجة ، أما الذكورة فنوع .

فكلمة **(رجال)** لم تستعمل في القرآن إلا لبيان المزية : **{رِجَالٌ صَدَقُوا}**(٥) ، **{رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ}**(٦) ، **{وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ}**(٧) ، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ، لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهَد الحق مجردا عن المواد أبدا .

ولما أحب الرجل المرأة ، طلب الوصلة بها ، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية ، أعظم وصلة من النكاح ، ولذلك فنى الرجل في زوجته ، وفنيت فيه ، حال الجماع ، ولذلك أمر الله تعالى بالاغتسال ، لتعم الطهارة

١- رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عمر .
٢- أخرجه ابن سعد وأحمد في الزهد والتمهيد لابن عبد البر وابن أبي حاتم ، عن معقل بن يسار ، رضي الله عنه . وبلفظ " لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل " أخرجه النسائي عن أنس رضي الله عنه .
٣- أخرجه أحمد والنسائي و ابن أبي حاتم و الحاكم والبيهقي عن أنس رضي الله عنه .
٤- آية ٢٢٨ سورة البقرة .
٥- آية ٢٣ سورة الأحزاب .
٦- آية ٣٧ سورة النور .
٧- آية ٤٦ سورة الأعراف .

كما عم الفناء ، وهذا للمحجوبين : **((تحت كل شعرة جنابة))(١)** وهي جنابة الغفلة عن الله .

أما أهل الفتح والكمال ، فهم أقرب ما يكونوا إلى الله تعالى في تلك الحالة، لصفاء مشهدهم ، وكمال معرفتهم ، فاغتسالهم أمر تعبدي ، للقيام بظاهر الشرع ، لا لاستغراق شهودهم في غير الله ، فمن أحب النساء على هذا الحد ، فهو حب إلهي ، ومن أحبهن على جهة الشهوة ، فهو صورة بلا روح .

واعلم أنه لا يستغرق المحب ، الحبَّ كله ، إلا إذا كان محبوبه الحق تعالى، أو أحدا من جنسه هو ، من جارية أو غلام ، وأما ما عدا من ذكرته ، فلا يستغرقه حبه إياه ، لأن الإنسان لا يقابل بذاته كلها ، إلا من هو على صورته إذا أحبه ، فما فيه جزء إلا وفيه ما يماثله فيهم ، ظاهره في ظاهره ، وباطنه في باطنه ، فإذا أحب الإنسان صورة من العالم ، إنما يستقبله بالجزء المناسب ، ويبقى ما بقى من ذاته ، صاحية في شغلها .

وأما استغراق حبه ، إذا أحب الله ، لكونه على صورته ، فيستقبل الحضرة الإلهية بذاته كلها ، ولهذا تظهر فيه جميع الأسماء الإلهية ، ويتخلق بها .

فالنساء هن محل الانفعال ، لتكوين أتم صورة ، وهي الصورة الإنسانية ، التي لا صورة أكمل منها .

ولذا ، فقد امتن الله على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بأن حبب إليه النساء ، فحبه صلى الله عليه وسلم لهن عن تحبب ، لا عن حب ، أي عن مشاهدته ، صلى الله عليه وسلم ، لهذا التجلي الإلهي فيهن .

١- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ورواه البيهقي وابن ماجة والطبراني والضياء وابن جرير عن أبي أيوب وابن جرير عن أنس مرفوعا وابن جرير عن أبي الدرداء وعن حذيفة وعن أبي هريرة موقوفا عليهم وابن جرير عن الحسن مرسلا .

الرحمن الرحيم

فالرحمن : هو رحمة الامتنان : وهي رحمة ذاتية : **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}**(١) حتى وسعت أسماءه ، فلا يخلو عنها شيء ، حتى العدم وسعته، فأوجدته ، فصارت مرتبة العدم معروفة موجودة : **((سبقت رحمتي غضبي))(٢)**، وهي رحمة تحصل من الله ، بدون مقابلة عمل ، بل عناية سابقة ، كإعطاء الوجود ، والقدرة ، وغيرها .

والرحيم : هي رحمة الوجوب ، وهي رحمة صفاتية : **{فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}**(١) فدخل الرحيم في الرحمن ، دخول تضمين ، يعني دخول الخاص تحت العام : **{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}**(٣) وهي تحصل بمقابلة عمل ، كإعطاء الثواب على الأعمال في الجنة ، يعني أن العبد من حيث إنه عبد ، يجب عليه إتيان أوامر مولاه ، فلا تجب الرحمة على المولى في مقابلة شيء ، فإذا أوجب المولى على نفسه ، لعبده شيئا ، في مقابلة عمله ، يستحق العبد ذلك الشيء بسبب عمله ، فوصول ذلك الشيء للعبد من المولى ، امتنان وعطاء محض .

ولذا قالوا : الجنة فضل إلهي ، فلا يستحقها العبد إلا بفضل الله .

١- آية ١٥٦ سورة الأعراف .
٢- أخرجه البخاري ومسلم وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه ابن عساكر عن ابن عباس وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن عبد الله بن عمرو وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وأيو نصر السجزي في الابانة والديلمي عن عمرو بن عبسة . وبلفظ " رحمتي سبقت غضبي " أخرجه عبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة ورواه عبد بن حميد عن عكرمة .
٣- آية ٥٤ سورة الأنعام .

فكان وجوب الرحمة ، من وجوب الامتنان .

فامتن بالرحمن ، وأوجب بالرحيم .

حتى العذاب ، فإن الله تعالى يعذب رحمة لغضبه ، ليزول الغضب ، وتشمل الرحمة من حقت عليه كلمة العذاب ، فبرحمته عذب من عذب ، لأنه لولا العذاب ، لتسرمد الغضب ، وهو أشد من العذاب .

وهكذا العارفون ، فترى الخضر ، ما قتل الغلام إلا رحمة به وبأبويه ، لأنه لو عاش لدخل النار بكفره ، أما إذا مات صغيرا فهو إلى الله : إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له .

وما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رعل وذكوان ، إلا رحمة لهم، حتى لا يزدادوا كفرا وعنادا ، حتى ينفذ غضبه لله فيهم ، فلا تتصرف فيهم مرتبته ، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام : **{يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن}**(١) فكأن العذاب من حضرة الرحمة برز . ولما استوى الحق تعالى على عرشه ، الذي هو محيط بالوجود كله، استوى باسمه الرحمن .

وقلب العارف ، هو من رحمة الله تعالى ، وهو أوسع منها ، فعن أبي عتبة الخولاني رفعه : **((إن لله آنية من أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين))(٢)** ، وفي الحِكَم : **((ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن))(٣) .**

١- آية ٤٥ سورة مريم .

٢- رواه الطبراني ، وقال الهيثمي : إسناده حسن .

٣- هذا الحديث مما يرويه السادة الصوفية كشفا وقريب منه ما رواه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه قال: إن الله فتح السماوات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل : سبحانك ما أعظمك يا رب ، فقال الله تعالى : إن السماوات والعرش ضعفن عن أن يسعنني ، ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين .

فقلب العارف - أي روحه - وسع الحق تعالى . ورحمته لا تسعه - جل جلاله - فالحق راحم ، ليس بمرحوم ، فلا حكم للرحمة فيه ، فيكون القلب أوسع .

قال أبو يزيد البسطامي ، رضي الله عنه : لو أن العرش ومثله ألف ألف مرة ، في زاوية من زوايا قلب العارف ، لما أحس به .

لأنه بيت الله تعالى ، فقلبٌ وسع القديم ، كيف يحس بالمحدث ؟

فإن المحدث إذا قرن بالقديم ، لم يبق له أثرا .

وفي المنازلات :

من جعل قلبه بيتي ، وأخلاه من غيري ، ما يدري أحد ما أعطيه ، فلا تشبهوه بالبيت المعمور ، فإنه بيت ملائكتي لا بيتي ، ولذلك لم أسكن فيه خليلي إبراهيم ، بل جلس ساندا ظهره إليه عليه السلام ، وما دخله .

فالعارفون : كما هم اليوم ، يكونون غدا .

أجسامهم في الجنان ، وقلوبهم في حضرة الرحمن .

وبهذا القلب ، كانت أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأمم .

لأن ما كان في قبلها من الأمم شهادة ، فهو فيها غيبا .

فالسكينة ، نزلت في تابوت طالوت : **{وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ}(١) .**

وهي في قلوب المؤمنين من هذه الأمة : **{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ}**(٢)، لا يدركها إلا أهل الأذواق من هذه الأمة .

١- آية ٢٤٨ سورة البقرة .
٢- آية ٤ سورة الفتح .

فكل صفات الأمم ، كانت أجنبية عنهم .

أما علامة هذه الأمة ، ففي قلوبهم .

ولذلك قيل لهذه الأمة : **((إستفت قلبك ولو أفتوك))(١) .**

وورثة الأنبياء السابقين يعرفهم الخاص والعام ، أما وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلأن سره في قلبه ، ولا يظهر على ظاهره منه شيء - فلا يعرفه إلا الخاص ، لأن خرق عادته : إنما هو حال وعلم في قلبه ، فهو في كل نفس يزداد علما بربه ، ناتج من الطمأنينة التي يجدها فيه .

ألا ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف أسري به إلى المقام الذي عرفت ، فلما خرج الناس بكرة تلك الليلة ، أنكر بعض الصحابة ، لكونهم ما رأوا لذلك أثرا في الظاهر .

وموسى عليه السلام ، لما جاء من عند ربه ، كساه الله تعالى نورا على وجهه ، يُعرَف به صدق ما ادعاه .

*** فمن جعل الله آيته في قلبه ***

*** وكان على بينةٍ من ربه ***

*** كساه الله الصفة الحجابية ***

*** غِيرَةً منه ، عليه ***

*** فقد ملأ يديه من الخير ***

١- أخرجه أحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه والدارمي والطبراني وأبو يعلي وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل عن وابصه بن معبد . وقال النووي : حسن .

الصفات

ومن صفاته تعالى : الجلال والجمال

قال صلى الله عليه وسلم : **((إن الله تعالى جميل يحب الجمال))(١)** فليس بين الله وبين خلقه إلا الجمال المحض .

إذ لو نطق ناطق العز والجلال : لصمتت نواطق كل وصف ، ورجعت إلى العدم مبالغ كل حرف ، ولتبرأ أهل المعرفة من معرفتهم .

فهو تعالى : جميل الجمال المطلق ، ويحب الجمال في كل شيء ، فما استوى على عرشه ، إلا بأسماء الجمال : **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}**(٢) .

قال تعالى : **{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}**(٣) ، هذه آية فيها جلال الجمال ، فمن قرأها انقبض ، حيث أيأسهم تعالى من أن يستطيع أحد أن يتقي الله حق تقاته ، ثم بسطهم بقوله : **{اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}**(٤) ، فأعطاهم الأمل أن هذا الإنسان يستطيع أن يصل إلى تقوى الله الكاملة .

فعاملهم فيها بجمال الجمال ، إذ عاملهم في الأولى بجلال الجمال .

وتراه يقبضهم بجلال قوله تعالى : **{وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}**(٥) .

١- تقدم تخريجه ص ١٢ .
٢- آية ٥ سورة طه .
٣- آية ١٦ سورة التغابن .
٤- آية ١٠٢ سورة آل عمران .
٥- آية ٢٨ سورة الجن .

ثم يبسطهم بجمال قوله تعالى: **{وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ}**(١).

والجمال ينقسم إلى : جمال الجمال ، وجلال الجمال .

والجلال لا ينقسم ، بل هو جلال محض . وهذا الجلال المحض لا يظهر أثره في الكون أبدا ، إذ لو ظهر لانمحق الوجود ، وانعدم كل موجود .

أما ما يظهر في العوالم بما في ظاهره جلال ، إنما هو جلال الجمال .

وهو جلال منبعه الجمال : **{إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن}**(٢) فحتى العذاب هو من الرحمن .

فلم يعامل الله تعالى أحدا من خلقه إلا بجماله ، والحمد لله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن الله جميل يحب الجمال))(٣)** وهو تعالى صانع العالم وموجده ، وأوجده على صورته ، فالعالم كله في غاية الجمال ، ما فيه شيء من القبح ، بل قد جمع الله له الحسن والجمال كله .

فالعالم كله جماله ذاتي ، وحسنه عين نفسه ، إذ صنعه صانعه عليه ، ولهذا هام فيه العارفون ، وتحقق بمحبته المتحققون ، لأنهم ما رأوا فيه إلا صورة الحق سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه الجميل والجمال ، فإنه تعالى ما كثَّر لنا الآيات في العالم ، وفي أنفسنا ، إلا لنصرف نظرنا إليه ، ذِكراً وفكراً وعقلاً ، وإيماناً وعلماً ، وسمعاً وبصراً ، ونُهىً ولُبّاً . وما خلقنا إلا لنعبده ، ونعرفه ، وما أحالنا في ذلك على شيء إلا على النظر في العالم ، لجعله عين الآيات والدلالات على العلم به ، مشاهدة وعقلا .

١- آية ١٤٧ سورة الصافات .
٢- آية ٤٥ سورة مريم .
٣- تقدم تخريجه ص ١٢ .

فإن نظرنا ، فإليه . وإن سمعنا ، فمنه .

وإن عقلنا ، فعنه . وإن فكرنا ، ففيه .

وإن علِمنا ، فإياه . وإن آمنا ، فبه .

فهو المتجلي ، في كل وجه . والمطلوب ، من كل آية .

والمنظور إليه ، بكل عين . والمعبود ، في كل معبود .

والمقصود في الغيب والشهادة . والمحبوب في عين كل محب .

فجميع العالم ، له مُصَلٍ . وإليه ساجد . وبحمده مسبح .

فالألسنة ، به ناطقة . والقلوب ، به هائمة عاشقة .

والألباب ، فيه حائرة .

الرحمة

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ}(١)

أي يسبقون بسيئاتهم مغفرتي ، وشمول رحمتي .

{سَاء مَا يَحْكُمُونَ} بل السبق لله بالرحمة لهم .

هذا غاية الكرم .

الغيرة

{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ}(٢) .

أخبر تعالى أنه ما استجاب إلا من سمع .

فوجد العذر من لم يسمع ، كما وجد العذر من لم تبلغه الدعوة الإلهية .

وما أقام الله العذر عن عباده ، إلا وفي نفسه أن يرحمهم .

وهذا من حكم الغيرة الإلهية على الألوهية ، أن يقاومها أحد من عباده .

إذ لو علم أنهم سمعوا ، وما استجابوا ، لعظمهم في أعين الناس .

وجعلهم في مقام المقاومة له .

الجود

{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}(٣) .

أرجى آية .

فاليدان مبسوطتان . انبسطتا بما يجود به الحق .

فمنه بدأ الجود وإليه يعود . أي مبسوطتان بالرحمة .

١- آية ٤ سورة العنكبوت .
٢- آية ٣٦ سورة الأنعام .
٣- آية ٦٤ سورة المائدة .

الحقائق الثابتة

لكل منا حقيقة ثابتة ، وظاهر متغير .

فأما الحقيقة الثابتة : فهي محل نظر الله منا ، فهو الذي خلقها ، وأودعها الجنة او النار . ففى الحديث الشريف : أن الله تعالى قال : **((هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي))**(١) **.** ومن هذا اليوم العظيم وحقائقنا الثابتة : إما هي منعمة في الجنة ، وإما هي معذبة في النار .

ثم خرجت منها أعياننا الظاهرة ، كما يخرج الظل من أصله ، ولكن هذه الأعيان تتغير بتغير الظروف المحيطة بها .

ولأن الله تعالى هو الثابت ، فإنه تعالى يحب الثبات ، ولذلك أمرنا تعالى بالثبوت عند مواجهة المتغيرات من حولنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : **((لا يكن أحدكم إمَّعة ، يقول : إذا أحسن الناس أحسنت ، وإذا أساؤا أسأت . ولكن وطِنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤا فاجتنبوا إساءتهم))**(٢) **.** وقال تعالى : **{لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}**(٣) ، ولكن فليكن الثبوت في كلا الحالين .

وإذا أراد الإنسان معرفة حقيقته الثابتة ، أين هي ؟ في جنة أو في نار ؟ فلينظر موطن راحته .

١- أخرجه ابن مردويه عن سلمان الفارسي ، وابن سعد وأحمد وابن حبان وابن جرير عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي ، و أحمد والبزار والطبراني وابن عساكر عن أبي الدرداء ، و البزار والطبراني والآجري وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري ، و البزار والطبراني وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري ، وأحمد عن معاذ بن جبل .

٢- رواه الترمذي عن حذيفة وقال حسن غريب .

٣- آية ٢٣ سورة الحديد .

فإن الإنسان يستريح ، كلما اقترب من حقيقته الثابتة ، ويتعب كلما ابتعد عنها . فانظر موطن راحتك في الدنيا ، فإن كان في مواطن الخير والمساجد وقيام الليل وحضور المواكب الإلهية ، فإن حقيقتك الثابتة في الجنة ، وإن كانت راحتك في مواطن اللهو والفجور، فإن حقيقتك الثابتة في النار .

وحقيقتك الثابتة إذا كانت في الجنة : فهي أجمل ما يكون ، وليست على صورتك في الدنيا ، إذ أن هذه الأجسام بهذه الطبيعة البشرية لا تستطيع دخول الجنة ، على حالتها هذه من الجوع والعطش ، والعرق والبول ، والبراز وخروج النجاسات ، ولكنها مركبٌ سَوّاه لك الله تعالى للدنيا فقط . فإذا كنت في البرزخ ؛ سَوّى لك مركبا آخر ، وفي عرصات القيامة مركب آخر .

فإذا أدخلت الجنة ، دخلت على حقيقتك الثابتة ، وهي وإن كانت حقيقة ثابتة في الجنة ؛ إلا أن لها التحول في الصور : **((ففي الجنة سوق ليس فيه إلا الصور))(١)** تدخله وتختار أي صورة شئت فتدخل فيها . فكما أن للرجل في الجنة من الحور والزوجات الكثير ، كذلك النساء لهن رجل واحد ، ولكنه متغير في الصور ، فكأنها متزوجة من آلاف الرجال ، ولكن في حقيقة ثابتة واحدة ، وصور متغيرة ، تزداد جمالا في كل مرة . وأما إذا كانت حقيقتك الثابتة في النار ، فهي صورة أقبح ما تكون الصورة ، من جنس عملك ، نعوذ بالله من ذلك . وحيثما تكون راحتك في الدنيا مع

١- أخرجه أحمد في مسنده ، والترمذي وقال : حسن غريب ، عن علي كرم الله وجهه ، بما لفظه : "إن في الجنة لسوقا ما فيها شرى ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها ".

قوم ، فأنت معهم يوم القيامة ، حيث تتقارب حقائقكم الثابتة ، وتتجاور في الجنة : **((من أحب قوما حشر معهم))(١)** .

وإذا نظرت ، وجدت القرآن والسنة قد حوت من حقيقة الثبوت الكثير ، فمخاطبة الله أهل النار وأهل الجنة ، وكلام أهل النار بعضهم بعضا ، ومحاورات أهل الجنة ، واستغاثات أهل الحشر ، كل هذه توجهات إلهية على حقائق ثابتة ، موجودة بتجلٍ ثابت ، لا يتغير .

١- رواه الطبراني والضياء المقدسي من حديث أبي قرصافة ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير ورواه الحاكم في المستدرك بلا إسناد ، ورواه الخطيب وابن عدي عن جابر .

الثبوت والحركة

إن تحركت إليه ، فقد حددته . وان سكنت إليه ، فقد عبدته .
الحركة إليه ، عين الجهل به . والسكون إليه ، عين العلم به .
إن كان جليس من يذكره فإلى أين ترتحل ؟

فمن تحقق بقوله تعالى : **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}**(١) . وقوله : **((أنا جليس من ذكرنى))(٢)** . وجد أن الله تعالى قد ثوى بفؤاده ، فصار قلبه قبلة كل الوجود .
حتى الكعبة والحرم والعرش والكرسي يحجون إليه ، حيث صار قلبه كعبتهم . قال تعالى في الحديث القدسى : **((مرضت فلم تعدنى ، قال : وكيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : مرض عبدي فلان فلم تعده . ألا إنك لو عدته لوجدتني عنده))(٣)** إذ أن المريض له السكون .

ولا معنى لشكوى الشوق يوما   إلى من لا يزول من العيـان

فالسكون مع المشاهدة ، والحركة مع الفقد .
فمن تجلى له حبيبه ضاحكا ، في أجمل صورة ؛
فلابد له من الوقوف والسكون .

١- آية ٤ سورة الحديد .
٢- تقدم تخريجه ص ٣٨ .
٣- تقدم تخريجه ص ٥٦ .

ومن غاب عنه ؛

فلابد له من القلق والحركة إليه .

النساء لهن القدم الطولى في هذا العلم ، حيث لهن الثبوت .

قال تعالى : **{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}**(١) .

والرجال لهن السعى والحركة .

قال تعالى : **{فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}**(٢) .

فنسب الشقاء إلى الرجل ، إذ له الحركة .

١- آية ٣٣ سورة الأحزاب .

٢- آية ١١٧ سورة طه .

مساجد النساء

عن زيد بن حارثة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((أفضل صلاتكم في بيوتكم إلا المكتوبة))(١)** . يعني صلاة السنة في البيت ، أفضل من صلاتها في مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكذا أفضل من صلاتها في مسجد مكة .

وهذا يدل على أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في تضعيف الصلاة في الحرمين ، إنما هو مخصوص بالفريضة .

عن أم حُميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما ، أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : **((يا رسول الله إني أحب الصلاة معك قال : قد علمتُ أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي . قال : فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها ، وأظلمه . وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل))(٢) .**

هذا يدل على أن صلاة المرأة في بيتها ، أفضل بكثير من صلاتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١- أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والطبراني في الكبير وابن داود وأحمد والبيهقي وابن حبان عن زيد ابن ثابت .

٢- قال الحافظ ابن حجر الهيثمي : رواه أحمد . ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سويد الأنصاري ووثقه ابن حبان .

وهذا يدل على أن حديث مضاعفة الصلوات في الحرمين ، إنما هو خاص بالرجال دون النساء .

فانظر إلى الرجل : لابد له من الانتقال إلى المسجد الحرام ، حتى تتضاعف له صلاته ، ثم انظر إلى شدة اعتناء الله تعالى بالمرأة ، إذ جعل لها السكون . فهي تنال هذا الشرف العظيم ، وتتضاعف لها أعمالها في بيتها ، دون الانتقال والتعب . قال تعالى : **{وَلَهُ مَا سَكَنَ}**(١) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((خير مساجد النساء : قعر بيوتهن))(٢) .**

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((إن أحب صلاة المرأة إلى الله في أشد مكان في بيتها ظلمة))(٣).**

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((النساء عورة ، وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس ، فيستشرفها الشيطان ، فيقول : إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته ، وإن المرأة لتلبس ثيابها ، فيقال : أين تريدين ؟ فتقول : أعود مريضا ، أو أشهد جنازة ، أو أصلى في مسجد ، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها))(٤) .**

فليس على المرأة عيادة مريض ، ولا شهود جنازة ، ولا غيره ، مما يضطرها إلى الخروج من بيتها .

١- آية ١٣ سورة الأنعام .
٢- أخرجه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن والحاكم وأبو يعلي والديلمي عن أم سلمة وحسنه السيوطي .
٣- رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود وقال الهيثمي : رجاله موثقون .
٤- رواه الطبراني في الكبير وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

النساء

((ما رأيت من ناقصات عقل ودين ، أذهب للب الرجل الحازم ، من إحداكن ! قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟

قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن : بلى . قال : فذلك من نقصان عقلها .

أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن : بلى . قال : فذلك من نقصان دينها))(١) .

هذا الحديث هو مفخرة للنساء ، وليس نقصا فيهم .

فالنساء - وإن كن ناقصات عقل - إلا أنهن ماهرات في استخدام هذا العقل ، فيستعملنه بنسبة مائة في المائة .

أما الرجال - وإن كان عقلهم كاملاً - إلا أنهم لا يستعملون إلا جزءاً يسيراً منه .

أما قوله صلى الله عليه وسلم : **((فذلك من نقصان عقلها))** فنقص العقل هو مما يمدح به ، إذ أن العقل بعيد جداً عن الإطلاق ، حيث أنه مع الإنسان ليدبر له أمور حياته الدنيوية .

أما الدخول على الله فلا يصح بالعقل المقيد ، ولكن بالروح المجردة ، ولا يستطيع الإنسان الانتقال إلى الإطلاق إلا بعد التقييد التام .

١- رواه مسلم في صحيحه والترمذي وصححه وأحمد عن أبي هريرة . والحاكم وصححه وابن حبان عن ابن مسعود وأخرجه مسلم وابن ماجة وأبو نعيم وأحمد عن ابن عمر، وأحمد والبخاري ومسلم والبزار عن أبي سعيد .

فعقل النساء - لنقصه - فإن تقييده التام يأتي سريعاً ، ثم إلى الإطلاق .
أما عقل الرجل - فلسعة عقله - فإن تقييده التام - يعني أن امتلاءه - يكون بعيداً وعسيراً ، فلا يصل إلى الإطلاق بسرعة .
فنقص عقلها ، ميزة كبيرة ، حيث أنها أقرب للإطلاق من الرجل .

أما نقصان دينها ، فذلك أيضا فخر آخر .
إذ معنى الدين : الحساب .
{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}(١)، أي يوم الحساب .
فهذا معناه أن حسابها لا يكون عسيراً كالرجال ، لأن الرجل ليس عنده موانع طبيعية تمنعه من ممارسة العبادة ، أما المرأة فقد أوجب الله عليها الفطر وعدم الصلاة ، فخف حسابها .
قال تعالى : **{وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى}**(٢) وهذا معناه تفضيل الأنثى في المهام التي وكلت إليها .

قال تعالى : {هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ}(٣) .
وهذا بشرى لحواء .
ثبتت عداوة إبليس لها .
لأنها لو كانت من حزب الشيطان ، ما كان عدوا لها .

١- آية ٤ سورة الفاتحة .
٢- آية ٣٦ سورة آل عمران .
٣- آية ١١٧ سورة طه .

الاجتهاد والتقليد

لا يصح العلم لأحد إلا لمن عرف الأشياء بذاته ، وكل من عرف شيئا بأمر زائد على ذاته فهو مقلد لذلك الزائد . وليس في الوجود من علم الأشياء بذاته إلا الله تعالى ، فعِلمه ذاته ، وما سواه فهو مقلد لذلك الزائد ، فلنقلد الله تعالى ، ولا سيما في العلم به .

فالإنسان يقلد حواسه فيما يتعلمه بها ، وقد يقلد عقله ، والعقل يقلد الفكر، والحواس قد تخدع ، والفكر منه صحيح ومنه فاسد ، فإذا أراد الإنسان معرفة الله : فلابد أن يقلده تعالى فيما أخبر به عن نفسه ، في كتبه وعلى ألسنة رسله ، ثم ليكثر من الطاعات ، حتى يكون الحق سمعه وبصره وكل قواه ، فيكون كالمرآة الصقيلة ، فينطبع فيها علمٌ لدنِّيٌّ إلهيٌّ بالله تعالى ، فيعرف الأمور كلها بالله ، فتخرج حينئذ ربقة التقليد .

لأنك إن تقلد عقلك ، فقد أخبر الحق تعالى عن نفسه بأمور تردها الأدلة العقلية ، والأفكار الصحيحة . فذكر لنفسه العين والرجل ، والسمع والبصر ، والغضب والتردد ، والتبشبش والتعجب ، والفرح والضحك والملل ، والمكر والخداع ، والاستهزاء والسخرية ، والسعي والنزول ، والاستواء والتحديد بالقرب ، والصبر على الأذى ، وألزمك الإيمان بها ، وتصديق المخبر عن الله ، فيكون إيمانك بها أولا عن تقليد إلهي ، حتى إذا صار الحق سمعك وبصرك ، آمنت عن مشاهدة وذوق .

مشاهدة :

العدم ، وعدم العدم ، هما مرتبتان معدومتان بالنسبة لنا ، ولكنهما مشهودتان له تعالى ، فما خلق الله الأشياء من عدم ، ولكنه تعالى أوجد

وجودا عن وجود ، وإنما كان العدم حجابا على أعين جميع الموجودات ، غير محجوب عن الله تعالى .

ملاطفة :

من كمال الوجود ، وجود النقص فيه : **{أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}**(١) . حتى النقص أعطاه خلقه ، وعين ما يراه العقل كمالا : هو النقص عند الله تعالى ، وكل نقص : إنما هو في مرتبته لا ينقصه شيء .

معرفة :

قال تعالى : **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** وهذا تنزيه .

ثم قال : **{وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}**(٢) وهو تشبيه .

وهذا غاية الكمال الإلهي ، حيث يجمع بين التنزيه والتشبيه ، ولكن العقل جاء بالتنزيه ، فجاء بنصف المعرفة ، وسلب أحكاما كثيرة عنه تعالى ، وجاء الشرع يخبر عن الله بثبوت ما سُلِبَ عنه .

متابعة :

قال تعالى : **{لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ}**(٣) ، ولم يقل بما رأيت . بل عاتبه سبحانه وتعالى ، لما حرَّمَ على نفسه ما ذكر في قضية السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما ، فكان هذا مما أرته نفسه صلى الله عليه وسلم . فلو كان الدين بالرأي : لكان رأي النبي صلى الله عليه وسلم ، أولى من رأي كل ذي رأي . فإذا كان هذا حال النبي صلى الله عليه وسلم - فيما أرته نفسه - فكيف رأي من ليس بمعصوم ؟

١- آية ٥٠ سورة طه .
٢- آية ١١ سورة الشورى .
٣- آية ١٠٥ سورة النساء .

فدل على أن الاجتهاد الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما هو طلب الدليل على تعيين الحكم في المسألة الواقعة ، لا تشريع حكم النازلة.

خاتمة :

قال صلى الله عليه وسلم : **((من سن سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها))**(١) فسميت البدعة الحسنة : سنة ، تشريفا لهذه الأمة ، وخصوصية من خصوصياتها .

أما فيمن قبلنا : فهي رهبانية ابتدعوها **{وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا}**(٢) . والاجتهاد في أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، هو باب عظيم : **{وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}**(٣) فوجب الاجتهاد على كل مسلم في النوازل، التي ليس لها في الكتاب والسنة والإجماع دليل ظاهر . ولكن أحيانا يكون فرض عين ، كتحري القبلة في الصحراء ، وقد يكون فرض كفاية ، كالمسائل الفقهية التي لا يعلمها إلا العلماء ، ومن شرفه أنه لا يجوز للمجتهد في تحري القبلة أن يتبع رأي مجتهد آخر ، ويصلى كل منهم حسب ما أراه اجتهاده ، وصلاته مقبولة !

١- تقدم تخريجه ص ٥٠ .
٢- آية ٢٧ سورة الحديد .
٣- الآيتان ١٤٤ ، ١٥٠ سورة البقرة .

علم النسب والمعايير

قال تعالى : **{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ}**(١) .

فهي بالنسبة للناظر : واقفه لا تتحرك ، إلا أنها تتحرك بحركة الأرض ، وهي حركة سريعة .

فكل الممكنات : نسب ، لا إطلاق فيها .

انظر إلى حبة القمح ، كم هي صغيرة بالنسبة لك ، لكنها بالنسبة للنملة جبلاً .

فكذا الدعاء : إذا سألت ، فاسأل الله تعالى المسائل العظيمة ، فهي بالنسبة لك عظيمة ، وهي بالنسبة لله لا شيء (٢). فإن أعطاها لكل خلقه ، ما نقص ذلك من ملكه شيئا(٣) .

١- آية ٨٨ سورة النمل .

٢- أخرج مسلم من حديث أبي هريرة : " إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ، ولكن ليعزم وليعظم الرغبة ، فإن الله عز وجل لا يتعاظمه شيء أعطاه " . والبخاري من حديث أبي هريرة : " فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة " ورواه الترمذي من حديث معاذ وعبادة بن الصامت .

٣- أخرجه أحمد والترمذي وحسنه، وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن ماجة والبيهقي في شعب الإيمان - واللفظ له - عن أبي ذر، عن رسول الله قال: "يقول الله: يا ابن آدم، كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم. وكلكم فقراء إلا من أغنيت، فسلوني أعطكم. وكلكم ضال إلا من هديت، فسلوني الهدى أهدكم. ومن استغفرني وهو يعلم أني ذو قدرة على أن أغفر له، غفرت له ولا أبالي. ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على قلب أشقى واحد منكم، ما نقص ذلك من سلطاني مثل جناح بعوضة. ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على قلب أتقى واحد منكم، ما زادوا في سلطاني مثل جناح بعوضة. ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم سألوني حتى تنتهي مسألة كل واحد منكم، **فأعطيتهم ما سألوني ما نقص ذلك مما عندي كغرز إبرة لو غمسها أحدكم في البحر**، وذلك أني جواد ماجد واجد عطائي كلام، وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون "

وليس فيك محلاً للإطلاق سوى القلب .

قال تعالى : **{وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ}**(١) .

والميزان : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعليه يوزن الخُلُق الإنساني .

فمن قال عنه أنه رسولٌ ، نبيٌ ، محبوبٌ ، كان في أعلى مكانة .

ومن قال غير ذلك ، أنزله الله ما يستحق من الرتب .

وكذا جعل الله في كل زمان ومكان قائم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووارث له ظاهرا وباطنا ، وجعله حجة على أهل هذا الزمان .

قال صلى الله عليه وسلم : **((ليس شيء خير من ألف مثله ، إلا الإنسان))(٢)** ، انظر كيف يزن إنسان واحد ألفا من الناس .

قال صلى الله عليه وسلم : **((لو وزن إيمان الأمة ، بإيمان أبي بكر ، لوزنهم))(٣) .**

وتختلف الأوزان باختلاف الأزمان :

- قال صلى الله عليه وسلم : **((أنتم في زمان ، من ترك فيه عُشر ما هو عليه ، دخل النار . وسيأتي زمان ، من فعل فيه عُشر ما أنتم عليه ، دخل الجنة))(٤) .**

١- آية ٧ سورة الرحمن .

٢- رواه الطبراني في الكبير والعسكري عن سلمان مرفوعا ، والطبراني في الأوسط عن ابن دينار ، ورواه العسكري عن جابر مرفوعا .

٣- رواه إسحاق بن راهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر ، وأخرجه ابن عدي والديلمي كلاهما عن ابن عمر مرفوعا ، وله شاهد أيضا في السنن عن أبي بكرة مرفوعا .

٤- رواه ابن عساكر وابن النجار والترمذي عن أبي هريرة وقال الترمذي : حديث غريب .

- انظر إلى الرجل من أهل الصفة حين وجدوا معه درهمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((كيتان))(١)**، وتتدرج الموازين .
- ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة ، وذكر له من صلاتها وصيامها ، ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال صلى الله عليه وسلم: **((هي في النار))(٢).** فما بالك بمن تؤذي أقاربها ثم ما بالك بمن تؤذي شيخها ومربيها بلسانها.

الأوزان :

- **إما زمانية** ، قال صلى الله عليه وسلم : **((من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد))(٣) .**
- **وإما مكانية** ، قال صلى الله عليه وسلم : **((غزوة في البحر بعشر غزوات في البر))(٤) .**
- **وإما زمانية ومكانية معا** ، قال صلى الله عليه وسلم : **((يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه))(٥) .**

١- رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة وقال الحافظ الهيثمي : رجاله ثقات . ورواه أحمد والبزار وأبو يعلي عن عبد الله ابن مسعود .

٢- رواه ابن حبان وأحمد والبزار والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة وقال الحافظ العراقي : صحيح .

٣- رواه بهذا اللفظ البيهقي مرفوعا . وبلفظ في آخره (له أجر شهيد) الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة ورواه الحاكم في تاريخه عن محمد ابن عجلان عن أبيه .

٤- رواه ابن ماجة والديلمي عن أم الدرداء وقال السيوطي : صحيح . ورواه الطبراني والبيهقي في السنن والحاكم في المستدرك عن ابن عمرو ورمز لصحته .

٥- رواه بهذا اللفظ : الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ورواه النسائي والحاكم في المستدرك ورمز لصحته عن عثمان ابن عفان وقال السيوطي: صحيح ، وفي صحيح البخاري بلفظ (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة، خير من الدنيا وما عليها) .

- **وإما متداخلة** ، قال صلى الله عليه وسلم : **((حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات ، وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجات))(١) .**

١- أخرجه بهذا اللفظ : الطبراني في الكبير والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عمرو بن العاص وقال السيوطي صحيح . ورواه البزار عن ابن عباس بلفظ (حجة خير من أربعين غزوة وغزوة خير من أربعين حجة) وقال الحافظ الهيثمي رجاله ثقات .

القرب والبعد

لا أقرب من المتحابين ، وإن تباعدت بينهم المسافات . ولا أبعد من المتنافرين ، وإن تجاوروا . فالقرب الذي نعرفه مسافة ، والبعد الذي نعرفه مسافة ، والله هو القريب البعيد بلا مسافة .

وهو القريب البعيد ، قرب هو البعد ، وبعد هو القرب ، قال تعالى :
{فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}(١) .

فالمصائب والبلايا والفقر هي عين القرب ، وإن ظنناها بعدا . فالمنح قد خبئت في المحن ، فما من الله شيء أبعد من شيء ، ولا شيء أقرب من شيء ، فالقرب هو قرب المراتب ، لا المسافات . فكم متعلق بأستار الكعبة ، وهو عن الله بعيد ، وكم من منقطع في الصحاري والقفار ، وهو من الله قريب .

فقميص الملك أقرب إليه من ابنه ، ولكن ابنه أحب إليه من قميصه .

- سافر أحدهم للحج ، فقال : رأيت الكعبة ، ولم أر رب الكعبة .
- ثم سافر ، فقال : رأيت الكعبة ، ورب الكعبة .
- ثم سافرت الثالثة ، فقال : رأيت رب الكعبة ، ولم أر الكعبة .

يتعرف الله إليك في كل مظهر ، ولا تعرفه ، ذلك هو البعد .
يراه قلبك في كل توجه ، ولا تراه ، وذلك هو البعد .

١- آيات ١٥-١٦ سورة الفجر .

تصفه بأنه حي وقادر ، ولا تدرك ذلك ، ذلك هو البعد .

تراك ، وهو أقرب إليك من رؤيتك ، ذلك هو البعد .

فالحال : أن تشاهد قرب الله منك ، لا قربك منه .

فالقرب الذي تعرفه ، في القرب الذي يعرفه الله ، كمعرفتك في معرفته .

فاعبد الله ، مشاهدا أنه ربك ، غائبا عن نفسك ، وعن أنك عبده .

الحق والخلق ، الفناء والبقاء

كل ما سوى الله خلق ، والله وحده هو الحق .

فالجنة والنار والعرش والكرسي ، والقلم والسماوات وغيرها ، كلها خلق . أما الله تعالى وأنواره وسبحاته فهي الحق .

والإنسان وحده ، المسموح له بالتعامل مع الخلق ، والدخول إلى حضرة الحق تعالى ، فهو (أي الإنسان) له التعامل مع الحيوان والنبات والجماد ، والجن والملائكة ، كل هذا خلق . ثم له الهروب من هذا كله ، إلى حضرة الله تعالى : **{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}**(١) ، وليس هذا لأحد من الخلق سواه ، حتى الملك المقرب ، ليس له التعامل إلا في حدود الخلق ، أما تعاملهم مع الله تعالى ، فالخوف والوجل : **{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ}**(٢) ، **{وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ}**(٣) ، فليس لهم في الاقتراب أو الدخول على الحق ، في حضرة الرضا والمحبوبية ، إذ أنهما لابن آدم دون غيره ، فما قال لغيره : **{يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}**(٤)، **{رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ}**(٥) .

فالإنسان هو معنى العالم كله ، يعني أنه يخبر عن معاني الكون ، وليس في الكون من يخبر عنه . فصحح نسبك إلى آدم عليه السلام ، فإن كثيرا من ولده لم يصحح إليه نسبه ، لنقصه عما يكون به الإنسان إنسانا .

١- آية ٥٠ سورة الذاريات .
٢- آية ٥٠ سورة النحل .
٣- آية ١٣ سورة الرعد .
٤- آية ٥٤ سورة المائدة .
٥- آية ١١٩ سورة المائدة .

ومن صح نسبه استحق ميراث أبيه ، فكان خليفة ربه وسجدت له الملائكة.

وحين ينتقل الإنسان من الخلق إلى الحق تعالى ، وتسطع عليه أنوار الذات المقدسة ، يغيب عن كل ما حوله ، في فناء المشاهدة ، وتتبدل جميع الأشياء والصفات عنده من الخلقية إلى الحقية ، فبدلا من أن يكون ذاكرا يرى نفسه مذكورا : **{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}**(١)، وبدلا من أن يذكر ربه ، يسمع ذكر الله تعالى له . ويرى جميع أعدائه ، وإذ هم أصدقاؤه ولم يكن يعرف . ويرى الجنة والنار : فلا يحنّ إلى جنة ، ولا يخاف من نار . بل تشتاق إليه الجنة ، وتهابه النار ، وتطوف حوله الكعبة ، وتفخر به الصلاة إذا صلى ، ويصير لا توحشه المعصية ولا تؤنسه الطاعة .

وهو في ذلك لا يرى ولا يسمع ولا يشاهد إلا الله ، ويرى أن الذات المقدسة تكبرت عن أن يكون معها في الوجود غيرها ، أو أن يُعبَدَ سواها، أو أن يُفتَقَرَ إلى غيرها ، أو أن تُعصَى .

ويرى رؤية حق : أنه ليس بالقدرة ولا بالمعرفة ولا بالقوة يصل أحد إلى حضرة سيده ، ولكن بمحض الوهب والفضل من اسمه الوهاب .

وحيث ثبتت المعرفة والقوة والقدرة والعلم وجب الحجاب .

ثم بعد ذلك يرجعه الله تبارك وتعالى إلى عالم الخلق مرة أخرى ، محفوفا بالرعاية محفوظا بالعناية ، يدل الخلق على الحق ، وهذا هو البقاء بعد الفناء .

فيرى الله تعالى ظاهرا في كل مظهر ، لا يغيب أبدا .

ويرى الله تعالى ، وقد أسدل حجاب الجمال بينه وبين كل شيء ، فلا يرى في الكون إلا جمال مولاه ظاهرا ، ولكن لا يكشفه ظهوره .

١- آية ١٥٢ سورة البقرة .

فما كل عبد يعرف لغة الله فيخاطبه ، ولا كل عبد يعرف ترجمته فيخاطبه.

وهذا المحبوب بعد أن يُرَد من الفناء إلى البقاء ، يصير وارثا كاملا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في رحلته القدسية . فلما اشتد أذى قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يجأر إلى الله تعالى ، في أن يدفع عنه أذى أعداءه - إذ كان يراهم أعداء في عالم الخلق - أخذه الله تعالى في رحلة الفناء ثم البقاء . فالإسراء من مكة إلى بيت المقدس كلها في عالم الخلق ، ثم صعوده في صحبة جبريل عليه السلام كلها في عالم الخلق ، ثم إذا وصلوا إلى الحد الفاصل بين الخلق والدخول في عالم الحق ؛ اعتذر إمام الملائكة ، وقال : إنك إن تقدمتَ اخترقتَ ، وإنني إن تقدمتُ احترقتُ . ثم زُجَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم في أنوار الحق تعالى ، فرأى ما رأى ، وسمع ما سمع ، وعلم ما علم ، ثم رُدَّ إلى عالم الخلق - مرة أخرى - بأنوار المشاهدة والفناء في حضرة البقاء ، وتبدلت جميع صفاته من الخَلقِيَّة إلى الحَقِيَّة . رأى أعداءه ولم ير عداوتهم ، بل صار يدعو لهم ، ورأى الله تعالى قد ظهر له في كل مظهر ، ولم ير غيرَه في الوجود :

*** إنك إن رأيت غيري ، لم ترني ***

والفناء والبقاء هما ثمرة المجاهدة ، ولهما مراتب :-

الأولى : مرتبة الذهول : وهي عدم شعور العبد بنفسه ، عند الاستغراق في الذكر وبروز أنوار الجمال .

الثانية : الذهاب : وفيها يفنى العبد عن أفعاله .

الثالثة : السلب : حيث تذهب الأوصاف الخلقية ، وتظهر الأوصاف الحقية.

الرابعة : الاصطلام : وهي فناء العبد عن ذاته ، لوجود ذات الحق ، فيكون الوجود لله ، والعدم للعبد .

الخامسة : الانعدام : فيفنى العبد عن فنائه ، فلا يبقى عنده شعور بأنه فان.

السادسة : السحق : حيث يزول حسه ، فيقبل سائر الأوصاف الإلهية ، ولا يجد فرقاً بين قبول صفات الله وبين قبول صفات نفسه ، بغير تَعمُّلٍ ، ولا حاجة إلى استحضار اسمه ، ولا غيره .

السابعة : المحق : وهو زوال الحقد والحسد ، من جسمانية العبد وروحانيته معاً . فأصبح مطلق الصفات ، فاليد مثلا ليس في جلبتها الطبيعية أن تكون بها قوة إبراء المرضى ، إلا أن القابلية الإنسانية فيها جميع ذلك ، وكذا الرجل ليس في طبيعتها المشى في الهواء ، وغير ذلك .

الثامنة : الطمس : ذهاب أحكام البشرية مطلقاً ، من طبعه وعاداته ، فلا يغيره مثلا الجوع المفرط ، ولا السهر الدائم ، ولا الزلازل العظام .

التاسعة : المحو : هو كمال الفناء ، بزوال سائر الآثار الخلقية ، بظهور الآثار الحقية .

فالفناء : هو الخمس مراتب الأولى .

والبقاء : هو الأربع مراتب التالية .

العالم و العارف و الواقف

قال تعالى : **{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ}**(١) .

وكل هالك : وَهْم .

فالواقف : يشهد أن لا فاعل إلا الله ، ولا وجود لغيره إلا في الوهم ، فالواقف فانٍ عن الوجود ، لا يرى إلا الحق ، ولا يعرف إلا الحق ، وليس له وجود مع الخلق .

أما العارف : فله معرفة تامة ، ولكن ليس له شهود تام ، فمعرفته غالبة على شهوده .

وأما العالِم : فواقف مع علمه ، محبوس فيه ، تعامله مع الخلق .

فالعالِم يعبد ربا غائبا ، و العارف يشهد بعض شهود ، والواقف تبدلت ذاته وصفاته من الخلقية إلى الحقية ، فثبتت له الحرية ، وهو سر الاستخلاف المطلق ، ولم تبق له بقية في العبودية .

العلماء أموات عند العارفين ، والعارفون أموات عند الواقفين ، والواقف يرث العِلم ، والعمل ، والمعرفة ، ولا يرثه إلا الله .

احترق العلم في المعرفة ، واحترقت المعرفة في الوقفة

العالِم يعتمد على عمله ، وعمله إما للدنيا وإما للآخرة ، فهذا يدخل عمله معه إلى قبره ، فإن كانت حسنة ، كانت على صورة رجل حسن الهيئة والمنظر ، وإن كانت سيئة ، كانت على صورة رجل قبيح الهيئة ، وقبيح

١- آية ٨٨ سورة القصص .

المنظر . وكلاهما : الحسن والقبيح ، يضيق عليك القبر ، وإن أنست بعض الأنس بالحسن .

وعمل **العالم** الصالح يؤنس صاحبه ، إلا إنه لا يناضل عنه ، لأنه لغير الله. أما **العارف** ، فهو يعتمد على معرفته ، فتدخل معه قبره في صورة حسنة ، تحفها الملائكة ، فمعرفته تؤنسه ، والملائكة تؤنسه ، إلا أنها أيضا تضيق عليه قبره . ولكن عمله هذا ، القائم على المعرفة ، يناضل عنه في قبره . أما **الواقف** فإنه يدخل إلى الله وحده ، لا عمل له . فالله تعالى هو الذي يتلقاه ، وهو وليه ، وهو الذي يتولى قبض روحه : **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا}**(١) ، أما من قبله من المراتب فتتولى ذلك الملائكة **{تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا}** (٢) .

العمل للدنيا أو للآخرة ، لا يوصل إلى شهود تجلي التوحيد في الجنة . أما العمل لله ، فهو الموصل لشهود تجلي التوحيد في الآخرة : **{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}**(٣) .

والزيادة : هو النظر إلى وجه الله الكريم ، وهو للمحسنين : أي الذين يعبدون الله ، لله . أو الذين يعبدون الله ، على المشاهدة .

العمل للآخرة ، لذته قليله ، فغايته أن تدخل الجنة ، أو تهرب من النار ، وينقطع بالموت .

أما العمل لله تعالى ، فيزيد بالموت ، وتزداد به علما بعد علم ، ومعرفة بعد معرفة .

١- آية ٤٢ سورة الزمر .
٢- آية ٦١ سورة الأنعام .
٣- آية ٢٦ سورة يونس .

أما الواقف ، فيزداد مشاهدة بعد مشاهدة . وأين العلم من المعرفة ، وأين المعرفة من المشاهدة .

من سلك من وراء الدنيا ، صار من أهل الآخرة ، فتأتيه رسلي من الملائكة ، من أهل دار الآخرة ، متلقين تعرف في عيونهم الشوق ، وترى في وجوههم الإقبال ، أما من سلك في الدنيا ، فتأتيه رسلي : مخرجين مزعجين ، ترى في أعينهم هيبة الإخراج والإزعاج . أما من سلك من وراء الدنيا ومن وراء الآخرة ، صار من أهل الله تعالى ، فأتلقاه .

*** العالِم في الرِّق ، والعارِف مكاتَب ، والواقِف حُرّ ***

تعلَّم ولا تسمع من العلم ، واعمَل ولا تنظر إلى العمل ، وتعرَّف ولا تسمع من المعرفة . لأن العِلم لا يعلِّم ، بل الله الذي - بوهب منه تعالى - علَّم كل متعلم ، والعمل والمعرفة كذلك ، كلها وهب من الله تعالى .

العالم يطلب من الله حاجته منتظرا تحقيقها ، فيقف بين يديه طلبا أو هربا. والعارف يقف بين يديه ، طلبا للكشف ، والحظوظ الروحية .

والواقف يقف بين يديه ، ينظر الله إليه ، وينظر هو إلى الله .

قف بين يدي لا طالبا مني ولا هاربا إلي .

إنك إن طلبت مني ، فمنعتك ، رجعت إلى الطلب ، لا إلي . أو رجعت إلى اليأس ، لا إلى الطلب .

وإنك إن طلبت مني فأعطيتك ، رجعت عني إلى مطلبك .

وإن هربت إلي ، فأجرتك ، رجعت عني إلى الأمن من مهربك من خوفك،

*** وأنا أريد أن أرفع الحجاب بيني وبينك ***

*** فقف بين يدي لأني ربك ، ولا تقف بين يدي لأنك عبدي ***

فتقف مع الربوبية ، وهي لي . ولا تقف مع العبودية ، وهي لك . فوقوفك مع صفتي ، أشرف من وقوفك مع صفتك . فلا تسكن إلى غيري . لا إلى الطلب ، ولا إلى اليأس ، ولا إلى الأمن .

الواقف كل حركاته عبادة ، لأنه يرى محركه فيها ، وذنبه الوحيد هو رؤية نفسه في العمل ، فإن رأى نفسه في العمل فهو شرك .

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهوا حكمت بردتي

كل ما جمعك على الله فهو الحق ، وكل ما جمعك على المعرفة فهو من المعرفة ، وكل ما جمعك على العلم فهو العلم .

آليت ألا أقبلك وأنت ذو سبب أو نسب . خَلِّ المعرفة وراء ظهرك ، تخرج من النسب ، ودُمّ لي في الوقفة تخرج من السبب . قد تعلم علم المعرفة ، وحقيقتك الوقفة ، فلست من المعرفة . وقد تعلم علم الوقفة ، وحقيقتك المعرفة ، فلست من الوقفة . حقيقتك ما لا تفارقه ، لا كل علم أنت مفارقه. لأن العلم هو المستودع ، وما هو المستقر . والمستقر هو الوقفة . فالوقفة : حقيقة الواقف ، وليست المعرفة حقيقة العارف . فضلا على أن يكون العلم هو حقيقة العالم . كل أحدٍ له عُدَّة ، إلا الواقف ، وكل ذي عدة، مهزوم . فالله لا يُنال بسببٍ ، وكل ما دون الواقف يتعاطى الأسباب، ويقول إنها عُدَّته . ولما كان لا وصل إلا بالموهبة لا غير : إنقطع صاحب الأسباب عن الاسم الوهاب ، فكان انقطاعه عنه هزيمة في حقه .

أين مَنْ أعد معارفه للقائِي ؟

لو أبديت له لسان الجبروت : لأنكر ما عرف ، وهذه هي الهزيمة .

والواقف هو النافي عن ذاته وصفاته وأفعاله ، فليس له عدة .

العالِم : ينتقل إلى الآخرة بالموت .

والعارف : ينتقل إلى الآخرة بدون موت .

والواقف : لا ينتقل فله الثبوت .

أطلب كل شيء عند الواقف ، تجده . واطلب الواقف عند كل شيء ، فلا تجده .

إذا نزل البلاء ؛ تخطى الواقف ، ونزل على معرفة العارف ، وعِلم العالِم.

لا يقدر العالِم قدر العارف ، ولا يقدر العارف قدر الواقف .

العارف هو المشاهد للحق ، من حضرات أسمائه وصفاته .

والواقف في غيب الحقيقة .

الوقفة مقامها لا يحصل بالاكتساب ، فلا تتعلق بسبب ولا يتعلق بها سبب .

العلم لا يهدى إلى المعرفة ، والمعرفة لا تهدى إلى الوقفة ، والوقفة لا تهدى إليَّ ، فالذ ى يهدي العالِم إلى المعرفة ، نور وهبي ، فوق العلم .

الواقف ، يقول : سبحاني ، سبحاني . وينكر عليه العارف ، والعالِم ، ينكر على العارف .

إن دعوتنى في الوقفة ؛ خرجت من الوقفة . لأن الدعاء من عبد لرب ، والوقفة ليس فيها غير الرب .

العالِم : يصلي ، والعارف : يخشع ، والواقف : تفتخر به الصلاة ، والكعبة تطوف حوله ، وتقبِّل رأسه ، والجنة تشتاق إليه .

ما بلغت معرفة من لم يقف ، ولا نفع عِلم من لم يعرف .

العالِم يرى علمه ، ولا يرى المعرفة . والعارف يرى المعرفة ، ولا يرى الوقفه . والواقف يراني ، ولا يرى الوقفة .

العالِم : يخبر عن العِلم . والعارف : يخبر عن المعرفة . والواقف : يخبر عني . وهو ميراثه من **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى}**(١) .

العالِم : يخبر عن الأمر والنهي ، فهما علمه . والعارف : يخبر عن حقي، وفيه معرفته . والواقف : يخبر عني ، وفِيَّ وقفته .

إخبارى ، للعارفين . ووَجهِي ، للواقفين .

العلم : حجابي . والمعرفة : خطابي . والوقفة : حضرتي .

السالك : يسافر من الحجاب إلى الوقفة :

- وهو السفر الأول : وهو السفر إلى الله .
- والسفر الثانى : هو سفر في الله ، وبالله . وأوله ، البقاء بعد الفناء ، إلى أن يصير قطبا ، وهو تمام التحقيق ، وهو أعلى مراتب الأولياء ، وفيه بعثت الرسل في زمان الرسل، والمشايخ بعد انسداد باب الرسالة . ويصير العلم والمعرفة والوقفة ، جداولا ، من بحره . ويصبح هاديا إلى الله بإذنه . وقبل أن يُسَد باب الرسالة ، يستحق أن يكون رسولا، أما في زماننا هذا فيكون شيخا مربيا **((علماء أُمتي كأنبياء بنى إسرائيل))(٢).**
- والسفر الثالث : هو توجه هذا القطب إلى الخلق ، فيتجلى لطالبي الخلاص من الخلق على أقدارهم ، فيكون للعابد عالما ، وللعالم عارفا ، وللعارف واقفا ، وللواقف قطبا ، وللأقطاب خاتما . وهو فوق سماء كل طالب .

١- آية ٣ سورة النجم .

٢- هو من الأحاديث التي ترويها السادة الصوفية كشفا ، وليس له سند معروف في كتب الحديث وقال عنه العجلوني في كشف الخفاء : وقال النجم : وممن نقله جازم بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي وموفق الدين بن قدامة والأسنوي والبارزي واليافعي وأشار إلى الأخذ بمعناه التفتازاني وفتح الدين الشهيد وأبو بكر الموصلي والسيوطي في الخصائص، وله شواهد ذكرتها في حسن التنبيه لما ورد في التشبيه ، انتهى ، وقد يؤيده أنه الواقع .

▪ والسفر الرابع : هو سفره عند الموت : **((بل الرفيق الأعلى))(١).**

العالِم : يدلك على العمل ، ويقول هو الطريق . والعارف : يدلك على المعرفة ، ويقول هو الطريق . والواقف يقول : ما إلى الله طريق .

يطالبُ اللهُ العالِمَ بعلمِه ، وإن طالبه بعلمه ، لم يوفه عمله : **((من نوقش الحساب عُذِّب))(٢)** .

أما العارف : فإن الله تعالى ينظر إلى قلبه : إن ذهب قلبه عنه ، لم ينظر إلى عمله .

أما الواقف : فإن رأى نفسه في العمل : فتلك سيئته التي لا تغتفر ، وليس له سيئة سواها .

فالعالِم : سيئاته فعل المحرمات ، والعارف : سيئاته في الغفلة عن الله تعالى في العمل ، والواقف : سيئته رؤية نفسه عند العمل . فإن تاب الواقف فتوبته سيئة أخرى ، لأنه رأى نفسه فيها أيضا ، بل يسارع إلى الوقفة بغير توبة . الواقف ، أمي : يعني أنه يتلقى أوامر الحق تعالى بالسذاجة والإيمانية ، فلا يسأل عن علة الأمر أو النهي ، بل يسارع بتنفيذ ما أمِر به . أما علماء الرسوم : فإنهم يحاولون أن يجدوا لكل حكم علة ، فلا يوليهم الحق تعالى أمرا إلا ويسألون عن علته .

١- (بل الرفيق الأعلى) رواه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير عن أم المؤمنين السيدة عائشة ، وروى البخاري عن أم المؤمنين السيدة عائشة أنها قالت : شخص بصر النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: (في الرفيق الأعلى). ثلاثا . وروى الحاكم في مستدركه وابن ماجة عن أم المؤمنين السيدة عائشة : آخر كلمة تكلم بها (الرفيق الأعلى). وقال الحافظ العراقي متفق عليه .

٢- بهذا اللفظ ، متفق عليه من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وعند الطبراني في الكبير ، عن ابن الزبير : (من نوقش المحاسبة هلك) وقال عنه الهيثمي : صحيح . ورواه أحمد في مسنده ، عن السيدة عائشة بلفظ : (من نوقش المحاسبة لم يغفر له، قالت : قلت يا رسول الله : فأين قوله : " يحاسب حسابا يسيرا " قال : ذاك العرض).

العالم : يستدل عليّ ، والعارف : يستدل بي ، والواقف : لا يستدل .
العالم : فاقد ، والعارف : واجد ، والواقف : في مقام العزة وقف .
إذ العزة : هي عدم تعلق السوى به تعالى ، في وجه من الوجوه .
فالعزة : هي الإمتناع . فمن تعلق به ، لا يحب غيره ، ولا يرى غيره .
نار جهنم : تحرق الشرك من قلوب أهلها ، ولذلك قيل إن مآلهم للرحمة .
ونار السطوة : هي تجلي الوحدانية ، المفنية للسوى ، في المشاهدة .
والنار : سوى . ولها على الأفئدة مطلع ، فإذا اطلعت على الأفئدة ، فرأت فيها السوى ، رأت ما منها ، فاتصلت به : **{الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ}**(١)
وإذا بدت آيات العظمة والعزة ، رأى العارف معرفته نكرة . وأبصر المحسن حسنته سيئة . وآيات العظمة : هي مقدمات ظهور التجلي .
الدنيا والآخرة ، والعلوم والمعارف ، إن سَكَنْتَ إلى أحدِها ، أسلمتك إلى ما دونها من المقامات .
إذ العارف معتوب ، والعتاب للأحباب ، لأنه اكتفى بالمعرفة . والعالم محبوس في علمه ، والعابد محجوب ، واللاهي بالدنيا مغضوب عليه ، وذلك إن لم يطمئن بها ، فإن اطمأن بها فهو أشد العصاة :**{وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا}**(٢) . فإن لم يطمئنوا بها ويسكنوا إليها ، نقلوا إلى ما هو أعلى ، فيُنقَلون من غضبه إلى حجابه .
وأهل الوقفة والمشاهدة : إن وقف استعدادهم عن العطش وطلب المزيد ، فقد نزل إلى المعرفة .
والواقف ذو رب ، والعارف ذو قلب ، والعالم ذو علم .

١- آية ٧ سورة الهمزة .
٢- آية ٧ سورة يونس .

فالعالِم نصيبه ما يفتي به العلم ، والعارف محكوم بحاله .
حُكِيَ عن بعض أصحاب الأحوال : أنه فقد حاله أربعين صباحا ، ثم اتفق له وهو يمشي أنه استمع إلى قينة تغني ، فجلس يسمع ، فعاد إليه حاله مع الله ، فقال له أحد العلماء : أتسمع هذا ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من جلس إلى قينة ؛ صب في أذنيه الآنك يوم القيامة))**(١) ، فقال له : **ليس من جَلسَ كمن أُجلِسَ.**
أهل المعرفة ، يجاهدون في الله حق جهاده . وأهل العلم ، يجاهدون في سبيله . وأهل الوقفة ، لا يجاهدون ، بل يجاهَد بهم . قال تعالى : **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}**(٢) أي من جاهد هذا الجهاد من العارفين ، لنهدينهم إلى مواقع نظرنا في الأشياء ، حتى يصير من الواقفين .
لكل إنسان اسم سماه به أبوه ، واسم حقيقي ، وهو الاسم الذي يحصل له من شهود الحضرة ، فإن كان المشهد ذاتيا : وهم الواقفون سمي : عبد الله. وإن كان وجوديا : سمي عبد الرحمن . أما العالم والعارف ، فيصير كل واحد منهم ينتقل من اسم إلى اسم ، فمن يعرف الله في العطاء فقط ، فهو عبد العطاء ، واسمه : عبد المعطي . ومن يعرفه في المنع ، سمى : عبد المانع . ويصير يتنقل من اسم إلى اسم ، إلى أن تكمل له حضرة الجمع ، فيصير اسمه : عبد الله . وهذا الاسم كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالأصالة ، ثم لمن دونه بالتبعية : **{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ}**(٣) .

١- رواه ابن عساكر في تاريخه عن أنس رضي الله عنه . والآنك : هو الرصاص أو القصدير
٢- آية ٦٩ سورة العنكبوت .
٣- آية ١٩ سورة الجن .

المفعول المطلق

قال تعالى : **{إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}**(١).

المُخْلَص : اسم مفعول ، والمُخلِص : اسم فاعل .

والمخلِص : هو الذي نال المقام بنفسه ، فهو معرض لغواية الشيطان ، لأنه سيحاربه بنفسه ، وأنى له بحرب الشيطان ، وهذا المخلِص يُخاف عليه من مكر الله تعالى . أما المخلَص : فهو الذي نال المقام بربه ، فليس للشيطان عليه سبيل ، ولا يخاف عليه من مكر الله تعالى .

وكل مقام تدعي بلوغه بنفسك ، تكذب فيه . فالصبر والرضا مثلا ، إذا أصابتك مصيبة فصبرت عليها ورضيت بها ، فلا تعتقد أنك بلغت مقام الصبر أو الرضا ، فما أدراك أن لو أصابتك مصيبة أكبر من التي صبرت عليها ، هل كنت ستصبر عليها أم لا ؟.

والله مطلق ، بلاؤه مطلق ، وأين تقييدك من إطلاقه ، قال تعالى : **{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ}**(٢) فكل مقام أنت بالغه بنفسك فهو كذب ، وكل مقام أنت بالغه بربك فهو مقامك ، فإدراك مقام الرضا هو العجز عن إدراك الرضا بنفسك ، فمن لم يستطع بلوغ المقامات والدرجات ، فعليه بالانتساب إلى من بلغوا هذه المقامات ، فمنهم العلماء والعارفون والواقفون . وكل مقام من هذه المقامات ، فقد بلغه أناس كثيرون .

١- آية ٤٠ سورة الحجر ، وآية ٨٣ سورة ص .
٢- آية ١٢٧ سورة النحل .

ولكن هناك مقام لا يبلغه إلا القليل ، وهو مقام التوحيد .

ولا يبلغه إلا أصحاب المقامات الفردية ، وهم الأفراد . وهي مقامات يكون كل مقام منها لواحد فقط ، من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثل :

مقام القربة : وهو مقام لم يحله أحد إلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ومقام الختمية : وهو مقام أبي العباس التجاني رضي الله عنه .

فانتسابك إلى أصحاب المقامات الفردية ، يجعلك تتعدى جميع أصحاب المقامات الأخرى .

*** فمقام المريد : مقام شيخه ***

حسن الظن

قال صلى الله عليه وسلم : **((يُبعَث الناس على نياتهم))(١)** وقال صلى الله عليه وسلم قال تعالى:**((أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء))(٢)** وقال صلى الله عليه وسلم: **((لا يمت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه))(٣)** .

- فمن الناس من يعتقد أن الله تعالى عادل ، وأنه سيأتي يوم القيامة بصفات الجلال ، ويضع الميزان ، ويعطي على الحسنة عشراً ، وإذا ثقلت الحسنات أدخله الجنة ، وإذا ثقلت السيئات أدخله النار ، فيأتى يوم القيامة ، فيرى ربه كذلك .
- ومنهم من يعتقد أن الله تعالى سيحاسبه ، بالفضل .
- ومنهم من يعتقد أن الله تعالى سيحاسبه بالفضل العظيم .
- وكل هؤلاء ينتظر ربه يوم القيامة على وجل منه وخوف .
- ومنهم من يعتقد في ربه الرحمة والرأفة ، وينتظر ظهوره ليتعلق بحنانه ورأفته يوم القيامة .
- ومنهم من لا ينتظر أصلا ، وهم أهل مقام التوحيد . إذ أن الله تعالى معهم ، وهم لا يرون أنفسهم إلا عدما . فلا يرون إلا الله تعالى في جميع أحوالهم . فلا يرون في الكون إلا الرب . ولا يرون العبد .

١- بهذا اللفظ رواه ابن ماجة عن أبي هريرة ، وقال السيوطي: حسن . ورواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة وقال السيوطي: صحيح ، وبلفظ " يبعثهم الله على نياتهم " رواه مسلم في صحيحه عن السيدة عائشة ، وبلفظ " يبعثون على نياتهم" رواه البخاري عن السيدة عائشة .

٢- رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك وصححه عن واثلة وصححه السيوطي وبلفظ " أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني " أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة .

٣- أخرجه أحمد والطبراني وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود وابن ماجة وابن حبان عن جابر .

والناس جميعا يرون العبد ، ولا يرون الرب . فإذا كانوا يوم القيامة : رأوا العبد والرب . أما أهل التوحيد فلا انتظار لهم ، ولا يرون إلا الرب فقط .

فظنك بالله هو الذي يقيم لك الحساب ، ويضع لك الميزان ، وعليه تكون كيفية حسابك يوم القيامة . **((جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من سيحاسبنا يوم القيامة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : "الله تعالى " فولى الأعرابي مسرورا وهو يقول : فزنا ورب الكعبة ، إن الكريم إذا قدر عفا))(١).** وأرجى آية في كتاب الله تعالى : **{فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}**(٢)، وفي الحديث أن :**((رجلان أخرجا من النار ثم أمر بهم ليعودوا فيها فتقدم أحدهم وتقاعس الآخر فقيل لم لم تتقدم فقال والله يا رب ما ظننت أن تعيدني فيها بعد أن أخرجتني منها فأمر به إلى الجنة))(٣).** أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لكفار مكة : **((ما تظنون أني فاعل بكم فقالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم))** فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن ظنهم به **((قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء))(٤)** فإنما نجاهم من القتل حسن ظنهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

١- أخرجه البيهقي في الشعب وابن النجار عن أبي هريرة وقال النجم : رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن عن الحسن مرسلا .

٢- آية ٤٠ سورة الرعد .

٣- رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان وأبو عوانة عن أنس ابن مالك وقال الهيثمي : رجالهما رجال الصحيح غير أبي ظلال وضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان. وبلفظ آخر رواه الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة وبلفظ آخر رواه أحمد وابن حبان وابن خزيمة وأبو يعلى عن أنس وقال الهيثمي رجالهما رجال الصحيح غير أبي ظلال ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان.

٤- رواه البيهقي وابن حبان وفي سبل السلام للصنعاني والشافعي في الأم والطبري في تاريخه قال ابن حجر : رواه ابن أبي شيبة وعند ابن إسحاق بإسناد حسن عن صفية بنت شيبة .

التحويل والتبديل

• قال صلى الله عليه وسلم : **((شر البلدان أسواقها))(١)** وقال صلى الله عليه وسلم : **((من قال في سوق من الأسواق : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، وبنى له بيتا في الجنة))(٢) .** انظر كيف دلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى تحويل أشر الأماكن في الأرض وهي الأسواق ، وجعلها روضة من رياض الجنة بالذكر ، حتى فاقت المساجد !

• نوع آخر من التحويل ، وذلك لما دخل صلى الله عليه وسلم ، وسأل عن الطعام ، فلم يكن عندهم إلا لحم تُصُدِّقَ به على بريرة ، مولاة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، فقال صلى الله عليه وسلم : **((هو لها صدقة ، ومنها لنا هدية))(٣) .**

• قال صلى الله عليه وسلم : **((فكرة ساعة ، خير من عبادة ستين عاما))(٤)** أراد صلى الله عليه وسلم ، أن يحول المسلمين من مرسلِين إلى مستقبلِين .

١- رواه الحاكم في المستدرك عن جبير ابن مطعم ، وقال السيوطي : صحيح .
٢- أخرجه أحمد والطيالسي في مسنده والترمذي في سننه وقال حديث غريب والحاكم في مستدركه والطبراني في الكبير وابن ماجة والحكيم الترمذي وابن السني عن عمر ابن الخطاب وابن السني عن ابن عباس .
٣- قال الحافظ العراقي : متفق عليه من حديث أنس وحديث أم المؤمنين السيدة عائشة .
٤- أخرجه أبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة . وأخرج الديلمي مرفوعا عن أنس "تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين سنة " .

• ويوم القيامة : توضع الفرائض في الميزان ، فإن كان فيها نقص ، قيل هل لصاحبها من نوافل ؟ حتى يكتمل بها نقص الفرائض ، فتتحول بذلك النوافل إلى فرائض .

• وقال صلى الله عليه وسلم لمن يرى صاحب بلاء أن يقول : **((الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا))(١)**وقال صلى الله عليه وسلم : **((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم))(٢)** .

- فالأول رجل يهتم بنفسه فقط ، حيث يحمده تعالى على أن لم يصبه بما ابتلى به غيره .
- ثم حوله صلى الله عليه وسلم إلى رجل يهتم بأمر المسلمين ، ويريد أن يرفع الله عنهم ما ابتلاهم به ، حتى ولو احتمل عنهم ما هم فيه من البلاء ، وهذه درجة الفتوة .

• ثم انظر إلى المسلم كيف يتحول من رجل يخاف النار ، إلى رجل يخاف الله . ومن رجل يرجو الجنة ويفرح بها ، إلى رجل يرجو الله ويفرح به ، ولا يفرح بسواه .

• قال تعالى: **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }**(٣)،

١- رواه بهذا اللفظ الترمذي وحسنه عن أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه الترمذي وابن أبي شيبة والبزار عن عمر رضي الله عنه . وابن ماجة والطبراني في الأوسط عن ابن عمر . ورواه بلفظ في نهايته (... وفضلني عليك وعلى جميع خلقه تفضيلا) ابن أبي الدنيا والخرائطي كلاهما في كتاب الشكر عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢- قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن حذيفة ، ورواه الطبراني عن أبي ذر ، وقال العجلوني في كشف الخفاء : رواه البيهقي والطبراني وأبي نعيم عن أنس مرفوعا بلفظ في أوله "من أصبح لا يهتم لأمر المسلمين "

٣- آية ٥٣ سورة الزمر .

فمحل مغفرة الذنوب أنه هو الغفور الرحيم ، إلا إنهم قد تابوا ، فيترقى المسلم ، ويتحول من رجل يعتمد على صفاته وأفعاله ، ويعتقد أن صفات الله تعالى تعتمد وتترتب على صفاته ، فلا يغفر إلا إن تاب ، ولا يرزق إلا إذا كان العبد صالحا ، إلى رجل يعلم أن صفات الله غير مترتبة على شيء بل هو يرزق لأنه هو الرزاق ، ويغفر لأنه هو الغفور والرحيم غير منتظر توبة أحد ، ويعطي لأنه هو الجواد ، ويهب لأنه هو الوهاب .

أما العبيد : فهم عبيد لا غير ، فلا فعل للعبد ، ولا صفة .

إلا أنه يعتمد على أفعال سيده وصفاته وكرمه ، فبدلا من أن يعتمد على فعله ، يعتمد على كرمه تعالى وقوته ، ويتخذه وكيلا في جميع حركاته وسكناته ، فيفعل ما أمر به من الصالحات ، غير معتمد عليها .

الموت

هو محراب الحياة ، فبوقوعه تثبت الحياة الأبدية السرمدية ، وهو سور عظيم ، وبرزخ قديم ، له باب مستور ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب . يفصل بين الحياة ، والحيوان . فالحياة : نهايتها الموت ، والحيوان : حياة لا نهاية لها : **{وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ}** (١) .

الموت مخلوق : **{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ}** (٢) .

فكيف تخاف من مخلوق ؟ .

الموت أضعف المخلوقات ، وأغلبها على أمره ، كاد من ضعفه أن يكون وهما ، إلا أنه أيقنها ثبوتا ووقوعا وشيوعا . إن لم تخف منه ، فقد قتلته ، وإن طلبته، فقد ذبحته ، وانظر إليه يوم القيامة **((يؤتى بالموت في صورة كبش أملح ، يذبحه نبي الله يحيى عليه السلام بين الجنة والنار))(٣)** أرأيت أحسن منظرا من كبش أبيض ، ذو فروة ناعمة ؟ أرأيت أليفا لا ظفر له ولا مخلب ولا ناب من الكبش ؟ أنت الذي توهمته أسدا مفترسا ، مخيف المنظر والمخبر . من أحب الموت وطلبه ، وصل إلى الله بغير موت : **{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء}** (٤) .

١- آية ٦٤ سورة العنكبوت .

٢- آية ٢ سورة الملك .

٣- رواه البخاري ومسلم والطبراني في الكبير عن ابن عمر ، ورواه البخاري ومسلم والترمذي وصححه وسعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والنسائي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه، عن أبي سعيد الخدري ، وأخرجه عبد بن حميد وابن ماجه والحاكم وصححه والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه، عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

٤- آية ١٥٤ سورة البقرة .

{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء} (١) ، فمن جَدَّ في طلبه ، فر منه الموت وخاف .

من كان الله تعالى في قلبه ، خاف منه الموت ، أشد مما يخاف الناس من الموت ، ويهربون منه ، إذ أن الله تعالى هو الحي الذي لا يموت .

إن عرفت حقيقته الضعيفة ، فامسك برقبته ، سينظر إليك نظرة المسترح ، وسيطلب منك الأمان ، فاتركه فإن ميعاد ذبحه لا يكون إلا يوم القيامة ، فلما علمت ذلك ، قلت له : جُز بسلام ، فإن الموت اسمك ، ولكن الحياة هي حقيقتك ووسمك ، فأنت هو نفس الكبش ، الذي أحيا الله بذبحه إسماعيل عليه السلام .

وأنت أنت الذي لا يذبحك إلا نبي الله يحيى عليه السلام ، لتدوم الحياة لأهل النار ، ويدوم الحيوان لأهل الجنان ، يحيى عليه السلام الذي أراد الله بقاءه حيا ، فقتله شهيدا ، فأبقى عليه الحياة ، فجمع له بين الحياتين ، فسماه يحيى .

وفي كل عام ، يذبح الناس حقيقتك بأيديهم يوم الأضحى ، ولكنك تذبحهم بظاهر أمرك في كل نفس ، لتمكن الوهم منهم ، فمظهرك يخيفهم ، فهم يموتون ، لا منك ، ولكن من الرعب الذي رَسَمَته لهم أوهامهم ، أما حقيقتك ، فهي تخاف من حقائق البشر ، أن يعرفوا حقيقة الموت ، وهوان أمره .

أنت عندي أيها الموت أشرف من القتل . كيف ، لا ؟

وهي صفة الأشرف ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم **{إِنَّكَ مَيِّتٌ}**(٢) .

١- آية ١٦٩ سورة آل عمران .
٢- آية ٣٠ سورة الزمر .

وهو المقدَم في الاختيار : **{أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ}** (١) ، وكما نامت عينه صلى الله عليه وسلم ، ولم ينم قلبه ، فهو يموت ، ولا يموت قلبه .

تمني الموت لله ، ولاية : {إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}(٢)، **{وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}**(٣)، فلما رأيتموه استصغرتم شأنه ، وعرفتم حقيقة أمره ، فهانت نفوسكم من أجلي .

يا فرحة النفس بأرجى آية في كتاب الله ، حيث بشرها الله تعالى : **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}**(٤) ، أبشري أيتها النفوس ، كلكم سيذوق حلاوة الموت ، ويجد لذته .

أذقتم أحلى من لحم الكباش ؟ .

فرحة المؤمن بالموت ولذته به ، اجتمعت فيها كل لذة ، لذةٌ تعم الجسد والروح معا .

لذة كشف الحجاب : ((الموت تحفة المؤمن))(٥) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم **{فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}**(٦) بكشف الغطاء ورفع الحجاب ، ينتقل أهل الكشف من عين اليقين إلى حق اليقين .

١- آية ١٤٤ سورة آل عمران .
٢- آية ٦ سورة الجمعة .
٣- آية ١٤٣ سورة آل عمران .
٤- آية ٣٥ سورة الأنبياء ، وآية ٥٧ سورة العنكبوت .
٥- رواه الديلمي والدار قطني عن جابر ابن عبد الله مرفوعا ، و بلفظ " الموت غنيمة والمعصية مصيبة والفقر راحة والغنى عقوبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له" . رواه الديلمي أيضا عن أم المؤمنين السيدة عائشة
٦- آية ٢٢ سورة ق .

وينتقل أهل العلم من علم اليقين إلى عين اليقين ، وما سواهما ينتقل من العمى إلى الإبصار ، فهو خير على كل حال .

{وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ}(١) ، للموت سكرات للطائعين ، وغمرات للعاصين : **{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ}**(٢) ، أرأيت السكران كيف ينتشي ويفرح ؟ ، أرأيت الغمران كيف يغيب ويهذي ؟ . تلك السكرة التي تأتي بالحق تعالى ، وتجمعك به ، فتشاهده كما تشاهد القمر ليلة البدر(٣) ليس دونه سحاب : **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ}**(٤) ، فالله قريب وأقرب : **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}**(٥) ، وهو عند الموت أقرب ، فلنا بهذه الآية حق الجوار ، وللجار حق مشروع على جاره ، وهو كرم الحق تعالى وفضله ، فهو تعالى قريب : بنزوله من العرش إلى السماء الدنيا ، نزول تجلٍ ، وهو تعالى أقرب من حبل الوريد إلى كل شقي وسعيد .

أنتِ أيتها الروح المجردة ، ألست النفخة الإلهية المعظمة ؟ ذات القوة الهائلة ؟ قوة تلك النفخة التي لا تعادلها جميع قوى المخلوقات .

كيف ، لا ؟ وأنت النفخة المنسوبة إلى الله القوي المتين .

١- آية ١٩ سورة ق .
٢- آية ٩٣ سورة الأنعام .
٣- حديث رؤية الحق سبحانه وتعالى يوم القيامة : رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده والترمذي وعبد الرزاق في مسنده وعبد بن حميد والنسائي والدارقطني في الرؤية والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة ، ورواه البخاري ومسلم في صحيحهما وأحمد في مسنده وعبد بن حميد والدارقطني والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري .
٤- آية ٨٥ سورة الواقعة .
٥- آية ١٨٦ سورة البقرة .

ألم تر إلى الله تعالى ، كيف قيد هذه الروح في سجن الصور من هذه الأجسام الضعيفة ؟ . حتى لا تدعي الألوهية .

إذ لو تجردت ، لقالت : أنا ربكم الأعلى !

حتى وهي في الجنة ، فهي في سجن الصور أيضا ، إلا أنها انتقلت من هذا السجن الضيق الصغير المظلم ، إلى السجن الكبير المنير الجميل ، فأنت في السجن على الدوام ، حتى وأنت في الجنة ، فروح واحدة قد حَوَت العالم كله من عرشه إلى فرشه ، وهذا لأهل اليمين أصحاب جنة الزخارف .

أما المقربون ، أهل جنة المعارف ، فهم أهل أدب عال ، تأدبت أرواحهم ، فعرفت الحق لأهله ، فلا تدعي الألوهية ولا الربوبية ، إذ أنها دوما ساجدة في حضرة الحق ، لا ترفع أبدا . فحق لها أن تذوق حلاوة التجريد ، والخروج من سجن الصور .

ومما رحم الله به عباده ، أن جعل بين الأجسام وأرواحها حجابا كثيفا ، **فإذا حان الأجل ، وجاء الملك ليسحب هذا الحجاب ، ويرفع ذلك الغطاء ، رأيت مشهدك :**

- فترى من روحك الجنة ونعيمها ، وحورها وطعامها وأنهارها ، إن كنت من أصحاب اليمين .
- أو ترى جمال وجه الله تعالى ، وأنواره وتجلياته ، إن كنت من المقربين، وهذا كله من حضرة الجمال ظهر .
- أما أصحاب الشمال ، فيتجلى الله عليهم من حضرة الجلال ، فيرون من الأهوال ما تذوب له الجبال .
- أما أهل الإيمان - إلا أنهم من أصحاب الزلات - فتشدد عليهم سكرات الموت . وذلك أن الملك يسحب الحجاب شيئا قليلا ، فيرى من أنوار

ربه ، ثم يعيده ، فينحجب عنه هذا الجمال ، فيعاني من الألم المعنوي ، ما لو صُبَّ على الجبال ، لأذابها .

- أما أهل الإيمان الخالص ، فيرفع الحجاب شيئا ، فتشرق الأنوار ، ثم يرفعه شيئا آخر ، فتزداد الأنوار شيئا فشيئا ، والملك يرفع الحجاب رويدا رويدا ، وكل مرة يغيب العبد فيها بأنوار ربه ، تسمى سكرة ، حتى يستقر عند ربه : **{وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى}**(١) ، **{إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ}**(٢) .
- أما أهل الكفر والفسوق والعصيان ، فيرفع الملك عنهم الحجاب مرة واحدة ، فلا يجدون أنفسهم إلا وهم أمام غضبه وعذابه ، وعقابه وأهواله مرة واحدة ، ويتجلى الله تعالى عليهم بأسماء القهر والعز ، فالحجاب في حقهم رحمة .

١- آية ٤٢ سورة النجم .
٢- آية ١٢ سورة القيامة .

الوجه

قال تعالى : **{فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ}**(١) . فسبحان من له عين في كل أين . **الله قبلة القلوب والأرواح ، والكعبة قبلة الأجسام والأشباح .**

لوجه الله تعالى ظاهر وباطن :

- ظاهره : الإخلاص **{يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}**(٢)، **{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ}**(٣)، **{إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى}**(٤) .
- وحقيقته وباطنه : هو بارق أنوار التوحيد : **{وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ}**(٥).

فأينما توجه المخلصون ، قدح نور التوحيد فيهم ومنهم .

ولوجه الله - تعالى شأنه - رداء وحجب وسبحات :-

- **فأما رداؤه فالكبرياء** ، والرداء ما حجب القلب عن رؤية الرب ، وهل غير أن يكون في قلبك كبرياء لغير الله ، فأهل الجنة ليس لهم مانع من نعيم الرؤية ، وشهود نور التوحيد إلا رداء الكبرياء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **((ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ، إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن))(٦)**، فمن كبر في قلبه، شيء

١- آية ١١٥ سورة البقرة .
٢- آية ٥٢ سورة الأنعام . وآية ٢٨ سورة الكهف .
٣- آية ٩ سورة الإنسان .
٤- آية ٢٠ سورة الليل .
٥- آية ٨٨ سورة القصص .
٦- أخرجه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي موسى الأشعري .

غير الله ، من غرف أو تحف أو حور أو مأكول ، حجب عن الله تعالى، **ومن عرف الله تعالى ، صغر عنده كل شيء ، فارتفع عن بصره رداء الكبرياء لكل شيء ، فشهده تعالى في كل شيء .**

أما تراك تفتتح الصلاة بالتكبير ؟.

o **وأما حجابه :**

- **فالنور لأهل الجمال** ، كما تبدَّى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، أما سمعته صلى الله عليه وسلم يقول : **((رأيت نورا))(١) .**

- **والنار : لأهل الجلال** ، كما وقع لموسى عليه السلام قال : **{إِنِّي آنَسْتُ نَارًا}**(٢) .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **((اللهم اجعل في قلبي نورا إلى أن قال واجعلني نورا))(٣)** ، طلب من ربه أن يجعله من جميع الوجوه نورا دالاً ، وحجاباً يتنعم برؤيته من أراد التنعم بحسن النظر إلى الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **((الصلاة نور))(٤)** والله من أسمائه النور ، فأقام الصلاة مقامه . من دخلها بالتكبير ، ارتفع عنه الرداء . ومن دخلها بالحب والشوق ، زال عنه الحجاب ، وكان مع الأحباب **((أرحنا بها يا بلال))(٥) .**

١- سبق تخريجه ص ٢٦ .
٢- آية ١٠ سورة طه ، وآية ٧ سورة النمل ، وآية ٢٩ سورة القصص .
٣- أخرجه مسلم عن ابن عباس برواية النضر عن شعبة .
٤- أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري ، والبيهقي وابن ماجة والقضاعي وابن عساكر وأبو يعلي والديلمي عن أنس رضي الله عنه . وقال العامري : صحيح .
٥- أخرجه الدار قطني من حديث بلال وأبو داود من حديث رجل ، وقال الهيثمي : صحيح .

- **أما سبحات وجهه جل جلاله** : فلو كشفها **((لأحرقت ما انتهى إليه بصره من خلقه))**(١) . والسبحات : جمع سبحة ، والسبحة ما يتطوع به : من ذكر وصلاة وتسبيح ، فأنوار الطاعات هي سبحات وجهه جل جلاله ، ما دمت تشهد ذكرك لربك . فوجه ربك متجل عليك في حجابه بسبحة ذكرك ، ولا تزال تذكره، ويذكرك : **{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}**(٢) ، وذكره لك يبعدك عن شهود نفسك ، ونسبتك إلى العدم ، ويقربك من شهود توحيد ربك ، ونسبتك إلى القِدَم ، حتى ينكشف حجاب ذكرك له، وتتجلى لك سبحة ذكره لك ، فتحرق نسبة الأفعال والأذكار لك ، وتظهر نسبتها له جل جلاله : **((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها))**(٣) .

فالإحسان : **((أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))**(٤)، فأنت لا تشهد رؤية الله لك ، حتى تغيب عن صفتك ورؤيتك ومراقبتك، فكل عبادة تصحبها المراقبة ، فهي نور من حجب وجه الله ، تنظر أنت منه إليه ، وينظر هو منه إليك ، فإن رفعت حجاب المراقبة من بينكم ، شهدت رؤيته لك ، فانتهاء بصره هو من حيث كشفك وبصيرتك ، لا من حيث بصره ، فإن بصره لا نهاية له .

١- رواه مسلم وابن ماجة وأحمد عن أبي موسى .
٢- آية ١٥٢ سورة البقرة .
٣- رواه البخاري عن أبي هريرة . ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلي والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر عن أم المؤمنين عائشة . ورواه ابن السني في الطب عن سمويه . وأبو يعلي عن أم المؤمنين السيدة ميمونة .
٤- تقدم تخريجه ص ٣١ .

رؤية العباد لربهم يوم القيامة ، مختلفة النعيم .
فكل يراه في صورة عمله ، على حسب مراقبته ، واخلاص توجهه إليه ، وصدقه في إقباله عليه . وتلك الصور حقائق آيات أسمائه وصفاته وأخلاقه تعالى ، فما من آية منها تَخَلق بها العبد في الدنيا : إلا وقد تعرف الله تعالى إليه بها .

أما قوله : **((فيأتيهم ربهم في غير الصورة التي يعرفون))**، أي في ظلة آيات العذاب ويظهر الأعمال السيئة فيقولون : **((نعوذ بالله منك ، فيأتيهم في الصورة التي يعرفون))** ، أي في مظهر أعمال البر ، وظلة صفة الرحمة والنبوة ، التي كانت تحيي قلوبهم بغيث الهوى والعلم ، فيقولون : **((أنت ربنا)) . ((هل تمارون في رؤية القمر وفي رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟))(١).**
ووجه الله هنا : هو نور التوحيد ، وعبر بالقمر والشمس ، لاختلاف درجة الرؤيتين .
والسحاب هنا : هو سحاب الأعمال ، وظلل غمام الشرائع .
بل هو أقرب إليهم من أعمالهم .

أخطأ من قال : ما دام في بشريته ، فالكلام له من وراء حجاب .
ولكن إذا ارتفع حجاب البشرية ، فخلفه حجب أخرى . ويقع الكلام من الله لهذا العبد خلف حجاب آخر ، فالبشرية حجاب لا يرتفع أبدا ، ولكن يسترك الله عنه .

١- تقدم تخريجه ص ٣٩ .

- اعلم أن أعظم العذاب ، هو الحجاب عن الله .
- واعلم أن من لم ير الله تعالى ، فلا علمه نفع ، ولا جهله ارتفع .
- واعلم أن مَن وراء الحجاب ، لا يدعو الله إلا بكشف الحجاب ، فهذا هو فرضه ونفله .
- واعلم أن من لم يره في الدنيا ، لا يراه في الآخرة .
- واعلم أن الكشف والمشاهدة: هو جنة الجنة ، والحجاب: هو نار النار .
- واعلم أن الله تعالى لم يرضك إلا لرؤيته ، فلا ترض لغيبته .
- واعلم أن منهم من يراه ، ويحجبهم برؤيته ، عنهم .
- واعلم أن من مات ، انقطع ذكره لله ، ولا ينقطع ذكر الله له .
- واعلم أن من رأى وجه الله ، استوى عنده الكشف والحجاب .
- واعلم أن العلم - على من رأى وجهه جل جلاله - أضر من الجهل ، على من لم يره .
- واعلم أن الحسنة بعشر ، لمن لم يره ، وهي سيئة لمن رآه .

يا عبد : إذا رأيتني ، كانت سلامتك في الفترة ، أكثر منها في العبادة ، وإذا لم ترني ، كانت سلامتك في العمل ، أكثر منها في الفترة .

يا عبد : شاور من لم يرني ، في دنياك وآخرتك ، واتبع من رآني ، ولا تشاوره .

يا عبد : إذا رأيتني ، فانظر إليَّ أكن بينك وبين الأشياء ، وإذا لم ترني ، فنادني ، لا لأظهر ولا لتراني ، لكن لأني أحب نداء أحبائي لي .

يا عبد : طلبك مني ، وأنت لا تراني، عبادة . وطلبك مني ، وأنت تراني، استهزاء .

يا عبد : من رأى وجهي هو الواقف ، وكل واقف عارف ، وما كل عارف واقف ، فالواقفون أهلي ، والعارفون أهل معرفتي .

يا عبد : اطلب كل شيء عند الواقف تجده ، واطلب الواقف عند كل شيء لا تجده .

يا عبد : العارف يَعرف ويُعرف ، والواقف يَعرف ولا يُعرف .

يا عبد : احترق العلم في المعرفة ، واحترقت المعرفة في الوقفة . العارف يشك في الواقف ، والواقف لا يشك في العارف . فما بلغت معرفة من لم يقف . ولا نفع علم من لم يعرف .

يا عبد : العالم يرى علمه ، ولا يرى سواي ، والعالم يخبر عن العلم ، والعارف يخبر عن المعرفة ، والواقف يخبر عني .

يا عبد : إن خرج العالم من رؤية بُعدي احترق ، وإن خرج العارف من رؤية قربي احترق ، وإن خرج الواقف من رؤيتي احترق .

يا عبد : العلم حجابي ، والمعرفة خطابي ، والوقفة حضرتي .

يا عبد : العارف ذو قلب ، والواقف ذو رب . فإخباري للعارفين ، ووجهي للواقفين .

ما ألطف هذه الحجب ، وما أخفاها . قال تعالى : **{ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}**(١) ، مع وجود الحجب التي تمنعنا من رؤيته ، في هذا القرب العظيم ، وما نرى لهذه الحجب عينا ، فهي أيضا محجوبة عنا ، نعم يارب : ما نبصرك ولا نبصر الحجب ، فنحن خلف الحجاب ، وأنت منا بمكان الوريد ، أو أقرب إلينا منا .

١- آية ١٦ سورة ق .

*** والله غير محدود بحجاب ولا بغيره ، إلا أن يكون هو عين الحجاب ***

*** فما احتجبنا عنك إلا بك ، وما احتجبت عنا إلا بشدة ظهورك ***

*** و كيف نحتجب عنه ، ونحن مظهر من مظاهر ظهوره ***

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **((إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، ما يسمع من نفس من حس تلك الحجب إلا زهقت نفسه))(١) .**

فحجب النور من اسمه الظاهر ، وحجب الظلمة من اسمه الباطن .

وذلك هو ظهور الحق تعالى في مظاهر أعيان الممكنات ، بحكم ما هي الممكنات عليه من الاستعدادات .

فاختلفت الصفات على الظاهر ، لأن الأعيان التي ظهر فيها مختلفة .

فتميزت الموجودات ، وتعددت لتعدد الأعيان وتميزها .

فما في الوجود إلا الله وأحكام الأعيان .

وما في العدم شيء ، إلا أعيان الممكنات مهيأة للاتصاف بالوجود .

وحجب النور : هي حجب الروح .

وحجب الظلمة : هي حجب النفس ، فلا تخلص إليه تعالى إلا بعد اختراق حجب النفس الظلمانية .

فإذا جزتها ، وقعت في حجب الروح النورانية .

فالنفس وإن كانت مطمئنة فهي حجاب ، والروح وإن صفت فهي حجاب ، وليس ثم إلا الإطلاق : **{وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى}**(٢) .

١- أخرجه أبو يعلى والعقيلي والطبراني والبيهقي في الأسماء والصفات ، عن سهل بن سعد وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وأبو الشيخ في العظمة من حديث أبو هريرة وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى بلفظ "حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" ولابن ماجه "شيء أدركه بصره".

٢- آية ٤٢ سورة النجم .

الذكر

اذكرني مطلقا ، ولا تقيدني ، فكل ذكر مقيد لا ينتج إلا ما تقيد به .

الذكر من العبد باستحضار ، والذكر مِني بحضور .

إذ أنكم مشهودون لي ، معلومون . وأنا لكم معلوم ، لا مشهود .

وليس للذكر إلا شرط واحد ، وهو الكثرة : **{اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا}**(١)

الذكر المطلق أن تذكرني باسمي : الله ، الله ، لا غيره .

وغيره ، فمقيد ، لا ينتج إلا ما تعطيه دلالته ، من نفي الشريك في : لا إله إلا الله . أو التسبيح في : سبحان الله . أو التكبير في : الله أكبر .

ما أتى الذكر قط إلا بالإسم (الله) خاصة ، معرىً عن التقييد : **{اذْكُرُوا اللَّهَ}** وما قال بكذا : **{وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}**(٢) وما قال بكذا ، فمن ذكر : (الله ، الله) فكأنما ذكر كل ذكر ذُكِرَ الله به .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله))**(٣)، فأتى به مرتين ، مع تسكين الهاء ، فأثبت بذلك أنه ذكر على الانفراد ، ولم ينعته شيء .

فلولا أن قول الإنسان : (الله ، الله) له حفظ العالم الذي يكون فيه هذا الذكر، لم يقرن بزواله زوال الكون الذي زال منه : وهو الدنيا ، فهو ذكر الخاصة من عباد الله ، الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا ، وكل دار يكونون

١- آية ٤١ سورة الأحزاب .
٢- آية ٤٥ سورة العنكبوت .
٣- أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه والترمذي والحاكم عن أنس ، ورواه الحاكم في المستدرك وصححه عن عبد الله .

فيها ، فإذا لم يبق منهم أحد ، لم يبق للدنيا سبب حافظ ، يحفظها الله من أجله ، فتزول ، وتخرب .

وقوله تعالى : **{وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}**(١) بهذا الاسم : الله ، الذي يتضمن جميع الأسماء ، أكبر من كل اسم تذكره به سبحانه .

ينتقل الذكر من اللسان إلى ذكر بالجنان ، ويصير ذكر اللسان غفلة . ثم إلى ذكر بالروح ، ثم إلى ذكر بالسر : **((من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي))(٢)**، فيصير الذاكر مذكورا ، غائبا في الأنوار ، فهو الذاكر ، والمذكور ، والذكر .

الذاكرون في ذكره ، أكثر غفلة ، من الناسين لذكره . لأن ذكره سواه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر كمثل الميت والحي))(٣)**، فالذاكر لله تقوم به حياة ، لا تموت بالموت .

فهو لا يموت ، ولكنه ينتقل . وهي حياة أعلى درجة من حياة الشهيد بعد انتقاله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ألا أدلكم على خير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله))(٤)** إلا أن يكون الشهيد ذاكرا لله تعالى ، فتجتمع له حياتان : إحداهما للشهادة وأشرفها بالذكر .

١- آية ٤٥ سورة العنكبوت .
٢- أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة .
٣- أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي موسى .
٤- سبق تخريجه ص ٣٤ .

البأس

{فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}(١) .

إن الإنسان ولد على الفطرة ، وهو العلم بوجود الرب ، أنه ربنا ونحن عبيد له ، والإنسان لا يقبض - حين يقبض - إلا بعد كشف الغطاء ، فلا يقبض إلا مؤمنا ، ولا يحشر إلا مؤمنا ، عن علم وعيان محقق ، لا مرية فيه ، ولا شك من أن العلم بالله والإيمان به خاصة ، هذا هو الذي يعم ، غير أن الله تعالى لما قال : **{فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}** ولا بأس أشد من الموت ، فما بقى إلا هل ينفعه ذلك أم لا ؟ فما آمنوا إلا ليندفع عنهم ذلك البأس ، فما اندفع عنهم ، وأخذهم الله بذلك البأس ، فما رفع العقوبة عنهم ، إلا من اختصه الله ، وما ذكر أنه لا ينفعهم في الآخرة، ويؤيد ذلك قوله تعالى : **{فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ}** حين رأوا البأس **{كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}**(٢)، فهذا معنى قولنا : **{فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ}**، في رفع البأس عنهم في الحياة الدنيا ، كما نفع قوم يونس ، فما تعرض إلى الآخرة .

وأما نفع ذلك الإيمان في المآل ، فإن ربك فعال لما يريد ، ومع هذا فإن الله يقيم حدوده على عباده ، حيث شاء ، ومتى شاء .

١- آيات ٨٤-٨٥ سورة غافر .

٢- آية ٩٨ سورة يونس .

فقوله تعالى : **{سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ}**(١)، هو موضع الاستشهاد ، فحقت كلمة الله ، وجرت سنته في عباده ، أن الإيمان في ذلك الوقت ، لا يدفع عن المؤمن العذاب الذي أنزله بهم في ذلك الوقت ، إلا قوم يونس ، كما لا ينفع السارق توبته عند الحاكم ، فيرفع عنه الحد . مع علمنا بأنه تاب بقبول التوبة عند الله ، وحديث ماعز في ذلك صحيح(٢)، كذلك كل من آمن بالله عند رؤية البأس من الكفار ، إن الإيمان لا يرفع البأس عنهم ، مع قبول الله إيمانهم في الدار الآخرة ، فيلقونه ولا ذنب لهم، وما اختص قوم يونس إلا بالكشف عنهم في الحياة الدنيا عند رجعتهم .

١- آية ٨٥ سورة غافر .

٢- حديث ماعز رضي الله عنه ، حيث حاول الفرار أثناء رجمه فلحقه أحدهم وقتله فلما أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " هلا تركتموه، لعله يتوب ، ويتوب الله عليه؟ " رواه الحاكم في المستدرك وصححه والترمذي وحسنه وأبو داود وأحمد في مسنده .

المعراج

المعراج درجات : -

- إما عروج سماوات .
- وإما عروج أسماء وصفات .
- وإما عروج في أنوار الذات .

لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عروجه ، إلى المقام الذي لا يتعداه البراق ، وليس في قوته أن يتعداه ، تدلى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرفرف ، فنزل عن البراق واستوى على الرفرف ، وصعد به الرفرف ، وفارقه جبريل عليه السلام وقال : **{وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ}**(١)، ولما وصل به الرفرف إلى المقام الذي لا يتعداه الرفرف ، زج برسول الله صلى الله عليه وسلم في النور زجة ، غمره النور من جميع نواحيه ، ولم ير معه أحد يأنس به ، وقد أعطته المعرفة أنه لا يصلح الأنس إلا بالمناسب ، ولا مناسبة بين الله وعبده . فأعطته - صلى الله عليه وسلم - هذه المعرفة : الوحشة ، لانفراده بنفسه ، فنودي بصوت يشبه صوت أبي بكر - تأنيسا له - فحن لذلك ، وأنس به ، وتعجب من ذلك اللسان ، في ذلك الموطن ، وكيف جاءه من العلو ، وقد تركه بالأرض ، وقيل له في ذلك النداء : **((يا محمد قِف إن ربك يصلي))(٢)** فتعجب **!** إذ كيف تنسب الصلاة إلى الله ؟ .

١- آية ١٦٤ سورة الصافات .

٢- رواه السيوطي في اللآليء المصنوعة عن عطاء موقوفا وقال : رجاله ثقات . وأوضح رفعه من عطاء بن رباح لأبي هريرة . من رواية الطبراني في الصغير .

فلعظم مقام المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أقامه تعالى في مقام التفرغ له ، لزيادة العناية به ، فإن الذي ينال الإنسان من المتفرغ إليه ، أعظم وأمكن من الذي يناله ممن ليس له حال التفرغ إليه ، فما كان شغله عنه إلا به: **{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ}**(١) إنما غاب عنك من أجلك وفي حقك .

{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ}(١) عموما .

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ}(٢) خصوصا .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الأول على العموم ، ثم خصه الله تعالى في الثانى . فإن صلى تعالى وملائكته صلاة جماعة ، حيث جاء بضمير الجمع : **{يُصَلُّونَ}** يجمع بين الله تعالى وملائكته ، في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتميز النبي صلى الله عليه وسلم على سائر البشر ، بمرتبة لم يعطها أحد سواه ، بأن جمع له بصلاة جامعة، اشترك فيها الله وملائكته ، ومعلوم أن الصلاة في الجمعية ماهى الصلاة في حال الإفراد .

فلا تتخيل أن آل محمد صلى الله عليه وسلم : هم أهل بيته خاصة . ليس هذا عند العرب .

آل الرجل : هو كل من انتسب إلى الرجل من قريب أو بعيد(٣) .

أما أهل الرجل : فهم خاصته ، أهل بيته .

وقد يجمع الرجل بين الأهل والآل : كالحسن والحسين وجعفر ، وعلماء أهل البيت جميعا عليهم السلام .

١- آية ٤٣ سورة الأحزاب .
٢- آية ٥٦ سورة الأحزاب .
٣- وفي الحديث " آل محمد : كل تقي " رواه الطبراني في الأوسط عن أنس .

فقول :

((اللهم صل على محمد)) بأن تجعل آله من أمته أنبياء .

((كما صليت على إبراهيم)) بأن جعلت آله أنبياء ورسلا ، في المرتبة عندك .

((وعلى آل محمد)) ، **((و على آل إبراهيم))(١)** بما أعطيتهم من التشريع والوحي ، فأعطاهم الحديث ، فمنهم المحدَّثون ، وشرع لهم الاجتهاد ، وقرره حكما وشرعا .

١- أخرجه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن كعب بن عجرة .

العهد

من صحت مبايعته ثبتت ولايته .

العهد عهدان :

١- عهد خاص : وهو أول العهود **{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}** وهو آكدها **{وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}**(١)، **{وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ}**(٢)، فضمت شريعته جميع الإنس والجن والملك ، وجميع العوالم من حيوان وطير ونبات وجماد **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }**(٣)، وكانت الأنبياء في العالم نواب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ}**(٤)، والناس من آدم إلى آخر إنسان ، فمن زمان آدم عليه السلام إلى زمان بعثه صلى الله عليه وسلم ، ملكه : **((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))(٥) .**

١- آية ٧ سورة الأحزاب .
٢- آية ٨١ سورة آل عمران .
٣- آية ١٠٧ سورة الأنبياء .
٤- آية ٢٨ سورة سبأ .
٥- رواه الحاكم في مستدركه عن جابر ابن عبد الله وعن أم المؤمنين السيدة عائشة وصححه ، وأخرجه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجة وابن جرير وابن مردويه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة .

((كنت نبيا وآدم بين الماء والطين))(١) . فلما لم يتقدم في عالم الحس وجود عينه صلى الله عليه وسلم أولا : نُسِبَ كل شرع إلى من بُعِثَ به ، وهو في الحقيقة شرع محمد صلى الله عليه وسلم . فجميع الشرائع التي كانت في الأمم هي شرائع محمد صلى الله عليه وسلم ، بأيدي نوابه ، فكما وجه صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا إلى اليمن ، لتبليغ الدعوة . كذلك وُجِهَ الرسل والأنبياء إلى أممهم ، حيث كان نبيا وآدم عليه السلام بين الماء والطين ، فهو الداعي الأول ، حيث دعا الكل إلى الله تعالى ، فالناس أمته ، من آدم إلى يوم القيامة ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم : قام ليلة يقرأ قوله تعالى : **{إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**(٢)، **((فلما سئل ، قال : كنت أدعو لأمتي))**(٣)، ومن المعلوم أن هذا دعاء عيسى عليه السلام لأمته ، فلما ظهر بنفسه صلى الله عليه وسلم ، لم يبق حكمٌ إلا له ، ولا حاكم إلا رجع إليه ، ونسخ بالمتأخر المتقدم ، وقال صلى الله عليه وسلم : **((لا تفضلوني))**(٤) إذ أنه

١- تقدم تخريجه ص ٢٠ .
٢- آية ١١٨ سورة المائدة .
٣- حديث : " قام صلى الله عليه وسلم ليلة حتى أصبح بهذه الآية "أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد والنسائي وابن مردويه والبيهقي في سننه وابن ماجة عن أبي ذر ، وأخرجه مسلم والنسائي وابن أبي الدنيا في حسن الظن وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبد الله بن عمرو بن العاص .
٤- رواه بلفظ " لا تفضلوا بين أنبياء الله " البخاري ومسلم والبيهقي عن أبي هريرة ، وبلفظ " لا تخيروني من بين الأنبياء " رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن مردويه عن أبي سعيد ، وبلفظ " لا تخيروني على موسى " رواه البخاري ومسلم وأحمد والبيهقي وابن ماجة وأبو داود عن أبي هريرة . وبلفظ " لا تفضلوني على الأنبياء " ذكره ابن كثير في تفسيره وفي البداية والنهاية وفي قصص الأنبياء والبيجوري في شرح جوهرة التوحيد . وبلفظ " لا تفضلوني على يونس ابن متى " ذكره القرطبي في تفسيره والمباركفوري في تحفة الأحوذي وابن حجر العسقلاني في فتح الباري وابن حزم في الملل والنحل والبيجوري في شرح جوهرة التوحيد والإمام ابن الأثير في النهاية .

ليس لنا ، بل إلى الله الذي فضله تفضيلا .

وقال تعالى له : **{فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}**(١)، وهداهم من الله تعالى هو شرعه صلى الله عليه وسلم ، فـأمره أن يقتدى بالهُدَى ، لا بهم .

أي الزم شرعك الذي ظهر به نوابك .

إذا أردت أن ترى الحق ، على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانية ، فاعلم أن :-

- الحق تعالى مهما تجلى لك في مرآة قلبك ، فإنما يظهر لك في مرآتك على قدر مزاجها وصقلها .
- وظهور الحق في مرآة محمد صلى الله عليه وسلم أكمل ظهور ، وأعدله وأحسنه .
- فالزم الإيمان والاتباع ، واجعله أمامك مثل المرآة ، التي تنظر فيها صورتك وصورة غيرك .
- فلا تطلب مشاهدة الحق إلا في مرآة نبيك صلى الله عليه وسلم .
- واحذر أن تشهده في مرآتك ، أو تشهد النبي صلى الله عليه وسلم - وما تجلى في مرآته من الحق - في مرآتك ، ولكن في مرآته هو صلى الله عليه وسلم .
- ولا تطأ مكانا لا ترى فيه قدم نبيك صلى الله عليه وسلم .

٢- والعهد الثاني عهد عام : وهو دون العهد الأول **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا}(٢) .**

١- آية ٩٠ سورة الأنعام .

٢- آية ١٧٢ سورة الأعراف .

فلا تنظر لما عندي	فإن الأمر من عندك
ولا تطلب وفا عهدي	إذا ما خنت في عهدك
فوعدي صادق مني	إذا صدقت في وعدك
وما أوتيت إلا من	فساد كان في عقدك

فإقرارنا بربوبيته علينا ، عين إقرارنا بعبوديتنا له .

والعبودية بذاتها ، تطلب طاعة السيد : **{إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ}**(١). علة جواز التعذيب أنهم عباده ، فالتعذيب لا يحتاج في جوازه إلى معصية ولا كفر ، ولهذا لم يقل فإنهم عصوك ، وإنما مجرد كونهم عبادا ، يجوز للمالك أن يفعل بهم ما يشاء .

ولما أخذ الله العهد والميثاق: ألقمه الحجر الأسود ، وأمر بتقبيله ، تذكرةً . وأخبر بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم أن : **((الحجر يمين الله))**(٢) .

*** أشهدهم بربوبيته ، ولم يشهدهم بتوحيده ، إبقاء عليهم ***

*** لعلمه أن فيهم من يشرك به إذا خرج إلى الدنيا ***

١- آية ١١٨ سورة المائدة .

٢- حديث : " الحجر يمين الله " قال الحافظ العراقي : أخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن عمر . ورواه الطبراني في معجمه وأبو عبيد القاسم بن سلام عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه. فيه ، ورواه الديلمي عن أنس . ورواه الخطيب وابن عساكر والحارث بن أبي أسامة في مسنده عن جابر .

المحو والإعادة

أحوال تتجدد ، على عين لا تتعدد ، وبأحكام لا تنفد .

{بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ}(١).

فهم لا يعرفون أنهم في كل لحظة في خلق جديد .

فما يرونه في اللحظة الأولى ، ما هو عين ما يرونه في اللحظة الثانية .

فأنتم في خلق جديد ، بين وجود وانقضاء .

فالأحوال متجددة مع الأنفاس على الأعيان .

ولكنها لا تكاد تدرك ، لسرعة الأمر فيها .

١- آية ١٥ سورة ق .

الأنعام

لا فضل لك على الأنعام بالتسخير .

فإنني أحوجك إليها ، أكثر مما أحوجها إليك .

فجميع البهائم تفر منك ، إن وجدت إلى الفرار سبيلا .

وذلك لاستغنائها عنك ، ثم طلبك لها .

وبذل مجهودك في تحصيلها ، دليل على افتقارك إليها .

فمن تكون البهائم أغنى منه ، فكيف يحصل في نفسه أنه أفضل منها ؟

هل سمعت في النبوة الأولى والثانية قط ، أن حيوانا عصى أمري ؟

الاضطرار

إن المضطر هو الذي دعا ربه عن ظهر فقر إليه .

وما منع الناس الإجابة من الله في دعائهم إياه ، إلا كونهم يدعونه عن ظهر غنى ، لالتفاتهم إلى الأسباب وهم لا يشعرون .

وحتى المختار : فإن الإختيار منه يكون اضطراريا .

أي لابد أن يكون مختارا .

فالإضطرار أصل ثابت ، لا يندفع .

الصعق

خطاب موسى عليه السلام من الله تعالى ، خطاب مقيد بجهة ، مسموع بأذن ، لم يكن له توجه على القلب ، ولذا لم يصعق .

أما الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان نزولا قلبيا(١) .

اشتغل القلب بما يتلقاه ، فغاب عن تدبير بدنه فسمي صعقا .

وكذا الملائكة ، تصعق إذا تكلم الله بالوحي : **((كأنه سلسلة على صفوان))(٢) .**

فاطلب الرؤية ، ولا تجزع من الصعق .

فإن الصعق لا يحصل إلا بعد الرؤية .

ولابد من الإفاقة .

فإن العدم محال .

١- {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ **نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ** بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } آية (٩٧) سورة البقرة .

٢- حديث (الملائكة ...كأنه سلسلة على صفوان) أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الأرض

{يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ}(١) .

أرض بدنك هي الأرض الواسعة على الحقيقة ، التي أمرك الحق أن تعبده فيها .

وذلك أنه ما أمرك أن تعبده في أرضه ، إلا مادام روحك يسكن أرض بدنك ، فإذا فارقتها : أسقط عنك التكليف ، مع وجود بدنك في الأرض مدفونا فيها .

فتعلم أن الأرض ليست سوى بدنك ، وجعلها واسعة لما وسعته من القوى والمعاني .

١- آية ٥٦ سورة العنكبوت .

التفاضل

لا يرحم أحد من المخلوقين أحدا إلا بالرحمة ، التي أوجدها الرحمن فيه ، فهي رحمته تعالى ، لا رحمتهم .

ظهرت في صورة مخلوق .

كما قال في : **((سمع الله لمن حمده))**(١) أن ذلك القول هو قول الله تعالى على لسان عبده .

فقوله تعالى ، الذي سمعه موسى ، أتم في الشرف ، من قوله تعالى على لسان قائل .

فوقع التفاضل بالمحل الذي سُمِعَ منه ، القول المعلوم أنه قول الله .

وكذلك أيضا رحمته ، من حيث ظهورها من مخلوق ، أدنى من رحمته بعبده في غير صورة مخلوق .

فرحمة المخلوق عن شفقة ، ورحمة الله مطلقة .

١- رواه مسلم في صحيحه وعبد الرزاق في مصنفه وأحمد وأبو داود والنسائي عن أبي موسى الأشعري .

المفاتيح

{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ}(١) .

مفاتح الغيب ، هي الأسماء الإلهية التي لا يعلمها إلا الله العالم بكل شيء . وهي أصل عظيم ، تفرع عنه أسماء التكوين ، التي تكونت عنها جميع المخلوقات ، في قوله تعالى : **{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا}**(٢)، وتفرع عنها **{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}**(٣)، والمقليد : يعني المفتاح .

{أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء}(٤)، أي بالأسماء الإلهية ، التي صدروا عنها ، واستندوا إليها ، في إيجاد أعيانهم .

١- آية ٥٩ سورة الأنعام .
٢- آية ٣١ سورة البقرة .
٣- آية ٦٣ سورة الزمر . وآية ١٢ سورة الشورى .
٤- آية ٣١ سورة البقرة .

التجلي

الحق تعالى ما تجلى لشيء قط واحتجب عنه .

ولا كتب في قلبه إيمانا فمحاه .

وكل من قال : استتر عني بعد التجلي ، فما تجلَّى له قط .

ولكن جُلِّيَ له .

وكذا فإن الله تعالى لا يوجِد شيئا ثم يعدمه أبدا .

آدم عليه السلام

{اسْجُدُواْ لآدَمَ}(١) .

اللام ، لام العلة والسبب .

أي من أجل آدم .

فالسجود لله ، من أجل آدم ، سجود شكر .

لما علمهم الله من الأسماء ، على يدي آدم عليه السلام .

{فَتَابَ عَلَيْهِ}(٢) ، أي تاب عليه كله ، وذريته فيه .

فأسعد الله الكل .

١- آية ٣٤ سورة البقرة . آية ١١ سورة الأعراف . آية ٦١ سورة الإسراء . آية ٥٠ سورة الكهف . آية ١١٦ سورة طه .

٢- آية ٣٧ سورة البقرة ، آية ١٢٢ سورة طه .

القرآن

{عَلَّمَ الْقُرْآنَ}(١) أي علَّم القرآن أين ينزل من الإنسان .

هل في النفس ؟ أو في القلب ؟

وفي أي قلب يستقر ؟ وعلى أي قلب ينزل ؟

فالرحمن ، علم القرآن النزول إلى قلوب عباده المؤمنين ، التي وسعته .

فهو نزول منه ، إليه .

{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}(٢) اي علم القرآن كيف يبين .

فإنه قال فيه : **{هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ}**(٣) .

فَعَلِّم القرآن ، تكن نائب الرحمن .

{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ}(٤) .

قال الإمام أحمد رضي الله عنه : رأيت ربي عز وجل في المنام .

فقلت له : بم يتقرب إليك المتقربون ؟

قال يا أحمد : بكلامي .

فقلت يا رب : بفهم ، وبغير فهم ؟

فقال : بفهم ، وبغير فهم .

بفهم : وهذا لعلماء الشرع . وبغير فهم : أي بذوق ، وهو للعارفين .

فَهُم لا يفهمون كلام ربهم ، إلا بالكشف والذوق ، لا الفهم ، والفكر .

١- آية ٢ سورة الرحمن .
٢- آية ٤ سورة الرحمن .
٣- آية ١٣٨ سورة آل عمران .
٤- آية ٥١ سورة العنكبوت .

وعلى هذا فاعلم أن قاريء القرآن على مراتب :

- منهم من يقرأ ، والقرآن يلعنه ، وهم العاصون الظالمون الفاسقون .
- ومنهم من يقرأ القرآن ، لا يجاوز حناجرهم(١) ، وهم أهل النفاق في الإسلام .
- ومنهم من يقرأ القرآن ، وقراءته حرام ، وهو الذي لا يضبط تشكيل حروفه ، ويلحن فيها . فهذا الصلاة على النبي في حقه أولى .
- ومنهم من يقرأ القرآن ، وقراءته مكروهة ، وهو الذي لا يحكم قواعد التجويد ، ولا يقرأ بها .
- ومنهم من يقرأ القرآن ، ويتتعتع فيه(٢) ، وهو الحافظ الذي يقرأ القرآن مرتلا ، إلا أن حفظه ليس بجيد ، فيجد صعوبة في مراجعته ، فله أجران : أجر التلاوة ، وأجر المشقة .
- ومنهم الماهر بالقرآن(٣) ، الذي يقرأه عن ظهر قلبه ، قراءة محكمة ، لا يكاد ينسى حرفا .
- ومنهم حامل القرآن ، الذي قام به الليل(٤) ، وعمل به في النهار ، فحمل أنواره ، وعادت عليه بركته ، إلا أنه يجد صعوبة في ذلك : **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ}**(٥) .

١- حديث " ... القرآن .. لا يجاوز حناجرهم " رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان عن حذيفة . وأبو يعلي عن أنس وصححه السيوطي ، ومالك في الموطأ والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والبيهقي عن أبي سعيد . وأحمد والبيهقي عن جابر .

٢- حديث " والذي يقرؤه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران " متفق عليه [البخاري ومسلم] وأبو داود وابن ماجة عن أم المؤمنين السيدة عائشة

٣- حديث " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة " ، متفق عليه [البخاري ومسلم] وأبو داود وابن ماجة عن أم المؤمنين السيدة عائشة .

٤- حديث " قيام الليل فريضة على حامل القرآن ولو ركعتين " رواه الديلمي عن جابر رضي الله عنه .

٥- آية ١٢١ سورة البقرة .

- ومنهم أهل القرآن ، الذين رسخوا في أسراره وأنواره ، حتى صاروا هم والقرآن شيئا واحدا ، وإمام هؤلاء هو رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((كان خلقه القرآن))(١)** ، فهم : **((أهل الله وخاصته))(٢)** ، وارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اعلم أن القرآن هو كتاب الله المنزل .

بل مُجَدَد الإنزال على قلوب التالين له ، دائما أبدا .

لا يتلوه من يتلوه ، عن تدبر وتفهم ، إلا عن تجدد تنزيل ، من الله الحكيم الحميد .

وقلوب التالين له : عروشٌ ، يستوى عليها في نزوله ، إذا نزل !

وذلك إذا نزل القرآن على قلب عبدٍ ، وظهر فيه حكمه ، واستوى على عرشه ، وكان خلقا لهذا القلب : **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ}**(٣) ، **{نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ}**(٤) ، وإلا فهو منزل على الألسنة فقط ، لا على الأفئدة .

ونزوله على القلب ، له لذة لا تعادلها لذة ، وتفوق كل لذة .

فإذا وجدها ؛ فذلك الذي نزل عليه القرآن من جديد - الذي لا يبلى - هو الوارث المحمدى .

١- البخاري في الادب المفرد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن يزيد بن بابنوس عن أم المؤمنين السيدة عائشة . وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وأحمد وأبو داود وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن سعد بن هشام عن أم المؤمنين السيدة عائشة وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي الدرداء عن أم المؤمنين السيدة عائشة وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن السيدة عائشة وأخرجه ابن مردويه عن زينب بنت يزيد بن وسق عن السيدة عائشة .

٢- حديث " أهل القرآن هم أهل الله وخاصته " : رواه أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن أنس ، وصححه السيوطي . ورواه أبو القاسم بن حيدر في مشيخته عن علي ابن أبي طالب ، وحسنه السيوطي .

٣- آية ١٩٣ سورة الشعراء .

٤- آية ٩٧ سورة البقرة .

وما عداه ؛ فإنما يقرأ القرآن من خياله ، فهو يتخيل صورة الحروف المرقومة . فليس التالي إلا من تلاه عن قلبه ، الذي له في كل تلاوة ، فَهْمٌ في الآية ، لم يكن له ذلك الفهم في التلاوة التي قبلها ، ولا يكون في التلاوة التي بعدها .

إذا أردت أن يسمع الله منك تلاوة القرآن ، ويرسمك في ديوان التالين ، فاعلم أن : على اللسان تلاوة ، وعلى الجسم - بجميع أعضائه - تلاوة ، وعلى النفس تلاوة ، وعلى القلب تلاوة ، وعلى الروح تلاوة ، وعلى السر تلاوة ، وعلى سر السر تلاوة .

- **فتلاوة اللسان** ، ترتيل الكتاب على القواعد المعروفة .
- **وتلاوة الجسم** ، المعاملات على تفاصيلها .
- **وتلاوة النفس** ، التخلق بالأسماء والصفات .
- **وتلاوة القلب** ، الإخلاص والفكر والتدبر .
- **وتلاوة الروح** ، التوحيد .
- **وتلاوة السر** ، الإتحاد : **صفةً** ، **لا** ، **ذاتاً** : **((كنت سمعه ... وبصره ورجله ...))(١)** .
- **وتلاوة سر السر** ، الأدب : وهو التنزيه الوارد عليه ، من الإلقاء منه ، جل وعلا .

فمن قام بين يدي سيده ، بهذه الأوصاف كلها ، فلم يُرَ جزء منه ، إلا مستغرقا فيه ، على ما يرضاه منه ، كان عبدا كليا . ولا يكون فيه - للحق تعالى - من عبودية الاختصاص ، إلا على قدر ما اتصفت به ذاته .

١- تقدم تخريجه ص ٣٠ .

فثَمَّ عبدٌ ، يكون لله فيه السدس ، ولهواه ما بقى . ولله فيه الخمس ، ولهواه ما بقى . على قدر ما يحضر منه ، من الحق تعالى .

فمن تحرك بالله ، ولله ، ومع الله ، وفي الله ، وإلى الله ، وعن الله ،

فهو العبد الذي يسمع الله منه .

قال تعالى : **{الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}**(١).

فالسماع من أجَلّ مقامات الروح ، وأعلى مقامات السعادة ، وذلك لمن سعد بسماع خطاب الحق تعالى .

وفرق كبير بين :

١- سماع النار ، لله ، حيث يأمرها ، فيقول :

{يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}(٢).

٢- وبين سماع ذرات الإنسان ، عن الله تعالى يقول :

{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} ؟ (٣) .

انظر إلى لطف الاستفهام الصادر من الله تعالى ، إلى هذا الإنسان المكرَّم في الوجود .

فكان للنار أمرا ملزما ، وقهرا مبرما .

وكان للإنسان لطفا مؤنسا ، وسماعا مسعدا .

فمن سمع عن الله تعالى ، بهذا اللطف والحنان ، فلابد له من الانفعال له بالطاعة ، المسبوقة بالحب .

١- آية ١٨ سورة الزمر .
٢- آية ٦٩ سورة الأنبياء .
٣- آية ١٧٢ سورة الأعراف .

ومن سمع سماع النار ، فلابد له أيضا من الطاعة ، المسبوقة بالخوف والخشية .

أما من سمع من الله تعالى بالوسائط ، كسماع الناس من الأنبياء والعلماء ، فمنهم من أطاع ، ومنهم من عصى .

وصاحب السماع : هو موسى عليه السلام :

{نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ}(١)، فلما سمع ما سمع ، طار فؤاده من الفرح ، فطلب ما هو أعلى :

فقال : **{رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ}**(٢) .

فرد عليه ربه : **{قَالَ لَن تَرَانِي}**(٣) .

إذ أن **صاحب النظر** : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}(٤) .

((رأيت ربي عز وجل))(٥) .

فاشكر الله على السماع ، ولا تطمع في الرؤية {يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ}(٦).

١- آية ٣٠ سورة القصص .
٢- آية ١٤٣ سورة الأعراف .
٣- آية ١٤٣ سورة الأعراف .
٤- آية ١٧ سورة النجم .
٥- سبق تخريجه ص ٢٦ .
٦- آية ١٤٤ سورة الأعراف .

وأعلى السماع : سماع الأرواح ، قبل تعلقها بالأشباح ، ثم سماعها بعد التعلق ، ثم سماع القلب ، ثم سماع الأذن ، وهو السماع الظاهر .

فمن كان سماعه بروحه وقلبه ، لم ينقطع سماعه ، وينقضى بالموت ، بل يزيد سماعه به ، فهم أهل سماع دائم .

إذا نظروا للأكوان ، سمعوا بتسبيح كل ما هو شيء : **{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}**(١)، وإذا اختطفه الله تعالى عن الكون ، سمع كلام الحق .

١- آية ٤٤ سورة الإسراء .

الحديث

{إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى}(١) .

يدل على أن الحديث مثل القرآن بالنَّص .

وقال تعالى في نطقه صلى الله عليه وسلم : **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى}**(٢)

حين قال في غيره من الرسل الخلفاء : **{وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى}**(٣) .

فهو صلى الله عليه وسلم : لسان حق ، ظاهر في صورة خلق .

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن هواه .

بل ينطق عن الله تعالى .

وإن لم نسم كل كلام الله قرآنا - مع علمنا أنه كلام الله .

فكلمات الله كثيرة ، لا تنحصر في القرآن فقط .

إذ أن كلامه صفته ، وصفته ليست محدودة :

{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ}(٤) .

*** فهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق إلا عن الله ***

*** بل لا ينطق إلا بالله ***

*** بل لا ينطق إلا من الله ***

فان الله تعالى : سمعه ، وبصره ، ولسانه (٥).

١- آية ٤ سورة النجم .
٢- آية ٣ سورة النجم .
٣- آية ٢٦ سورة ص .
٤- آية ١٠٩ سورة الكهف .
٥- حديث " كنت سمعه ... وبصره ....ولسانه " تقدم تخريجه ص ٣٠ .

والقول بالنسخ - في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالتاريخ - غير لائق برتبته ، صلى الله عليه وسلم .

لأنه كان يترقى في الزمن الفرد ، إلى مقامات ، لا يبلغها الإحصاء .

فكل حديث قاله في زمن ، إنما قاله بلسان ذلك المقام ، الذي هو فيه .

ومقاماته غير محصورة .

واعلم أن للحديث :

- من جهة الله ، حكم .
- ومن جهة الخلق ، حكم .
- ومن جهة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، حكم .
- بل وعند كل إمام من الأئمة ، حكم .

والعارف يعلم حكمة الحديث الواحد ، من سائر الوجوه .

ويراه يقبل ذلك كله .

الإعراض

{فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا}(١) .

المتولي هنا : عن الذكر ، لا عن الله .

فإن التولي عن الله ، لا يصح .

كيف يتولى عمن هو له بالمرصاد ؟

فكأنه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم :

أظهر له صفتي ، في إعراضك عنه ، لعله يتنبه .

١- آية ٢٩ سورة النجم .

القيامة

القيامة : هي ، أن الخلق جميعاً يقومون بعبودية الله ، ولا يفعلون شيئا آخر غير العبودية .

فمن نظر من العارفين إلى الناس ، وجدهم جميعاً يقومون بعبودية الله في هذه الدنيا ، سواء منهم الخيرِّ والشرير :

{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}(١)

لأنهم جميعا مقهورون تحت حكمة وأمره .

فهؤلاء العارفون ، عندهم هذه الدنيا هي نفسها القيامة .

١- آية ٤٤ سورة الإسراء .

السعي

{فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا}(١).

ما في الدنيا أشرف من السعي على العيال ، الذين جعلك الله وكيلا عنهم ، في رزقهم وكسوتهم ، وتعليمهم وإرشادهم .

أنظر إلى موسى عليه السلام :

ما وقع له الكلام والتجلي ، إلا حين أراد السعي على عياله .

وهناك رزق يأتي إليك بلا سعي ، فلا يقال في هذا السعي أفضل .

ورزق لابد وصولك إليه من السعي ، فلا يقال لو ترك هذا السعي كان أفضل .

١- آية ١٠ سورة طه .

التوجه

روح العبد قد أحاطت بجميع الجهات .

فلا يستقبل الحق تعالى من العبد إلا الروح : **{فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ}**(١) .

والله تعالى محيط بجميع الجهات .

أما ظاهر العبد فهو متوجه إلى الكعبة المشرفة .

فإن كان صاحب كشف ، كشف الله له حقيقة التوجه إلى الكعبة المشرفة ، وما فيها من الأسرار والأنوار والتجليات ، فذلك صاحب توحيد .

أما أهل الحجاب ، فتتوجه ظواهرهم إلى بيت مبنى من حجارة ، وبواطنهم إلى أمور الدنيا ، ومحبوبات النفس ، فأشبهوا عبيد الأوثان .

١- آية ١١٥ سورة البقرة .

الجسد

قال تعالى : **{مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}**(١) .

وإنما خلق بيديه هذا الجسد المطهر المفخم .

تعبدت فيه عبادة المخلصين ، حيث لا غرض .

وكلما تعبدت فيه ، رأيته محرابا وسع العالمين ، أعلاه فوق السماء السابعة ، وأسفله : لا أدري أين أسفله . كيف ؟ وقد وسع الروح ، التي هي نسخة العالم ، من عرشه إلى فرشه ، ولكن وسعهم من حيث العادة فضَلُّوا به ، أما أنا فقد وسعني من حيث العبادة ، فَهِمْتُ فيه ، وفَهِمْتُ منه. وما دام هذا الجسد قائما حيا ، فله الأمر والسيادة على الروح ، والعقل ، والقلب ، فعن أمره صدروا ، وعن أمره ردوا .

صليت في محرابه ، **فذّاً** ، **وجماعة** .

فتارة أنظر إلى نفسي : **{وَفِي أَنفُسِكُمْ}**(٢) ، فأكون فذا .

وتارة أنظر فيه ، معها : **((وفي بضع أحدكم صدقة))(٣)** فأكون بها جماعة ، لا تصح إلا معها ، وهذه هي الجماعة التي لا تصح إلا بالمرأة .

من أعطتك جسدها ، فقد أعطتك قبله روحها ، وعقلها ، وقلبها .

فجسدها آخر ما تصل إليه ، فإذا وصلت إليه فأنت الملك الذي فتح المدينة وحده .

١- آية ٧٥ سورة ص .

٢- آية ٢١ سورة الذاريات .

٣- رواه مسلم وأحمد وابن حبان والبزار والبيهقي في السنن عن أبي ذر .

لا فرحة في الدنيا أعظم من فرحة هذا اللقاء **((إن للزوج لشعبة ما هي لشيء))(١) .**

لو كانت العبادة جائزة لغيره تعالى ، لعبدت المرأة الرجل : **((لو كنت آمرا أحدا ، أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها))(٢) .**

النظر إلى الجسد عبادة : **{وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ}**(٣) .

تقبيل الجسد عبادة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((القبلة بحسنة والحسنة بعشر أمثالها))(٤) .**

فلنجعل الله تبارك وتعالى نصب أعيننا ، وفي قلوبنا ، وفي قبلتنا ، وخيالنا، حتى كأنما نراه ، لا ، بل نراه فينا .

فهو الظاهر في كل محبوب ، لعين كل محب ، وما في الوجود إلا محب .

فالعالم كله محب ومحبوب ، وكل ذلك راجع إليه .

كما أنه لم يُعبَد سواه .

فإنه ما عُبِدَ مَن عُبدَ إلا بتخييل الألوهية فيه ، ولولاه ما عبد :

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ}(٥) .

١- رواه ابن ماجة والحاكم في المستدرك عن محمد بن عبد الله بن جحش وصححه السيوطي.

٢- أخرجه البزار والحاكم والبيهقي في سننه والترمذي وابن حبان والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والنسائي عن أبي هريرة ، وأخرجه الحاكم وصححه عن بريدة ، وأخرجه أحمد والنسائي عن أنس ، واخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجه عن أم المؤمنين السيدة عائشة ، وأحمد عن معاذ ابن جبل ، وصححه السيوطي . وأخرجه أبو داود من حديث قيس ابن سعد ، وأحمد وابن ماجة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى .

٣- آية ٢١ سورة الذاريات .

٤- أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر وصححه السيوطي .

٥- آية ٢٣ سورة الإسراء .

قال الجيلي في عينيته :

تَجَلّى حَبيبي في مَرائي جَمالِهِ فَفي كُلِّ مَرأىً لِلحَبيبِ طَلائِعُ
فَلَمّا تَبَدّى حُسنُهُ مُتَنَوِّعاً تَسَمّى بِأَسماء فَهُنَّ مطالعُ
وَأَبرزَ مِنهُ فيهِ آثار وَصفِهِ فَذَلِكُمُ الآثارُ مَن هُوَ صانعُ
فَأَوصافُهُ وَالاسمُ وَالأَثَرُ الَّذي هُوَ الكَونُ عَينُ الذاتِ وَاللَهُ جامِعُ
فَما ثَمَّ مِن شَيءٍ سِوى اللَهُ في الوَرى وَما ثَمَّ مَسموعٌ وَما ثَمَّ سامِعُ

قال ابن عربي في ترجمان الأشواق :

لَقَد صارَ قَلبي قابِلاً كُلَّ صورَةٍ فَمَرعىً لِغِزلانٍ وَدَيرٌ لِرُهبانِ
وَبَيتٌ لأوثانٍ وَكَعبَةُ طائِفٍ وَأَلواحُ تَوراةٍ وَمُصحَفُ قُرآنِ
أَدينُ بِدَينِ الحُبِّ أَنّي تَوَجَّهَت رَكائِبُهُ فَالحُبُّ ديني وَإيماني

وكذلك الحب : ما أحب أحد غير خالقه . ولكن احتجب عنه تعالى ، بحب النساء ، والدنيا ، والدرهم ، وكل محبوب في العالم .

فأفنت الشعراء كلامها في الموجودات وهم لا يعلمون .

أما العارفون ، فإنهم لم يسمعوا شعرا ، ولا غزلا ، ولا تمدحا ، إلا فيه . من خلف حجاب الصور . فإذا انهدم هذا المحراب ، بما يسمى موتا ، وتحللت ذراته ، تخللت كل موجود، من جماد ونبات ، وحيوان وإنسان ، وأصبحت كل ذرة منه تدور في فلك أجسام أخرى ، وصارت الرياسة للروح المجردة ، التي لا تزال تحن إلى هذا الجسد ، حنين المرأة للرجل ، وحنين الرجل لوطنه ، من خلف السدود ، إلى أن يركب لها من جديد ، في الحشر والنشور .

الخلاء

إذا دخلت الخلاء : حرم عليك ذكر اللسان ، لتتعود ذكر القلب .

((فكرة ساعة خير من عبادة ستين عاما))(١) .

فانظر إلى فضل العبادة في الخلاء .

فقبل الدخول : تتعوذ من الخبث والخبائث ، حتى لا يفسدوا عليك ذكر القلب ، وهو التفكر في رحمة الله بك ، حيث يخرج منك الأذى بغير ألم - إن لم يكن بلذة - فتحمده بقلبك ، على ما أنعم عليك ، من وصول بركة الغذاء إليك ، وخروج الأذى عنك .

والموقف الثاني المأمور فيه بالتعوذ : قبل قراءة القرآن ، تتعوذ من الشيطان الرجيم ، طاعة للأمر الإلهي : **{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}**(٢) .

١- تقدم تخريجه ص ١٠٩ .
٢- آية ٩٨ سورة النحل .

الأدب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((أدبني ربي فأحسن تأديبي))**(١) .

كمال المعرفة يقتضي كمال الأدب .

الأدب في حق العارف فريضة ، كالتوبة في حق العاصي .

كيف لا يكون متأدبا ، وهو أقرب الخلق إلى الخالق ؟

قال إبراهيم عليه السلام : **{الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}**(٢)، ولم يقل يمرضني ، فأضاف الخير إلى الله تعالى ، وأضاف الشر إلى نفسه ، ثم أضاف الشفاء إلى الله تعالى .

قال يوشع بن نون عليه السلام : **{وَمَا أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ}**(٣)، فنسب الإنساء إلى الشيطان .

قال الخضر في العيب **{فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا}**(٤)، فنسب العيب لنفسه .

وقال في المحمود **{فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا}**(٥)، فنسب الخير لله .

١- ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود وصححه السيوطي ، وأخرجه العسكري في الأمثال وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان عن علي وصححه أبو الفضل بن ناصر في الدرر . وأخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن جده . وأخرجه ابن عساكر من حديث أبو بكر وأخرجه ثابت السرقسطي في الدلائل وجزم به ابن الأثير في خطبة النهاية ، وحكم عليه ابن حجر بالغرابة في بعض فتاويه .

٢- آيات ٧٨ – ٨٠ سورة الشعراء .

٣- آية ٦٣ سورة الكهف .

٤- آية ٧٩ سورة الكهف .

٥- آية ٨٢ سورة الكهف .

وقال في موضع الحمد والذم **{فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا}**(١)، لما فيه من تضمن الذم : في قتل الغلام بغير نفس ، ولما فيه من تضمن الحمد : في حق ما عصم الله - بقتله - أبويه .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكفيه شهادة الله تعالى ، حيث قال : **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**(٢) ، **{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}**(٣) .

الأدب ثلاثة : أدب الروح ، وأدب القلب ، وأدب النفس

أما أدب الروح : بعدم الالتفات لسواه .

وأدب القلب : بعدم الالتفات للحظوظ القلبية .

وأدب النفس : بعدم الالتفات للحظوظ النفسية .

١- آية ٨١ سورة الكهف .
٢- آية ٤ سورة القلم .
٣- آية ١٧ سورة النجم .

القرابة

قال تعالى : **{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}**(١) .

ومن الأقوال المأثورة : " الأقربون أولى بالمعروف " .

والأقربون على نوعين :

- قرابة طينية .
- وقرابة دينية .

والمعتبر في الشرع : القرابة الدينية .

فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : **((لا يتوارث أهل ملتين))(٢) .**

فلولا الدِّين ، ما ورث قرابة الطين شيئا .

وسئل أحد العارفين عن قولهم : " الأقربون أولى بالمعروف " ؟ فقال أي إلى الله .

١- آية ٢١٤ سورة الشعراء .

٢- أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي أمامة رضي الله عنه ، وأخرجه الحاكم والنسائي عن أسامة ابن زيد ، والترمذي عن جابر بن عبد الله ، وأحمد وابو داود وابن ماجة والبيهقي وابن عساكر وابن أبي شيبة وسعيد ابن منصور عن ابن عمرو ، والبيهقي عن أبي هريرة ، وسعيد ابن منصور عن الضحاك مرسلا ، وعبد الرزاق والدارمي والبيهقي وسعيد ابن منصور عن عمر ، وعند مالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أسامة ابن زيد بلفظ : "لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم"

أين مرتبتك ؟

الإنسان قطب الفلك .

وهو العمد : **{رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا}**(١) .

ألا تراه إذا انتقل من الدنيا خربت ، وزالت الجبال ، وانشقت السماء ، وانكدرت النجوم . فالإنسان هو العين المقصودة . فهو مجموع العالم كله. ومن أجله خلقت الجنة والنار ، والآخرة والدنيا ، وفيه ظهر مجموع الأسماء الإلهية وآثارها . وهو المكلف المختار ، وهو المجبور في اختياره. وله يتجلى الحق تعالى بالحكم ، والقضاء والفصل . وعليه مدار العالم كله ، ومن أجله كانت القيامة ، وبه أخذ الجان ، وله سخر ما في السماوات والأرض . ففي حاجته يتحرك العالم كله علوا وسفلا .

فالإنسان الكامل هو عمد السماء ، الذي يمسك الله بوجوده السماء أن تقع على الأرض ، فإذا زال ، وانتقل إلى البرزخ ، هوت السماء ، وانشقت .

وهو الرواسي : **{وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ}**(٢) .

*** خضعت الملائكة بالسجود لك ***

*** فما من ملأ أعلى إلا بك مشتغل ***

*** وما من ملأ أدنى إلا يتضرع إليك ويبتهل ***

*** فهُم بين مستغفرٍ لك ، ومصلٍ عليك ***

*** وحامل سلام ، يوصله من الحق تعالى ، إليك ***

١- آية ٢ سورة الرعد .

٢- آية ١٥ سورة النحل ، وآية ١٠ سورة لقمان .

فإذا جلس الإنسان في مكان ، فهو سيد المكان .

نظرت إليه كل ذرة في هذا المكان ، نظر إكبار وتعظيم واقتداء .

فإذا ذكر الله ، ذكرت معه كل ذرة في هذا المكان ، من جماد ، ونبات ، وحيوان ، وجن ، وملك : **{يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ}**(١)، فإذا استغفر الله تعالى ، استغفر له كل ما في المكان ، ممن سمع صوته .

فإذا عصى الله تعالى : كبر ذلك على جميع المخلوقات المطلعة عليه ، وعظم ذلك عليها ، أن يعصي الله تعالى هذا المخلوق ، مع ماله من تشريف ، فتستغفر الله تعالى له ، عسى أن يرجع ، فتتخذ عنده يدا ، فإذا كرر ذلك مرة بعد مرة ، استأذنت في إهلاكه ، انتصاراً لله تعالى .

فاشكر الله تعالى أيها الإنسان ، على ما خصك به الجواد الرحمن ، من كمال هذه النسبة ، وأوقفك على معاني هذه الخلافة .

*** فابحث عن وجودك ***

*** وأين مرتبتك من معبودك ؟ ***

*** وميز بينك وبين عبيدك ***

١- آية ١٠ سورة سبأ .

الخرس

لا يزال العارف ، أخرس اللسان ، بين يدي الحق عز وجل .

فالهيبة تمنعه عن الطلب منه .

ويظل العارف كذلك ، حتى يرده إلى مصالح الخلق ، فإذا رده إليهم ، رفع الكلال عن لسانه ، والعجمة عنه .

وهكذا كان حال كليم الله موسى ، حين كان يرعى الغنم ، وتجلى له ربه ، كلَّ لسانه ، وسكت .

فلما أراد أن يرده إلى الخلق ، ويذهب إلى فرعون ، قال : **{وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي}**(١)، **{وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا}**(٢) أي لأنه أقل مني في المعرفة .

أما ترى إلى موسى وهارون ، عليهما السلام ، لما ذهبا إلى فرعون ، كان موسى هو المتكلم ، ولم ينطق هارون بكلمة واحدة .

١- آية ٢٧ – ٢٨ سورة طه .

٢- آية ٣٤ سورة القصص .

القلم

أقسم الله تعالى به ، فقال : **{ن وَالْقَلَمِ}**(١) .

ثم أقسم بكل ما يكتبه ، فقال : **{وَمَا يَسْطُرُونَ}**(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : **((أول ما خلق الله تعالى القلم))(٢) .**

فالقلم له الاحترام والتشريف والإكرام .

لا يُهان ، ولا يُلقى ، ولا يُداس ، بل ويُحمَل على العين والرأس .

لو يعلم الناس فضله ، ما خلا أحد من حملِه ، وما حُرِم أحد من بركة اقتنائه ، وما كتب أحد به خطا ، أو حرفا ، إلا واستغفر له ذلك الحرف ، مادام مكتوبا . لأنه أظهره إلى الوجود ، بعد أن كان عدما .

فإن كتب به ذكرا ، أو قرآنا ، أو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، خلق الله تعالى من هذا الذكر ملائكة وأرواحا ، لا ينقطع ذكرها وصلاتها، وكل ذلك في صحيفة هذا العبد الذي كتب . **{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}**(٣) .

١- آية ١ سورة القلم .

٢- أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه والطبراني ووثق رجاله الهيثمي والبيهقي في الأسماء والصفات والخطيب في تاريخه والضياء في المختارة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية وأبو يعلي وقال الهيثمي : رجاله ثقات ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وأخرجه ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وصححه وابن مردويه وأبو داود عن عبادة بن الصامت وأخرجه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة ورواه أحمد وابن أبي شيبة وابن منيع وابن جرير وابو يعلي والطبراني وسعيد ابن منصور عن أبي ذر .

٣- آية ٤٤ سورة الإسراء .

التصريف

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل))(١)** وصح كذلك **((لا يرد القضاء إلا الدعاء))(٢)** وورد أن : **((الدعاء ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء))(٣) .**

رأى العارف عبد القادر الجيلاني ، في اللوح المحفوظ ، أن تلميذا له لابد أن يزني بسبعين امرأة ، فقال : اجعلها في النوم . فكان ذلك .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم : **((الدعاء يرد البلاء))(٤) .**

انظر كيف يتصرف الإنسان في العالمين بدعائه ، فهذا أعظم أبواب التصريف ، ويتفرع منه أن الإنسان إذا أراد فعل شيء وتخيله أمامه ، كان . كمن أراد أن يحفظ الله تعالى أهل بلده ، أو أهل بيته ، فتخيلهم أمامه ، أو تخيل تلك القرية ، ثم حصنها التحصين العظيم : وهو المعوذتان ، حصل ذلك ، ولو فصلت بينهم المسافات والحدود .

١- أخرجه مسلم في صحيحه وأحمد وابن ماجة وأبو داود وابن أبي شيبة والطبراني عن أبي الدرداء . وابن عدي في الكامل والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة .

٢- أخرجه أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك وابن أبي شيبة والحكيم عن ثوبان وحسنه السيوطي ، والترمذي والحاكم عن سلمان وصححه السيوطي ، وأبو نعيم في الحلية عن أبي جعفر محمد ابن علي كرم الله وجهه .

٣- أخرجه الترمذي والحاكم وابن النجار عن ابن عمر وصححه السيوطي وأخرجه أحمد والحكيم الترمذي وأبو يعلى والطبراني عن معاذ عن معاذ رضي الله عنه وحسنه السيوطي والطبراني وابن عساكر عن عبادة ابن الصامت . والطبراني في الأوسط والبزار عن أم المؤمنين السيدة عائشة .

٤- رواه أبو الشيخ والديلمي والطبراني عن أبي هريرة وحسنه السيوطي ، وأبو الشيخ والطبراني عن ابن عباس .

الوسيلة

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

((سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغى لأحد إلا لعبد من عباد الله ، أرجو أن أكون أنا هو))(١) .

الوسيلة هي أعظم درجات الجنات .

حلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ببركة دعاء أمته له .

فمن سألها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حل السائل أيضا في هذه الدرجة ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقوله صلى الله عليه وسلم **((من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل))(٢)** .

فكانت الوسيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابتداء ، وأصالة .

وكانت لمن دعا ، له ، بها ، تبعاً ، ووراثة .

١- رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والثلاثة [أبو داود، الترمذي، النسائي] عن ابن عمرو وأخرجه الترمذي وابن مردويه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه السيوطي . ابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط عن ابن عباس وصححه السيوطي .

٢- تقدم تخريجه ص ١٧٠

الشيخ

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

((إن الله أدبني ، فأحسن تأديبي))(١) .

فلابد من مؤَدِب .

والمؤدب أيضا ، طالب من ربه ، ما ليس عنده .

فإن الله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم :

{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}(٢) .

واعلم أنما هو شيخ واحد .

فمن دخل تحت حكم شيخين ، لا يفلح أبدا ، وهذا في المريد الذي لم يولد بعد .

ولكن إذا تمت له الولادة الروحية ، وانعقدت له العبودية الصرفة ، كان له أن يُرَبَى على أيدي مشايخ عدة .

فإن تعلق الولادة ، تعلق لا يشارك الوالدين فيه غيرهما ، ولا يقوم أحد فيه مقامها .

أما التربية ، فقد يقوم غير الوالدين بالتربية .

١- سبق تخريجه ص ١٦٣ .

٢- آية ١١٤ سورة طه .

كلام الله

اعلم أن كلام الحق تعالى ، إذا عرى في الغيب عن اللباس ، يسمعه السامع أصواتا ، تكاد تخرق دفة أذنه ، فيصعق حينئذ .

ولو زاده الله تجريدا في الكلام ، لمات .

وهو حال قوم أخذتهم الصيحة ، والرجفة ، والصعقة ، ثم لم يتداركهم لطف الحق ، فماتوا من ساعتهم .

أما إذا أدرك السامع لطف الحق تعالى ، انقلب بعد ذلك جسمه كله مسامع، فتخف وطأة الكلام عن الأذن ، وإنما يفعل الله تعالى ذلك ، ليزداد صاحبه ثباتا وقوة ، من قوله : **{لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ}**(١)، وكان عليه السلام يجد من هذه القصص هذا المذاق ، حتى قال : **((شيبتني هود وأخواتها))(٢)** لما في هذا المذاق من أهوال ، تشيب النواصي .

١- آية ٣٢ سورة الفرقان .

٢- أخرجه الترمذي وحسنه وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والنشور والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبزار وابن عساكر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسعيد بن منصور وابن مردويه عن أنس وأخرجه البيهقي في الدلائل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأخرجه ابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وأخرجه سعيد بن منصور وأحمد في الزهد وأبو يعلى وابن المنذر وابن مردويه عن عكرمة مرسلا.

المذكور

يصل السالك الذاكر ، إلى مقام يقال له : لا تذكر ، لتسمع الذكر كيف يذكرك ، وأنك مذكور ، ولست بذاكر .

ثم يترقى ، فيسمع ذكر الله تعالى ، له : **{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}**(١) فيصير مذكور الحق تعالى .

في البداية يأخذ السيَّار (السالك) مدة مديدة من الذكر باللسان ، حتى ينزل سلطان الذكر على القلب ، فإذا نزل على القلب أناره ، فوجد فيه ما فيه من الدنيا ، والحيات ، والخنازير ، والنجاسات .

فيظل يذكر بلسانه ، ويزيد سلطان الذكر ، وتقوى جنوده ، حتى يُخرجوا كل هذه النجاسات ، ويقوموا بترتيب البيت وتنظيفه ، ليستعد لاستقبال نور الحق تعالى .

فإذا تجلى الحق تعالى ، واستوى على هذا القلب باسمه الرحيم ، إذ أنه مستوي على عرشه باسمه الرحمن : **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}**(٢) وعلى عرش القلوب باسمه الرحيم : **{وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}**(٣)، صار القلب يذكر ذكرا لا إرادة للعبد فيه ، حتى أنه لو ترك الذكر ، ما تركه الذكر ، وعلامته عدم استطاعة العبد أن يذكر بلسانه ، فإن أراد أن يذكر بلسانه فكأن عليه الجمر .

١- آية ١٥٢ سورة البقرة .
٢- آية ٥ سورة طه .
٣- آية ٤٣ سورة الأحزاب .

ثم يصير يذكر بسره ، وعلامته سماع ذكر الله تعالى له ، **إذ أن الإنسان هو مذكور الحق على الدوام** ، إلا أنه - من كثرة الظلمات ، وكثافة الحجب - لا يسمع ، ولا يجد ذلك .

التكليف

يسقط التكليف عن عباده الخواص ، نعم .

بمعنى أن التكليف : مأخوذ من الكلفة ، وهي المشقة .

أما الخواص : فيعبدون الله تعالى ، بلا كلفة ، ولا مشقة ، بل بتلذذ ، وطرب .

فالصلاة في حقه ، مناجاة لها لذة ، فيها جمعت كل لذة .

وكذا قراءة القرآن ، وجميع العبادات ، فمهما خالف العبد الشيطان ، ووافق الرحمن ، وجد تلك اللذة .

العين

قال تعالى : **{فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}**(١) .

فالمؤمنون عيون الله تعالى على خلقه ، فمن قام على معصية فوجد من ينظر إليه من الناس ، فاستحيا من أجل نظر هذا المخلوق ، فهو في الحقيقة استحيا من نظر الله إليه .

وكذا النجوم في السماء ، هي عيون الله تعالى بالليل ، والشمس عينه بالنهار ، وهذا يعرفه أهل الذوق .

ومن كان هذه مشهده ، فلا يقع منه شرك ، إذا عمل العمل لغير الله .

((مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على أبي موسى ، وهو يقرأ القرآن ، فأعجبه . ثم رآه من الغد ، فقال له : أما دريت أني استمعت لقراءتك البارحة ؟ قال : لو شعرت ، لحبرته لك تحبيرا))(٢) .

١- آية ١٠٥ سورة التوبة .

٢- بهذا اللفظ رواه الحاكم في المستدرك وصححه عن أبي بردة بن أبي موسى . وعبد الرزاق عن بريدة ورواه الطبراني وقال عنه الهيثمي : (رجاله على شرط الصحيح غير خالد بن نافع الأشعري، ووثقه ابن حبان وضعفه جماعة) . ورواه أبو يعلى من طريق سعيد بن أبي بردة عن أبيه. وأخرجه ابن سعد بإسناد على شرط مسلم ، من حديث أنس رضي الله عنه . ورواه ابن عساكر عن أنس وفيه زيادة ، بلفظ " لحبرت تحبيرا ولشوقت تشويقا " .

وهذا الحديث أورده الكتاني في المتواتر بلفظ : أنه صلى اللّه عليه وسلم سمع قراءة أبي موسى الأشعري فقال " لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود " من حديث (١) بريدة (٢) وأبي هريرة (٣) وعائشة (٤) وأنس (٥) والبراء (٦) وسلمة بن قيس الأشجعي (٧) وعبد الرحمن بن كعب بن مالك مرسلاً سبعة أنفس.(قلت) ورد أيضاً من حديث (٨) أبي موسى أخرجه الشيخان وعزاه لهما من حديثه العراقي وابن حجر وانظر شرح الأحياء في كتاب آداب تلاوة القرآن واللّه سبحانه وتعالى أعلم . اهـ .

وفي النهاية لابن الأثير : لحبَّرْته لك تَحْبيراً : أي حَسَّنتُ قِراءته وزَيَّنتُها .

الحمد

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((الحمد لله تملأ الميزان))**(١).
فهي تملأ الميزان لأنها كل ما في الميزان ، فما ملأ الميزان إلا الحمد .
فالتسبيح ، حمد . والتهليل ، حمد . والتكبير ، حمد . والتمجيد ، حمد .
والتعظيم ، حمد .

فالحمد لله : هو العام ، الذي لا أعم منه ، وكل ذكر ، فهو جزء منه .

وانظر إلى الحمد في الفاتحة ، بين رحمتين : **{بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}**(٢) ، فصار الحامد بين رحمتين فأوله مرحوم ومآله إلى الرحمة .

والحمد هو الثناء على الله بما هو أهله ، والشكر هو الثناء على الله بما يكون من النعم .

والحمد هي نفس حروف المدح ، إلا أن الحمد لا يكون إلا للإنسان الحي ، أما المدح فيكون للحي وللجماد .

والحمد لا يكون إلا بعد الإحسان ، والمدح قد يكون قبله أو بعده .

والحمد مأمور به شرعا : فمن لم يحمد الناس لم يحمد الله (٣)، والمدح قد

١- رواه أحمد في مسنده و مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه عن أبي مالك الأشعري وصححه السيوطي . ورواه أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان وسعيد بن منصور والترمذي وحسنه وابن مردويه عن رجل من بني سليم وصححه السيوطي . والترمذي عن عبد الله ابن عمر . وابن عساكر عن أبي هريرة ، ورواه عبد الرزاق مرسلا .

٢- آية ١ – ٣ سورة الفاتحة .

٣- بلفظ " لم تشكرني إن لم تشكر من أجريت ذلك على يديه ".رواه البيهقي والطبراني في الكبير والأوسط من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

يكون منهيا عنه : **((احثوا في أفواه المداحين التراب))**(١) .

والحمد لله : أي أنه تعالى كان محمودا قبل حمد الحامدين .

فإذا قال العبد : الحمد لله ، كان معناه أن كل حمد أتى به أحد من الحامدين فهو لله ، وكل حمد لم يأت به أحد من الحامدين ، وأمكن في حكم العقل دخوله في الوجود ، فهو لله ، وذلك يدخل فيه جميع المحامد ، التي ذكرها الأنبياء والأولياء ، وملائكة العرش والكرسي ، وساكنوا أطباق السموات ، بل كل شيء يسبح بحمده ، من جماد وحيوان : **{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}**(٢) .

فكل ما أطلق عليه شيء ، فهو حامد لله تعالى ، وجميع المحامد التي ذكرها جميع الخلق ، وجميع المحامد التي سيذكرونها ، إلى ما لا نهاية ، سواء في الدنيا أو في الآخرة . فمن قال على النعمة الحمد لله ، مستحضرا ذلك المعنى ، فقد وفي النعمة حقها .

وتتفاوت طبقات الحامدين لتباينهم في أحوالهم :

- فطائفة حمدوه على ما نالوا من إنعامه وإكرامه ، من نوعي صفة نفعة ودفعة .
- وطائفة حمدوه على ما لاح لقلوبهم من عجائب لطائفه ، وأودع سرائرهم من مكنونات بره .

١- رواه مسلم وأحمد وأبو داود و ابن ماجة عن المقداد وابن حبان في صحيحه عن ابن عمرو، ابن عساكر عن عبادة بن الصامت وصححه السيوطي ، ورواه الترمذي عن أبي هريرة وأخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وأبو داود بلفظ إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب، ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب عن ابن عمر بن الخطاب، وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر .

٢- آية ٤٤ سورة الإسراء .

▪ وقوم حمدوه عند شهود ما كاشفهم به من صفات القدم .

وفرق بين من يمدحه بعز جلاله ، وبين من يحمده على وجود أفضاله .

▪ وقوم حمدوه مستهلكين عنهم ، فيما استنطقوا من عبارات تحميده ، بما اصطلم سرائرهم من حقائق توحيده ، فهُمْ به ، منه ، يعبرون . ومنه ، إليه ، يشيرون .

والمقام المحمود يوم القيامة : هي المحامد التي سيلهمها الله تعالى ، لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فيحمده بها ، وهو ساجد تحت ساق العرش . وليست هي الشفاعة في الخلق ، إذ أن الله تعالى يحب المدح .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((إن الله تعالى يحب أن يحمد))(١)**، وما كان لله ، فهو أكبر مائة مرة مما كان للناس ، من أمر الشفاعة .

*** وما سمي (مقاما محمودا) إلا لاشتقاقه من الحمد ***

عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال في حديث الشفاعة الطويل : **((فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليّ ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ، شيئا لم يفتحه لأحد قبلي ، فيقال لي : ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، وقل يسمع لقولك . وهو المقام المحمود ، الذي قال الله : {عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}(٢)))(٣)** .

١- رواه الطبراني في الكبير عن الأسود ابن سريع .
٢- آية ٧٩ سورة الإسراء .
٣- رواه البخاري ومسلم وأحمد عن أنس رضي الله عنه ، والترمذي وحسنه وابن جرير وابن مردويه ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

فانظر كيف أن الشفاعة حصلت للعالمين ، بعد المحامد والثناء .

فكان الحمد والثناء هما المقصودان ، والشفاعة ناتجة عنهما .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **((إذا صلى أحدكم : فليبدأ بتحميد الله ، والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ليدع ما شاء))(١) .**

عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : **((أنا أول شافع ، وأول مشفع ، ولا فخر . ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ، ولا فخر))(٢) .**

فانظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيد الحامدين ، كيف أن لواء الحمد بيده ، وتحته كل حامد لله تعالى ، آدم فما دونه .

١- أخرجه أحمد أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان في صحيحه والنسائي والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن وابن خزيمة عن فضالة بن عبيد وصححه السيوطي .

٢- رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد وحسنه السيوطي ، ورواه أحمد وأبو يعلي والترمذي عن ابن عباس .

الجزاء

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}(١) : أي يوم الجزاء .

ولما كانت الحدود ما شرعت في الشرائع إلا جزاء ، وما أصابت المصائب من أصابته إلا جزاء بما كسبت يده ، مع كونه يعفو عن كثير ، وكذلك ما ظهر من الفتن والخراب ، والحروب والأوبئة ، فهو كله جزاء أعمال عملها الناس ، استحقوا بذلك ما ظهر من الفساد في البر والبحر ، فهو جزاء في الدنيا ، فيوم الدنيا يوم الجزاء ، ويوم الآخرة هو يوم الجزاء . غير أنه في الآخرة أشد وأعظم ، فهو تعالى مالك الدنيا والآخرة .

*** انظر كيف قدم الرحمن الرحيم ، على مالك يوم الدين ***

*** حتى تأنس أفئدة الخلائق ، قبل وجود الفعل في قلوبهم ***

*** ويعلمون أنهم مرحومون على كل حال ، في الدنيا والآخرة ***

فيوم الجزاء هو يوم الرحمة والمغفرة كما أخبرنا الصادق صلى الله عليه وسلم : **((والذي نفسي بيده ، ليدخلن الله الجنة الفاجر في دينه ، الأحمق في معيشته . والذي نفسي بيده ، ليدخلن الجنة الذي محشته النار بذنبه. والذي نفسي بيده ، ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب بشر . والذي نفسي بيده ، ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ، يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه))**(٢) .

١- آية ٤ سورة الفاتحة .

٢- بهذا اللفظ رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في البعث عن حذيفة ، وبنفس اللفظ ولكن ليس فيه " والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة لا تخطر على قلب بشر " رواه الطبراني في الكبير عن حذيفة أيضا . وقال ابن حجر الهيثمي في إسناد الكبير سعد بن طالب أبو غيلان وثقه أبو زرعة وابن حبان وفيه ضعف ، وبقية رجال الكبير ثقات .

إياك نعبد و إياك نستعين

إذا قال العبد : إياك ، فقد وحد بحرف الخطاب ، وعبده بذلك الحرف على الإحسان : **((أن تعبد الله كأنك تراه))(١)** يعني على المشاهدة ، فإنه ما ذكر حرف الخطاب إلا لحاضر عنده ، في قلبه وروحه ، مشاهد له في كل أحيانه . فهذه الآية وقع فيها الاشتراك بين الحق وبين عبده ، العبد من حيث أنه العابد وأنه المستعين ، والرب من حيث الكاف والخطاب .

وما مضى من الفاتحة مخلَص لله تعالى .

وما بقى منها مخلَص للعبد .

ولذا قال : **((هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل))(٢) .**

*** فالله ، هو المقصود بالعبادة ***

*** والعبد العابد ، هو المقصود بالاستعانة ***

*** والعبد ، هو المستعين ***

ولما كان المعبود واحدا ؛ وحده بحرف الكاف ، وجمع الاستعانة والعبادة بالنون ، لأن العابدين من العبد ، كثيرون . فعلى العين عبادة ، وعلى السمع عبادة ، وعلى البصر عبادة ، وعلى اللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب عبادات ، وكلهم يطلبون العون منه تعالى .

١- تقدم تخريجه ص ٣١ .
٢- أخرجه مالك في الموطأ وسفيان بن عيينة في تفسيره وأبو عبيد في فضائله وابن أبي شيبة وأحمد في مسنده والبخاري في جزء القراءة ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن جرير وابن الأنباري في المصاحف وابن حبان والدارقطني والبيهقي في السنن عن أبي هريرة .

ولذلك قال نعبد ونستعين ، بالنون .

فاللسان موكل عن كل هذه الجوارح بالنطق ، فهو الطالب عنهم ، والمترجم عن مجموعهم .

ومن كان هذا موقفه : لا يصلي إلا جماعة دائما أبدا ، ولو صلى وحده .

فعلم العبد من الحق - لما أنزل هذه الآية - بإفراده نفسه - أن لا يعبد إلا إياه ، ولما قيد العبد بالنون ، أنه يريد منه أن يعبده بكله ، ظاهرا وباطنا، من قوى وجوارح ، ويستعين على ذلك الحد .

ومتى لم يكن المصلي بهذه المثابة ، من جمع عوالمه على عبادة ربه ، لم يصدق في قوله : **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**(١) .

فإذا استحضر العبد هذا المشهد في نفسه ، عند تلاوته :

قالت الملائكة : (آمين) . ويقول العبد (آمين) .

فمن وافق تأمينه ، تأمين الملائكة ، في الصفة ، موافقة طهارة ، وتقديس ذوات كرام بررة ، لا موافقة زمان ، غفر الله تعالى له .

عن رسول صلى الله عليه وسلم قال : **((إذا أمَّن الإمام فأمَّنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة : غفر له ما تقدم من ذنبه))(٢) .**

١- آية ٥ سورة الفاتحة .

٢- أخرجه مالك والشافعي وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة .

السجود

{كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}(١) .

ليس الإنسان بمعصوم من الشيطان ، في شيء من صلاته ، إلا في السجود: **((فإنه إذا سجد ، اعتزل عنه الشيطان يبكي))**(٢) على نفسه ، لأنه تذكر خطيئته ، فعند السجود يبكي ويتأسف ، ثم يعود إلى الإغواء عند الرفع منه : **((أقرب ما يكون العبد من الله في السجود))**(٣) .

ولما كان السجود في العرف بعيدا عما يجب لله من العلو ، أراد أن يبين تعالى أن نسبة العلو والسفل منه واحدة : **((لو دليتم بحبل لهبط على الله))**(٤) . فمن سجد : اقترب من الله تعالى ، أي اقتراب كرامة وبر وتحف ، فيشهده الساجد في علوه ، ولهذا شرع للعبد أن يقول في سجوده : سبحان ربي الأعلى ، ينزهه عن تلك الصفة .

وقوله : **{وَاقْتَرِبْ}**، إعلاما بأنه قد شاهد من سجد له ، وأنه بين يديه وهو يقول له : اقترب . ودلت هذه الآية على أن أول شيء يمنحه لك السجودُ : هو القربة . ثم بعد ذلك تعطى - من مقام القربة - ما يليق بالمقربين من الملائكة والنبيين . وليس في العبادات ، ما يلحق العبد ، بمقامات المقربين - وهو أعلى مقام أولياء الله ، من ملك ، ورسول ، ونبي ، وولي ، ومؤمن - إلا الصلاة فإن الله في هذه الحالة يباهي به المقربين من ملائكته

١- آية ١٩ سورة العلق .
٢- هذا الحديث سبق تخريجه ص ١٤ .
٣- هذا الحديث سبق تخريجه ص ١٤ .
٤- أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي وأبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة ، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس ، وابن جرير عن قتادة .

وذلك أنه يقول لهم : يا ملائكتي ، أنا قربتكم ابتداء ، وجعلتكم من خواص ملائكتي ، وهذا عبدي جعلت بينه وبين مقام القربة حجبا كثيرة ، وموانع عظيمة ، من أغراض نفسية ، وشهوات حسية ، وتدبير أهل ومال وولد وأصحاب ، وأهوال عظام ، فقطع كل ذلك ، وجاهد حتى سجد واقترب ، فكان من المقربين ، فاعرفوا قدر هذا العبد ، وراعوا له حق ما قاساه في طريقه من أجلي .

اعلم أن الله تعالى لما خلق العالم : جعل له ظاهرا وباطنا ، وجعل منه غيبا وشهادة ، وكله لله شهادة وظاهر ، فجعل القلب مكان عالم الغيب ، وجعل الوجه من عالم الشهادة ، وعَيَّنَ للوجه جهة يسجد لها ، سماها بيته وقبلته : **{فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}**(١)، وجعل استقبالها عبادة وركنا في الصلاة ، وجعل أفضل أفعال الصلاة السجود ، وأفضل أقوالها ذكر الله بالقرآن . وعَيَّنَ للقلب قبلة هي وجهه سبحانه وتعالى : **{فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**(٢) فلا يقصد غيره . وأمره أن يسجد : فإن سجد عن كشف ، لم يرفع رأسه أبدا من سجدته دنيا وآخرة . ومن سجد من غير كشف ، رفع رأسه ، ورفعه هو المعبر عنه بالغفلة عن الله ، ونسيان الله في مشاهدة الأشياء ، فمن لم يرفع رأسه في سجود قلبه ، فهو الذي لا يزال يشهد الحق دائما في كل شيء ، فلا يرى شيئا إلا ويرى الله قبل ذلك الشيء ، فإذا سجد قلبك لله هذا السجود ، تكون قد استوفيت حقائق سجود العالم كله ، في سجدتك .

*** فسجدتك تعدل سجود العالم كله ***

١- آية ١٤٤ سورة البقرة . وآية ١٤٩ سورة البقرة . وآية ١٥٠ سورة البقرة .

٢- آية ١١٥ سورة البقرة .

الإنسان

الإنسان : قديم ، محدث ، موجود ، معدوم .

أما قولنا : قديم ، لأنه موجود في العلم القديم متصور فيه أزلاً ، وهي من بعض مراتب الوجود المذكورة .

وأما قولنا : محدث ، فإن شكله وعينه لم يكن ، ثم كان .

فإذا نفخ في الإنسان روح القدس ، التحق بالوجود المطلق ، التحاقاً معنوياً مقدسا ، وهو حظه من الألوهية ، فلهذا تقرر عندنا أن :

الإنسان نسختان ، نسخة ظاهرة ، ونسخة باطنة .

- **فالنسخة الظاهرة : مضاهية للعالم بأسره فيما قدرنا من الأقسام .**
- **والنسخة الباطنة : مضاهية للحضرة الإلهية .**

فالإنسان هو الكلي على الإطلاق والحقيقة ، إذ هو القابل لجميع الموجودات ، قديمها وحديثها ، وما سواه من الموجودات لا تقبل ذلك .

فان كل جزء من العالم لا يقبل الألوهية ، والإله لا يقبل العبودية .

بل العالم كله عبد ، والحق سبحانه وحده إله واحد صمد ، لا يجوز عليه الاتصاف بما يناقض الأوصاف الإلهية . كما لا يجوز على العالم الإتصاف بما يناقض الأوصاف الحادثة العبادية .

والإنسان ذو نسبتين كاملتين :

- **نسبة دخل فيها إلى الحضرة الإلهية .**
- **ونسبة يدخل بها إلى الحضرة الكيانية .**

فيقال فيه عبد : من حيث أنه مكلف ، ولم يكن ، ثم كان ، كالعالم .

ويقال فيه رب : من حيث أنه خليفة ، ومن حيث الصورة ، ومن حيث أحسن تقويم .

كأنه برزخ بين العالم والحق ، وجامع لخلق وحق ، وهو الخط الفاصل بين الحضرة الإلهية ، والكونية . الفاصل بين الظل والشمس . وهذه حقيقته .

فله الكمال المطلق في الحدوث والقِدم .

والحق له الكمال المطلق في القدم ، وليس له في الحدوث مدخل ، يتعالى عن ذلك .

والعالم له الكمال المطلق في الحدوث ، وليس له في القدم مدخل ، يخسأ عن ذلك .

فصار الإنسان جامعاً ، لله الحمد على ذلك . فما أشرفها من حقيقة ، وما أطهره من موجود .

فأول أثر صدر عن المؤثر الحقيقي - تعالى جده - موجود خلَقه على صورته ، ذا أسماء وصفات ، فجعله واسطة بين الوجود والعدم ، ورابطة تعلق الحدوث بالقدم ، وهي الروح الأعظم ، وهو جوهر نوراني ، له :

- **وجه للقدم :** يستمد به من الحق .
- **ووجه في الحدوث :** يمد به الخلق .

السكر

السُّكْر : دهش ، يلحق سر المحب ، في مشاهدة جمال المحبوب فجأة . نظير محبوب دخل على محبه فجأة ، فأذهله عما فيه من الأمر ، فلما كرر النظر إلى محاسنه ، واستأنس بلقائه ووصاله ، عاد إليه التمييز والتبصر، وزال الدهش والتحيير .

كما خرج يوسف بغتة على النسوة ، فقطعن أيديهن (١)، لما أصابهن من الحيرة في شهود جماله ، والغيبة عن أوصافهن . ولاشك أن زليخا كانت أبلغ في محبته منهن ، لكنها لم تغب عن التمييز بشهود جماله ، لتمكن حال الشهود في قلبها .

١- إشارة للآية ٣١ من سورة يوسف : {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ} .

الجمع

الجمع : هو إزالة الشعب ، والتفرقة بين القدم والحدث ، باستتار نور العقل في غلبة نور الذات القديمة . وارتفع التمييز بين القدم والحدث ، لزهوق الباطل عند مجيء الحق . ثم أسبل حجاب العزة على وجه الذات ، وعاد الروح إلى عالم الخلق وظهر نور العقل وعاد التمييز وتسمى فرقاً.

قال أبو يزيد البسطامي : رُفِعتُ مرةً ، حتى أقِمتُ بين يديه تعالى ، فقال لي : يا أبا يزيد : إن خلقي يريدون أن يروك . قال أبو يزيد : يا عزيزي إني لا أحب أن أراهم ، فإن أحببت ذلك مني فإني لا أقدر أن أخالفك ، فزيّني بوحدانيتك ، حتى إذا رآني خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك . قال أبو يزيد : ففعل ذلك ، فأقامني وزينني ورفعني ثم قال : أخرج إلى خلقي ، فلما كان الخطوة الثانية ، غشي علي ، فنادى: ردوا علي حبيبي ، فإنه لا يصبر عني .

ولا يزال يتردد بين الجمع والفرق ، حتى يصير له عينان :

- ينظر باليمنى إلى الحق نظر الجمع .
- وباليسرى إلى الخلق نظر التفرقة .وتسمى هذه الحالة : بالصحو الثانى ، والفرق الثانى .

- والجمع الصرف: يورث الزندقة والإلحاد ، ويحكم برفع أحكام الظاهر.
- كما أن التفرقة المحضة : تقتضي تعطيل الفاعل المطلق .
- والجمع مع التفرقة : يفيد حقيقة التوحيد ، والتمييز بين أحكام الربوبية والعبودية .
- الجمع بلا تفرقة : زندقة .

- والتفرقة بلا جمع : تعطيل .
- والجمع مع التفرقة : توحيد .

ولصاحب الجمع ، أن يضيف إلى نفسه كل أثر ظهر في الوجود ، وكل فعل ، وصفة ، واسم ، لانحصار الكل عنده في ذاتٍ واحدة .

قال الجيلاني في هذا المقام :

ذِرَاعِيَ مِنْ فَوْقِ السَّمَواتِ كُلَّهَا — وَمِنْ تَحْتِ بَطْنِ الحُوتِ أَمْدَدْتُ
وَأَعْلَمُ نَبْتَ الأَرضِ كَمْ هُوَ نَبْتَةٌ — رَاحَتي وَأَعْلَمُ رَمْلَ الأَرْضِ عَدّاً لِرَمْلَةِ
وَأَعْلَمُ عِلْمَ اللهِ أُحْصِي حُروفَهُ — وأَعْلَمُ مَوْجَ الْبَحْرِ عَدًّا لِمَوْجَةِ
أَنَا كُنْتُ مَعْ نُوْحٍ أُشَاهِدُ فِي الْوَرَى — بِحَاراً وَطُوفَاناً عَلَى كَفِّ قُدْرَتي
وَكُنْتُ وَإِبْرَاهِيمَ مُلْقَىً بِنَارِهِ — وَمَا بَرَّدَ النِّيرانَ إلاَّ بدَعْوَتِي

وقال الجيلي :

فَإنّي لَمّا أَن تَبَدَّت هوِيَّتي — خَفيتُ وَإن تَغرُب فَإِنِّيَ طالِعُ
وَلَيسَت سِوايَ لا ولا كُنتُ غَيرَها — وَمِن بَينِنا تاءُ التَكَلُّمِ ضائِعُ
فَإِنّي إِيّاها بِغَيرِ تَساوُلِ — كَما أَنَّها إِيّايَ وَالحَقُّ واسِعُ
فَكُلُّ عَجيبٍ مِن جَمالِيَ شاهِدٌ — وَكُلُّ غَريبٍ مِن كَمالِيَ شائِعُ
وَكُلُّ الوَرى طُرّاً مَظاهِرُ طَلعَتي — مراءٍ بِها مِن حُسنِ وَجهِيَ لامِعُ
ظَهَرتُ بِأَوصافِ البَرِيَّةِ كُلَّها — أَجَل ، في ذَواتِ الكُلِّ نورِيَ ساطِعُ
تَخَلَّقتُ بِالتَحقيقِ في كُلِّ صورَةٍ — فَفي كُلِّ شَيءٍ مِن جَمالي لَوامِعُ
فَما الكَونُ في التِمثالِ إلا كَدِحيَةٍ — تَصَوَّر روحي فيهِ شَكلٌ مُخادِعُ

وقد أجاب **ختم الأولياء القطب المكتوم سيدي أحمد التجاني** ، في كتاب (جواهر المعاني) عندما سئل عن معنى هذه العبارات ، وأمثالها ، قائلا :

اعلم أن الأصل الأصيل الذي لا محيد عنه ، ولابد لكل مؤمن من اعتقاده ، ومن خرج عنه خرج عن قاعدة الإيمان ، هو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى بعلو كبريائه وعظمته وجلاله ، وعموم صفاته العلية وأسمائه وخصوصها ، وأن ذلك التجلي ليس هو في كل شخص كما عند الآخر ، ولا على قانون واحد ، ولا على كيفية مطردة ، بل البصائر فيه متفاوتة ، وأسرار الخلق في ذلك متباينة من كثير وقليل ، فهو يتجلى لكل شخص على قدر طاقته وعلى قدر ما تسعه حوصلته من تجلي الجمال القدسي ، الذي لا تدرك له غاية ولا يوقف له على حد ولا نهاية ، وإذا عرفت هذا فاعلم أن :

- الذي في مرتبته صلى الله عليه وسلم من تجليات الصفات والأسماء والحقائق ، لا مطمع في دركه لأحد من أكابر أولي العزم من الرسل ، فضلا عمن دونهم من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .
- وأن الذي في مرتبة أولي العزم من الرسل ، لا مطمع لأحد في دركه من عموم المرسلين .
- وأن الذي في مرتبة الرسالة ، لا مطمع في دركه لأحد من عموم النبيين .
- والذي في مرتبة النبوة ، لا مطمع في دركه لأحد من عموم الأقطاب.
- وأن الذي في مرتبة القطبانية ، لا مطمع لأحد في دركه من عموم الصديقين .

وإذا كان الأمر كذلك ، وعرفت هذا التفصيل ، فاعلم أن : للعارف وقتا يطرأ عليه الفناء والإستغراق ، حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده ، ويخرج عن جميع مداركه ووجوده .

١- **لكن تارة يكون ذلك في ذات الحق سبحانه وتعالى** : فيتدلى له من قدس اللاهوت - من بعض أسراره - فيضٌ ، يقتضي منه أن يشهد ذاته عين ذات الحق ، لمحقه فيها ، واستهلاكه فيها ، ويصرح في هذا الميدان بقوله : سبحاني ، لا إله إلا أنا وحدي ...إلخ من التسبيحات كقوله : جلَّت عظمتي وتقدس كبريائي .

وهو في ذلك معذور ، لأن العقل الذي يميز به الشواهد والعوائد ، ويعطيه تفصيل المراتب - بمعرفة كل بما يستحقه من الصفات - غاب عنه ، وانمحق وتلاشى واضمحل ، وعند فقد هذا العقل وذهابه ، وفيض ذلك السر القدسي عليه ، تكلم بما تكلم به . فالكلام الذي وقع فيه ، خلقه الحق فيه ، نيابة عنه ، فهو يتكلم بلسان الحق ، لا بلسانه ، ومعرباً عن ذات الحق ، لا عن ذاته .

ومن هذا الميدان :

قول أبي يزيد البسطامي : سبحاني ما أعظم شأني .

وقول الحلاج : أنا الحق . وما في الجبة إلا الله .

وكقول بعضهم : فالأرض أرضي والسماء سمائي .

وكقول التستري رضي الله تعالى عنه :

أنظر أنا شيء عجيب لمن يراني　　　أنا المحب والحبيب ما ثمَّ ثاني

وهذا مما يعطيه الفناء والإستغراق في ذات الحق . وهذا أمر خارج عن المقال ، يُدرَك بالذوق وصفاء الأحوال ، فلا يَعلم حقيقته إلا من ذاقه .

٢- وتارة يكون الإستغراق للعارف والفناء في ذات النبي صلى الله عليه وسلم : لغيبته عن ذاته في ذات النبي صلى الله عليه وسلم ، فيتدلى له صلى الله عليه وسلم ببعض أسراره ، فإذا كُسِيَت ذاته بذلك السر ، فلا يشهد ذاته - إلا ذات النبي صلى الله عليه وسلم - ويُعلِمُه ببعض ما اختص به نبيه صلى الله عليه وسلم ، من الخصوصيات التي لا مطمع فيها لغيره صلى الله عليه وسلم ، فيتكلم بلسان النبي صلى الله عليه وسلم نيابة عنه ، ببعض ما اختص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، من الخصوصيات العظام ، ما له به علو وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيين والمرسلين ، فهو يخبر عما أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، مخبرا عن نفسه .

فمن يسمعه ، يظن أنه ينسبه لنفسه ، وإنما نسبه للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، لغيبته في ذاته ، فإذا انفصل عن هذا الفناء والإستغراق ، ورجع لِحِسِه وشاهِدِه ، تبرأ من ذلك ، لعلمه بمرتبته ، وسق هذا المساق في كل ما تسمع من الشيوخ ، مما يقتضي أن لهم شفوفا على مراتب النبيين والمرسلين . فكل ذلك لفنائه في ذات النبي صلى الله عليه وسلم ، مترجما عن مقامه صلى الله عليه وسلم .

وهذا يغني في الجواب . ومن وراء ذلك ما لا يلحقه العقل ، ولا يأتي عليه القول ، ولا يحل ذكره ، لبعده عن الأفهام .

وهذا الذي ذكرناه من فناء العارف في ذات الله ، وفي ذات النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس هو لكل العارفين ، ولا في كل وقت ، من أوقات من يقع له ، بل هو خاص ببعض الأوقات . **اهـ .**

وحقيقة التوحيد جلت عن أن يحيط بها فهم ، أو يحوم حول حماها وهم ، بعضهم تكلم فيه بلسان العلم والعبارة ، وبعضهم بلسان الذوق والإشارة : **{وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}**(١)، وما زاد بيانهم غير ستره .

وتوحيد الأفعال : وهو إفراد فعل الحق عن فعل غيره ، بمعنى إثبات الفاعلية لله مطلقا ، ونفيها عن غيره ، وذلك إذا تجلى الحق بأفعاله .

توحيد الصفات : وهو إفراد صفات الحق عن صفات غيره ، بمعنى إثبات الصفات لله مطلقا ، ونفيها عن غيره ، وذلك إذا تجلى الحق بصفاته .

توحيد الذات : هو إفراد ذات الحق عن باقى الذوات ، بمعنى إثبات الذاتية لله مطلقا ، ونفيها عن غيره ، وذلك إذا تجلى بذاته .

يرى صاحب هذا التوحيد كل الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعة ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، وليس للإنسان وراء هذا مقام في التوحيد ، بغير حلول ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، كحال جبريل عليه السلام حيث تمثل بصورة دحية الكلبي ، رآه النبي صلى الله عليه وسلم : جبريل - إذ ذاك - وغيره رآه دحية ، لقصور نظرهم عن نظره ، ولاشك أن جبريل لم يحل بدحية(٢) .

١- آية ٩١ سورة الأنعام . وآية ٦٧ سورة الزمر .

٢- الأحاديث الواردة في تمثل جبريل عليه السلام في صورة الصحابي دحية الكلبي رضي الله عنه كثيرة نذكر منها : ما رواه البخاري ومسلم من حديث أسامة ابن زيد ، ومارواه أبو الشيخ عن شريح ، وأحمد وابن مردويه والحاكم في المستدرك وصححه وأبو نعيم من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة . وابن أبي شيبة وابن سعد عن عامر الشعبي ، وعبد ابن حميد عن ابن عمر، والطبراني عن أنس . وابن عساكر والطبراني عن ابن عباس .

صحو الجمع

صحو الجمع : أن يدرك :

- بالسمع الظاهر ، كلام الحق ، كموسى عليه السلام .
- وبالعين الظاهرة ، جماله ، كالنبي صلى الله عليه وسلم .

الثبوت

كل واحد من أشخاص الإنسان ، بالنسبة إلى النظر الأزلى :

- إما محبوب .
- أو مغضوب .

والمحبوب لا يصير مغضوباً عليه البتة .

فكل ما يجرى عليه من الأحوال يكون نعمة ، وان كان في الظاهر نقمة .

القيود

الإنسان أينما كان ، يكون ملتصقا بحاجته ، من هواء وغذاء وكساء وغيرها ، لا ينفك عنها ، ملازم لها ، وهي أقرب إليه من أبيه وأمه .

وكيف لا ؟

وهي أصل بشريته .

وهذه الحاجة ، قيد للإنسان .

والعجيب ، أن الإنسان يريد الخلاص والفكاك من القيد ، وهو في نفس الوقت طالباً له .

ولذلك نقول أنه طالب للخلاص ، وأن شخصا آخر هو الذي قيده .

فهو طالب للصحة ، ولذلك لا يمكن أن يكون قد أمرض نفسه ، لأنه محال أن يكون في الوقت نفسه طالبا للمرض وطالبا للصحة .

سنضع للإنسان قيداً في أنفه ، ونجذبه إلى غير ما يريد ، إلا إن تابعنا بغير جذب .

البشرية قيد ، والدنيا قيد ، والشهوات قيد ، والسجن قيد ، والمرض قيد ، والذنوب قيد ، والسراء قيد ، والضراء قيد .

كل الناس مقيد بقيود كثيرة .

ونداء الحق إلينا ، يحثنا أن نفك كل هذه القيود .

حتى ننعم بالإطلاق ، وهو الله تعالى .

{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}(١) أي من هذه القيود جميعا .

١- آية ٥٠ سورة الذاريات .

مؤسف أن يدخل بعض الناس الجنة ، وهم مازالوا في قيودهم ، من الانشغال بالمأكل والمشرب والنساء : **{فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ}**(١) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل))(٢) .**
أي سلسلتهم شهواتهم ، حتى وَ هُم في الجنة .

*** فابحثوا عن الله ، لا عن شيء آخر ***

*** بل و فِرّوا من كل شيء إلى الله ***

*** ولا تركنوا إلى لذَّات الجنة ***

*** فكلها حجاب ، يحجبكم عن ربكم ***

١- آية ٥٥ سورة يس .
٢- بهذا اللفظ رواه أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه وأبو داود عن أبي هريرة . وبلفظ " عجبت لأقوام يساقون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون " الطبراني في الكبير عن أبي أمامة وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة وحسنه السيوطي . وبلفظ " ضحكت من قوم يساقون إلى الجنة مقرنين في السلاسل " رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة وصححه السيوطي .

الكشف

مراتب الكشف والاحتجاب ثلاثة :

- **مرتبة الاحتجاب بلا كشف** ، **للكفار :** حجبت بصائرهم كأبصارهم .
- **مرتبة الكشف مع الاحتجاب** ، **للمؤمنين :** كشف عن بصائرهم الحجب، فنظروا إلى ربهم بنور الإيمان ، وأغشيت أبصارهم ، فحرموا النظر بنور العيان .
- **مرتبة الكشف بلا احتجاب** ، **للموقنين :** كشف عن أبصارهم كعين بصائرهم .

الصبغة

{صِبْغَةَ اللّهِ}(١) .

اعلم أن لهذه النشأة الإنسانية ، صوراً ، كانت مبثوثة في العناصر والأفلاك ، قبل أخذ الميثاق عليه .

وللإنسان صورة في العدم ، وهذه الصورة مرئية مبصرة لله تعالى ، وهي التي يتوجه عليها خطاب الله ، إذا أراد إيجاد مجموعنا في الدنيا بكن . فنبادر ونجيب إلى الخروج من حضرة العدم ، إلى حضرة الوجود . فننصبغ بالوجود .

{وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ}(١)، أي أذلاء خاضعون .

١- آية ١٣٨ سورة البقرة .

التخيير

اعلم أن الله إذا خَيَّر العبد ، فقد حَيَّره .

إذ التخيير نعت السيد ، لا نعت العبد .

فما خُيِّرَ إلا ابتلاءً .

ليرى هل يقف مع عبوديته ، أو يختار ، فيجري في الأشياء مجرى سيده ،

فلما قال لهم : **{وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ}**(١) فقد أراحهم من الحيرة .

١- آية ١٨٤ سورة البقرة .

الظِّل

وما من ممكن يظهره الله ، إلا وله ظل ممدود في الغيب ، لا يمكن خروجه .

فظاهر الإنسان : ما امتد من الإنسان ، فظهر .

وباطنه : مالم يفارق الغيب .

فلا يُعلم باطن الإنسان أبداً .

فكثرت الأسماء ، والحق مسماها .

وعالم الغيب ، هو المحرك لعالم الشهادة .

الشرك

قال تعالى : **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ}**(١) .

وهو الشرك الخفي : وهو أن ترى فعلا أوصفة لغير الله .

وهذا هو توحيد الأفعال والصفات .

فترى أن الفاعل على الحقيقة هو الله : **{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى }**(٢)، فلا ترى لمخلوق فعلاً ولا صفة .

إنما هي أفعاله وأوصافه ، يجريها على عباده .

فمن رأى السِوَى : فقد أشرك ، ولا يسلم منه إلا أهل الشهود : **((أخلص دينك ، يكفِك العمل القليل))**(٣) .

قال تعالى : **{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ}**(٤)، أي شهدوه في كل شيء ، فعلاً وصفة .

١- آية ١٠٦ سورة يوسف .
٢- آية ١٧ سورة الأنفال .
٣- أخرجه الحاكم في المستدرك عن معاذ ابن جبل وقال : صحيح الإسناد، وأبو نعيم في الحلية ٢٤٤/١. وقال الحافظ العراقي : رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ .
٤- آية ١٨ سورة آل عمران .

الوحي

{فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}(١) . أي بلا واسطة ، تلقياً ذاتياً ، لا يعلمه إلا من ذاقه . وما عَيَّنَ لنا في الذكر الحكيم ، ما أوحِيَ ، ولا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحِيَ ، في ذلك القرب ، به ، إليه .

أما وحيه بواسطة ، فقوله تعالى: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ}**(٢).

أما قوله تعالى : **{يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ}**(٣) فهو إلقاء للروح من غير واسطة .

{يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ}(٤) نزول الروح بالواسطة .

وهذا الروح ليس عين الملك ، وإنما هو عين المألكة .

وهذا الروح لا تعرفه الملائكة ، لأنه ليس من جنسها .

فالملك روح في نور ، وهذا روح غير محمول ، وليس نورانياً .

فإذا نزل هذا الروح في قلب العبد : بتنزيل الملك ، أو بالقاء الله تعالى ، حيي به قلب المنزل عليه ، فكان صاحب شهود ووجود ، لا صاحب فكر وتردد .

فالعبد المجتبى : إما يعرج فيرى ، أو ينزل عليه في موضعه .

واعلم أن الأرواح النورية المسخرة لا المدبرة ، تنزل على قلوب العارفين

١- آية ١٠ سورة النجم .
٢- آية ١٩٣ – ١٩٤ سورة الشعراء .
٣- آية ١٥ سورة غافر .
٤- آية ٢ سورة النحل .

بالأوامر والشؤون الإلهية ، فتخلصها من الحجب البعيدة ، إلى الحجب القريبة ، إلى أن يتولاه الله بارتفاع الوسائط : **{يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ}**(١) .

فعلوم الغيب ، تنزل بها الأرواح على قلوب العباد :

- فمن عرفهم ، تلقاهم بالأدب ، وأخذ منهم بالأدب .
- ومن لم يعرفهم ، أخذ علم الغيب ولا يدري ممن ، كالكهنة وأصحاب الخواطر أهل الإلهام .

فالولي : يشهد الملائكة ، ولكن لا يشهدها ملقية عليه ، أو يشهدون الإلقاء ويعلمون أنه من الملك من غير شهود ، فلا يجمع بين رؤية الملك والإلقاء منه إلا نبي أو رسول .

واعلم أن تنزل القرآن على قلوب الأولياء مستمر ، ما انقطع .

وهو استظهار القرآن ، يقول صلى الله عليه وسلم : **((من قرأ القرآن ، فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يُوحَى إليه)) (٢) .**

١- آية ١٥ سورة غافر .

٢- أخرجه الطبراني والحاكم وصححه والبيهقي عن عبد الله بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي ، فقد عظم ما صغر الله ، وصغر ما عظم الله ، وليس ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل ، وفي جوفه كلام الله " .

الدعوة إلى الله

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}(١) .

فهو النبي الأمي ، الذي يدعو على بصيرة مع أميته .

فالبصيرة : هي الفتح الإلهي ، والعلم اللدني .

المجتهدون من علماء الظاهر ، ليسوا محجوبين على الإطلاق ، فإن لهم القدم الكبيرة في الغيوب ، وإن كانوا على غير بصيرة . ولذلك يأتي اجتهادهم في المسائل على غلبة الظن ، فقد يحكم اليوم في نازلة شرعية ، بحكم ، فإذا كان في غدٍ ، لاح له أمر آخر، أبان له خطأ ما حكم به بالأمس ، فرجع عنه .

{وَمَنِ اتَّبَعَنِي}: فالذين اتبعوه ، صلى الله عليه وسلم ، هم ورثة الأنبياء . واعلم أن الوحي كله ، موجود في رجال الله من أولياء . والذى اختُصَّ به النبي من هذا - دون الولي - الوحي بالتشريع ، فلا يشرِّع إلا النبي ، والأولياء ليس لهم - من هذا الأمر - إلا الإخبار بصحة ما جاء به هذا الرسول ، وتعيينه .

فرُبَّ حديث صحيح من طريق رواية الثقات ، عندهم ليس بصحيح في نفس الأمر ، فنأخذه على طريق غلبة الظن ، لا على العلم . وكم من حديث ضعيف من أجل ضعف طريقه : من وضَّاع فيه ، أو مدلس ، وهو في نفس الأمر صحيح . فتدرك هذه الطائفة صحته ، فتكون فيه على بصيرة . وليس ينبغي لعاقل أن يدعو إلى أمر ، حتى يكون من ذلك الأمر على بصيرة ، وهو أن يعلمه رؤية وكشفا ، بحيث لا يشك فيه .

١- آية ١٠٨ سورة يوسف .

الحجاب

لا يعلم الحقَ إلا العلم ، كما لا يحمده إلا الحمد .

وأما أنت ، فتعلمه بواسطة العلم ، وهو حجابك .

فإنك ما تشاهد إلا العلم القائم بك .

وعلمك قائم بك ، وهو مشهودك ، ومعبودك .

فلا تقل إنك علمت المعلوم ، وإنما علمت العلم .

والعلم ، هو العالم بالمعلوم .

وبين العلم والمعلوم ، بحور لا يدرك قعرها .

*** فكل ما خطر في سرك ، أو تصور في وهمك ***

*** أو حاك في صدرك ، أو دل عليه عقلك ***

*** فالله بخلاف ذلك . فإنه ليس كمثله شيء ***

الكشف

{فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ}(١)

في كشف الغطاء : رفع الضرر ، واحتداد البصر .

فينتقل أهل الكشف ، من العين ، إلى الحق .

وينتقل العالِم ، من العلم إلى العين .

وما سواهما ، ينتقل من العمى إلى الإبصار .

وهذا إذا كانت هذه الآية في حق الميت . أما إن كانت في حق المحتضر ، قبل خروجه من الدنيا ، فما قبض أحد من مؤمن ولا مشرك ، إلا على كشف حين يقبض ، فيميل إلى الحق عند ذلك ، والحق : التوحيد والإيمان. فمن حصل له هذا اليقين قبل الإحتضار ، فمقطوع بسعادته واتصالها . وما لم يشاهد ذلك ، فما حضره الموت ، ولا يكون ذلك احتضاراً ، فمن آمن قبل ذلك الاحتضار بنفس واحد ، أو تاب ، نفعه . وحاله عند قبض روحه ، حال من لاذنب له . ومن حصل ذلك له عند الاحتضار ، فهو في المشيئة ، وان كان المآل إلى السعادة ، ولكن بعد المرور بالشدائد : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا (٢) ألا ترى إلى قوله في المحتضر: **{فَبَصَرُكَ}**(١)، ولم يقل عقلك .

فكل ما أنت فيه من الدنيا : إنما هو رؤيا

١- آية ٢٢ سورة ق .

٢- أورده الحافظ المناوي في فيض القدير على أنه حديث ولم يورد سنده ، وقال العجلوني : هو من قول علي بن أبي طالب لكن عزاه الشعراني في الطبقات لسهل التستري، ولفظه في ترجمته ومن كلامه "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وإذا ماتوا ندموا وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم .اهـ وروى ابن أبي الدنيا عن أبي حازم بلفظ " يا ابن آدم بعد الموت يأتيك الخبر".

القرين

{وَقَالَ قَرِينُهُ}(١) .

اعلم أن الإنسان إذا خلقه الله ، في أمة لم يبعث فيها رسول ، لم يقترن به ملك ولا شيطان ، ويبقى يتصرف بحكم طبعه ، ناصيته بيد ربه خاصة . فإذا بُعث فيهم رسول ، أو خُلِق في أمة فيهم رسول ، **لزمه من حين ولادته قرينان : ملك ، وشيطان .**

١- آية ٢٣ سورة ق .

القلب

قال تعالى : **{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ}**(١)٠
{فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}(٢) .
دلت الآيتان على أن للقلب عينا ، ترى وتبصر : **{عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}**(٣) .

وهذه العين ، لا ترى ولا تبصر ، إلا الشيء الذي يقع عليه نور الله ، المخصوص بقوله : **{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}**(٤) فإذا وقع عليه نور الله القديم ، تلاشى الحادث ، فهي لا تبصر الأشياء ، إذ لا شيء يبقى مع نوره تعالى ، فنور الله ليس كالأنوار ، ولكنه نور تنكشف به الحقائق ، وتنجلي به ظلم الدقائق ، وترتفع به الحجب والعوائق ، وتسمى عين البصيرة ، وهي عين لا ترى الكثائف ، ولكنها لا ترى إلا كل لطيف ، فهي من حضرة اللطيف برزت .

فإذا أرادت أن ترى الكثائف : لطَّفَتها ، فرأتها على صورة أخرى غير صورتها الكثيفة .

فالناس نيام ، وهم أهل الحجاب ، فكل ما رأوه من الكثائف ؛ فكما يرى النائم في منامه ، فإذا أصبح من أهل البصيرة ، كان كمن قام من نومه ، فعبر ما رآه في المنام .

١- آية ٨-٩ سورة النازعات .
٢- آية ٤٦ سورة الحج .
٣- آية ١٠٨ سورة يوسف .
٤- آية ٣٥ سورة النور .

فإن كان رأى لبنا ، عبره بالعلم ، أي عبر به من عالم النوم والخيال إلى عالم اليقظة .

والخيال - على سعته - فهو الواسع الضيق - فعلى سعته - لا يقبل المعاني إلا مقيدة بصورة حسية ، فيرى العلم ، لبنا . والدين ، قيدا .

{وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ}(١) ذكر المنام دون اليقظة ، في حال الدنيا ، فدل على أن اليقظة لا تكون إلا عند الموت، وإن الإنسان نائم أبدا ، ما لم يمت . فذكر أنه ثَمَّ منام بالليل والنهار، في يقظته ونومه ، وفي الخبر : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا (٢) فلم يأت بالباء في النهار ليحقق المشاركة ، وانه يريد المنام في حال اليقظة المعتادة . منامكم بالليل : هو النوم المعتاد ، وفي النهار : هو نوم الغفلات .

ولهذا جعل الدنيا جسرا أو عبرة ، أي تعبر الرؤيا التي يراها الإنسان في نومه ، فكما أنه في حال نومه يرى ما هو مراد لنفسه ، إنما هو مراد لغيره ، فيعبر من تلك الصور المرئية في حال نومه ، إلى معناها المراد بها في عالم اليقظة ، كذلك حال الإنسان في الدنيا ، ما هو مطلوب للدنيا ، فكل ما يراه ، فإنما هو مطلوب للآخرة ، فهناك يعبر ، ويظهر له ما رآه في الدنيا . فالدنيا جسر ، يُعبَر ولا يُعمَّر . فحين يستيقظ ؛ لا يرى شيئا مما رآه في المنام ، من خير وشر ، وبناء وسفر . فمن نَوَّرَ الله بصيرته ، وعبر رؤياه هنا قبل الموت ، أفلح . ويكون فيها مثل من رأى رؤيا ، ثم رأى في رؤياه أنه استيقظ ، فيقص ما رآه وهو في النوم على بعض الناس

١- آية ٢٣ سورة الروم .

٢- سبق الكلام عليه في ص ٢٠٩ .

الذين يراهم في نومه ، فيفسره له حال نومه ، فإذا استيقظ ، حينئذ يظهر له أنه لم يزل في منام ، في حال الرؤيا ، في حال التعبير بها ، وهو أصح التعبير .

وكذلك الفطن اللبيب ، في هذه الدار - مع كونه في منامه - يرى أنه استيقظ ، فيعبر رؤياه في منامه ، لينتبه ، ويزدجر ، ويسلك طريق السداد، فإذا استيقظ بالموت ، حَمِدَ رؤياه ، ومُدِحَ بمنامه ، وكان ابتغاء الفضل منه - في حق من رأى في نومه - أنه مستيقظ في نومه .

فشرف الإنسان وفضيلته ، التي فاق بها أصناف الخلق ، باستعداده لمعرفة الله سبحانه وتعالى . وإنما استعد للمعرفة بقلبه ، لا بجارحة من جوارحه.

*** فالقلب هو العالِم بالله ، وهو المتقرب إلى الله ***

*** وهو العامل بالله ، وهو الساعي إلى الله ***

*** وهو المكاشَف بما عند الله ، ولديه ***

وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات ، يستخدمها القلب .

ويستعملها استعمال المالك للعبد ، واستخدام الراعي للرعية .

فالقلب هو المقبول عند الله ، إذا سلم من غير الله .

وهو المحجوب عن الله ، إذا صار مستغرقا بغير الله .

وهو المطالب والمخاطب ، وهو المعاتب .

وهو الذي يسعد بالقرب ، ويشقى بالبعد والطرد .

وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى . وإنما الذي ينتشر على الجوارح - من العبادات - أنواره .

وهو العاصي المتمرد على الله . وإنما الساري إلى الأعضاء - من الفواحش - آثاره .

وهو الذي إذا عرفه الإنسان ، فقد عرف ربه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: **((لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم ، لنظروا إلى ملكوت السماء))(١) .**

فلو فرضنا أن حوضا محفورة في الأرض :

- احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه ، بأنهار تفتح فيه .
- ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ، ويرفع منه التراب ، إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافى ، فينفجر الماء من أسفل الحوض ، ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم ، وقد يكون أغزر .
- ويحتمل أن يجمع بين الماءين : من أعلاه وأسفله ، كما في قوله تعالى : **{فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}** (٢) .

فذلك القلب مثل الحوض ، والعلم مثل الماء ، وتكون الحواس الخمسة مثال الأنهار .

فيمكن أن تساق العلوم والأنوار إلى القلب ، بواسطة أنهار الحواس ، ويمكن أن تسد هذه الأنهار ، بالخلوة والعزلة وغض البصر ، ويعمد إلى عمق القلب ، فيطهره ، ويرفع طبقات الحجب عنه ، بمداومة الذكر ، حتى

١- أورد هذا الحديث - بهذا اللفظ - الغزالي في الإحياء ، ورواه بلفظ " ليلة أسري بي ...فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل مني فإذا أنا برهج ودخان وأصوات فقلت ما هذا يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لرؤوا العجائب" أخرجه أحمد وابن أبي شيبة و وابن أبي حاتم وابن مردويه ، عن أبي هريرة .

٢- آية ١١ – ١٢ سورة القمر .

تتفجر ينابيع العلم من داخله **{وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا}**(١) **{وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّه}**(٢) .

وقد يقول قائل : كيف يتفجر العلم من ذات القلب ، وهو خال منه ؟

فتقول له : كما أن المهندس يصور أبنية الدار في ورقة ، ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة ، فكذلك فاطر السماوات والأرض ، كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ، ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة .

والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته ، تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال ، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ، ثم يغض بصره ، يرى صورة السماء والأرض في خياله ، حتى كأنه ينظر إليها ، ولو انعدمت السماء والأرض ، وبقى هو في نفسه ، لوجد صورة السماء والأرض في نفسه ، كأنه يشاهدهما ، وهو ينظر إليهما .

ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب ، فيحصل فيه حقائق الأشياء .

والحاصل في القلب ، موافق للحاصل في الخيال .

والحاصل في الخيال ، موافق للعالم الموجود حولنا .

والعالم الموجود حولنا ، موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ .

فكما أن المهندس إذا أراد أن يعبر عن الشجرة - بالرسم على الورق - فإنه يرسمها نقطة ، فهي على الورق نقطة ، وفي الحقيقة شجرة ، فكذلك اللوح ، فيه : اللبن ، معناه العلم . والقيد ، معناه الدين .

فالقلب، يتصور أن يحصل فيه ، حقيقة العالم وصورته ، تارة من الحواس

١- آية ٦٥ سورة الكهف .

٢- آية ٢٨٢ سورة البقرة .

وتارة من اللوح المحفوظ مباشرة .

كما أن العين ، يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس ، تارة من النظر إليها ، وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ، ويحكي صورتها . فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ ، رأى الأشياء فيه ، وتفجر إليه العلم منه ، فاستغنى عن الاقتباس من الحواس ، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ، ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات ، كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ ، و كما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس ، لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ، **فإن للقلب بابان ، أو عينان :**

- **عين مفتوحة إلى عالم الملكوت ، وهو اللوح المحفوظ ، وتسمى عين البصيرة .**
- **وعين مفتوحة إلى الحواس الخمس ، المتمسكة بعالم الملك والشهادة .**

وعالم الملك والشهادة أيضا ، يحاكي عالم الملكوت ، نوعا من المحاكاة ، وهو الفرق بين علوم الأنبياء والأولياء ، وبين علوم العلماء والحكماء :

- فعلوم الأنبياء والأولياء ، تأتي من داخل القلب ، من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت ، وهو علم موهوب .
- وعلوم العلماء والحكماء ، تأتي من أبواب الحواس ، المفتوحة إلى عالم الملك ، وهو علم مكتسب .

فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم ، واجتلابها إلى القلب . والأولياء يعملون في جلاء مرآة قلوبهم ، وتطهيرها وتصفيتها فقط ، فتنطبع فيها علوم اللوح المحفوظ بغير تعب .

فقد حكي أن أهل الصين وأهل الروم ، تباهوا بين يدي بعض الملوك ، بحسن صناعة النقش والصور ، فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صُفَّة ، لينقش أهل الصين منها جانبا ، وأهل الروم منها جانبا ، ويرخى بينهما حجابا يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ، ففعل ذلك ، فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر ، ودخل أهل الصين من غير صبغ ، وأقبلوا يُجْلون جانبهم ، ويصقلوه ، فلما فرغ أهل الروم ، ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضا ، فعجب الملك من قولهم ، وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ ، وقيل : كيف فرغتم من غير صبغ ؟ فقالوا : ما عليكم ، ارفعوا الحجاب ، فرفعوا ، وإذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية ، مع زيادة إشراق وبريق ، إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة ، لكثرة التصقيل ، فازداد حسن جانبهم ، بمزيد من التصقيل .

فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب ، وجلائه وتزكيته ، وصفائه حتى يتلألأ فيه الحق بنهاية الإشراق ، كما فعل أهل الصين ، وعناية الحكماء والعلماء لاكتساب ونقش العلوم ، وتحصيل نقشها في القلب ، كما فعل أهل الروم ، فكيفما كان الأمر ، فقلب المؤمن لا يموت ، وعلمه عند الموت لا يمحى ، وصفاؤه لا يتكدر .

فإذا أردت أن تعبر من عالم الملك إلى عالم الملكوت ، ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، فعليك بالخلوة على يد شيخ عارف ، وفي الخلوة تصلي الفرائض والرواتب ، ثم لا تشغل نفسك في التفكير في أي شيء ، ولا بدراسة علم ، ولا قراءة قرآن ، ولا غيره . بل تجمع همتك ، وتذكر الله بلسانك على الدوام ، مع حضور القلب ، حتى تنتهي إلى حالة تترك فيها

تحريك اللسان ، وترى كأن الكلمة جارية على لسانك ، ثم تصبر حتى يمحى أثرها عن اللسان ، ويذكرها القلب بغير لسان ، ثم تواظب حتى تمحى صورة الكلمة وحروفها وهيئتها عن القلب ، ويبقى معنى الكلمة مجردا حاضرا في قلبك ، لازم له ، لا يفارقه ، وبذلك تصير متعرضا لنفحات رحمة الله ، وعندئذ تُنقَل من مقام الذكر إلى مقام ذكر الذكر ، وفيه يكون الذاكر عين المذكور .

لا يترك الذكر إلا من يشاهده   وليس يشهده من ليس يذكره
فلا أزال مع الأحوال أشهده   ولا أزال مع الأنفاس أذكره

والذكر بالقلب ، لا حروف له ، لأنه واحد من ساكني البلد

بذكر الله ، تزداد الذنوب   وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالا   فإن الشمس لها غروب

فحينئذ تنفعك قراءة القرآن ، وترى أنه مجدد الإنزال على قلوب التالين له دائما أبدا .

ولون الماء لون إنائه ، فحسب ما يكون عليه القلب ، يكون ظهور القرآن فيه ، فقد أغلق الله تعالى باب التنزيل بالأحكام المشروعة ، وما أغلق باب التنزل بالعلم على قلوب أوليائه ، حتى يكونوا على بصيرة .

أما إذا دخلتها - أي الخلوة - بغير إذن شيخ - له الإذن في التربية - فإنك لا تأمن أن تكون من عقلاء المجانين ، وهؤلاء قوم كانت عقولهم محجوبة ، بما كانوا عليه من الأعمال والتكاليف ، ولم يعلموا بأن لله تعالى فجأة ، لمن خلا به في سره ، وأطاعه في أمره ، ففاجأه الحق ، على غفلة

منه بذلك ، فذهب بعقله في الذاهبين ، وبقى يأكل ويشرب ويتصرف في أمور دنياه ، كالحيوان المفطور على ذلك ، من معرفة ضروراته ومضاره، من غير تدبير ولا روية ، فسقط عنهم التكليف ، فأرواحهم منعمة بشهوده تعالى في حضرته ، يقولون بالحكمة من غير قصد .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما فاجأه المَلَك ، قال : **((زملوني زملوني))**(١)، فكيف إذا فاجأه الملِك ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فاجأه الوحي ، أخِذ عن حسه ، وسجى ورغا ، من هول ما يجد ، ثم يرده ربه إلى حسه ، كي يبلغ عنه . أما موسى عليه السلام ، فلما فاجأه ربه ، خر صعقا . فانظر الفرق بين المقامين .

وأصحاب القلوب التي ملأها الله تعالى بنوره ، لا يؤثر فيهم الشيطان ، ولا يخرجهم عن عبوديتهم .

قيل لإبليس : كيف حالك مع الشيخ أبي مدين ؟

قال : كشخص بال في البحر المحيط .

فالشيطان يلقي في قلوب الأولياء ، ولا يؤثر فيهم لأنهم محفوظون .

قيل لأبي مدين في تمسح الناس به : أما تجد في نفسك من ذلك أثرا ؟

فقال : هل يجد الحجر الأسود في نفسه أثرا ، يخرجه عن حجريته ، إذا قبلته الرسل والأنبياء ؟

قيل : لا .

قال : أنا ذلك الحجر .

١- أخرجه عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والحاكم وصححه وابن جرير وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه والبيهقي من طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . ورواه البخاري ومسلم والترمذي وصححه وأحمد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

ومن الغريب أن يرتبط الفتح على القلوب بأماكن معينة ، فمنهم من يُفتَح عليه بمكان ، دون غيره .

يقول أحد العارفين : مررت بمسجد ، فقلت أصلي فيه ركعتين ، فوجدت قلبي ، فمكثت فيه سنتين .

وقال أحدهم : مررت - وأنا في طريقي إلى بيت الله الحرام - بشاب يصلي تحت سمرة في الصحراء .

فقلت : هلا ذهبت إلى بيت الله الحرام ؟

فقال : كنت ذاهبا إليه منذ عشر سنين ، ومررت ، فصليت تحت هذه السمرة ، فوجدت قلبي ، فمكثت تحتها حتى أفقده .

ومن العجب العجاب أيضا ، أن تُفطَر قلوب العارفين من هذه الأمة ، على قلوب من سبقهم من الأنبياء .

فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((الأبدال في هذه الأمة ، ثلاثون رجلا ، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجل ، أبدل الله مكانه رجلا))(١) .**

وورد عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

- **إن لله عز وجل في الخلق : ثلثمائة ، قلوبهم على قلب آدم عليه السلام .**

١- رواه أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت ، وصححه السيوطي ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، غير عبد الواحد بن قيس وقد وثقه العجلي و أبو زرعة . وبلفظ " لا يزال أربعون رجلا من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام يدفع الله بهم عن أهل الأرض ، يقال لهم الأبدال، إنهم لن يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة. قالوا : يا رسول الله : فيم أدركوها ؟ قال : بالسخاء والنصيحة للمسلمين.." رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود .

- ولله في الخلق : أربعون ، قلوبهم على قلب موسى عليه السلام .
- ولله في الخلق : سبعة ، قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام .
- ولله في الخلق : خمسة ، قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام .
- ولله في الخلق : ثلاثة ، قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام .
- ولله في الخلق : واحد ، قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام .
- فإذا مات الواحد ، أبدل الله مكانه من الثلاثة .
- وإذا مات من الثلاثة ، أبدل الله مكانه من الخمسة .
- وإذا مات من الخمسة ، أبدل الله مكانه من السبعة .
- وإذا مات من السبعة ، أبدل الله مكانه من الأربعين .
- وإذا مات من الأربعين ، أبدل الله مكانه من الثلثمائة .
- وإذا مات من الثلثمائة ، أبدل الله مكانه من العامة .
- فبهم يحيي ، ويميت ، ويمطر ، وينبت ، ويدفع البلاء ."

قيل لعبد الله بن مسعود : كيف ، بهم يحيي ويميت ؟ !

قال :

- لأنهم يسألون الله إكثار الأمم ، فيكثرون .
- ويدعون على الجبابرة ، فيقصمون .
- ويستسقون ، فيسقون .
- ويسألون ، فينبت لهم الأرض .
- ويدعون ، فيدفع بهم أنواع البلاء))(١) .

١- أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر والطبراني عن ابن مسعود .

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((العلماء هم ورثة الأنبياء ، ورثوا العلم ، من أخذه : أخذ بحظ وافر))(١)** فيرثون أحوالهم وعلومهم ومقامهم . ليس هذا فقط ، بل ورد عنه صلى الله عليه وسلم أن جعل درجتهم مثل درجة الأنبياء – فيما عدا درجتي الرسالة والنبوة – حيث قال صلى الله عليه وسلم : **((لن تخلو الأرض من أربعين رجلا ، مثل خليل الرحمن ، فبهم تُسقَونَ ، وبهم تُنصَرونَ ، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر))(٢)**

فالمخاطب هم علماء الأمة ، ولم يقل ورثة نبي واحد ، ولكن قال صلى الله عليه وسلم : ورثة الأنبياء . أما رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يُفطَر قلب أحد على قلبه ، لأنه مقام عزيز المنال .

لذا ، فقد قال أبو يزيد البسطامي ، رضي الله عنه وأرضاه ، مخبرا عن هذا المقام :-

لو أعطاك :

- **خلة ابراهيم عليه السلام .**
- **ومكالمة موسى عليه السلام .**
- **وروحانية عيسى عليه السلام .**

فاطلب منه المزيد ، فإن عنده ما وراء ذلك .

١- بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه ، وبلفظ " العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر " رواه أحمد والنسائي وابن ماجة والترمذي وأبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء .

٢- أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس وفي آخره قال سعيد : وسمعت قتادة يقول : لسنا نشك أن الحسن منهم . وهذا الحديث حسنه السيوطي وقال الهيثمي : إسناده حسن . وبلفظ " ثلاثين " أخرجه ابن حبان في تاريخه عن أبي هريرة . وأخرجه أحمد في مسنده والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والخلال في كرامات الأولياء عن عبادة بن الصامت ورجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد وقد وثقة العجلي وأبو زرعة .

وأعلى مقامات العارفين : سجود قلوبهم .

فمن رأى قلبه ساجدا ، فقد بلغ الذروة .

وما سُمِيَ القلب : قلبا ، إلا لأنه يتقلب من سجود إلى سجود ، أما من رأى قلبه يسجد ، فقد رأى - قبل ذلك - قيامه ، وهو نقص .

ومنه قولهم : ما عرفنا نقص أبي يزيد ، إلا من قوله : رأيت قلبي يسجد .

وسجوده ، إنما يكون للأسماء الإلهية ، لا للذات .

ومن سجد ظاهره ، تخلى عنه الشيطان يبكي(١) .

فكيف بمن سجد باطنه ؟

بين القلب والعقل :

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ}(٢) .

من لم يشهد التجليات بقلبه ، فإنه ينكرها .

فان العقل يقيده ، والقلب لا يتقيد .

فهو سريع التقلب في كل حال :

((إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء))(٣) .

فهو يتقلب بتقلب التجليات ، والعقل ليس كذلك .

١- حديث " إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكي. يقول : يا ويلي . أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة. وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار" تقدم تخريجه ص ١٤ .

٢- آية ٣٧ سورة ق .

٣- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي وحسنه وابن جرير عن أنس وأخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن مردويه عن أم المؤمنين السيدة عائشة وأخرجه البخاري في تاريخه وابن جرير والطبراني عن سيرة بن فاتك وأخرجه ابن جرير والطبراني في السنة والحاكم وصححه عن جابر وأخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات عن النواس بن سمعان وأخرجه مسلم والنسائي وابن جرير والبيهقي عن عبد الله بن عمرو وأخرجه الطبراني في السنة عن أبي هريرة .

بل العقل ، تقييد ، وهو من العقال .

فالقلب هو القوة التي وراء طور العقل .

وكل إنسان له عقل ، وما كل إنسان له قلب ، قال تعالى : **{ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ }**(١) .

ولله في القلب عينان :

- عين بصيرة وهو علم اليقين .
- والثانية عين اليقين .

*** فعين البصيرة ، تنظر بالنور الذي يهدي به ***

*** وعين اليقين ، تنظر بالنور الذي يهدي إليه ***

{يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء}(٢) : وهو نور اليقين .

{وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ}(٣) : وهو النور الثانى .

فإذا اتصل النور الذي يهدي به ، بالنور الذي يهدي إليه ، عاين الإنسان ملكوت السموات والأرض .

فلا تكون معرفة الحق ، من الحق ، إلا بالقلب ، لا بالعقل .

ثم يقبلها العقل ، من القلب .

١- آية ٣٧ سورة ق .
٢- آية ٣٥ سورة النور .
٣- آية ٢٨ سورة الحديد .

الأجور

{إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ}(١) .

اعلم أن الإنسان مع الحق على حالين : حالة عبودية ، وحالة إجارة .

فمن كونه عبداً : يكون مكلفاً بالفروض ، ولا أجر له عليها جملة واحدة ، بل له ما يمتن به عليه سيده ، من النعم التي هي أفضل من الأجور ، لا على جهة الأجر .

ثم أن الله تعالى ندبه إلى أمور ليست عليه فرضاً ، فإن تقرب العبد بها إلى سيده ، أعطاه إجارته عليها ، وان لم يتقرب بها لم يطالب بها ، ولا عوتب عليها .

فإن اختار الإنسان أن يكون عبداً لله ، انقلبت جميع نوافله فرائض .

والعبد عنده جميع أسرار سيده ، يدخل ويخرج على حريمه ، لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا من يد سيده .

أما الأجير : فمكانه حيث إجارته .

والمعلوم أن المتنفل ، عبد اختيار كالأجير ، وهو في الفرائض عبد اضطرار .

وأما في الدار الآخرة ، فترتفع عبودية الاختيار .

١- آية ١٨ سورة الحديد .

يا حبيبي

يا حبيبي : طلبت منك قلبك ، ووهبت لك كلك .

حبيبي : كم أناديك فلا تسمع ، كم أتراءى لك فلا تبصر ، كم أندرج لك في الروائح فلا تشم ، وفي الطعوم فلا تطعم لي ذوقا . مالك لا تلمسني في الملموسات ، مالك لا تدركني في المشمومات ، مالك لا تسمعني ، مالك ... مالك ....

أنا ألذ لك من كل ملذوذ . أنا أشهى لك من كل مُشتهىً .

أنا أحسن لك من كل حسنٍ . ما خلقت لك الإدراكات إلا لتدركني بها . فإذا أدركتني أدركت نفسك .

حبيبي : حبني ، لا تحب غيري ، وهِمْ فِيّ ، لا تهِمْ في سِواي . كل يريدك له ، وأنا أريدك لك .

حبيبي : قنعت منك بأدنى خاطر ، وأقل لمحة .

حبيبي : أغار عليك ، منك . لا أحب أن أراك عند الغير ، ولا عندك . كن عندي . الوصال ، الوصال .

حبيبي : من الخصام ما يكون ألذ الملذوذات ، وهو خصام الأحباب . فلو لم تكن من فضل المخاصمة إلا الوقوف بين يد الحاكم ، فما ألذها من وقفة مشاهدة محبوب .

*** يا جان ! يا جان ! *(١)**

١- يعني ياجاني من الجناية وحذفت الياء ترخيما او تنوينا .

لذة الحساب

وددت طول الوقوف للحساب ، يقررني ربي .

يقول : يا عبدي ، عملت يوم كذا ، كذا وكذا (١) .

وأنا أتلذذ بخطابه لي . يا عبدي .

وحتى يكون عفوه عني ، ألذ عندي من براءتي .

فالعارفون ، يتلذذون بحساب الحق تعالى ، وعتابه لهم .

ويحبون أن تقوم الحجة عليهم في كل عمل .

كما قال الشبلي :

إني أحب أن يطول حسابي يوم القيامة ، لأجل قوله لي : يا عبدي .

فهذه عندي ألذ من نعيم الجنان كلها .

قال مجنون ليلى :

ولقد هممت بقتلها من حبها   كيما تكون خصيمتي في المحشر

١- إشارة للحديث الذي رواه أبو ذر الغفارى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إني لأعلم آخر أهل الدنيا دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة ، فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغارها ، **فيقال له : عملت يوم كذا ، كذا وكذا . وعملت يوم كذا ، كذا و كذا . فيقول : نعم لا يستطيع أن ينكر** ، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا ، قال : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه)) . رواه مسلم والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقى بسند صحيح .

ناطق العز

يا مسكين : لا يغرنك اتساع أرضي .

كلها شوك ، ولا نعل لك .

كم مات فيها أمثالك .

كم خرقت من نعال الرجال ، فوقفوا ، فلم يتقدموا ، ولم يتأخروا .

فماتوا جوعاً وعطشاً .

كم ماشٍ على الأرض ، والأرض تلعنه .

كم ساجد عليها ، ولا تقبله .

كم من ولي حبيب ، في الحانات والمراقص .

كم من عدو بغيض ، في الصلوات والمساجد .

حقت الكلمة ، ووقعت الحكمة ، ونفذ الأمر .

فلا نقص ولا زيادة ، ولا راد لأمري ، ولا معقب لحكمي .

*** إذا نطق ناطق العز ***

*** تلاشت الأعمال ، وانقطعت الرقاب ***

*** وذهل كل عارف عن معرفته ، وكل عالم عن علمه ***

خصوصية

لله ملائكة ، مهيمون في نور جلاله وجماله ، في لذة دائمة ، ومشاهدة لازمة ، لا يعرفون أن الله تعالى خلق غيرهم .

ولله قوم ، من بني آدم ، هم الأفراد الخارجون عن دائرة القطب ، لا يُعرفون ، ولا يعرفون . حجبهم الله تعالى عن غيب الأكوان ، حتى لا يعرف الواحد منهم ما في جيبه . أحرى أن لا يعرف ما في جيب غيره . لا يفرق بين المحسوسات وهي بين يديه - جهلا بها ، لا غفلة عنها ، ولا نسيانا لها - لِما حققهم به تعالى من حقائق الوصال ، واصطنعهم لنفسه .

*** فما لهم معرفة بغيره ***

*** فعلمهم به ، ووجدهم فيه ***

*** وحركتهم منه ، وشوقهم إليه ***

*** ونزولهم عليه ، وجلوسهم بين يديه ، لا يعرفون غيره ***

قال عليه السلام ، وهو سيد هذا المقام : **((أنتم أعلم بأمور دنياكم))(١) .**

١- رواه مسلم عن أنس والسيدة عائشة والبزار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله .

امرأة العزيز

يتدرج الذنب في النفس ، فأوله هاجس ، ثم خاطر ، ثم حديث نفس ، ثم هم ، فعزم ، ثم فعل .

أما الهاجس والخاطر وحديث النفس ، فلا حساب عليهم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها))(١).**

أما الهم ، **((من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله ، ولا يهلك على الله إلا هالك))(٢)** كما جاء في الحديث الصحيح .

فإن فعل الذنب أوخِذَ بالأول والآخر .

وإن رجع عن الكبيرة قانعا بمقدماتها ، غفر الله له المقدمات ، برجوعه عن الكبيرة : **{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ}**(٣).

فامرأة العزيز لم تتجاوز الهَمّ(٤) إلى الفعل .

ثم أنها معذورة ، يشهد لها أنها ظلت أعواما كثيرة تقاوم نفسها ، وهي ترى نبي الله يوسف أمام عينيها ، ليل نهار .

١- متفق عليه [البخاري ومسلم] والأربعة [أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه] وسفيان وعبد بن حميد وابن المنذر عن أبي هريرة وابن جرير عن قتادة والطبراني في الكبير عن عمران بن حصين .

٢- رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس وابن أبي حاتم عن قتادة والترمذي وصححه عن أبي هريرة وأبو يعلي عن أنس .

٣- آية ٣٢ سورة النجم .

٤- في قوله تعالى : {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} آية ٢٤ سورة يوسف .

ثم أنها كاملة ، إذ أنها أحبت نبياً صالحاً ، ويغفر لها ما قد أسلفت من تربيتها له ، تسهر عليه إذا مرض ، تطعمه وتسقيه وتخدمه .
انظر إلى النساء حين خرج عليهن ، كيف قطعن أيديهن(١) ولم يتحملن ما احتملته امرأة العزيز ، إذ رأوه مرة واحدة ، فحصل لهم فناء عما هم فيه، وهي ظلت على كمالها .

١- في قوله تعالى : {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ} (٣١) سورة يوسف .

يشهد لك

يا حبيبي : أطع الله تعالى في المكان الذي وقعت لك فيه المخالفة ، وفي الثوب ، وفي الزمان .

فكما يشهد عليك أولاً ، يشهد لك آخراً .

ثم بعد ذلك تتحول عنه إن شئت : **((اتبع السيئة الحسنة تمحها))(١) .**

١- أخرجه أحمد والترمذي والحاكم وصححاه والخرائطي وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي ذر ، وأحمد والترمذي والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ ، وابن عساكر عن أنس .

أهل معرفتي

إن لي عباداً ناطقين ، ما كلموا سواي ، ولا يكلمون .

فمن كلمني ، ولم يكلم سواي ، فهو عبدي الناطق .

بين النطق والصمت ، برزخ ، فيه قبر العقل ، وقبور الأشياء .

فمن نطق وصمت ، فهو من أهل معرفتي ، التي عنها نطق وصمت .

قلوب آل الله(١) ، لا تأوي إلى شيء .

والعلم يأوي إليها ، ولا يدخلها . والمعرفة تأوي إليها ، ولا تدخلها .

قال الله : إن دخلت يا عِلم إلى بيتي ، **جعلتكَ** فيه جهلا .

وإن دخلتي يا معرفة إلى بيتي ، **جعلتكِ** فيه نكره .

النار تأكل العلم ، والعمل ، والحكمة ، والمعرفة ، والمواقف ، والمقامات.

العقول في إقبالها ، حطب لها . والقلوب في إخلاصها ، حطب لها .

- **إن رأيت الله :** فسوف تأتى أنت بالعلم ، والعمل ، والحكمة ، والمعرفة، وتقول لها : هذا حطبك ، فكليه .
- **وإن كنت لا ترى الله** : فأنت حطبي ، لا علمك ولا حكمتك ولا معرفتك.

إذا رأيتني ، فكل موقف نار .

وإذا لم ترني ، فكل موقف نور .

ما كل من رآني ، رأى وجهي .

وكل من رأى وجهي ، فقد رآني .

١- في الحديث " آل القرآن آل الله " رواه الخطيب في رواة مالك عن أنس . وبلفظ " إن لله تعالى أهلين من الناس، أهل القرآن هم أهل الله وخاصته رواه أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن أنس . وصححه السيوطي .

بين يدي

الرب ، لا توصل إلى حضرته العلوم .

بل العلم ، طريق من طرقاتك إلى **الله** .

اتبعني بلا علم .

العلم ، لا يوقفك بين يدي .

إنما يوقفك بين يديه .

وأنا اخترتك لي ، لا للعلم .

فلا تقم فيه ، ولا بين يديه .

فإنه مفارقك ، وأنت مفارقه .

وقف بين يدي ، لا أفارقك .

ادخل ناري ، ولا مجير إلا الله .

لا تستجر بعلم ، ولا بمعرفة .

فلا تخرج من النار بعلم ، ولا بمعرفة .

فتأكلك ، وتأكلهم .

وأقم في النار .

حتى تأكل منك الجزء الذي يستجير بالعلم ، ويستجير بالمعرفة .

فإذا أقمت في النار .

وأكلتك النار .

جئتك .

فلم تعد من بعد ، إليك .

السِّرّ

لكل شيء سر .

إذا وقفت عليه :

وَسِعته ، ولم يَسَعْك .

للعلم سر .

وللمعرفة سر .

وللحكمة سر .

وللدنيا سر .

وللآخرة سر .

فإذا عرفت سر الشيء :

لم يأخذك عني ، ولا عنك .

وإذا لم تعرف سره :

أخذك عني ، وأخذك عنك .

المعرفة

إن عرفتني بمعرفة ، فمبلغك المعرفة .

وإن عرفتني بلا معرفة ، فأنت مبلغ المعرفة .

المعرفة : ذات بابين .

باب إليَّ ، وباب إلى كل شيء .

فمن دخل إليَّ ، كانت المعرفة جواده .

ومن دخل إلى المعرفة ، خرج بها إلى كل شيء .

قل للعارفين : من عبر منكم المعرفة ، فليدع إلي .

من لم يعبر ، فلا يدع إلي .

أيدعو إلي ، وهو في الطريق إلي ؟

فإليه دعا ، لا إلي .

إنه ما وصل إلي ، وبين يديه طريق إلي .

الأكل

العلوم تأكل بعضها بعضا .

العلوم كلها ، آكلة ، مأكولة .

فالآكل ، يأكل المأكول ، بالظاهر .

والمأكول ، يأكل الآكل ، بالباطن .

فلا تبن بيتك في العلوم .

أين تبني ؟

إن بنيت في الظاهر ، هدمه الباطن .

وإن بنيت في الباطن ، هدمه الظاهر .

وإن دَخَلتَ العلوم ، فادخلها عابرا .

إنما هي طريق من طرقاتك .

فلا تقف فيه .

التباين

اعلم كل شيء ، ولا تحدثه .

تحكم عليه ، ولا يحكم عليك .

رجوعك إلى الطاعة ، كرجوعك إلى المعصية .

تساويا في الرجوع .

وتباينا في المرجوع .

معرفة الرضا

لن تراني ، حتى تراني أفعل .
ولن ترى فعلي ، حتى تسلِم لي .
أظهرت الكون ، لأصرِّفه .
فمن رآني أتصرف فيه ، ولا يتصرف ،
فقد عرفني معرفة الرضا .

الوفاء

إذا عاهدتني ، فأوف لي ، ولا تخلفني .

إن تف لي ، أغلب على خطيئتك ، بصفحي .

فأستر عوراتك ، بكريم تجاوزي .

وإن تخلفني ، أقلب معارفك ، نكرات .

فلا ترى شيئا ، إلا عبدته .

ولا تسمع لي ذكرا ، إلا جحدته .

ولا تسلك إلي طريقاً ، إلا سَدَدْته .

العروة

إذا عَلِمتَ ، فجَهلتَ ، بَنَيْتَ على ما لا ينهدم .

وإذا عَلِمتَ ، فرابطت علمك ، بنيت على شفا جرف هار ، فانهار .

الجهل منجاة الخلق ، كيف كانوا ، وأين كانوا .

لي علم ، لا تحمله العلوم .

ولا تقوم لمعرفته معارف الخلق .

به أحكم على ما ظهر وبطن .

فمن سلم إليّ ما علم ، كما سلم إليّ ما جهل :

فقد استمسك بعروة منه .

وهُوَ في جواري .

لا يُعتمد عليه

لا يُجري العلمَ والجهلَ ، مجرىً واحداً :

إلا عالِمٌ ، ذلَّ له العلم .

ولا يَذِلُّ العلم ، لمن اعتمد عليه .

ولا يعتمد عليه ، إلا مفتقر إليه .

كُن بي

لا يفتقر إلى العلم ، من رأى معلِّمه .

ولا يستقر على المعرفة ، من رأى معرِّفه .

علمي ، يقطعك عني .

وفضلي ، يصرفك عني .

فكن بي ، تراني في كل شيء .

لم ينم

إن رأيتني ، صارت العلوم والمعارف حطباً لناري .

فإن رمتها ، ألحقتك بها .

إن رأيتني ، لم تنجك إلا رؤيتي .

وإن لم ترني ، لم ينجك إلا الإخلاص لي .

إذا رأيتني ، فذكرتني ، فارقتني .

كل ما سواي ، يجمعك ذكرك له ، عليه .

من رآني ، لم ينم .

ولا يراني ، من ينام .

قيوميتي

ما أنا بشيء .

ولا في شيء .

وإنما أشهدك آثار قيوميتي ، في الأشياء .

فأنت لا تشهد مشهوداً ، إلا في شيء .

فألقِ وصفك ، لا وصفي :

تصل إلي .

غيري

لا يعلمني الكون .

مع أني اقرب إلى الشيء ، من نفسه .

وأنا أبعد من الشيء ، بعده مما لا وجود له .

إن ظهر عليك حكم غيري ، فأنت للغير .

باب الصبر

الأبواب ، إلى الكلمات .

لكل باب ، ألف كلمة .

الأبواب ، لك ، إلي .

ليس لي ، إليك ، باب .

ولا بيني ، وبينك ، باب .

أقرب الأبواب إلي ، باب الصبر علي .

وليس بيني ، وبينه ، باب .

كل الأبواب ، من وراء هذا الباب .

لكل باب ، من الأبواب ، حجاب .

وليس لباب الصبر ، حجاب .

قِف بي

إذا جاءك العارف ، فانظر إلى طريقه ، ولا تلِجه معه .

إنه ينقلك إلى مقامه ، وليس مقامك عندي في مقام العارفين .

فقف في مقامك ، واتبعني ، أمشي بك من وراء الواصلين .

إني أريد أن ترى الواصلين ، كيف وصلوا ؟

وإني أريد أن ترى الواقفين ، كيف وقفوا ؟

حتى تقف بين يدي ، لا على يد واقف بين يدي .

العارفون ، والواصلون ، سيتركون هذا إلي .

فإذا فارقوا ما أقاموك به ، فارقوك .

*** فقِفْ ، لي ***

*** لا تقف ، لهم ***

*** وقف ، بي ***

*** لا تقف ، بهم ***

قربي

رأيت العز ، ينتفض من مهابة العزيز .
والعزة ، ترجف من مخافته .
أنت جليس العزيز ، لا جليس العز .
وأنت جليس العزيز ، لا جليس العزة .
العلم ، ومعلوماته ، حطبٌ ، لنار العزة .
وإن المعرفة ، ومعروفها ، حطبٌ ، لنار العزة .

*** أنا ، أقرب ، إليك ، مما تعرفت به ، إليك ***
*** وأنا ، أقرب ، إليك ، ممن تعرفت إليه ***

سعة

من رآني ، كان ذنبه أعظم من الكون .

إذا رأيتني ، لا يسعك شيء .

ضاق العلم .

ضاقت المعرفة .

ضاق الأدب .

ضاق الكون .

الكل ضيق .

المجالسة

مَنْ جالسني ، لا يجالس سواي .

إذا رأيتني ، لا تجالسني .

فليست الرؤية إذناً في المجالسة .

ليس في المجالسة ذكر ، ولا في المجالسين ذاكر .

إن الجليس ناظر .

عند الجليس من كل شيء علم . ومن كل علم ذكر .

فهو عبدي الحاوي .

الجلساء ، لا يدومون في المجالسة .

لأن الدوام ، صفة المُجلِس ، لا ، صفة الجليس .

والجليس ، لا يدخل العلم والمعرفة ، إلا في ضرورته .

فإذا دخلها ، في ضرورته ، دخلها أدباً .

حتى إذا خرج عن ضرورته ، عاد إلى مجالسته .

فمن دخلها أدباً ، ملكها ، فلا تملكه .

ومن دخلها قاصداً ، ملكته ، فلا ينتصر .

قل لمن طاف بكاسات الهوى وسقى العشاق مما قد نهل
ما مقامات المحبين سوى لا ، ولا العلم عندي كالعمل
ليس من مُوِهَ بالوصل له مثل من سيروه ، حتى وصل
لا ، ولا الواصل عندي ، كالذي طرق الباب وللدار دخل
لا ، ولا الداخل عندي ، كالذي أجلسوه عندهم في المستهل
لا ، ولا من أجلسوه عندي كالذي سارروه ، فهو للسر محل
لا ، ولا من سارروه عندي كالذي صار إياهم ، فدع عنك الجدل
ذاك شيء عَلِقَ الفؤاد به ما تَبَدَّى بعضه إلا قتل

أدب الاتباع

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحضر كل عمل ، توفر فيه أدب اتباع سنته .

فشرطان ، إن توفرا ، حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإتباع والأدب .

فإن توفر أصل الإتباع والأدب ، ظهرت الصورة الشريفة .

ثم تزيد ظهوراً ووضوحاً ، بزيادة الأدب ، وشدة الإتباع .

وكلما ازددت أدباً واتباعاً :

كلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورآك .

وأحببته ، وأحبك .

{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ}(١) .

((من عمل عملاً ، ليس عليه أمرنا ، فهو رد))(٢) أي لا نحضره .

والأجر ، على قدر الاتباع .

١- آية ٣١ سورة آل عمران .

٢- رواه البخاري عن ابن أبي أوفى ومسلم وأحمد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها.

تأديب

كل اسم من أسمائي ، مجلس .

جاءت زمرة العبيد ، فرأيت ألف جاهل .

حتى جاء عالِم .

فقال لي : عِلمه ، يسعهم ، لو اتبعوه .

ورأيت ألف عالِم .

حتى جاء عارف .

فقال لي : معرفته ، تسعهم ، لو صدقوه .

ورأيت ألف عارف .

حتى جاء منهم واحد ، يرى الله .

فقال لي : رؤيته ، تقيمهم ، لو أبصروه .

وجاءت زمرة من يرى الله عز وجل .

فرأيت ألف راءٍ .

حتى جاء منهم جليس .

فقال لي : أدبه ، يمسكهم ، في رؤيتهم ، لو عرفوه .

فهو أقرب ممن رآه .

رضاي

حزن ، كل حزين ، على قدر قوته .

لا تقف في الحزن ، فتأخذك عنه البشرى .

ولا تقف في البشرى ، فيأخذك عنها الأمن .

وقف ، لي ، وقف ، بي .

إنما البشرى : لسان ، من ألسنة رضاي .

فلا تذهب ، به ، عني .

وإنما الحزن ، لسان ، من ألْسنة حفظي لك .

فلا تذهب ، به ، عني .

وقِفْ ، لي .

تنظر إلى حفظي .

وتنظر إلى رضاي .

اصطنعتك لنفسي

جُزهم أجمعين :

العلم ، والعلماء .

والخوف ، والخائفين .

والزهد ، والزاهدين .

العبادة ، والعباد .

والمعرفة ، والعارفين .

فجزهم جميعاً .

إنهم طريقك ، لا مقصدك .

وإنهم معبرك ، لا موطنك .

فلن يدعوك ، أحدٌ ، منهم ، إلا إلى مقامه .

*** وأنا ، أدعوك ، لتكون ، لي ***

*** فما اصطنعتك إلا لنفسى ***

جُزه

مرحباً بعبدي ، الفارغ من كل شيء .

مرحباً بقلب عبدي ، الفارغ من كل شيء .

سِرْ ، يا عبدي ، فأنا دليلك إلي .

فسِرت ، فرأيت النفس ، فقال لي : جُزها .

إنك ، إن وقفت مع المذمومة ، هلكت .

وإنك ، إن وقفت مع الممدوحة ، حجبت .

فسِرت ، فرأيت العقل ، فقال لي : جُزه ، إلىَّ .

إنه إذا أقبل ، رأى الحكمة .

وإذا أدبر ، رأى نفسه .

فجزت ، فقال لي : جُزت الخطر .

فرأيت المُلك ، كله رؤية واحدة .

فقال لي : جُزه ، وجُز ما فيه ، فإنه أبيات نفسك .

ورأيت الملكوت ، كله رؤية واحدة .

فقال لي : جُزه ، وجُز ما فيه ، فإنه أبيات عقلك .

هنيئاً لهم

الطريق : علم ، ثم عمل ، ثم معرفة ،
ثم مشاهدة ، ثم وقفة ، ثم مجالسة .

وهو طريق طويل .

يطلب فيه الإنسان مجالسة الرحمن .

فإذا أمرضك الله تعالى ، فهو الذي يريد أن يجالسك .

فأنت في صحتك ، تذهب وترتع .

وتنشغل عنه ، ولا تجالسه .

فيمرضك ، حتى تجالسه وحده .

فيأخذك من الدنيا غيرة عليك :

((إن الله إذا أحب عبده ، حماه من الدنيا))(١) .

فهنيئاً للمرضى ، الذين يجالسون ربهم ، ويجالسهم :

((يا بن آدم : مرضتُ ، فلم تزرني ، قال : وكيف أزورك ، وأنت رب العالمين ؟ قال : مرض عبدي فلان ، فلم تزره . ألا إنك لو زرته ، لوجدتني عنده))(٢) .

١- أخرجه الترمذي والحاكم وصححه والبيهقي عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه وصححه السيوطي .

٢- أخرجه مسلم والبيهقي في الاسماء والصفات والترمذي في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه .

القطب

اسمه : القطب ، والغوث ، وواحد الزمان ، والخليفة ، والحجاب الأعلى، وعبد الله ، وعبد الجامع ، ومرآة الحق ، ومجلى النّعوت المقدسة ، ومجلى المظاهر الإلهية ، وصاحب الوقت ، وعين الزمان ، وسر القدر .

ولا يكون في الزمان إلا واحد ، وهو إليه ناظر . فإذا أراد الله تنصيب القطب : خلع عليه ، وكساه جميع الأسماء التي يطلبها العالم ، وتطلبه . ويدخل في بيعته كل مأمور ، أعلى وأدنى - إلا العالين ، والأفراد من البشر. إذ أنهم كُمَّل مثله مؤهلون لما ناله - ثم الإمامان ، ثم النجباء وهم أربعون ، ثم النقباء وهم ثلاث مائة ، ثم الأبدال وهم سبعة ، ثم الأوتاد وهم أربعة .

أما الملامتية فهم أعلى الطائفة ، لا يظهر على ظواهرهم شيء مما في بواطنهم .

{وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}(١) . أي جعل لنا من يحمل عنا ما لا طاقة لنا به ، من الأقطاب . فأول ما ينزل البلاء ، ينزل عليه .

فإن فاض شيء ، نزل على الإمامين .

فإن فضل شيء ، نزل على الأوتاد الأربعة .

فإن فضل شيء ، تحمله النقباء الأربعون .

فإن بقى شيء ، تحمله النجباء الثلاثمائة .

فإن بقى شيء ، وزع على الصالحين ، الأمثل ، فالأمثل .

١- آية ٢٥١ سورة البقرة .

يحبهم و يحبونه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((أفضل الأعمال الحب في الله))(١)**

وقال صلى الله عليه وسلم : **((لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله ، أحب إليه مما سواهما))(٢) .**

وقال صلى الله عليه وسلم : **((المرء مع من أحب))(٣) .**

وقال صلى الله عليه وسلم : **((واللهِ لا يلقي اللهُ حبيبَه في النار))(٤) .**

وقال صلى الله عليه وسلم : **((أشد أمتي لي حبا : قوم يكونون بعدي ، يود أحدهم أنه فقد أهله وماله ، و أنه رآني))(٥) .**

وقال صلى الله عليه وسلم : **((الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تنافر منها اختلف))(٦) .**

وقال صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : **((المتحابون في جلالي :**

- **لهم منابر من نور .**
- **في ظل الله ، يوم لا ظل إلا ظله .**
- **يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء .**

١- رواه أحمد في مسنده وأبو داود عن أبي ذر وحسنه السيوطي وأحمد عن البراء ابن عازب بلفظ " أوثق عرى الإيمان : الحب في الله" والحكيم والحاكم وأبونعيم عن أم المؤمنين السيدة عائشة بلفظ " وهل الدين إلا الحب في الله "

٢- رواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أنس.

٣- أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] والثلاثة [أبو داود، الترمذي، النسائي] عن أنس، متفق عليه [البخاري ومسلم] عن ابن مسعود .

٤- رواه الحاكم في المستدرك وصححه عن أنس وصححه السيوطي .

٥- رواه مسلم عن أبي هريرة وأحمد في مسنده عن أبي ذر وحسنه السيوطي .

٦- البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، وأحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وأبو داود عن أبي هريرة ، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود .

- **وجوههم نور ، وثيابهم نور .**
- **يفزع الناس يوم القيامة ، ولا يفزعون .**
- **وهم أولياء الله ، الذين لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون))(١) .**

{لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ}(٢) .

هؤلاء هم المتحابون في الله ، على منابر من نور .

يغبطهم الأنبياء والشهداء . و الشهداء هنا : هم الرسل ، يغبطونهم على ما هم فيه من الراحة .

فلم يكونوا في الدنيا معروفين ، ولا في الآخرة يُطلب منهم الشفاعة .

ولم يكن لهم أتباع ، ولا أمم ، يخافون عليهم .

ففى الآخرة يأتي الأنبياء والرسل ، يحزنهم الفزع الأكبر ، من شدة الخوف على أممهم ، لا على أنفسهم .

ففى مثل هذا يغبطهم الأنبياء والرسل ، على ما هم فيه من الراحة .

وقال صلى الله عليه وسلم : **((حقَّت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتزاورين في ، والمتباذلين في ، والمتواصلين في))**(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : **((إن المتحابين ، لترى غرفهم في الجنة ، كالكوكب الطالع ، الشرقي والغربي ، فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء**

١- أحمد في مسنده وصحيح مسلم ومالك في الموطأ عن أبي هريرة والترمذي وصححه عن معاذ وأحمد والطبراني في الكبير عن العرباض ابن سارية .

٢- آية ١٠٣ سورة الأنبياء .

٣- أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ وصححه السيوطي ، : أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك وابن أبي الدنيا عن عبادة بن الصامت وصححه السيوطي ورواه ابن مردويه عن أبي الدرداء . وأحمد عن عمرو بن عبسة .

المتحابون في الله عز وجل))(١) .

الحب : هو الميل إلى ما في إدراكه لذة .

والحب أمر اضطراري ، لا مدخل للعقل فيه ، بل تجدك مضطرا للحب بغير تفكر ، والله تعالى لا يتجلى في الإطلاق، وإنما يتجلى في المظاهر .

وحيث تجلى لك ، أحببته ، إما في رجل أو في امرأة ، وإما في مأكل أو في ملبس ، أو حيوان أو نبات .

فيتجلى للسان : في الطعوم والمذاقات .

وللعين : في المناظر الحسنة الجميلة .

وللأذن : في الأصوات الحسنة والنغمات العذبة .

ويتجلى للروح بأنواره .

حتى ترى الرجل يحب طعاما ، ولا يحب طعاما آخر ، لأنه رأى الله في الذي أحبه ، ولم يجده في الآخر ، مع أن المتجلي فيهما واحد .

فمن علم أو ذاق تجلي الله في الأشياء ، فهو حب في الله تعالى .

أما من أكل مثلا أو شرب ، ثم لم يعلم بهذا التجلي ، فهو كالأنعام .

قال تعالى : **{يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ}**(٢) .

ففي أول الأمر ، يتجلى الله لعبده في المظاهر ، فيحب المظاهر .

ثم يتجلى له على الإطلاق ، فيأخذه عن نفسه ، وعن كل محبوب .

ثم يرجعه إلى الخلق ، فيحب كل المخلوقات ، حبا إلهيا ، من حيث أنهم عبيد سيده .

١- رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .
٢- آية ١٢ سورة محمد .

أسباب الحب :

- المحبوب الأول عند كل حي : نفسه وذاته وكماله ، فطبعه يميل إلى وجوده ، وينفر عن عدمه ، وهذا حب اضطراري . فيحب نفسه ووجوده ، وكل ما يؤدي إلى ذلك .
- الإحسان : فالإنسان عبد الإحسان إليه أو إلى غيره ، وحب المحسن إليك أمر اضطراري .
- حب الشيء لذاته لا لشيء ينال منه : كحب الجمال والحسن ، فكل جمال محبوب : **((إن الله جميل يحب الجمال))**(١)، بل هو في غاية الجمال . والجمال كما يكون في المظهر ، يكون في الأخلاق والصفات، كحب الأنبياء والصحابة والأئمة . وهو حب للصفات الباطنة ، وربما لو رأى مظهره لم يستحسنه ، فتدرك الصور الظاهرة بالبصر ، وتدرك الصور الباطنة بالبصيرة ، فمن حرم أي منها ، لا يدرك الجمال .

وكل هذه الأسباب لا تجتمع إلا لله تعالى ، وتقتضي غاية المحبة لله ، وكل من أحب غيره ، فمن حيث نسبته إلى الله . لأن محبوب المحبوب ، محبوب .

فالإنسان لا وجود له من ذاته ، فالله هو الحي القيوم ، والله هو المحسن على الحقيقة ، إذ أنه تعالى قائم على خدمتك الليل والنهار ، وما بعث الأنبياء إلا لهدايتك ، والعلماء إلا لتقتدي بهم ، والملوك إلا لتأمن بهم .

١- تقدم تخريجه ص ١٢

فلا تبلغ حقيقة الحمد : حتى لا ترى أحدا في الكون ، منعما عليه غيرك . وهو الجميل ، وكل جمال مستعار من جماله ، جل وعلا .

أعظم اللذات وأعلاها ، معرفة الله ، والنظر إلى وجهه الكريم .

لإدراك اللذات ، لابد من حاسة يدرك بها اللذة ، فالأعمى لا يدرك المناظر الجميلة ، والعنين لا يدرك لذة النكاح ، والطفل لا يدرك لذة النساء ، فالصبي يضحك على من يترك اللعب ، ويشتغل بملاعبة النساء ، وطلب الرياسة . فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ، ويشتغل بمعرفة الله . والعارفون يقولون : **{إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}(١)**. قال تعالى : **{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ}(٢) .**

فلذة المعرفة بالله ، هي أعظم اللذات . ولكن يذوقها من منَّ الله عليه بحاسة يذوقها بها ، وهي نور يقذفه الله في القلب ، فيميل إلى حبه تعالى ومعرفته .

لذة النظر إلى وجه المعشوق في الدنيا ، تتفاوت بأسباب :

- كمال جمال المعشوق ، ونقصانه .
- كمال قوة المحب ، والشهوة ، والعشق .
- كمال الإدراك ، فمن رأى من وراء حجاب ، أو في ظلمة ، ليس كمن رأى بغير حجاب ، أو في نور .
- اندفاع العوائق المشوشة .

١- آية ٣٨ – ٣٩ سورة هود .
٢- آية ٢٠ سورة الحديد .

المؤمنون مشتركون في أصل الحب ، ولكنهم متفاوتون ، لتفاوتهم في أشياء :

- في المعرفة بالله .
- وفي حب الدنيا .
- وفي كثرة العوائق وقلتها .
- مدى أنسهم بالمدركات والمحسوسات ، فألفهم بالمظاهر العجيبة أسقط جمال وقعها على القلب . فلو فرضت أعمى أبصر فجأة ، ورأى من عظم الملك ، لخيف على عقله.

فيزيد الحب – ويصبح مُستَهتَراً فيه(١) – بأشياء :

١- **قوة معرفة الله تعالى ، واتساعها .** فالأقوياء يعرفون الله أولا ، ثم يعرفون به غيره : **{أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}**(٢). والضعفاء يعرفون الأفعال ، ثم بها يعرفون الفاعل : **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ }**(٢) .

٢- **قطع علائق الدنيا** ، وإخراج حب غير الله من القلب ، فالقلب كالإنسان، لا يتسع لشيئين : **{قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}**(٣) .

١- في لسان العرب : يقال: استُهْتِرَ بأَمر كذا وكذا ، أي: أُولِعَ به ، لا يتحدّثُ بغيره ، ولا يفعلُ غيرَه.

٢- آية ٥٣ سورة فصلت .

٣- آية ٩١ سورة الأنعام .

علامات الحب في الله :

كل من ادعى المحبة ، طالبه الله تعالى بالدليل والبرهان والعلامة :-

- فجعل القتل في سبيل الله والشهادة علامة : **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا}**(١)، **{فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}**(٢). أما قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **((لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به))(٣)**، فالنهى فيه لمن تمنى الموت بسبب الضر ، لا حبا في لقاء الله ، فأسعد الخلق حالا في الآخرة ، أقواهم حبا لله ، فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ، ودرك سعادة لقائه ، وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه ، بعد طول شوقه ، وتمكنه من دوام مشاهدته أبد الآباد ، من غير منغص ومكدر، ومن غير رقيب ولا مزاحم، ومن غير خوف انقطاع. وكلما ازدادت المحبة، ازدادت اللذة .
- اجتناب المناهي ، والاتباع الكامل : **{فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ}**(٤) .
- الاستهتار بذكر الله ، لا يفتر عنه لسانه ، ولا يخلو منه قلبه .
- حب كل من ينتسب إليه ، من قرآن ورسول وولي .
- أنسه بالخلوة ، ومناجاة الله ، وإستيحاشه من الخلق .
- لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله .
- يغضب لله ، ويرضى لله ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

١- آية ٤ سورة الصف .
٢- آية ٩٤ سورة البقرة ، آية ٦ سورة الجمعة .
٣- البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد عن أنس . ومسلم وأحمد والنسائي عن أبي هريرة والحاكم في مستدركه من حديث الحسن .
٤- آية ٣١ سورة آل عمران .

مخاوف المحبين :

- **خوف الإبعاد** ، ألا ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **((شيبتنى هود))**(١) لقوله تعالى فيها : **{أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ}**(٢)، **{أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ}**(٣) .
- **كتمان الحب** ، وخوف ظهوره . المحبة محمودة ،وظهورها محمود، وإنما المذموم هو التظاهر بها ، أو ادعاؤها ، فإنه جالب للبلاء .

قال أبو يزيد : حضرت عند الشيخ البغدادي ، وهو يتكلم على الحب ، وعنده شاب ، أخذ يذوب حتى صار ماء بين يديه ، من شدة وقع الكلام عليه ، فقال الشيخ : أما هذا ، فلو كان صادقا ، لم ينتظر حتى يسمع الكلام .

آثار المحبة :

المحبة ينتج عنها ثلاثة أحوال ومقام ، أما الأحوال : فالأنس والخوف والشوق ، والمقام : الرضا .

- إذا رأى الجمال ، نتج الأنس .
- فإذا غلب الأنس واستحكم ، فلم يشوشه قلق ، أنتج الدلال : وهؤلاء هم من قيل فيهم : **((لو أقسم على الله لأبره))(٤) .**

١- سبق تخريجه ص ١٧٣ .
٢- آية ٦٨ سورة هود .
٣- آية ٩٥ سورة هود .
٤- أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] والترمذي والنسائي وابن ماجة عن حارثة ابن وهب وأخرجه مسلم وأحمد والبيهقي والحاكم وأبو نعيم من حديث أبي هريرة وأحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة ولأبي نعيم عن أنس ، وأحمد عن حذيفة ، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة .

والدلال أمر عظيم . انظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قال في غزوة بدر ، وهو يناجي ربه : **((اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض بعد اليوم))**(١)، وإلى موسى عليه السلام ، حين يقول لله : **{إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء}** (٢)، وهذا الكلام لمن - ليس في دَلالِه - سوء أدب :

- أنظر إلى عيسى عليه السلام ، وكان من أهل الدلال حتى سلم على نفسه فقال : **{وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا}**(٣) .
- أما يحيى عليه السلام ، فإنه أقيم مقام الهيبة والحياء ، فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه ، فقال : **{وَسَلامٌ عَلَيْهِ}**(٤) .
- انظر كيف احتمل الله تعالى لإخوة يوسف ، كل ما فعلوه بيوسف عليه السلام ، وعفا عنهم .

قوم تخالجهم زهو بسيدهم ... والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه ... فيا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

- فإذا رأى الجلال ، أنتج الخوف .
- فإذا غلب الخوف ، صار هيبة .
- فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب ، إلى منتهى الجمال سمي شوقا .

١- أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما والطبراني وابن عساكر عن عمران بن حصين .
٢- آية ١٥٥ سورة الأعراف .
٣- آية ٣٣ سورة مريم .
٤- آية ١٥ سورة مريم .

- وثمرة الحب هو الرضا :

قال تعالى : **{رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ}**(١) .

وقال تعالى : **{وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ}**(٢) فرفع ذكر الرضى فوق جنات عدن ، كما رفع ذكره تعالى على الصلاة ، حيث قال : **{إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}**(٣) .

قال صلى الله عليه وسلم : **((إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين ، فيقول : سلوني ، فيقولون : رضاك))**(٤)، فسؤالهم الرضا بعد النظر ، غاية التفضيل ، وذلك أن الرضا هو سبب دوام النظر .

ورضا الله ، ثمرة رضا العبد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق ، رضي الله منه بالقليل من العمل))(٥)** وقال صلى الله عليه وسلم : **((من أحب أن يعلم منزلته عند الله عز وجل ، فلينظر منزلة الله عز وجل عنده . فإن الله تبارك وتعالى ينزل العبد من حيث أنزله العبد))(٦) .**

١- آية ١١٩ سورة المائدة . وآية ١٠٠ سورة التوبة ، وآية ٢٢ سورة المجادلة ، وآية ٨ سورة البينة .
٢- آية ٧٢ سورة التوبة .
٣- آية ٤٥ سورة العنكبوت .
٤- رواه أبو يعلي وقال العراقي رجاله رجال الصحيح ورواه البزار والطبراني في الأوسط من حديث أنس .
٥- رواه البيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا وابن عساكر والديلمي في الفردوس عن علي .
٦- رواه ابن أبي الدنيا والبزار وأبو يعلى والطبراني في الأوسط والحاكم وصححه والبيهقي في الدعوات وابن ماجة وعبد بن حميد والحكيم وابن شاهين في الترغيب بالذكر عن جابر بن عبد الله .

اعلم أن : القلب إذا صار مستغرقا بأمر من الأمور ، لم يدرك ما عداه ، فإذا كان مستغرقا في المحبة ، مرت عليه أسباب الألم ، ولم يحس بها . فضرب الحبيب ، لا يوجع . وهؤلاء قلوبهم تاهت بين جماله وجلاله ، فلا تحس بالبلاء أصلا . ألا ترى النسوة ، اللاتي قطعن أيديهن ، وهن مستهترات بملاحظة جمال يوسف عليه السلام .

لما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة ، وقد كان كف بصره ، صار الناس يتوافدون إليه ليدعو لهم ، وقد كان مستجاب الدعوة ، فيدعو لهذا ويدعو لهذا ، فقال أحدهم لولا دعوت الله أن يرد عليك بصرك فقال: قضاء الله سبحانه وتعالى عندي أحسن من بصري .

والرضا بالقضاء درجات :

- رضا بالألم ، لما يتوقع من جزيل الثواب .
- ورضا به ، لكونه من المحبوب ، ورضاءً له .
- فإذا غلب الحب ، صار مراده مراد حبيبه ، وهو ينتج السرور والفرح، ويكون البلاء ألذ الأشياء عنده .

كان فتى يحب جارية فقال لها مهما تأمرينى أطعتك حتى لو قلت لي مت فقالت : مت ، فمات .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدايته حزن حزناً : **((غدا منه مراراً ، كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه ، تبدَّى له جبريل ، فقال : يا محمد ، إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقرُّ نفسه ، فيرجع)) (١) .**

١- هذا جزء من حديث بدء الوحي الذي رواه البخاري وأحمد عن أم المؤمنين السيدة عائشة .

فمن رضي بأحكام الله الجارية عليه ، وسلم له تعالى ، رفعت جميع أعماله على درجته في الرضا .

فلا يقل عمل برز من قلب راض ، ولا يكثر عمل برز من قلب ساخط .

أما من لم يرض بحكم الله تعالى ، فهو وإبليس سواء ، حيث لم يرض بقضاء الله له بالسجود .

أما المعاصي والكفر وغيرها ، فالواجب علينا :

- **الرضا بها** ، من حيث بروزها من الحضرة الإلهية، إذ كلٌ من عند الله.
- **وإنكارها وعدم الرضى بها** ، من حيث بروزها من العباد ، فننكر على أهل الكفر والمعاصي بظواهرنا ، ونرحمهم ببواطننا ، حيث نعلم أن كلا من عنده تعالى ، وبقضائه وقدره . قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر.

الحب مقام إلهي : وصف به نفسه ، وتسمى بالودود ، وبالمحب كما روي في الأثر : وإني وحقي لك محب .

ثم إنه سبحانه وتعالى حبب إلينا أشياء :

- منها بالتزيين .
- ومنها مطلقة .

فقال ممتنا علينا : **{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ}**(١) **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ}**(٢) **{وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}**(٣).

وألطف ما في الحب ، أن تجد عشقاً مفرطاً، وهوىً، وشوقاً مقلقا، وغراماً

١- آية ٧ سورة الحجرات .
٢- آية ١٤ سورة آل عمران .
٣- آية ٢١ سورة الروم .

ونحولاً ، وامتناع نوم ولذة بطعام ، ولا يدري بمن ؟ ولا يتعين لك محبوب .

ثم إما يبدو لك تجل في كشف ، فيتعلق ذلك الحب به ، أو ترى شخصا فيتعلق ذلك الوجد الذي تجده به عند رؤيته ، فتعلم أن ذلك كان محبوبك وأنت لا تشعر ، وهذا من أخفى دقائق استشراف النفوس على الأشياء من خلف حجاب الغيب ، فتجهل حالها ، ولا تدري بمن هامت ، ولا فيمن هامت ، ولا ما هيمها . ويجد الناس ذلك في القبض والبسط الذي لا يعرف له سبب . فعند ذلك يأتيه ما يحزنه ، فيعرف أن ذلك القبض كان لهذا الأمر ، أو يأتيه ما يسره ، فيعرف أن ذلك البسط كان لهذا الأمر ، وذلك لاستشراف النفس على الأمور قبل تكونها ، في تعلق الحواس الظاهرة ، ويشبه ذلك : أخذ الميثاق على الذرية بأنه ربنا ، فلم يقدر أحد على إنكاره بعد ذلك ، فتجد في فطرة كل إنسان افتقارا لموجود يستند إليه ، وهو الله تعالى ، ولا يشعر به ، ولهذا قال : **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ}**(١)، يقول لهم : ذلك الإفتقار الذي تجدونه في أنفسكم ، متعلقه الله ، لا غير ، ولكن لا تعرفونه .

علقت بمن أهواه من حيث لا أدري ... ولا أدري مَن هذا الذي قال لا أدري
فقد حِرْت في حالي وحارت خواطري ... وقد حارت الحيرات فِيَّ وفي أمري
فبينا أنا من بعد عشرين حجة ... أترجم عن حب يعانقه سري
ولم أدر من أهوى ولا أعرف اسمه ... ولا أدري من هذا الذي ضمه صدري
إلى أن بدا لـي وجهها من نقابهـا ... كمثل سحاب الليل أسفر عن بدر

١- آية ١٥ سورة فاطر .

ودون ذلك الحب ، هو حب الحب ، وهو الشغل بالحب عن متعلقه .
جاءت ليلى إلى قيس ، وهو يصيح : ليلى ، ليلى .
فقال لها : إليك عني ، فقد شغلت بحبك عنك .
والحب من الأمور التي لا تحد .
وكل حب يحكم على صاحبه ، بحيث أن يصمه عن كل مسموع ، سوى ما يسمع من كلام محبوبه . ويخرسه عن كل كلام ، إلا عن ذكر محبوبه ، وذكر من يحب محبوبه . ويختم على قلبه ، فلا يدخل فيه سوى حب محبوبه ، ويرمي قفله على خزانة خياله ، فلا يتخيل سوى صورة محبوبه، إما عن رؤية تقدمته ، أو عن وصف ينشيء منه الخيال صورة ، فتكون كما قيل :

خيالك في عيني وذِكرُك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

فبه يسمع ، وله يسمع ، وبه يبصر ، وله يبصر ، وبه يتكلم ، وله يتكلم .
قال أحد الأكابر : بلغ بي من قوة الخيال ، أن كان حبي يجسد لي محبوبي من خارج ، لعيني ، فلا أقدر أنظر إليه ، ويخاطبني ، وأصغي إليه ، وأفهم عنه ، ولقد تركني أياما لا أسيغ طعاما ، كلما قُدمت لي المائدة ، يقف على حرفها ، وينظر ويقول بلسان أسمعه بإذني ، تأكل وأنت تشاهدنى ؟ فأمتنع من الطعام ، ولا أجد جوعا ، وأمتليء منه ، حتى سمنت من نظري إليه ، فقام لي مقام الغذاء .
فإذا كان الله هو المحبوب ، فإن الحب يستغرق جميع العبد ، فهو دائم المشاهدة ، ومشاهدة المحبوب كالغذاء للجسم ، به ينمو ويزيد ، فكلما زاد مشاهدة ، زاده حبا .

ولهذا ، الشوق يسكن باللقاء ، والاشتياق يهيج باللقاء ، وهو الذي يجده العشاق ، عند الاجتماع بالمحبوب ، ولا يشبع من مشاهدته ، فكلما نظر إليه وجد به شوقا ، مع حضوره معه ، كما قيل :

ومن عجب أني أحن إليهمُ وأسأل شوقا عنهمُ وهُمُ معي
وتبكيهمُ عيني وهم في سوادِها وتشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي

وكل حب ، يبقي في المُحب عقلا يعقل به عن غير محبوبه ، فليس بحب خالص ، وإنما هو حديث نفس .

ولنجعل الله تبارك وتعالى نصب أعيننا ، وفي قلوبنا ، وفي قبلتنا ، وفي خيالنا ، حتى كأننا نراه ، لا بل نراه فينا ، لأنا عرفناه بتعريفه ، لا بنظرنا .

والله لا يحب في الموجودات غيره ، فهو الظاهر في كل محبوب ، لعين كل محب ، وما في الوجود إلا محب ، فالعالم محب ومحبوب ، وكل راجع إليه ، كما أنه لم يعبد سواه ، فإنه ما عُبِد مَنْ عُبِد ، إلا بتخيل الألوهية فيه ، ولولاها ما عُبِد : **{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ}**(١) .

وكذلك الحب ؛ ما أحب أحد غير خالقه ، ولكن احتجب عنه تعالى ، بحب زينب وسعاد وهند وليلى ، والدنيا والدرهم والجاه ، وكل محبوب في العالم ، فأفنت الشعراء كلامها في الموجودات ، وهم لا يعلمون.

أما العارفون ، فإنهم لم يسمعوا شعرا ، ولا غزلا ، ولا تمدحا ، إلا فيه ، من خلف حجاب الصور .

١- آية ٢٣ سورة الإسراء .

وسبب الغيرة الإلهية أن :

١- يُحَبَ سواه ، فإن الحب سببه الجمال ، وهو له ، لأن الجمال محبوب لذاته ، والله جميل يحب الجمال ، فيحب نفسه .

٢- وسببه الآخر الإحسان ، وما ثم إحسان إلا من الله ولا محسن إلا الله.

فإن أحببت للإحسان ، فما أحببت إلا الله ، فإنه المحسن . وإن أحببت للجمال فما أحببت إلا الله تعالى فهو الجميل، فقوله تعالى : **{يُحْبِبْكُمُ اللّهُ}**(١) على الحقيقة نفسه أحب .

واعلم أن الحب لا يتعلق إلا بغائب ، فإذا أحببت محبوبا ، من شأنه أن يعانق ، فتحب عناقه ، أو ينكح فتحب نكاحه ، أو يجالس فتحب مجالسته ، فتتخيل أن حبك متعلق بالشخص ، وليس كذلك . فانظر إلى الذي يهيجك للقائه فهو متعلق حبك به ، واعلم أن متعلق حبك به ليس هو عناقه ، ولا مجالسته ، ولكن دوام ذلك واستمراره ، والدوام والإستمرار معدوم ، فما تعلقت إلا بغائب معدوم ، وما أحسن قوله تعالى : **{يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}**(٢) بضمير الغائب ، والفعل المستقبل ، فما أضاف متعلق الحب إلا لغائب .

والفرق بين الحب الروحانى والطبيعى ، هو الجمع بين الضدين ، فالبهائم تحب ، ولا تجمع بين الضدين ، بخلاف الإنسان ، فإنه جمع بين الضدين ، لخلقه على الصورة ، والله وصف نفسه بالضدين ، فقال : **{هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}**(٣) ، المعز المذل ، الضار النافع .

١- آية ٣١ سورة آل عمران .
٢- آية ٥٤ سورة المائدة .
٣- آية ٣ سورة الحديد .

فالحب من صفاته الاتصال بالمحبوب ، ومن صفاته اللازمة حب ما يحبه المحبوب ، فيحب المحبوب الهجر ، فإن أحب المحب الهجر ، فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة ، وإن أحب الإتصال ، فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة أيضا ، فالمحب محجوج على كل حال ، وغاية الجمع بينهما : أن يحب حب المحبوب للهجر ، لا الهجر . ويحب الإتصال .

كالراضي بالقضاء ، فيصح له اسم الرضا بالقضاء ، مع كونه لا يرضى بالمقضي ، إذا كان المقضي به كفرا .

فإن القضاء هو حكم الله بالمقضي ، وليس هو عين المقضي ، فيرضى بحكم الله ، و هذا هو الحب الروحاني .

أما الحب الطبيعي : كحب الحيوانات ، فإنه يطلب الاتصال بمن يحب خاصة ، ولا يعلم أن محبوبه له حب في كذا ، لا علم له بذلك .

فالحب منه :

إلهي ، وروحاني ، وطبيعي ، وما ثم حب بغير هذا .

- **فالحب الإلهي :** هو حب الله لنا ، وحبنا لله أيضا قد يطلق عليه أنه إلهي .
- **والحب الروحاني :** هو الذي يسعى به في مرضات المحبوب ، فلا يبقى له مع محبوبه غرض ولا إرادة ، بل هو بحكم ما يراد به ، خاصة .
- **والحب الطبيعي :** هو الذي يطلب به نيل أغراضه ، سواء سَرَّ ذلك المحبوب ، أو لم يسره ، وعلى هذا أكثر حب الناس اليوم .

الحب الإلهي :

١- هو أن يحبنا ، لنا ولنفسه :

- فأما حبه ، إيانا ، لنفسه ، فهو قوله : أحببت أن أُعرف فخلقت الخلق فتعرفت إليهم فعرفونى . فما خلقنا إلا لنفسه ، حتى نعرفه ، وقوله : **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ}**(١) .
- وأما حبه ، إيانا ، لنا ، فَلِما عَرَّفنا به من الأعمال التي تؤدينا إلى سعادتنا ، ونجاتنا من الأمور التي لا توافِق أغراضنا ، ولا تلائم طباعنا .

فخلق الله تعالى الخلق ، ليسبحوه ، ويسجدوا له ، ويثنوا عليه فقال : **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...}**(٢) مع تفريطنا ، بعد علمنا به ، وأنه ما أوجد تلك النعم إلا من أجلنا ، لننعم بها . وتركنا نرأس ونتربع ، ثم أنه بعد هذا الإحسان التام لم نشكره .

- ومن إحسانه إلينا أن بعث إلينا رسولاً من عنده ، معلماً ومؤدباً ، فشرع لنا الطريق الموصل إلى سعادتنا .
- ومن إحسانه أن قذف في قلوبنا نور الإيمان ، وحببه إلينا ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، فآمنا وصدقنا .
- واستعملنا في محابه ومراضيه ، فعلمنا أنه لولا ما أحبنا ، ما كان شيء من هذا كله .
- ثم أن رحمته سبقت غضبه .

١- آية ٥٦ سورة الذاريات .
٢- آية ٤١ سورة النور .

٢- أما حبنا لله تعالى :

فهو الحبان معا : الحب الروحاني ، والحب الطبيعي .

ونحن في حبنا إياه ، إما نحبه له ، أو نحبه لأنفسنا ، أو نحبه للمجموع ، ولا لواحد مما ذكرنا .

وهناك تقسيم آخر : وهو وإن أحببناه : فهل نحبه بنا ؟ أو نحبه به ؟ أو نحبه بالمجموع ؟ أو نحبه ولا بشيء مما ذكرناه ؟

- **فمن عرفه في الشهود ، أحبه للمجموع .**
- **ومن عرفه في الخبر ، أحبه له .**
- **ومن عرفه في النعم ، أحبه لنفسه .**

وحبه ، له ، يكون بغير طلب جزاء ، بل عبادة ذاتية ، كعبادة الجماد والنبات والحيوان ، فهم يعبدون ويسبحون لا للجزاء ، ولا يتصور معها طلب مجازاة .

ومنهم من حبه ، لنفسه ، وهم الذين عبدوه لأن العبادة ترضيه .

ثم أنه لما ذكر لهم الثواب والعقاب ، عبدوه عبادة أخرى ، رغبةً في الثواب ورهبةً من العقاب .

فجمع بين عبادة له ، وعبادة رغبة ورهبة ، والله تعالى قد وصف نفسه بالغيرة ، فلم يرد المشاركة في الحب ، وأراد أن يستخلص نفوسنا لنفسه :

((خلقتك لنفسي))(١) ، **{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي}**(٢) .

١- أورده الحافظ المناوي في فيض القدير ولم يأت بإسناده بلفظ " ابن آدم خلقتك لنفسي وخلقت كل شيء لك فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له" وفي أثر آخر "خلقتك لنفسي وخلقت كل شيء لك فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب" .

٢- آية ٤١ سورة طه .

فلا تحب سواه . فتجلى لها في صورة طبيعية ، وأعطاها علامة لا تقدر على إنكارها في نفسها ، وهي المعبر عنها بالعلم الضروري ، فعلمت أنه هو هذه الصورة . ثم تجلى لها بهذه العلامة ، في جميع الأسباب كلها ، فعرفته ، فأحبت الأسباب من أجله ، لا من أجلها ، فتجلى لها في عين ذاتها الطبيعية والروحانية ، بتلك العلامة .

*** فرأت أنها ما رأته إلا به ، لا بنفسها ***

*** وما أحبته إلا به ، لا بنفسها ***

*** فهو الذي أحب نفسه ، ما هي أحبته ***

*** فهو المحب والمحبوب ، والطالب والمطلوب ***

وهذا هو بدء حبه إيانا .

أما حبنا إياه ، فبدؤه السماع ، لا الرؤية ، وهو قوله لنا ، ونحن في جوهر العماء : (كن) فنحن كلماته التي لا تنفد ، فلما سمعنا كلامه ، ونحن ثابتون في جوهر العماء ، لم نتمكن أن نتوقف عن الوجود ، فكنا صورا في جوهر العماء ، فأعطَينا – بظهورنا في العماء – الوجودَ للعماء ، فحصل له الوجود العيني ، بعدما كان معقولي الوجود . فهذا كان سبب بدء حبنا إياه ، ونتحرك ونطرب عند سماع النغمات ، لأجل كلمة (كن) الصادرة من الصورة الإلهية ، غيبا وشهادة .

الحب الروحاني :

أن يحب محبوبه ، لمحبوبه ، ولنفسه .

الموجود محبوب ، فإن كان ذا إرادة ، أي له محبة لشيء أو غرض ، فينبغى أن يحب محبوب ذلك الموجود ، فيحبه له .

فإن لم يكن ذا إرادة ، أحبه لنفسه ، أي لنفس المحب .

وغاية الحب الروحاني : أن يقول أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا .

وكل ما في الوجود محب ، ولكن لا يعرف متعلق حبه .

ويحجبون بالموجود الذي يوجد محبوبه فيه ، فيتخيلون أن ذلك الموجود محبوبهم ، وهو على الحقيقة ، بحكم التبعية . فعلى الحقيقة لا يحب أحد محبوبا لنفس المحبوب ، وإنما يحبه لنفسه ، لأن المحبوب معدوم ، والمعدوم لا يتصف بالإرادة .

الحب الطبيعي :

هو أن يحب لنفسه ، لا لعين المحبوب .

ولا يصح أن يحب اثنين أصلا ، لأن القلب لا يسعهما ، وهذا بالنسبة للمخلوق ، والحب من المحال زواله ، إلا بزوال المحب من الوجود ، والمحب لا يزول من الوجود ، فالمحبة لا تزول .

والحب له أربعة ألقاب :-

١- الهوى : وهو سقوطه في القلب ، أي ظهوره من الغيب إلى الشهادة ، وسبب حدوثه : إما نظرة ، أو سماع ، أو إحسان . وأعظمها النظر ، وهو أثبتها ، فإنه لا يتغير باللقاء ، وأما حب الإحسان ، فمعلول ، قد تزيله الغفلة مع دوام الإحسان ، لكون عين المحسن غير مشهودة ، وقد يطلق الهوى على محاب الإنسان ، فيأمره ربه بأن لا يتبع محابه ، بل يتبع محاب ربه : **{وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى}**(١) .

١- آية ٢٦ سورة ص .

٢- الحب : فهو أن يتخلص الهوى في تعلقه بسبيل الله دون سائر السبل **{وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ}**(١) فهو من الصفاء ، ومنه الحب الذي يوضع فيه الماء ، ليصفو .

إذ أن الكفار تبرأ بعضهم من بعض ، فزال حبهم . وبقى حب المؤمنين ، فكان أشد . لأن حب المشركين كان منقسما في الدنيا ، بين الله ، وبين شركائه الذين توهموهم .

فلما كان في الآخرة ، وصفا لهم حبهم لله خاصة ، و تبرأوا من شركائهم ، كان حب المؤمنين أشد ، إذ لم يكن منقسما .

٣- العشق : فهو إفراط المحبة : **{أَشَدُّ حُبًّا}**(١) وذلك إذا عَمّ الإنسان ، وأعماه عن كل شيء سوى محبوبه ، وسرى في روحه وجميع قواه ، وجرى فيه مجرى الدم من العروق ، وغمرت جميع مفاصله ، فاتصلت بوجوده ، وعانقت أجزائه ، ولم يبق فيه متسع لغيره ، وصار نطقه به ، وسماعه منه ، ونظره إليه ، ورآه في كل صورة :

ما قدّ لي عضو ولا مفصل   إلا وفيـــه لكـم ذِكـرُ

وهؤلاء العشاق - الذين استهلكوا في الحب - اتصفوا بالغرام : وهو الملازمة لملازمة المحب لمحبوبه ، وسمي الغريم غريما ، لملازمته لغريمه ، ومقلوبه الرغام ، وهو اللصوق بالتراب ، من الذل . فصاحب الغرام ، ما رأينا أذلّ منه مع حبيبه .

١- آية ١٦٥ سورة البقرة .

٤- الودّ : وهو ثبات الحب أو العشق أو الهوى ، فإذا ثبت صاحب هذه الصفة عليها ، ولم يغيره شيء عنها ، في المنشط والمكره ، وما يسوء ويسر ، في حال الهجر والطرد ، وفي حال القرب والوصل ، ولم يبرح تحت سلطان محبوبه ، لكونه صار مظهرا لمحبوبه ، سمي ودا : **{سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}**(١) أي ثباتا في المحبة ، عند الله ، وفي قلوب عباده .

وأعلى درجات المحبة :

- أن ينزل محبوبه من حضرة المعاني إلى حضرة خياله ، فهي في خياله ألطف منها في عينه : **((أعبد الله كأنك تراه))(٢) .**

  ولذلك جاءت ليلى إلى المجنون ، فقال لها : إليك عني ، لئلا تحجبه كثافة المحسوس منها عن لطف هذه المشاهدة الخيالية ، فإنها في خياله ألطف منها في عينه ، وأجمل .
- أما من يرى الله تعالى في حضرة المعاني ، فإنما يراه به تعالى ، ومنهم من بلغ خياله من القوة بأن يجسد له ما يراه بخياله ، ويكثفه ، صورةً أمامه ، يراها بعينه .
- ومنهم من قال : إن الحب يذهب بالعقول .
- وقالوا : لا خير في حب يُدَبَّر بالعقل .
- ومنهم من قال : الحب أملك للنفوس من العقول .

١- آية ٩٦ سورة مريم .

٢- تقدم تخريجه ص ٣١ .

ومن أخص نعوت الحب :

- **الضلال والحيرة ، وتفرق الهموم :**

{إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ}(١)، **{إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي}**(٢)، والبث هو التفرق ، قال تعالى : **{وَبَثَّ مِنْهُمَا}**(٣)، **{هَبَاء مُّنبَثًّا}**(٤)، والمحب في حكم محبوبه ، فلا تدبير له في نفسه ، وإنما هو بحكم ما يعطيه ويأمره به سلطان الحب ، المستولي على قلبه ، ومن ضلالته في حبه : أنه يتخيل في كل شخص أن محبوبه حسن عنده ، كما هو حسن عنده ، أي يتخيل أن كل من يرى محبوبه يَحْسُن عنده .

والحب كالسراب ، يحسبه الظمآن ماءاً ، وذلك لظمأه ، ولولا ذلك ما حسبه ماء ، لأن الماء موضع حاجته ، فيلجأ إليه لكونه مطلوبه ومحبوبه لما فيه من سر الحياة : **{حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا}**(٥)، أي انعدمت شيئيته **{وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ}**(٥)، وهو المحبوب على الحقيقة ، فيرجع إليه تعالى ، لما تقطعت به الأسباب ، وتغلقت دون مطلوبه الأبواب ، فكان قصده الماء ، والله يسوقه به إليه من حيث لا يشعر ، إما اضطراراً ورهبةً وإما اختياراً ورغبةً ، وكذلك إذا تحققت كل شيء ، يطلق عليه لفظ شيء، لتجدن الله عنده .

١- آية ٩٥ سورة يوسف .
٢- آية ٨٦ سورة يوسف .
٣- آية ١ سورة النساء .
٤- آية ٦ سورة الواقعة .
٥- آية ٣٩ سورة النور .

وجزاء من أحب ، غير عينه ، شوق لا يخمد :

وأبكي إن نأوا شوقا إليهم   وأبكي إن دنوا خوف الفراق

فشوقه يهيج باللقاء ، وهو الاشتياق ، أما الشوق ، فإنه يسكن باللقاء :

وأبرح ما يكون الشوق يوما   إذا دنت الديار من الديار

فلو أحبَ اللهَ تعالى ، وهو روحه ومعناه ، لم تكن هذه حالته ، فإنه ما أحب غير عينه ، فمحب الله ، لا يخاف فرقة .

وكيف يفارق الشيء ، لازمه ؟ وهو في قبضته ، لا يبرح ، وبحيث يراه محبوبه ، وهو **{أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}**(١) .

أين الفراق ؟ وما في الكون إلا هو .

يقول تعالى في الحديث القدسي : **((من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا))(٢) .** فكان الحق مع غناه عن العالم ، إذا أحبه عبده ، سارع إليه بالوصلة ، وقربه ، وأدنى مجلسه ، وجعله من خواص جلسائه ، فأنت أولى بهذه الصفة ، إذا أحبك شخص فقد أعطاك السيادة عليه ، وجعل نفسه محلا لتحكمك فيه ، وينبغي لك إن كنت عاقلا أن تعرف قدر الحب ، وقدر من أحبك ، ولتسارع إلى وصلته ، تخلقا بأخلاق الله ، فإنه من بدأك بالمحبة ، فتلك يد له عليك ، لا تكافئها أبدا .

١- آية ١٦ سورة ق .

٢- أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وصححه والحاكم وصححه النسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة . وأخرجه أحمد والبيهقي في الأسماء والصفات عن أنس . وأخرجه أحمد ومسلم والحاكم وصححه وابن ماجة وابن مردويه والبيهقي عن أبي ذر . وأخرجه البيهقي عن سلمان .

- **ومن نعوت المحبين ، الهيام :**

أي يجعله الحب يهيم على وجهه ، من غير قصد جهة مخصوصة ، فمحب الله متيقن بالوصلة ، غير أي محب آخر ، فإنه يائس من وصل محبوبه . فهيام محب الله ، لأنه علم أنه تعالى لا يتقيد ، ولا يختص بمكان : **{فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ}**(١)، وهيام غيره ، ليأسه من الوصال ، فالله تعالى يتجلى لحبيبه في قصد يقصده ، على أي حالة كان : **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}**(٢) .

- **ومن نعوت المحبين ، الكمد :**

وهو أشد حزن القلب إلا أن صاحبه يكون كثير التأوه وهو حزن يجده في قلبه - لا على فائت ولا تقصير - وهذا هو الحزن المجهول ، ليس له سبب إلا الحب خاصة ، وليس له دواء إلا وصال المحبوب ، فيفنيه شغله به ، عن الإحساس بالكمد .

ومن نعوت المحبين لله خاصة :

- **الإتباع لرسول صلى الله عليه وسلم فيما شرع** : قال تعالى : **{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ}**(٣) فمحبة الله لعباده وقعت من قبل خلقهم ، أما المحبة الخاصة : فوقعت من النوافل ، فكيف بالفرائض .

١- آية ١١٥ سورة البقرة .
٢- آية ٤ سورة الحديد .
٣- آية ٣١ سورة آل عمران .

• **فمن ذلك حبه للتوابين** : ومن أسمائه التواب ، فما أحب إلا اسمه وصفته ، وأحب العبد لاتصافه بها، ولكن إذا اتصف بها على حد ما أضافها الحق إليه ، وذلك أن الحق يرجع على عبده ، في كل حال يكون العبد عليه ، مما يبعده من الله ، وهو المسمى ذنباً ومعصيةً ، فإذا أقيم العبد في حق من أساء إليه من أمثاله ، فرجع عليه بالإحسان إليه ، والتجاوز عن إساءته ، فذلك هو التواب . ما هو الذي رجع إلى الله ، فإنه لا يصح أن يرجع إلى الله ، إلا من جهل أن الله معه على كل حال . وما خاطب الحق بقوله : **{تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ}**(١) إلا من غفل عن كون الله معه على كل حال ، وكذلك قال عليه السلام : **((خياركم كل مفتن تواب))(٢)** أي يختبره الله تعالى بمن يسيء إليه من عباد الله ، فيرجع عليهم بالإحسان إليهم ، في مقابلة إساءتهم وهو التواب ، لا أن الله يختبر عباده بالمعاصي ، حاشا الله أن يضاف إليه مثل هذا ، وإن كانت الأفعال كلها لله من حيث كونها أفعالا ، وما هي معاصي إلا من حيث حكم الله فيها، بذلك فجميع أفعال الله حسنة ، من حيث ما هي أفعال .

• **ومن ذلك حبه للمتطهرين** ، فيطهر العبد نفسه من الكبرياء والجبروت والخيلاء والعجب وغيرها ، مما لا يصلح إلا لله ، وقد طبع الله على القلوب أن يدخلها العجب والجبروت والكبر ، لأن الإنسان يعلم عجزه ، وحاجته إلى كسرة خبز ، ليدفع عن نفسه ألم الجوع ، وحاجته إلى الخلاء

١- آية ٢٨١ سورة البقرة .

٢- رواه البيهقي في شعب الإيمان والديلمي في الفردوس وهناد عن علي وصححه السيوطي . وفي الباب بلفظ : " لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون لخلق الله تعالى أمة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم." رواه الطبراني في الكبير (وقال عنه الهيثمي : فيه حيي بن عبد الله المعافري وثقه ابن معين وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح) كذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب البكاء وابن جرير وابن مردويه والبيهقي عن ابن عمرو رضي الله عنهم .

ليدفع عن نفسه ألم ما في بطنه . فمن صفته هذه كل يوم وليلة ، كيف يصح أن يكون في قلبه كبرياء ؟ : **{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}**(١)، ولكن يظهر على ظاهره .

وجعل الله له مواطن يظهر فيها ، ولا يكون مذموما .

ومواطن إذا ظهر فيها ، يكون مذموما مفتونا .

فمن طهر ذاته من أن ترى عليه هذه النعوت - في غير مواطنها - فهو متطهر ، ويحبه الله . كما نفى محبته عن كل مختال فخور : **{إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}**(٢) .

- **ومن ذلك حبه للمطهرين : {وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}**(٣) وهم الذين طهروا غيرهم ، كما طهروا نفوسهم ، فتعدت طهارتهم ، فقاموا فيها مقام الحق ، نيابة عنه ، فإنه المطهر على الحقيقة .

- **ومن ذلك حبه للصابرين : {وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}**(٤) وهم الذين ابتلاهم ، فحبسوا نفوسهم عن الشكوى إلى غير الله ، **{فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ}**(٤) عن حمله ، لأنهم حملوه بالله : **{وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ}**(٥) . وإن شق عليهم : **{وَمَا اسْتَكَانُواْ}**(٦) لغير

١- آية ٣٥ سورة غافر .
٢- آية ١٨ سورة لقمان .
٣- آية ١٠٨ سورة التوبة .
٤- آية ١٤٦ سورة آل عمران .
٥- آية ١٢٧ سورة النحل .
٦- آية ١٤٦ سورة آل عمران .

الله في إزالته ، ولجئوا إلى الله في إزالته ، كما قال العبد الصالح : **{مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}**(١) فرفع الشكوى إليه لا إلى غيره، فأثنى عليه بأنه وجده : **{صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**(٢) مع هذه الشكوى فدل أن الصابر يشكو إلى الله ، بل يجب عليه ذلك ، لما في الصبر - إن لم يشك إلى الله - من مقاومة القهر الإلهي ، وهو سوء أدب مع الله ، ومن أسمائه الصبور ، فما أحب إلا من رأى خلعته عليه ، وقد عرفنا تعالى أن في خلقه من يؤذيه ، ونعتهم لنا لنعرفهم ، فندفع ذلك الأذى عنه تعالى بمقاتلتهم أو بتعليمهم ، إن كانوا جاهلين طالبين العلم ، وقد سمى نفسه صبورا ، وقد رفع إلينا ما أوذي به ، وعرفنا بهم لنذب عنه ، مع الاتصاف بالصبور ، لنعلم أنَّا إذا شكونا إليه ما نزل من البلاء ، وسألناه في رفعه عنا ، لا يزول عنا اسم الصبور ، فلا تزول عنا محبته ، وفي الصحيح : **((ليس أحد أصبر على أذىً سمعه من الله))**(٣).

- **ومن ذلك حبه للشاكرين** : **{فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}**(٤) فما أحب من العبد إلا ما هو نعته ، والشكر لا يكون إلا على النعم لا على البلاء ، فمن استعمل دواء فإنه يصبر على ما يكره من استعماله ، ويشكر على ما في الدواء من نعمة إزالة الداء . فلما شكره ، على ما في هذا المكروه من النعمة ، زاده نعمة أخرى ، وهي العافية : **{لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}**(٥) .

١- آية ٨٣ سورة الأنبياء .
٢- آية ٤٤ سورة ص .
٣- رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وابن مردويه والبيهقي عن أبي موسى الأشعري .
٤- آية ١٥٨ سورة البقرة .
٥- آية ٧ سورة إبراهيم .

وكذلك لما أوذي الحق تعالى ، وسعينا في إزالة المؤذي بقتال مثلا ، كان ذلك للحق بمنزلة شرب الدواء الذي يكرهه المريض في الحال ، ويراه نعمة لما فيه من إزالة الداء . وقد أوحى الله لنبيه داود أن يبني له بيتا ، يعني بيت المقدس ، فكلما بناه تهدم ، فقال ربه - فيما أوحى إليه - أنه لا يقوم على يديك ، فإنك سفكت الدماء . فقال يارب ما كان ذلك إلا في سبيلك . فقال صدقت ما كان إلا في سبيلي ومع هذا أليسوا عبيدي ، فلا يقوم هذا البيت إلا على يد مطهرة من سفك الدماء . فقال يا رب اجعله مني فأوحى الله إليه أنه يقوم على يد ولدك سليمان فبناه سليمان عليه السلام . فلما أزال العبد هذا الأذى عن جناب الحق ، شكره الله على ذلك ، والشكر يطلب المزيد ، فطلب من عباده سبحانه أن يزيدوه ، فزادوه في العمل ، وهو قوله عليه السلام : **((أفلا أكون عبدا شكورا))(١)** فزاد في العبادة لشكر الله فزاد الحق في الهداية والتوفيق .

فزد في عملك تكن قد جازيت ربك على شكره إياك على ما عملت له

وقد باسط الله أحد العارفين ، فقال له : لن تبلغ حد الشاكرين حتى لا ترى مُنْعَما عليه غيرك ، فقال العارف : كيف ؟ وهؤلاء الملوك ، والعلماء والأنبياء ؟ فقال له الله : كل هذا من نعمي عليك ، فلولا الأنبياء ما اهتديت، ولولا العلماء ما اقتديت ، ولولا الملوك ما أمِنت . وهذا هو شكر القلب .

١- رواه الستة سوى أبو داود عن المغيرة وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في التفكر وابن المنذر وابن حبان في صحيحه وابن مردويه والأصبهاني في الترغيب وابن عساكر وأبو نعيم عن أم المؤمنين السيدة عائشة وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد ابن حميد عن الحسن وأخرجه ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عساكر عن أبي هريرة وابن عساكر عن أبي جحيفة . وأبو يعلي وابن عساكر عن أنس ورواه الترمذي من حديث جابر .

وشكر اللسان يكفي قول الحمد لله رب العالمين ، ألا ترى أن الجنة - التي هي أعظم النعم - كان شكر أهلها فيها : **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**(١) .

• **ومن ذلك حبه للمحسنين : {وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}**(٢) والإحسان صفته ، والإحسان الذي به يسمى العبد محسنا هو أن يعبد الله كأنه يراه ، أي على المشاهدة ، وإحسان الله هو مقام رؤيته عباده ، في حركاتهم وتصرفاتهم ، وهو قوله : **{أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}**(٣)، **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}** (٤) فشهوده لكل شيء ، هو إحسانه . فإنه بشهوده ، يحفظه من الهلاك ، فكل حال ينتقل فيه العبد فهو من إحسان الله ، إذ هو الذي نقله تعالى ، ومعنى : **((فإن لم تكن تراه فإنه يراك))(٥)** أي فإن لم تحسن فهو المحسن ، وهذا المقصود به الصحابة ، لا النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال : **((هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))(٥) .**

• **ومن ذلك حبه المقاتلين في سبيل الله بوصف مخصوص :** قال تعالى **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ}**(٦) ، أي لا يدخله خلل ، فإذا دخلها خلل زال سبيل الله . وظهرت سبل الشياطين .

١- آية ١٠ سورة يونس ، آية ٧٥ سورة الزمر .
٢- آية ١٣٤ وآية ١٤٨ سورة آل عمران وآية ٩٣ سورة المائدة .
٣- آية ٥٣ سورة فصلت .
٤- آية ٤ سورة الحديد .
٥- حديث الإحسان سبق تخريجه ص ٣١ .
٦- آية ٤ سورة الصف .

وكذا في الصلاة : يتراص المصلون ، فالشياطين تتخلل خلل الصفوف .
ولما أحب الله من أحب من عباده ، رزقهم محبته من حيث لا يعلمون ، فوجدوا في نفوسهم حبا لله ، فادَّعوا أنهم من محبى الله ، فابتلاهم الله من كونهم محبين ، وأنعم عليهم من كونهم محبوبين .
فإنعامه دليل على محبته فيهم ، وابتلاؤه لما ادعوا من حبهم إياه .
فلهذا ابتلى الله أحبابه من المخلوقين .

- **ومنه حبه الجمال** : ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((إن الله جميل يحب الجمال))(١)** فالعالم هو جمال الله ، فهو الجميل ، المحب للجمال .

فمن أحب العالم - بهذا النظر - فقد أحبه ، بحب الله ، وما أحب إلا جمال الله ، فإن جمال الصنعة لا يضاف إليها ، إنما يضاف إلى صانعها .

الجمال ثلاثة :

جمال الذات ، وجمال الصفات ، وجمال الأفعال .
وكل جميل محبوب ، وكل جمال محبوب .
والمحبوب الأول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالمغناطيس يجذب الحديدة ، والحديدة تجذب غيرها . ثم من كان أقرب إليه بالمتابعة :
((من رآني فقد رأى الحق))(٢) .

١- تقدم تخريجه ص ١٢ .
٢- رواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] عن أبي قتادة وأحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري وأحمد عن أبي هريرة وابن ماجة عن أبي جحيفة وحذيفة ورواه الطبراني في الأوسط والكبير عن عبد الله بن عمرو وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

والجمال يورث السُّكر : وهو دهش يلحق سر المحب ، في مشاهدة جمال المحبوب فجأة ، نظير محبوب دخل عليه محبه فجأة ، فأذهله عما فيه من الأمر ، فلما كرر النظر إلى محاسنه ، واستأنس بلقائه ووصاله ، عاد إليه التمييز والتبصر ، وزال الدهش والتحيير .

كما خرج يوسف عليه السلام بغتة على النسوة ، فقطعن أيديهن لما أصابهن من الحيرة في شهود جماله ، والغيبة عن أوصافهن ، ولا شك أن زليخا كانت أبلغ في محبته منهن ، لكنها لم تغب عن التمييز بشهود جماله، لتمكن حال الشهود في قلبها .

المكالمة والرؤية

ما أسمع الرحمن كلامه بارتفاع الوسائط إلا ليتمكن الاشتياق في السامع ، إلى رؤية المتكلم ، ولا سيما ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **((إن الله جميل يحب الجمال))(١)** فشَوَّقَ النفوس إلى رؤيته . وهذا ما فهمه موسى عليه السلام : تجلى الله للجبل ، فتدكدك لما رأى هذا التجلي ، وتجلى لموسى عليه السلام ، فصُعِقَ ، فقام الصعق لموسى مقام التدكدك للجبل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **((إن الله إذا تجلى لشيء خشع له))(٢)** فلما تجلى للجبل ، نقله من الشموخ إلى الخشوع . ولما كان الجبل حجابا ، لم يثبت التجلي مادام الجبل باقيا ، فلما تدكدك الجبل ، بقى التجلي بلا حجاب ، فرآه موسى ، فصُعِقَ ، كما صُعِقَ الجبل وقامت فيه علامة الرؤية التي قامت في الجبل . وما أصعقه إلا الذي شاهده ، وذلك كله عند مقدمة الرؤية ، لا عن الرؤية . ونظر موسى إلى الجبل ، طاعة لأمر الله ، فلاح له عند تدكدكه الأمر الذي جعل الجبل دكا، وهو من ضروب الوحي لموسى عليه السلام ، فقد ورد في الصحيح : **((إذا قضى الله الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان))(٣)، ((إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا))(٤) .**

١- تقدم تخريجه ص ١٢ .

٢- رواه الحاكم في المستدرك وصححه وأحمد والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة وصححه عن النعمان ابن بشير ورواه النسائي وابن جرير عن قبيصة .

٣- تقدم تخريجه ص ١٣٩ .

٤- أخرجه الحاكم وصححه والطبراني في الكبير وأبو داود وابن ماجة وابن خزيمة والضياء عن أبي أمامة وأحمد وأبو داود وابن خزيمة والبزار عن عبادة بن الصامت . وقال ابن حجر في فتح الباري والمباركفوري في تحفة الأحوذي أن مسلم أخرجه .

ولما لم يكن للجبل روح يمسك عليه صورته ، زال عن الجبل اسم الجبل ، ولم يزل عن موسى بالصعق اسم موسى ، فأفاق موسى ولم يرجع الجبل جبلا بعد دكه ، لأنه ليس له روح يقيمه ، فإن حكم الأرواح ليس هو مثل حكم الحياة ، فالحياة دائمة في كل شيء ، والأرواح كالولاة : وقتا يتصفون بالعزل ، ووقتا بالولاية ، ووقتا بالغيبة عنها مع بقاء الولاية ، فالولاية ، مادام مدبراً لهذا الجسد ، والموت عزله ، والنوم غيبته عنه مع بقاء الولاية عليه ، وأفاق موسى بعد صعقته ، ولم يرجع الجبل إلى وتديته، لوجود العوض ، وهو غيره من الجبال ، وهذا الجسد الخاص ماله مدبر مخلوق سوى هذا الروح ، فطلب الجسم ، من الله ، بالحال ، مدبره ، فرده الله إليه ، أما الجبل فقد استغنت عنه الأرض ، بأمثاله من الجبال .

واعلم أن المحدث ، إذا ظهر له القديم ، يمحو أثره ، إذ لا طاقة للمحدَث على رؤية القديم ، فإذا كان الحق سمع العبد وبصره ، ثبت لظهور الحق في التجلي أو في الكلام .

ألا ترى إلى موسى عليه السلام ، كيف ثبت في الكلام ، فلما وقع التجلي - ولم يكن الحق عند ذلك بصر موسى ، كما كان سمعه - صُعِقَ ، ولم يثبت .

ولما كان الله تبارك وتعالى يتجلى في الصور ، ويكون التجلي على قدر المتجلى له ، فإنه يتجلى للأولياء بما لا يتجلى به لغيرهم ، ويتجلى للأنبياء بأعظم مما يتجلى به للأولياء . وموسى عليه السلام قد رأى الحق بما هو متجل به للأولياء ، وإنما سأل التجلي في الصورة التي لا يدركها إلا الأنبياء ، ومن الأنبياء من خصه الله بمقام لم ينله غيره .

واعلم أن الحق تعالى ، ما يتجلى لمخلوق ، إلا في صورة المخلوق .

أما التي هو عليها في الحال ، فيعرفه . أو ما يكون عليها بعد ذلك ، فينكره . والمخلوق لا يعلم من أحواله إلا ما هو عليه في الوقت ، فالصورة صورتك ، فصدق .

{لَن تَرَانِي}(١) : واعلم أنه ليس هناك منع ، بل فيض دائم ، وعطاء غير محظور ، فالحق متجلٍ دائما ، والقابل لا يكون إلا بالاستعداد الخاص .

وقد صح له ذلك الاستعداد ، فوقع التجلي في حقه ، ولا يخلو أن يكون له أيضا استعداد البقاء عند التجلي ، أو لا يكون له ذلك . فإن كان له ذلك ، فلابد أن يبقى ، وإن لم يكن ، فلا بد من اندكاك ، أو صعق ، أو فناء ، أو غيبة ، أو غشية .

شهود الحق ، فناء . ما فيه لذة . لا في الدنيا . ولا الآخرة . فليس التفاضل ، ولا الفضل ، في التجلي ، وإنما فيما يعطي الله لهذا المتجلى له من الاستعداد .

١- آية ١٤٣ سورة الأعراف .

الإسلام

أول كلام شق أسماع الكائنات ، قوله تعالى : **{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}**(١)، هو معاهدة على الإسلام لله ، وإسقاط التدبير معه تعالى ، إذ أنه تعالى المتكفل بجميع أمورنا .

قال تعالى : **{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}**(٢) .

بدأت الآية الكريمة بقسم كريم ، فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم غاية التكريم ، حيث أضاف نفسه تعالى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا تكريم لم يحظ به غير حبيب الله ، صلى الله عليه وسلم ، انظر إلى قوله تعالى : **{ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا}**(٣) وكيف أضاف اسم زكريا عليه السلام ، إلى اسمه ، وليس العكس ، فانظر التفاوت بين المنزلتين .

أقسم الله تعالى في هذه الآية : أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكَّم الله ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، على نفسه ، قولا وفعلا ، أخذا وتركا، حبا وبغضا ، يشمل ذلك أحكام التكليف والتصريف ، فالتكليف هي الأوامر والنواهى المتعلقة لاكتساب العبد ، والتصريف هو ما قدره الله على عبده من أحكام قهره .

وحقيقة الإيمان : هي امتثال الأمر ، والاستسلام للقهر .

١- آية ١٧٢ سورة الأعراف .
٢- آية ٦٥ سورة النساء .
٣- آية ٢ سورة مريم .

ولم يكتف الله تعالى بالتحكيم الظاهر فقال : **{ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ}**(١) وهذا مخصوص بما شجر بينهم .

ثم أمرهم تعالى بالاستسلام لأمره في كل أحوالهم : **{وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}**.

كن إبراهيميا : **{إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}**(٢) جاءه إمام الملائكة ، جبريل عليه السلام ، وهم يلقونه في النار ، فقال : ألك حاجة ؟ فقال : **((أما إليك فلا))** فهذا أدب عظيم ، إذ أثبت إبراهيم عليه السلام حاجته وفاقته ، ولكن إلى الله تعالى دون غيره ، مما أدى إلى استغراب جبريل عليه السلام ، وكأنه قال له : إذن فاطلب من الله تعالى النجاة ، فكان الجواب الثانى أعجب وأغرب ، حيث قال : **((علمه بحالي يغني عن سؤالي))(٣) .**

فهذا إسلام ، ناتج عن علم بأنه تعالى بصير نصير ، قريب مجيب .

ومن علم أن ربه بهذه الصفات ، فكيف يسأله ؟

بل ينقلب دعاؤه كله ثناء على الله ، لا طلبا للأغراض .

قال تعالى : **{مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ}**(٤) .

١- آية ٦٥ سورة النساء .
٢- آية ١٣١ سورة البقرة .
٣- ذكره البغوي رواية عن كعب الأحبار ، والقرطبي رواية عن أبي بن كعب .
٤- آية ٧٨ سورة الحج .

التسليم والرضا

العبودية : هي ترك الاختيار ، وعدم منازعة الأقدار ، وبها الافتخار ، فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))**(١) أي لا فخر إلا بالعبودية .

وأفضل العبادة ، الخروج عن الإرادة .

قال تعالى : **{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ}**(٢) .

وقال تعالى : **{أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى}**(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : **((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا))**(٤) .

فمن علم أن مالك الدارين هو الله تعالى ، وأنه ضيف على الله تعالى في هذه الدنيا ، والضيافة ثلاثة أيام ، ويوم عند ربك كألف سنة من أيامنا ، فله في ضيافة الله ثلاثة آلاف سنة .

وهل يهتم الضيف بهَمّ رزقه وطعامه وشرابه ، فإن فعل فقد أساء الظن برب البيت .

ومن علم أن الله تعالى هو الحي القيوم - وهي مبالغة في القيام بأمور عباده :

- فعلمك أنك عبد تقوم بواجبات سيدك ، ويقوم سيدك بما يصلحك .
- وعلمك بأن القدر يجري على حسب تدبير الله ، لا على حسب تدبيرك .

١- سبق تخريجه ص ١٣٢ .

٢- آية ٦٨ سورة القصص .

٣- آية ٢٤ سورة النجم .

٤- رواه أحمد في مسنده ومسلم والترمذي وحسنه عن العباس بن عبد المطلب . وقال السيوطي: صحيح

• وعلمك بأن المنع من الله إحسان ، والعطاء من الخلق حرمان ، إذ أنه تعالى ما منعك بخلا وفاقة ، ولكن ليوفيك يوم القيامة بغير حساب : **{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}**(١) .

• وعلمك بأن ما أصابك من المصائب فهي لك ، لا عليك ، قال تعالى : **{قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا}**(٢) ، ولم يقل علينا .

• وعلمك بأن الذي يبتليك هو ربك ، الذي رباك على موائد إحسانه ، قال تعالى : **{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ}**(٣) فمثله كمثل من لطمه أحد في الظلام ، فاشتد غيظه ، فلما ذهب الظلام ، إذا بحبيب له هو الذي لطمه ، فيذهب غيظه .

• وعدم علمك بعواقب الأمور ، فرب أمر تريده وفيه هلاك ، قال تعالى **{وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}**(٤) فما منع عنك ما تريد إلا شفقة عليك .

١- آية ١٠ سورة الزمر .
٢- آية ٥١ سورة التوبة .
٣- آية ٤٨ سورة الطور .
٤- آية ٢١٦ سورة البقرة .

وإنما يعينهم على حمل الأقدار ، سَبْقُ الأنوار

وإنما يعينهم على حمل الأحكام ، فَتْحُ باب الأفهام

وإنما يعينهم على حمل البلايا ، واردات العطايا

وإنما يقويهم على حمل أقداره ، شهود حسن اختياره

وإنما صبَّرهم على وجود حكمه ، علمهم بوجود علمه

وإنما يصبِّرهم على ما جرى ، علمهم بأنه يرى

انظر أين كنت قبل الإيجاد ، كنت في حيز العدم ، ثم أخرجك إلى الوجود جنينا ، لا تملك لنفسك ضرا ولا نفعا ، ودبر لك جميع أمرك في جميع أطوارك ، نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظاما ولحما ، ثم أنشأك خلقا آخر ، ثم يسر لك الخروج إلى الدنيا ، وليدا صغيرا لا عقل لك ولا قدرة .

فكن له كما كنت له ، يكن لك كما كان لك .

يقول أنس رضي الله عنه : **((خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لي لشيء فعلته ، لم فعلته ؟ ولا لشيء تركته ، لم تركته؟))(١) .**

قال بعض أهل الرضا عن الله : لو أدخِلَ أهل الجنة ، الجنة . وأهل النار، النار . وبقيت أنا ، لم يقع عندي تمييز ، في أي الدارين يكون قراري ! .

١- رواه مسلم والترمذي وصححه وأحمد والخرائطي في مكارم الأخلاق والدار قطني وأبو نعيم وعبد بن حميد وأبو يعلي والطبراني في الكبير والأوسط .

والرضا هو أعظم ما ينعم به أهل الجنة ، فبعد أن يدخلوها ، وينعموا فيها بالنعم الكثيرة ، ويطلع عليهم ربنا ، فيقول : **((يا أهل الجنة ! فيقولون : لبيك . ربنا ! وسعديك . والخير في يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى ؟ يا رب ! وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب ! وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني . فلا أسخط عليكم بعده أبدا))(١) .**

ولابد لأهل المقام الذي هو التوكل والتسليم ، من خروج الدنيا من قلوبهم ، وعلامة ذلك بذلها عند الوجود ، ووجود الراحة منها عند الفقد .

ولا يصح لك مقام الرضا ، حتى ترى وتشاهد وتعتقد أن الفاعل في هذا الكون كله على الحقيقة هو الله ، فكل فعل يقع في الكون فإنما فعله الله تعالى ، بواسطة عباده ، فمن رأى هذا السر ، وحفظه الله تعالى ، علم الحقائق بقلبه ، وعامل الناس بظاهر الشرع فيها . فحقيقة الأمر أن كله من عند الله : **{قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ}**(٢) ولكن ظاهر الشرع فيه أن : **{مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ}**(٣) .

وهذا الصديق والفاروق ، يسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تخفض صوتك يا أبا بكر في صلاة الليل ؟ فيجيبه الصديق قائلا : **((قد أسمعت من ناجيت))** ويسأل عمرا : لم ترفع صوتك يا عمر ؟ فيقول : كي

١- أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي سعيد الخدري وأخرجه ابن مردويه عن جابر .
٢- آية ٧٨ سورة النساء .
٣- آية ٧٩ سورة النساء .

((أوقظ الوسنان ، وأطرد الشيطان))(١) فيأمرهما صلى الله عليه وسلم : أن ارفع صوتك قليلا يا أبا بكر ، وأن اخفض صوتك قليلا يا عمر فأخرجهما من مرادهما إلى مراد الله تعالى .

قال تعالى : **{وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ}**(٢) مقصد الشيطان ، أن يمنع العباد من الرضا عن الله ، فيما هم فيه . وأن يخرجهم عما اختاره الله تعالى لهم ، إلى مختارهم لأنفسهم .

وما أدخلك الله تعالى فيه ، تولى إعانتك عليه ،

وما أدخلت فيه نفسك ، وكلك إليه .

فالمدخل الصدق : أن تدخل بالله ، لا بنفسك .

والمخرج الصدق : كذلك

والذى يقتضيه الحق منك ، أن تمكث حيث أقامك ، حتى يكون هو الذي يتولى إخراجك ، كما تولى إدخالك ، وليس الشأن أن تترك السبب ، وإنما الشأن أن يتركك السبب .

قال بعضهم : تركت السبب كذا كذا مرة ، فعدت إليه ، ثم تركني السبب ، فلم أعد إليه .

قال صلى الله عليه وسلم : **((لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير : تغدو خماصا ، وتروح بطانا))(٣)** فيه إثبات الأسباب : حيث تغدو وتروح ، فلابد من الأسباب وجودا ، ولا بد لك من الغيبة عنها شهودا .

١- رواه الحاكم وصححه والترمذي وأبو داود عن أبي قتادة ، وابن عساكر عن أبي هريرة .
٢- آية ٨٠ سورة الإسراء .
٣- رواه أحمد في مسنده والترمذي وصححه وابن ماجة والحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في شعب الإيمان والنسائي وابن حبان في تاريخه وسعيد بن منصور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : **((إن روح القدس نفث في روعي أنه : لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب))**(١) .

- فالإجمال في الطلب ، أن تطلب من الله تعالى أن يكون قصدك التلذذ بمناجاته ، لا عين ما طلبت .
- والإجمال في الطلب ، أن تطلب تأدبا ، وتشهد أنك مطلوب بما قسم لك .
- والإجمال في الطلب ، أن تطلب وأنت شاكر لله إن أعطى ، ومشاهد حسن اختياره ، إذا منع .

١- رواه ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود ورواه الطبراني وأبو نعيم عن أبي أمامة والبزار عن حذيفة والديلمي عن جابر ونقل العجلوني عن ابن حجر في فتح الباري أن قال : رواه ابن ابي الدنيا والحاكم وصححه عن ابن مسعود .

التدبير

لا يكتمل إسلام عبد إلا بإسقاط التدبير ، وترك الاختيار ، وتغليب مراد الله تعالى ، على مراد نفسه .

فما أكل آدم عليه السلام من الشجرة إلا بعد أن دبر لنفسه ، فكل نهي هو شجرة آدم عليه السلام ، والجنة هي حضرة الله تعالى .

والتدبير نوعان :

تدبير مذموم : يوجب عقابا ، أو يوجب حجابا ، وهو التدبير لها ، أي للدنيا .

والتدبير المحمود : هو التدبير له ، أي التدبير لله ، أي تدبير أمور العبادات والطاعات ، وما قرب إلى الله تعالى ، أو تدبير أمور الدنيا للآخرة ، أو تدبير أمور الآخرة لله تعالى . قال تعالى : **{مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ}**(١) : يعني من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : منهم من أراد الدنيا ، للآخرة . ومنهم من أراد الآخرة ، لله تعالى .

فإن قلوب الصحابة رضي الله عنهم محفوظة من وساوس التدبير ، كيف لا وقد اختارهم الله تعالى ، لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ففيهم الفاضل والأفضل ، والكامل والأكمل .

وتدبير أمور الدنيا ، كفر بنعمة العقل ، وهي لا قدر لها عند الله .

ومن عرف نعمة العقل ، استحى من الله أن يصرف عقله إلى تدبير ما لا يوصله إلى قربه ، ولا يكون سببا لوجود حبه .

١- آية ١٥٢ سورة آل عمران .

التوكل

قال تعالى : **{وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}**(١) .

وقال تعالى : **{إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}**(٢) .

وقال تعالى : **{أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}**(٣) .

وقال تعالى : **{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**(٤) .
عزيز لا يذل من استجار به ، وحكيم في تدبير أمر من توكل عليه.

وقال تعالى : **{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ}**(٥) .

وقال تعالى : **{فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ}**(٦) .

وقال صلى الله عليه وسلم : **((من انقطع إلى الله عز وجل ، كفاه الله تعالى كل مؤنه ، ورزقه من حيث لا يحتسب))(٧) .**

وقال صلى الله عليه وسلم : **((من سره أن يكون أغنى الناس ، فليكن بما عند الله ، أوثق منه بما في يديه))(٨) .**

١- آية ٢٣ سورة المائدة .
٢- آية ١٥٩ سورة آل عمران .
٣- آية ٣٦ سورة الزمر .
٤- آية ٤٩ سورة الأنفال .
٥- آية ١٩٤ سورة الأعراف .
٦- آية ١٧ سورة العنكبوت .
٧- رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الأوسط والحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن عمران بن حصين . وبلفظ " من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب " رواه أبو حنيفة عن عبد الله بن الحارث الزبيدي ورواه الطيالسي عن أنس بن مالك .
٨- قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : رواه الحاكم والبيهقي في الزهد عن ابن عباس .

و**((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أصاب أهله خصاصة ، قال: قوموا إلى الصلاة ويقول : بهذا أمرني ربي عز وجل قال عز وجل {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}(١)))(٢) .**

واعلم أن من لزم المحراب ، رزقه الله بغير حساب ،

قال تعالى : **{كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}**(٣) .

وقال تعالى : **{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ}**(٤) فلا ينبغي للعباد أن يلجأوا إلى أحد غير الله بعدها ، فلا تطلب الرزق ، لأنه مأمور بطلبك .

سُئِلَ أمير المؤمنين على كرم الله وجهه :

إذا أدخلنا رجلا بيتا ، وسددناه عليه من كل ناحية ، فمن أين يدخل رزقه ؟

فقال : كما يدخل عليه أجله ؟

سأل إبراهيم بن أدهم بعض المنقطعين في الصحراء : من أين تأكل ؟

فقال : ليس هذا العلم عندي ، ولكن سل ربي من أين يطعمني ؟

قال صلى الله عليه وسلم لفقير ، وهو يعطيه تمرة : **((خذها ، لو لم تأتها لأتتك))(٥) .**

التوكل : اعتماد القلب على الوكيل وحده .

١- آية ١٣٢ سورة طه .
٢- قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن سلام .
٣- آية ٣٧ سورة آل عمران .
٤- آية ٥٨ سورة الفرقان .
٥- أخرجه ابن حبان والطبراني والبيهقي عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح.

وهو لا يتصور إلا إذا اعتقد في الوكيل أربعة أشياء :

١- منتهى الهداية .

٢- منتهى القوة .

٣- منتهى الفصاحة .

٤- منتهى الشفقة .

ومن اعتقد أن لا فاعل إلا الله ، وأنه هو المحرك والمسكن ، مع تمام العلم، والقدرة على كفاية العباد ، ثم تمام العطف والعناية ، والرحمة بجملة العباد والآحاد ، وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ، ولا وراء منتهى علمه علم ، ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة ، اتكل لا محالة قلبك عليه ، ولم يلتفت إلى غيره ، وهو معنى لا حول ولا قوة إلا بالله .

فالتوكل ثلاث درجات :

الأولى : أن يكون حاله في حق الله تعالى ، والثقة بكفالته وعنايته ، كحاله في الثقة بالوكيل .

الثانية : - وهي أقوى - أن يكون حاله مع الله تعالى ، كحال الطفل مع أمه ، لا يعرف غيرها ، ولا يفزع إلى أحد سواها ، فهي مفزعه ، وأول خاطر يخطر بباله ، فتكون ثقته بها ، وبشفقتها ، وكفالتها ، طبع لا تكلف فيه .

فمن كان باله إلى الله عز وجل ، ونظره إليه ، واعتماده عليه ، كَلِفَ به كما يَكلَف الصبي بأمه . فهذا متوكل قد فني في توكله عن توكله ، فهو لا يلتفت إلى التوكل ، بل إلى المتوكل عليه فقط، أما الأول : فليس بفان عن توكله وكسبه .

الثالثة : - وهي أعلاها - أن يكون بين يدي الله تعالى - في حركاته وسكناته - كالميت بين يدي الغاسل ، فيرى نفسه ميتا ، تحركه القدره الأزلية ، فهو مجرد من كل الصفات . فهو مثل صبي علم أنه وإن لم يزعق بأمه ، ولم يتعلق بذيلها ، فالأم تحمله ، وإن لم يسألها اللبن ، فالأم ترضعه، وهو مقام يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ، ثقة بكرمه وعنايته ، وينقلب دعاؤه بدلا من السؤال إلى الثناء والحمد ، لثقته بأنه تعالى يعطيه ابتداء ، أفضل مما يسأل . فكم من نعمة عظيمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء ، وبغير الاستحقاق ، وهو ما فعله الخليل إبراهيم عليه السلام حين قال : **((علمه بحالي يغني عن سؤالي))(١) .**
وفيه يقول القائل :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ويُرزَقُ في غشاوته الجنين

أما المقام الثانى ، فلا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه ، ولكن يقتضي ترك السؤال من غيره فقط .
والمقام الثالث ، يقتضي ترك التدبير .
والمقام الثانى ، ينفي كل تدبير ، إلا من حيث الفزع إلى الله بالدعاء والابتهال ، كتدبير الطفل في التعلق بأمه .
والمقام الأول ، لا ينفي أصل التدبير والاختيار ، ولكن ينفي بعض التدبيرات . كالمتوكل على وكيله في الخصومات ، فإنه يترك تدبيره من

١- تقدم تخريجه ص ٢٩٧ .

جهة غير الوكيل ، ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيله به .
فمن تمام توكله على الوكيل : أن يفعل ما رسمه له .
وثواب (لا حول ولا قوة إلا بالله) وردت فيه مناقب عظيمة ، لا يتصور أن يعطي الله هذا الثواب على من يقول هذه الكلمة ، لخفتها على اللسان ، وهيهات ، ولكن هذا الثواب يعطى لأرباب القلوب والتسليم .
ونسبة (لا حول ولا قوة إلا بالله) إلى كلمة (لا إله إلا الله) بعيدة جدا ، إذ أن الكلمة الأولى نفت شيئين : الحول والقوة ، أما الثانية : فنفت كل شيء، ونسبت الكل إليه تعالى .

أحوال المتوكلين :

- سئل أبو يزيد عن التوكل ، فقال : لو أن أهل الجنة في الجنة ينعمون ، وأهل النار في النار يعذبون ، ثم وقع بك تمييز بينهما ، وتحرك سرك ميلا إلى أحدهم ، لخرجت من دائرة المتوكلين .
- أما ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقد فعله شفقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما تحرك سره خوفا من الحيات ، والدليل أنه سد آخرها بقدمه ، وذلك حين دخلا الغار في الهجرة(١).
- وسئل ذو النون المصرى عن التوكل، فقال : خلع الأرباب وترك الأسباب . أما من ترك الأسباب ، وانقطع للعبادة ، فإن كان باله مشوشا لما في أيدي الناس ، يعطونه أو يمنعونه ، فهذا مذموم ، ويدخل فيما روي عنه ، صلى الله عليه وسلم ، حيث قال في رجل انقطع للعبادة في المسجد،

١- حديث " سد أبو بكر منافذ الحيات بقدمه " أخرجه البيهقي في الدلائل وابن عساكر والدينوري في المجالسة وأبو الحسن بن بشران في فوائده ، واللالكائي في السنة من حديث ضبة بن محصن العبري مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

وأخوه ينفق عليه : أخوه أفضل منه .

وأما إن تخلى للعبادة ، صابرا على الحاجة والفاقة ، ولا يسأل الناس ، ولا يلتفت إلى ذلك أصلا ، بل كان مستغرقا في العبادة ، فهو انقطاع محمود ، وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث : **((لعلك ترزق به))(١)** حين اشتكى رجل أخاه أنه منقطع للعبادة وأنه ينفق عليه. وهذا غالبا يكون صاحب حال عال .

فقد كان أحد العباد منقطعا للعبادة في مسجد ، وكان الإمام ينهاه عن ذلك ، ويقول له : لو اكتسبت كان خيرا لك، فلما أكثر عليه ، قال له العابد : إن يهوديا بجوار المسجد ضمن لي كل يوم رغيفين ، فقال الإمام : إن كان صادقا في ضمانه ، فعكوفك في المسجد خير لك ، فقال العابد : لقد وثقت بضمان يهودي ، ولم تثق بضمان الله ، حيث قال : **{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا}**(٢) وأعاد كل صلاة صلاها وراءه .

إذا صح التوكل لا يضر معه الإدخار .

فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه : **((كان يعزل نفقة أهله سنة))(٣)** ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المتوكلين . وقد كان قصر أمله صلى الله عليه وسلم بحيث إذا بال يتيمم - مع قرب الماء - ويقول: **((ما يدريني ، لعلي لا أبلغه))(٤) .**

١- رواه الترمذي والحاكم عن أنس وصححاه .

٢- آية ٦ سورة هود .

٣- حديث " كان يعزل نفقة أهله سنة" رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه والبيهقي وعبد بن حميد عن عمر رضي الله عنه .

٤- أخرجه أحمد والطبراني في الكبير وابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل والبزار عن ابن عباس .

أما إذا ادخر عن ضعف توكل ، وقلة ثقة بالله تعالى ، فهو مذموم ، فقد مات بعض أصحاب الصُفَّة ، فوجدوا في إزاره دينارين ، فقال صلى الله عليه وسلم : **((كيتان))(١)** أي من نار ، لأنه أظهر أنه من أهل التوكل ، وجلس مع أهل الصفة ، ولم يبلغ درجتهم .

فأهل الصفة ، كانوا قد تركوا الأسباب ، وجلسوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبادة للرب ، وخدمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أمرا طارئا سريعا ، بعث منهم السرايا والعيون وغير ذلك ، عن أمره صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يجلسون في صفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان منهم علي كرم الله وجهه ومصعب بن عمير رضي الله عنه وأبو هريرة رضي الله عنه وكثير من أكابر الصحابة ومنهم من ظل هكذا ألى أن مات مثل مصعب بن عمير رضي الله عنه(٢) . ومنهم من زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره بالتسبب، وكان الواحد منهم يمكث بالأيام والليالي لا يأكل ولا يشرب ، حتى كانوا يخرون بين الصفوف من الجوع، فإذا جاء طعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث لهم ، وإلا صبروا على الجوع توكلا على الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المتوكلين ، إذ كان يمكث الأيام والليالي بغير طعام ، ويربط على بطنه الحجر والحجرين من الجوع ، ولا يسأل الناس شيئا ، وهو الذي خُيِّرَ بين أن يكون نبيا ، ملكا - من غير أن ينقص ذلك مما له عند الله - وبين أن

١- تقدم تخريجه ص ٨٨ .
٢- أورد الحاكم في مستدركه في المجلد الثالث في كتاب الهجرة كثيرا من أسماء أهل الصفة . وذلك في معرض تعليقه على حديث " خيار أمتي " .

يكون نبيا عبدا ، فاختار أن يكون نبيا عبدا ، يجوع ويشبع .

فالسنة الجارية ، هو الأخذ بالأسباب الظاهرة ، مع توكل القلب على الله تعالى ، فلا يحزن على ما فاته بعد ذلك .

قال صلى الله عليه وسلم للأعرابى الذي دخل المسجد وترك بعيره بغير ربط : **((إعقلها وتوكل))(١)** فالأخذ بالأسباب لا يقدح في التوكل ، إنما يقدح فيه الاعتماد على السبب .

فإذا ظلمك أحد ، تأخذ في الأسباب التي ترد ظلمه عنك ، ولكن لا تظل تشتمه وتغتابه ، قال صلى الله عليه وسلم : **((إن العبد ليظلم المظلمة ، فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه ، حتى يكون بمقدار ما ظلمه ، ثم يبقى للظالم عليه مطالبه ، بما زاد عليه ، يقتص له من المظلوم))(٢) .**

وإذا سُرق منك شيء فلا تغتم لذلك ، بل تغتم لأجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله ، وتسارع بالعفو عنه ، وتشكر الله تعالى أن جعلها نقصا في دنياك ، لا في دينك .

وإذا دعوت على من ظلمك ، وأردت الله تعالى أن يستجيب لك ، فسوف يستجيب الله سبحانه وتعالى أيضا دعاء من يدعو عليك ، في حالة ظلمك له .

وليس من التوكل ترك التداوي ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((تداووا عباد الله ، فإن الله خلق الداء والدواء))(٣) .

١- رواه الترمذي عن أنس وابن حبان في صحيحه عن عمرو بن أمية الضمري ، كما رواه بلفظ " قيدها وتوكل " كل من ابن خزيمة والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري وقال العراقي : اسناده جيد .

٢- رواه الغزالي في الإحياء .

٣- رواه الترمذي وصححه، وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك . والطبراني عن أم الدرداء ووثق رجاله الهيثمي ورواه أحمد عن أنس .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الدواء والرقى : **((هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال : هي من قدر الله))(١)** ، وذلك كله مع اعتماد القلب على الله ، لا على الدواء .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الدخول إلى الأرض التي بها مرض الطاعون ، أو الخروج منها ، فرارا منه(٢) ، مع أنه صلى الله عليه وسلم قال **((لا عدوى))(٣)**، وأكل مع الرجل المجذوم في إناء واحد(٤) ، ثقة بالله تعالى ، وقال في حديث آخر **((فِر من المجذوم فرارك من الأسد))(٥)** يبين لأمته في الأول كيف الثقة بالله ، وفي الثانى الأخذ بالأسباب . فينتج عنهما الأخذ بالأسباب ، مع الثقة بالله تعالى .

إلا إن كان المرض شيئا هينا يستطيع تحمله ، فله أن يتحمله بغير دواء حتى يكفر عن سيئاته ، ويزيد في حسناته ، ويرفع درجاته .

١- رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير عن حكيم ابن خزام وابن ماجة والترمذي وصححه عن أبي خزامة وابن حبان عن كعب بن مالك رضي الله عنه .

٢- حديث "الطاعون" رواه البخاري ومسلم عن أسامة ابن زيد ورواه الحاكم في مستدركه والطبراني في الكبير وأحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن مغنم .

٣- أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] وأبو داود عن أبي هريرة أحمد في مسنده وصحيح مسلم عن السائب بن يزيد . ومسلم وأحمد عن جابر والترمذي وصححه عن أنس وأحمد والبخاري ومسلم وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما .

٤- حديث مؤاكلة المجذوم رواه ابن حجر في فتح الباري عن جابر وأم المؤمنين السيدة عائشة .

٥- البخاري ومسلم وأحمد وابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه .

البلاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل))(١)** وقال صلى الله عليه وسلم : **((تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة ، لا تمرضون ولا تسقمون ؟))(٢)** فدأب الصالحون على كتمان ما بهم من علة ، حتى يفوزوا بثواب الصبر ، ولا يزعجهم أن علتهم قد تجعلهم يقلون من العبادة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : **((إذا سافر العبد أو مرض ، كتب الله له ما كان يفعله مقيما صحيحا))(٣) .**

ولما علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رضا الله تبارك وتعالى في البلاء ، استعذبوا البلاء ، فجاهدوا في سبيل الله ، غير مكترثين بالقتل ، وإذهاب المهج والأرواح .

ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثواب الحمى ، فقال : **((حمى ليلة ، كفارة سنة))(٤) .**

((سأل زيد بن ثابت رضي الله عنه ربه عز وجل : أن لا يزال محموما ، فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله. وسأل ذلك طائفة من الأنصار

١- رواه أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجة والنسائي والحاكم عن سعد والطبراني في الكبير والحاكم عن أخت حذيفة وحسنه السيوطي وابن ماجة وأبو يعلى في مسنده وابن حبان والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد .

٢- قال الحافظ العراقي : أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ، وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي فاطمة .

٣- رواه البخاري وأحمد عن أبي موسى .

٤- رواه القضاعي في مسنده عن ابن مسعود مرفوعا ورواه ابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء موقوفا بلفظ حمى ليلة كفارة سنة، ورواه تمام في فوائده عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه بلفظ " حمى يوم "، وزاد وحمى يومين كفارة سنتين، وحمى ثلاثة أيام كفارة ثلاث سنين، ولابن أبي الدنيا عن الحسن مرسلا رفعه أن الله ليكفر عن المؤمن خطاياه كلها بحمى ليلة، وقال ابن المبارك عقب روايته له: أنه من جيد الحديث .

فكانت الحمى لا تزايلهم))(١) .

ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من أذهب الله كريمتيه ، لم يرض له ثوابا دون الجنة))(٢)** فتمناه كثير من الصحابة رضي الله عنهم. فهؤلاء وأمثالهم من أحباب الله تعالى ، فرحوا بأسباب يتعوذ الناس منها ، فكانوا إذا نزل بهم البلاء ، شكروا وحمدوا ، وحزنوا بأسباب فرح الناس لها ، من رغد العيش وزيادة المال والصحة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يبيت ، وفي بيته درهمان ، ويظل محزونا حتى ينفقها ، فكان هو صلى الله عليه وسلم وصحابته ، رضي الله عنهم ، يصبرون على الرخاء الذي يشكر الناس عليه ، ويشكرون على البلاء الذي يصبر الناس عليه ، وذلك لسعة معرفتهم بالله تعالى .

وقد كان السلف يستوحشون ، إذا خرج عام ولم يصابوا فيه بنقص في نفس أو مال ، والنبي صلى الله عليه وسلم عُرض عليه امرأة ، فحكي له من وصفها ، حتى هم أن يتزوجها ، فقيل : وإنها ما مرضت قط ، فقال صلى الله عليه وسلم : **((لا حاجة لي فيها))(٣)** .

وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصداع مرة ، فقال رجل : وما الصداع ؟ ما أعرفه . فقال صلى الله عليه وسلم : **((إليك عني ، من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار ، فلينظر إلى هذا))(٤) .**

١- أخرجه أحمد وأبو يعلي من حديث أبي سعيد الخدري .

٢- أخرجه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية عن عرباض وصححه السيوطي وأخرجه الطبراني من حديث جرير "من سلبت كريمتيه عوضته عنهما الجنة" وله ولأحمد نحوه من حديث أبي أمامة بسند حسن، وللبخاري من حديث أنس "يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة" يريد عينيه.

٣- قال الحافظ العراقي : رواه أحمد من حديث أنس بسند جيد .

٤- رواه أحمد والحاكم وصححه وهناد والبزار عن أبي هريرة وقال الهيثمي إسناده حسن وأبو داود من حديث عامر .

وقال صلى الله عليه وسلم : **((الحمى حظ كل مؤمن من النار))(١)**، وكانوا رضي الله عنهم يكتمون المرض والفقر ، وغيرها من البلاء أشد الكتمان ، إذ لا يجوز الإظهار ، إلا إن صحت النية في ذلك .

كمن يصف داؤه للطبيب ، حتى يصف له الدواء .

أو يصف لرجل عارف بالله ، حتى يدله على الأدب ، في مثل مرضه مع الله ، ليقتدى به . أو ليظهر فقره وعجزه وذله إلى الله تعالى.

{وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً}(٢) .

البلاء يعم ، لسعة الرحمة .

لأن البلاء لو نزل على العامل وحده ، لهلك في لمح البصر .

فكان معظم الكون يهلك ، لكثرة العاصين ، إلى قلة الطائعين .

فلما وُزِعَ البلاء ، أبقى على روح العاصين ، حتى يتوبوا ، وكان للمؤمنين أجرا وزخرا .

ثم أنه تعالى يخفف هذا البلاء على الطائعين ، حتى كأنه ما نزل ، ويشدده على العاصين ، زجرا لهم وردعا .

فمن أخلاق الأولياء رضي الله عنهم كثرة تحملهم للبلايا والمحن، وكذا تحملهم حسد الحاسدين وحقد الحاقدين ، لعلمهم أنهم ما حسدوهم إلا لعلمهم بأنهم أرفع منهم درجة ، وهذا الخُلُق إنما هو وراثة إلهية ، حيث صبر الله تعالى على أذى خلقه : لما نسبوا إليه الزوجة والولد ، وحتى قالوا إن الله

١- رواه الطبراني في الأوسط عن أنس وحسنه السيوطي والبزار عن أم المؤمنين السيدة عائشة وحسنه السيوطي وابن أبي الدنيا عن عثمان وحسنه السيوطي والديلمي والقضاعي عن ابن مسعود وأحمد من حديث أبي أمامة وقال عراقي أنه حسن .
٢- آية ٢٥ سورة الأنفال .

فقير ونحن أغنياء فإنه **((ليس أحد أصبر على أذىً سمعه من الله))(١).**

وقد ناظر بعض العباد إبليس : فقال إبليس : أنا أعلى مقاما منكم ، فكل الوجود يلعنني ، ويحقرني ويسبني ، وأنا صابر على حكم الله تعالى ، لم تتغير مني شعرة ، وأحدكم إذا قام عليه أهل مدينته ، ورموه بالعظائم ، تنغصت معيشته ، وسارع إلى طلب براءته مما نسب إليه ، ولم يكتف بعلم الله فيه .

ثم إنهم رضي الله عنهم يشكرون الله تعالى ، على ما صبرهم على تحمل أذى الخلق ، ولا يشتغلون قط بمقابلتهم ، بل يعذرونهم ، فإنهم ما آذوهم إلا وهم في غفلة ، عن كونهم عبيد لله ، وفي حضرة الله ، وعن كون الحق تعالى نهى عن ذلك ، فلو أنه تعالى مَنَّ على مثل هؤلاء بأخلاق الصالحين لكانوا على العكس من ذلك .

قال سيدي علي الخواص رضي الله عنه :

من علامة القطب في كل زمان ، تحمله للبلايا ، والإنكار عليه ، فإن جميع بلاء الأرض ينزل عليه أولا ، ثم يتفرع منه إلى الإمامين ، ثم إلى الأوتاد الأربعة ، ثم إلى الأبدال السبعة ، وهكذا إلى آخر الدائرة ، فإذا فاض عنهم شيء ، وزعوه على المؤمنين ، بحسب مقامهم .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **((إن الله ليدفع بالمسلم الصالح ، عن مائة أهل بيت من جيرانه ، البلاء))(٢)** . ثم قرأ ابن عمر : **{ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ**

١- تقدم تخريجه ص ٢٨٨ .

٢- الطبراني وابن جرير وابن عدي عن ابن عمر .

لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ}(١) .

قال تعالى : **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا}**(٢) فما بلغوا مقام الإمامة إلا بعد مبالغتهم في الصبر ، وتحمل الأذى .

وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموما ، وكذا أبو بكر رضي الله عنه .

ومات سيدنا عمر رضي الله عنه مقتولا ، وكذا سيدنا عثمان رضي الله عنه ، ومات سيدنا الحسين مقتولا ، وكذا سيدنا عبد الله بن الزبير ، وكذا الإمام زين العابدين ، ومات سيدنا عمر بن عبد العزيز مسموما .

وآلاف الأنبياء قد قتلوا في بنى إسرائيل ، ونشر زكريا عليه السلام بالمنشار .

وقد قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه :

لا يكمل عالم في مقام العلم حتى يُبتلى بأربع :

- شماتة الأعداء .

- وملامة الأصدقاء .

- وطعن الجهال .

- وحسد العلماء .

فإن صبر على ذلك جعله الله تعالى إماما يقتدى به .

واعلم أنه لولا الكلام في عِرض خواص هذه الأمة ، من العلماء والصالحين ، لعُبِدوا من دون الله ، لكثرة أنوارهم ، وما يظهر عليهم من خوارق العادات والكرامات، وحتى يأتي العلماء موفوري الأجر في الآخرة

١- آية ٢٥١ سورة البقرة .
٢- آية ٢٤ سورة السجدة .

لم يأخذوا منها شيئا في الدنيا ، فإن غالب من يعتقده الناس ويعظمونه بتقبيل الأيدي والأرجل ، حكمه حكم من نصب منجنيقا ورمى بحسناته شرقا وغربا .

ولذلك كان سيدي أبو يزيد رضي الله عنه ، لا يقيم إلا في موضع الإنكار عليه ، وكل مكان اعتقدوه فيه تحول منه .

وهم رضي الله عنهم ، لا يشتغلون بمقابلة من آذاهم ، ولا تنقيص من نقصهم ، إنما يرجعون إلى تفتيش أنفسهم ، ويكثرون من الاستغفار ، ويشهدون أنفسهم جالسين بين يديه تعالى ، وهو يرى صنيع عبيده فيهم ، إذ في تسليط الخلق على العبد رحمة في صورة نقمة ، وأنه ما سلطهم عليه إلا ليرجع العبد لله تعالى ويلتجئ إليه .

وهم لا ينتصرون لأنفسهم ، ولا يؤاخذون من آذاهم ، بل ينتصر الله لهم بغير تعمد منهم ، ولا دعاء منهم عليه ، بل ويبعث بالهدية لمن آذاه ، ويقول له : هدية بهدية ، أهديت لنا حسناتك يوم القيامة ، فما أقل ما نهديك اليوم من متاع الدنيا .

بل إن الواحد منهم يحب من آذاه أكثر من حبه لمن يعتقده ، لأن من آذاه أكثر نفعا في الآخرة ، فكان الواحد منهم يجهده أن يكره أحدا ممن يؤذيه ، فلا يستطيع .

وأقل درجة من هذا المشهد : مشهد من كان عنده المدح والذم سواء ، ومن قال له قبحك الله ، كمن قال له جزاك الله خيرا .

وذلك لشهودهم أن كل ذلك من الله ، تجل عليهم .

وكانوا رحمهم الله يشفقون على من يؤذيهم ، خوفا على دينه أن ينقص بسببهم ، فيقابلونه باللفظ دون القلب ، فيزجرونه حتى ينتهى ، وقلوبهم

فارغة من التشفى منه ، بل قلوبهم تدعو له بالهداية والصلاح ، وهم وإن كانوا لا ينتصرون لأنفسهم ، فهم ينتصرون لله ، غيرة للحق تعالى ، من حيث تعدي من يؤذيه حدود الله تعالى ، فيصيب كل من آذاه ، أو آذى من ينتسب إليه بالعطب ، وذلك بنية كف أذاه عن الناس ، ورحمة به ، فيعاقبه الله ، بما آذى به أولياءه في الدنيا ، فيخفف عنه في الآخرة .

وذلك كدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم على رعل وذكوان(١) .

أما الضعفاء ، فقد نَفَّسَ الله عليهم ، حين قال : **{وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا}**(٢)، انظر إلى قوله : سيئة مثلها ، أي كونك تقتص ، هي أيضا سيئة ، ثم ختم الآية بقوله : **{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}**(٢) .

ولما علم الكاملون أن نشأتهم في هذه الدار مجموعة من أضداد ، وأنه لم يرمهم قط بشيء إلا وهو فيهم ، من أصل تلك النشأة ، لم يتكدروا ممن رماهم ، لأنه ما رماهم إلا بما هو فيهم ، ظهورا أو كمونا ؟

وهم رضي الله عنهم قد تصدقوا بأعراضهم على الناس ، وسامحوهم ، وعفوا عنهم ، إكراما لله عز وجل ، من حيث كونهم عبيده ، ثم إكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم ، من حيث كونهم من أمته ، لا لعلة أخرى . وهذا في حقوقهم ، أما حقوق الله ، فلا يتسامحون فيها .

فعن عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، ومحمد بن سيرين رضي الله

١- أخرجه الحاكم وصححه على شرط البخاري وأحمد وأبو داود والبيهقي عن ابن عباس قال: قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح، في دبر كل صلاة، إذا قال: سمع الله لمن حمده من الركعة الأخيرة ، يدعو على أحياء من سليم على رعل وذكوان وعصية، ويؤمن من خلفه . وأخرجه بنفس المعنى البخاري ومسلم والنسائي عن أنس .

٢- آية ٤٠ سورة الشورى .

عنه ، أنهما كانا لا يسامحان من اغتابهما ، ويقولان : إن الله تعالى قد حرم أعراض المؤمنين ، فلا نبيحها ، ولكن غفر الله لك يا أخي .

وذلك أن المعصية فيها حقان : حق للخلق ، وحق للخالق .

واعلم أن التنقيص والحسد وغير ذلك ، لا يأتي من أهل المحبة ، وإنما يأتي من المعتقدين والأعداء ، والفرق بين المحب والمعتقد ، أن المحب يحبك على كل حال ، أما المعتقد فهو اعتقدك ما دمت على الصراط المستقيم ، فإذا رأى منك خللا في دينك ، أو انقطعت عنه كرامتك ، نفر عنك ، وصار يتكلم عليك .

وأعجب من ذلك سماحة نفوسهم ، بمقاسمة أعدائهم حسناتهم في الآخرة ، وأموالهم في الدنيا ، فضلا عن أحبابهم ، بل بأن يأخذ هؤلاء الأعداء حسناتهم كلها ، وأن يلقوا الله تعالى صفر اليدين ، ما عدا الشهادتين ، معتمدين على فضل الله ورحمته ، فكما أهدى من انتقصهم في الدنيا حسناته لهم في الآخرة ، فهم أيضا يهدون له حسناتهم ، فهو أحسَنَ إليهم كرها ، وهم أحسنوا إليه طوعا ، بطيب نفس ، وصاحب هذا المشهد يرى أن من أساء إليه ، أحق بحسناته ، ممن أحسن إليه ، لأن من أحسن إليه قد يبخل عليك بحسناته يوم القيامة ، بعكس من أساء إليك ، وكان أحدهم يقول : لو قاسمت أعدائي في حسناتي ، لا أرى بذلك فضلا عليهم ، وإنما أرى الفضل لهم ، إذ أنهم هم الذين بدأوا بالفضل .

ومن أولياء الله تعالى ، من يجري الله تعالى له ، أجر إيذاء الخلق بعد موته ، فيتوارث بغضه ، خلف عن سلف ، فترى أحدهم يسبه ويلعنه ، تبعا لوالده ، ولا يكون هو ولا والده قد رآه أصلا .

الطاعة و المعصية

قال تعالى : **{وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ}**(١) .

فالذنوب نوعان : ظاهر جلي ، وباطن خفي .

والباطن منها أكثر وأشد إثما ، وقد يكون شركا ، وكل الناس يقع فيه وهو لا يدرى . قال تعالى : **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ}**(٢) . إذ يعسر الاحتراز منها ، فمن اتقى الله تعالى في الظاهر منها ، فلم يفعله ولم يقربه ، غفر الله تعالى ما لم يعلمه من الباطن منها ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم : **((أجِلُّوا الله ، يغفر لكم))**(٣) .

فمن عظم الله تعالى في قلبه ، فمنعه ذلك من غشيان الظاهر من هذه الذنوب ، غفر الله له بواطنها ، ومن تقحم في الظاهر منها ، أخذه الله تعالى بالظاهر والباطن .

واعلم أن الله تعالى يستر عبده على المعصية مرات ومرات ، لإظهار الفضل ، ثم يأخذه بها ، ويرفع ستره عنه بعد ذلك ، لإظهار العدل .

واعلم أن أعظم عبادة ، هي اتقاء المحارم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((اتق المحارم ، تكن أعبد الناس))(٤) .**

ومن المعلوم أن ما أدى إلى حرام فهو حرام، فيجب البعد عن فضل الكلام

١- آية ١٢٠ سورة الأنعام .
٢- آية ١٠٦ سورة يوسف .
٣- رواه الإمام أحمد وأبو يعلى وأبو نعيم والطبرانى في الكبير والأوسط عن أبي الدرداء رضي الله عنه بسند حسن.
٤- رواه أحمد والترمذى والبيهقى في الشعب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لأنه يجر فيما بعد إلى الكذب والغيبة والنميمة ، ويجب الكف عن فضل النظر ، لأنه يؤدى إلى النظر إلى المحرمات وارتكاب الفواحش .

ولكل ذنب مصيبتان لا يخلو العبد عنهما ، واحدة في الدنيا ، وواحدة في الآخرة ، فمصيبة الآخرة واقعة قطعا ، إلا أن تقابل بالعفو منه سبحانه وتعالى ، ومصيبة الدنيا واقعة بكل من اقترف ذنبا ، إلا أن يدفعها وارد إلهي : بصدقة لمسكين ، أو صلة لرحم ، أو تنفيس عن مدان بقضاء دينه، أو بعفوه عنه إن كان له ، وإلا فهي واقعة .

فالحذر الحذر من مخالفة أمر الله ، فإن وقعت مخالفة - والعبد غير معصوم - فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله عاجلا ، فالندم توبة ، وهو ركنها الركين ، فإن ندم العبد ، فقد تاب الله عليه ، وإلا فهو ساقط من عين الحق ، متعرض لغضبه .

قال تعالى : {وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}(١) أي لم يكن له عزم في باطنه على المعصية . فالعزم عمل الباطن .

فالمعصية توجب العقاب ، أما استدامتها ، وعدم الالتفات إلى نظر الله تعالى ، ولباس حلة الأمان من مكر الله تعالى في مقارفة الذنوب ، باعتقاد أنه آمن من مؤاخذة الله له في ذلك ، فيوجب الغضب ، وهو أشد من العذاب ألف مرة .

وأعظم الذنوب المختصة بالغير ، يعني بمعاملتك مع العباد : الحسد . فهو ذنب إبليس الوحيد ، الذي دفعه إلى رد أمر الله تعالى . وما وعظ اللهُ أحداً بنفسه ، حتى وعظه بغيره . فإبليس ليس بمشرك ، إذ أنه لم يشرك بالله أحدا ، ولكنه كافر ، برد أمر الله .

١- آية ١١٥ سورة طه .

والكفر غير الشرك ، فمن أسلم ولم يعترف بالزكاة والصلاة فهو كافر ، غير مشرك ، فكل مشرك كافر ، وليس كل كافر مشرك .

وأما ما يقوم به إبليس من الإغواء ، فليس فيه إثم ، إذ أنه استصدر أمرا من الله تعالى بالإغواء ، فأذن له فيه ، وأمر به : {قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا}(١) .

وأما أعظمها في معاملتك لله : فهي أن تظن أن الله لا يغفر لك ذنبك ، فتستكثر ذنوبك إلى جنب مغفرته تعالى . فالشيطان يوسوس بالمحظور للعامة من أهل المعاصي ، وبالمكروه للعباد من العامة ، وبالمباح في حق المبتديء من أهل الطريق ، وبالمندوب في حق المتوسطين ، وبالواجبات للعارفين . فإذا نوى العبد أمرا مع الله واستوثق من ذلك ، أقام له الشيطان عبادة أخرى أفضل منها شرعا ، فيقطع الأولى ويبدأ في الثانية ، فيفرح إبليس بأن جعله نقض عهد الله من بعد ميثاقه . فإذا كنت من العامة ، فإنه يوسوس لك بفعل المحرمات ، فإذا سددت على نفسك باب الحرام ، أتاك في المكروه ، فإذا امتنعت عن المكروه ، أتاك في المباحات ، من أكل ونوم وشهوة......إلخ .

فَهِمَ قوم أن الشيطان لهم عدو ، فاشتغلوا بمحاربته ، ففاتهم محبة الحبيب، وفَهِمَ قوم أن الشيطان لهم عدو ، وأن الله لهم حبيب ، فاشتغلوا بمحبة الحبيب ، فكفاهم عداوة الشيطان .

١- آية ٦٣ – ٦٤ سورة الإسراء .

وجعل الله تعالى بحكمته : الشيطان ، والنفس ، والناس ، حراس الحضرة، فلا يدخل الحضرة إلا من غلبهم . فالنفس والشيطان نقمتان في الظاهر لمن توقف معهما ، وحجب بهما ، وجزاهما الله عن الأولياء خيرا ، ما عليهم إلا فضل الله ثم فضلهما ، لا ينسون جميلهما ، إذ لولا أن حركهما الله عليك ، لما دام إقبال العبد إليه .

وأما الناس ، فصنفان : محبوب ، ومغبون .

أما المحبوب : فله في الذنب : ذنب ، وثلاث حسنات .

ذنب ، لأنه فعل الذنب . أما الحسنات :

فالأولى : أن الذنب كان في العدم ، فبفعله أخرجه إلى الوجود ، فالذنب يستغفر لصاحبه ، الذي احياه موجودا ، بعد أن كان عدما مفقودا .

الثانية : علمه بأنه ذنب ، وإقراره بذلك ، تصديقا لله تعالى .

الثالثة : أنه ندم على فعله .

وله بكل حسنة من هذه الحسنات ، عشر حسنات ، وهؤلاء هم أهل المحبوبية .

أما أهل الخذلان : فإن الذنوب تجرى على أيديهم ، ولا يشعرون بها ، لتعودهم عليها ، فلا يكادون ينتبهون لها أصلا ، وذلك لانطماس نور قلوبهم ، وهو الران : **{كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**(١) . فعلمك بالذنب، توفيق . وندمك على فعله ، توفيق آخر . ثم استغفارك منه ،

١- آية ١٤ سورة المطففين .

توفيق ثالث .

فكل ذنب استغفرت منه ، غفر لك . ولو غلبتك نفسك ورجعت سبعين مرة في اليوم . وكل ذنب حملك على استصغار نفسك واحتقارها ، والتواضع لعباد الله ، فهو طاعة . وكل طاعة حملتك على تعظيم نفسك ، ورؤية فضلها ، وتعاليها على الناس ، فهي معصية .

*** رب معصية ، أورثت ذلا وانكسارا ***

*** خير من طاعة ، أورثت عزا واستكبارا ***

والعبد المحبوب ، إذا قدم على المعصية ، أقدم عليها تصرخ منه كل شعرة إلى الله ، أن يستره ويغفرها له . فارتفع إيمانه فوق رأسه ، كأنه ظلة ، كما جاء في الحديث الصحيح بذلك ، حتى يحميه إيمانه حال ارتكاب المعصية ، من غضب الله النازل عليه فيها ، فيرتفع الغضب .

وفي التعبير في الحديث بالظلة ، بلاغة عظيمة .

إذ الظلة تحمى صاحبها مما ينزل عليه ، وكذا تحميه من حرارة الشمس ، وكلاهما كناية عن الغضب الإلهي .

فعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : **((إذا زنى العبد ، خرج منه الإيمان ، فكان على رأسه كالظلة ، فإذا أقلع، رجع إليه))(١) .**

ومن الناس من يقيه الله تعالى المعاصي أصلا : **{وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ}**(٢) .

١- رواه ابو داود والحاكم والبيهقي في الشعب والترمذي وصححه عن أبي هريرة .
٢- آية ٩ سورة غافر .

ومنهم من لا يعصمه الله تعالى من المعصية ، ولكن يقيه المؤاخذة عليها بالعذاب : **{وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}** (١) .

فالذي ينبغي لك مع أهل التوحيد ، أن تكره فعله إذا أتى بالمعصية ، ولا تكره عينه .

فلو كُشِفَ عن نور المؤمن العاصي ، لملأ بين السماء والأرض ، فكيف الطائع ! .

عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : **((وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا ،لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفا ، وثلاث حثيات من حثيات ربي))(٢) .**

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((تحشر هذه الأمة على ثلاثة أصناف، صنف يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة، وصنف يجيئون على ظهورهم أمثال الجبال الراسيات ذنوبا فيسأل الله عنهم وهو أعلم بهم فيقول: ما هؤلاء فيقولون: هؤلاء عبيد من عبادك ، فيقول حطوا عنهم ، واجعلوها على اليهود والنصارى وأدخلوهم الجنة))(٣).**

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إني لأعلم آخر أهل الدنيا دخولا الجنة ، وآخر أهل النار خروجا منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة ، فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه ،**

١- آية ٧ سورة غافر .

٢- رواه أحمد وابن ماجه والترمذى بسند حسن. وابن حبان عن أبي أمامة والبغوي وابن النجار عن أبي سعيد الزرقي والطبراني عن عتبة ابن عبد والطبراني في الأوسط والكبير عن أبي سعيد الأنصاري ووثق رجاله الهيثمي .

٣- رواه الحاكم وصححه عن أبي موسى وعن أبي بردة عن أبيه . وابن عساكر عن شرحبيل

وارفعوا عنه كبارها ، فيعرض عليه صغارها ،

فيقال له : عملت يوم كذا، كذا وكذا ؟ وعملت يوم كذا ، كذا و كذا ؟

فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر ، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه ، فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة .

فيقول : رب : قد عملت أشياء لا أراها ها هنا ،

قال : فلقد رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ضحك حتى بدت نواجذه))(١) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **((ما من قوم اجتمعوا ، يذكرون الله عز وجل ، لا يريدون بذلك إلا وجهه ، إلا ناداهم مناد من السماء ، أن قوموا مغفورا لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات))(٢) .**

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: **((ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات ، قالوا : لم يا رسول الله ؟ قال : الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات))(٣).**

فيها أن أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- فيها من هو يعلم أنه مغفور له ، حتى قبل أن يولد ، فيولد محفوظا فيتعجب ربنا منه ، ليست له زلة .
- ومنهم من يبدل الله سيئاتهم حسنات .
- ومنهم من قال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

١- رواه مسلم والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقى بسند صحيح.
٢- رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى في الأوسط بسند حسن.
٣- رواه الحاكم في مستدركه ورمز لصحته وصححه السيوطي كذا رواه الديلمي والثعلبي والقشيري عن أبو هريرة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((إن الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم))(١) .**

وعلى الجملة ، فأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعها ، مغفور لهم فعلوا ما فعلوا ، فعن العباس بن مرداس السلمي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **((دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فأجابه الله إنى قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضا ، فأما ذنوبهم بيني وبينهم فقد غفرتها لهم ، فقال : أي رب إنك قادر أن تثيب هذا المظلوم خيرا من مظلمته ، وتغفر للظالم ، فأجابه الله إنى قد فعلت ، ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم مبتسما ، فقلنا يا نبي الله ما أضحكك ؟ قال : إن إبليس عدو الله - لما علم أن الله عز وجل قد شفعني في أمتي - أهوى يدعو بالويل والثبور ، ويحثو التراب على رأسه))(٢)**

فجزاء بعض المذنبين في هذه الأمة ، أعظم من جزاء المحسنين ، وذلك بشروط محبة الله لهذا العبد ، فليست لكل عبد : **{ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء}**(٣) .

١- أخرجه أحمد والحميدي وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأبو عوانة وابن حبان وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم معا في الدلائل عن علي كرم الله وجهه وأخرجه أبو يعلى وابن جرير الحاكم وصححه وابن مردويه والضياء في المختارة والبزار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وأبو داود عن أبي هريرة . وأحمد عن ابن عباس وجابر .

٢- أخرجه ابن ماجة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن جرير والطبراني والبيهقي في سننه والضياء المقدسي في المختارة والطيالسي عن العباس بن مرداس السلمي .

٣- آية ٥٤ سورة المائدة ، وآية ٢١ سورة الحديد ، وآية ٤ سورة الجمعة .

فمن أخلاق أهل الإيمان :

- **رضاهم عن الله إذا قدر عليهم معصية ، كرضاهم عنه تعالى ، إذا قدر عليهم الطاعة** ، لكن من حيث الكسب ، لأن المعاصي بريد الكفر ، ومقدمته ، وهذا هو معنى قول أهل السنة والجماعة : يجب الرضا بالقضاء، لا بالمقضي . ومعنى قولهم أيضا : نؤمن بالقدر ، ولا نحتج به . فيعلم العبد أن سيده فعال لما يريد ، لا يتوقف على غرض عبيده ، فله أن يستعمله تارة في تقليب المسك ، وتارة في تقليب الزبل ، فالمسك مثال الطاعات ، والزبل مثال المعاصي ، وميزان الشرع في يد العبد ، لا يضعها من يده لحظة ، فما كان من طاعة قال : الحمد لله . وما كان من معصية قال : أستغفر الله ، قال تبارك وتعالى : **{وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** (١) .

فالحق تعالى ، لم يقدم على العبد معصية إلا لحكمة :

- **إما اختبارا له .**
- **وإما لوقوعه في عجب بأعماله .**
- **أو تكبره بها على أحد من المسلمين .**

فالعبد مادام مستقيما في أحواله كلها ، فهو محفوظ من الوقوع في المعاصي جملة ، كالأنبياء وكمل الأولياء ، فكراهية العبد للوقوع في المعاصي ، لا تقدح في رضاه عن الله تبارك وتعالى ، وتسليمه لأقداره ، بل هو مطلوب شرعا .

١- آية ١٦٨ سورة الأعراف .

ورحم الله الجيلي حيث يقول :

فَسَلَّمتُ نَفسي حَيثُ أَسلَمَني القَضا ... وَما لِيَ مَع فِعلِ الحَبيبِ تَنازُعُ

فَطَوراً تَراني في المَساجِدِ عاكِفاً ... وَأَنّي طَوراً في الكَنائِسِ راتِعُ

أَراني كَالآلاتِ وَهوَ مُحَرِّكي ... أَنا قَلَمٌ وَالإِقتِدارُ الأَصابِعُ

وَلَستُ بِجَبرِيٍّ وَلَكِن مُشاهِدٌ ... فِعالُ مُريدٍ ما لَهُ مَن يُدافِعُ

فَآوِنَة يَقضي عَلَيَّ بِطاعَةٍ ... وَحيناً بِما عَنهُ نَهَتنا الشَرائِعُ

لِذاكَ تَراني كُنتُ أَترُكُ أَمرَهُ ... وَآتي الَّذي يَنهاهُ وَالجَفنُ دامِعُ

وَلي نُكتَةٌ غَرّا هُنا سَأَقولُها ... وَحُقَّ لَها أَن تَرعَويها المَسامِعُ

هِيَ الفَرقُ ما بَينَ الوَلِيِّ وَفاسِقٍ ... تَنَبَّه لَها فَالأَمرُ فيهِ بَدائِعُ

فَما هُوَ إِلا أَنَّهُ قَبلَ وَقعِهِ ... يُخَبِّرُ قَلبي بِالَّذي هُوَ واقِعُ

فَأَجني الَّذي يَقضيهِ فِيَّ مُرادُها ... وَعَيني لَها قَبلَ الفِعالِ تُطالِعُ

وَكُنتُ أَرى مِنها الإِرادَةَ قَبلَ ما ... أَرى الفِعلَ مِنّي وَالأَسيرُ مُطاوِعُ

فَآتي الَّذي تَهواهُ مِنّي وَمُهجَتي ... لِذَلِكَ في نارٍ حَوَتها الأَضالِعُ

فَإِن كُنتُ في حُكمِ الشَريعَةِ عاصِياً ... فَإِنِّيَ في عِلمِ الحَقيقَةِ طائِعُ

- **ومن أخلاقهم أيضا غيرتهم :**

- على سمعهم ، أن يسمعوا به كذبا أو غيبة أو نميمة أو باطلا ، لكونهم يسمعون بها كلام الله عز وجل ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام الأئمة رضي الله عنهم .
- وكذا يغارون على بصرهم ، أن ينظر إلى محرم ، بعد النظر إلى كتاب الله تعالى ، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- وكذا يغارون على ألسنتهم ، أن تتكلم بالكذب والزور والبهتان واللغو ، بعدما قرأت كلامه تعالى ، وتفوهت بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن استعمال العضو في الأشياء الشريفة ، وهو نجس قذر ، في غاية سوء الأدب ، ولذا شرع الوضوء قبل الصلاة ، لينقي السمع والبصر واللسان من الذنوب والمعاصي ، قبل الدخول في حضرة الله تعالى .

واعلم أنهم لم يختلفوا في كفر من وضع شيئا من كلام الله ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاذورات ، ومن تأمل وجد القذر المعنوي كالقذر الحسي أو أشد ، فكانوا لا يذكرون الله تعالى بلسان عصوا الله به ، إلا بعد التوبة الشرعية ، وكذا لا يجيبون مؤذنا ولا يقرأون حديثا ، إلا بعد حصول التوبة .

*** والتوبة تختلف باختلاف المقامات ***

*** فمنهم من رجع إليه ، من نفسه ***

*** والعارف ، رجع إليه ، منه ***

*** والعلماء ، رجعوا إليه ، من رجوعهم إليه ***

*** والعامة ، رجعت من المخالفة ، إلى الموافقة ***

• **ومن أخلاقهم أيضا التوبة فورا** : إذا جرى على قلوبهم غيبة أحد ، فإن الغيبة كما تحرم باللسان ، كذلك تحرم بالقلب ، وفي الحديث : **((إن الله حرم من المسلم دمه وماله ، وأن يظن به ظن السوء))(١) .**

وهي أن تذكر أخاك بما يكره في غيبته ، وإن كنت صادقا ، سواء ذكرت نقصانا في عقله ، أو في نفسه ، أو في فعله ، أو في نسبه ، أو في داره ، أو في دابته ، أو في ولده ، أو شيء مما يتعلق به ، حتى قولك : فلان يغتاب الناس ، أو كبير العمامة ، أو يحب من يعظمه .

وقد دخل مرة طبيبان كافران على سفيان الثورى رضي الله عنه ، فلما خرجا من عنده ، قال : لولا أن تكون غيبة ، لقلت : إن أحدهما أطب من الآخر .

وهي باللسان أو بالقلب ، أو بالإشارة أو التعريض أو المحاكاة .

أما ما روي من أنه : ((لا غيبة لفاسق)) فقد نقل السيوطي في زيادة الجامع الصغير والدرر المنتثرة أن الإمام أحمد قال عنه أنه منكر ، وقال عنه الدار قطني والخطيب والحاكم أنه باطل . وعلى فرض ثبوت نسبته ، فقد قال فيه العلماء : أن (لا) هنا ، ناهية ، وليست نافية ، ومعناها عدم جواز الغيبة ، حتى لو كان فاسقا .

ومذهب أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : وجوب الوضوء من الغيبة ، وكانت تقول : يتوضأ أحدهم من أكل طعام حلال ، ولا يتوضأ من الغيبة .

١- أخرجه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر.

- كلما اتسعت معرفتك ، رأيت حسناتك سيئات .
- فحسناتك - بالنسبة لمن فوقك في المعرفة - سيئات .
- وسيئاتك - بالنسبة لمن دونك - حسنات .
- وإلهك - الذي تعبده الآن - على قدر معرفتك .
- غير إلهك - الذي كنت تعبد .
- وغير إلهك - الذي ستعبده - إذا زادت معرفتك .
- فيتلوَّن لك - في كل منزلة - على قدر معرفتك .
- ويتجلى لك - في كل نازلة - على قدر منزلتك .
- وإذا كان الأمر كذلك - فاطرح عنك قيد الحسنات والسيئات .
- حتى ترتقى إلى جنة الدرجات ، أو تسقط في نار الدركات .
- فإذا هما قيد جديد ، وسجن أكيد .
- فإذا طرحتهما جانبا ، فقد طرحت عنك المسميات .
- وحللت حضرة الأسماء ، حيث لا حسنة تنفع ، ولا سيئة تضر .
- وهي دائرة العناية ، حيث لا تضر الجناية .
- وهي دائرة المعطي الوهاب الباسط ، أو المانع القابض .
- وهي دائرة الأول والآخر والظاهر والباطن .
- حيث تبدأ منه كل بداية ، وتنتهي إليه كل نهاية .
- ثم تنتقل إلى حضرة الإطلاق ، حيث لا اسم ، ولا صفة .
- وصاحبها يأتي يوم القيامة : بغير حسنات ولا سيئات ، ولا درجات ولا دركات .
- بل لو معه حسنات الثقلين ، لوهبها للخلق غير مكترث .
- ولو حُمِّلَ سيئات العالمين ، لحَمَلَها غير معترض .

- إذ أنه يقدم على الله ، يوم القيامة ، بالله ، وهو الإطلاق التام .
- وغيره تقييد ، ولا يقوم التقييد مع الإطلاق .
- إذ فكيف يثبت الحادث مع القديم ؟
- وتلك هي دائرة الفضل العظيم ، التي هي من وراء جميع الدوائر .
- وصاحبها يتمنى أن يطول وقوفه أمام ربه ، يوم القيامة .
- يسأله عن كل صغيرة وكبيرة .
- ويقول له : يا عبدي ، فعلت كذا وكذا .
- وذلك لما يستشعره من لذة خطاب الله تعالى ، بقوله : يا عبدي .
- استشعارا يفوق كل لذة .
- فلا يكترث معها بذنب ، ولا يحاول أن يبريء نفسه .
- بل يقول لله تعالى : اللهم عفوك عندي أرجى لي .
- وألذ من أن أبريء نفسي ، وأن أكون بريئا مما نسب إليَّ .

التوبة

- **التوبة للخائف .**
- **والإنابة للطائع .**
- **والأوبة لراعي الأمر الإلهي ، وهي مقام التوبة من التوبة .**

ومقام التوبة ، من المقامات المستصحبة إلى الموت .

وأما توبة المحققين ، فلا ترتفع دنيا ولا أخرى استصحابا لاسمه التواب .

فالتوبة المشروعة ، هي الرجوع من حالة المخالفة .

والتوبة من التوبة ، هي الرجوع منه إليه به ،

أي من التوبة التي يقال في صاحبها تائب ، ولكن يقال لصاحبها تواب ، وهو الذي ينتقل مع الأنفاس من الله إلى الله بالموافقات .

والتوبة ما هي إلا الندم ، كما فعل آدم عليه السلام .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((الندم ، توبة))(١)** أي هو الركن الأعظم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : **((الحج ، عرفة))(٢) .**

١- أخرجه أحمد وابن ماجة والبخاري في تاريخه والحاكم في المستدرك والطبراني والبيهقي والحكيم الترمذي وابن حبان عن عبد الله ابن مسعود وابن المنذر عن عبد الله بن مغفل والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان والحاكم وصححه وابن حبان والبزار والحكيم الترمذي عن أنس والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد الأنصاري .

٢- أخرجه أحمد في مسنده والأربعة [أبو داود، الترمذي وصححه ، النسائي، ابن ماجه] والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن والدار قطني وابن عدي عن عبد الرحمن بن يعمر .

أما من كان صفته : {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}(١) {إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ}(٢) {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}(٣) {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ}(٤) {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}(٥) {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ}(٦) فكيف تكون لمن هذا وصفه ، توبة ؟

وإلى من يتوب ؟

وإن نادى ، فهو المنادى .

لأنه لا ينادى إلا من يسمع ، وهو سمعك ، فلا تسمع إلا به .

فما فقدته في ندائه إياك .

فلا يتوب إلا من : لا يشعر ، ولا يبصر ، هذا القرب .

ولهذا لم يأمر بالتوبة إلا المؤمنين فقال : **{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ}**(٧) .

فترك التوبة ، هو ترك الرجوع ، وذلك إذا رأيتم النور ، فكشف لكم ، عنكم ، فعلمتم أنه أقرب إليكم ، منكم :

{تَابَ عَلَيْهِمْ}(٨) فكان هو التائب على الحقيقة ، والعبد محل ظهور الصفة ، ولذلك قال : **{لِيَتُوبُواْ}** ثم قال : **{إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}** .

١- آية ٤ سورة الحديد .
٢- آية ٥٤ سورة فصلت .
٣- آية ١٤ سورة العلق .
٤- آية ٢١٨ سورة الشعراء .
٥- آية ١٦ سورة ق .
٦- آية ٨٥ سورة الواقعة .
٧- آية ٣١ سورة النور .
٨- آية ١١٨ سورة التوبة .

وهو لفظ مبالغة ، إذا كانت له التوبة الأولى من قوله : **{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ}** والثانية من قوله : **{لِيَتُوبُواْ}**(١) فالتوبتان له من كل عبد ، فهو التواب ، لا ، هُم .

{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى}(٢) وهذا الحكم سار في جميع أفعال العباد ، فما تاب من تاب ، ولكن الله تاب .

فالتوبة المشروعة ، هي الرجوع من المخالفات إلى الموافقات .

والتوبة من التوبة ، هي الرجوع منه إليه به .

وإذا كانت التوبة تجب لأجل الوصلة ، فالمتصل لا يصل .

وفرح الله بالتائب ، فرح رجوعه إلى الموافقة ، كفرح أهل الغائب برجوع الغائب .

أما من كان في الوطن الذي فيه ولد ، فلا غربة عليه أصلا ، وقوله : **{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ}**(١) هو من باب تعليم الخصم الحجة إذا كان محبوبا مثل **{مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}**(٣) وقوله : **{يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ}**(٣) ليعم جميع الناس ، مما يدلك على إن إرادة الله بهم السعادة في المآل ، ولو نالهم ما نالهم مما يناقضها .

فالتائب رجع إلى الله من نفسه ، والعارف رجع إليه منه ، والعلماء بالله رجعوا إليه من رجوعهم إليه ، وأما العامة فإنها رجعت من المخالفة إلى الموافقة ، فرجوعه عليهم رجوع عناية محبة أزلية **{يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}**(٤)

١- آية ١١٨ سورة التوبة .
٢- آية ١٧ سورة الأنفال .
٣- آية ٦ سورة الإنفطار .
٤- آية ٥٤ سورة المائدة .

ليتوبوا ، فإذا تابوا ، أحبهم حب من رجع إليه ، فهو حب جزاء **{إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ}**(١) فإذا وقف العبد بين يدي الله يوم القيامة ، وذكر في نفسه : **{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ}**(٢) استحيا الله منه أن يؤاخذه بذنب .

ومن أول شروط التوبة :

- أن يترك نسبة الزلة إلى ربه ، فينسبها إلى نفسه أدبا مع الله .
- ومنهم من يراها زلة من حيث فعل العبد ، ويراها منتهى الحسن والجمال من حيث نسبتها الإلهية ، وتقديره الإلهي .
- ومن الناس من يكون ترك الزلة في الحال - في حقه - شغله برجوعه إلى ربه ، والزلة هي رجوعه عن ربه .
- ومن الناس من يكون ترك الزلة في الحال - في حقه - شغله برجوع ربه عليه ، وشهوده ذلك .

وصاحب الذنب ، وإن لم يوافق الأمر ، فقد وافق الإرادة ، وهؤلاء يأتون بالذنب ، لا من حيث هُوَ هوىً ، ولكن من حيث هو إرادة الحق : **{وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى}**(٣) .

وإذا أتى الولي منهم بالذنب ، عن إرادة الله ، صرخت منه كل شعرة ، وأنَّ منه كل عرق ، تكاد نفسه تزهق ، حتى يرحمه الله .

واعلم أن مثل الحسنة ، كمثل شخص جميل ، في غاية الجمال ، لا بَزَّة(٤) عليه .

١- آية ٢٢٢ سورة البقرة .
٢- آية ١١٨ سورة التوبة .
٣- آية ٤٠ سورة النازعات .
٤- في القاموس المحيط : البَزُّ: بالفتح : الثيابُ . والبِزَّةُ : بالكسر : الهَيْئَةُ .

ومثل الحسنة المبدلة عن سيئة ، كمثل شخص جميل مثله ، في غاية الجمال ، طرأ عليه وسخ من غبار ، فنظف من ذلك الوسخ العارض ، فبان جماله ، ثم كسِيَ بزة حسنة فاخرة ، تضاعف بها جماله ، وحسنه ففاق الأول حسنا .

فحسن الحسنة ، بنفسها ، لا بأمر آخر .

وحسن السيئة ، إذا أبدلت ، لها حسنان :

- حسن ذاتي ، وهو الحسن الذي لكل فعل ، من حيث ما هو عند الله .
- وحسن زائد ، وهو ما خلع الحق على هذا الفعل بالتبديل ، فكسى ما ظهر فيه من السوء ، حسنا ، ففاق سوء العمل ، على حسن العمل ، بما كساه الحق .

والعزم في التوبة ، كله سوء أدب ، فالتوبة التي طلب منا ، إنما هي صورة ما جرى من آدم عليه السلام ، لا العزم . فهي اعتراف وندم ودعاء ، لا عزم .

والذى ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((إن رجلا أذنب ذنبا فقال : رب إني أذنبت ذنبا فاغفره ، فقال الله : عبدي عمل ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ، ثم عمل ذنبا آخر ، فقال : رب إني عملت ذنبا فاغفره ، فقال تبارك وتعالى : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ، ثم عمل ذنبا آخر ، فقال : رب إني عملت ذنبا فاغفره ، فقال الله : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، أشهدكم أني غفرت لعبدي فليعمل ما شاء))(١) .**

١- أخرجه عبد بن حميد والبخاري ومسلم والحاكم وصححه على شرط الشيخين وأحمد عن أبي هريرة .

فرفع عنه المؤاخذة .

فلا يعزم أن لا يعود لما تاب منه ، فهو جهل على الحقيقة ، فإن الذي تاب منه ، من المحال أن يرجع إليه ، لأنه فات . وإن رجع ، فإنما يرجع إلى مثله ، لا إلى عينه ، فإن الله لا يكرر شيئا في الوجود ، وهو الواسع ! .

والتوابون ، هم الراجعون منه إليه .

وأما من رجع إليه ، من غيره ، فهو نائب .

فالله هو التواب ، فيحب نفسه ، أي التوابين .

أي أن حبه للتوابين : ما هو إلا حبه نفسه ، جل جلاله ، إذ كان الحق سمعهم وبصرهم وجميع قواهم ، والله ، المؤمن ، فيحب المؤمن ، ولم يسم نفسه بالتائب .

والتواب ، هو المجهول في الخلق ، لأنه محبوب ، والمحب غيور على محبوبه : **{إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ}**(١) فإنه لو كشف لعباده ، ونظروا إلى حسن المعنى في باطنه ، لأحبوه ، ولو أحبوه ، لصرفوا همتهم إليه .

وثَمَّ قوم ، يغفر لهم ، بدون توبة ، تفضلا منه تعالى .

وثَمَّ قوم ، يعطيهم الله التوبة ، فيتوب الله بعد الذنب ، ثم يتوب صاحب الذنب .

أما إذا تاب قبل المغفرة ، فالحكم للتوبة ، لا للكرم الإلهي .

١- آية ٢٢٢ سورة البقرة .

لغة القرآن

عن جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

((أُلهِمَ إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاما))(١) .

نستقي من هذا الحديث الشريف : أن اللغة العربية ليست ككل اللغات ، جاءت بالتعلم ، ولكنها نزِّلت تنزيلا ، وأُلهِمَت إلهاما ، لنبي من أشرف الأنبياء ، ولرسول من أكرم المرسلين(٢) ، فهي إذن حروف قديمات ، أعني أن حقائقها قديمة أزلية ، وإن كانت أجسامها وأشكالها حديثة .

وحقيقة الشيء غير جسمه ، فحقيقته هي باطِنه ، وجسمه هو ظاهِره ، قال تعالى : **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ}**(٣). فأجسام هذه الكائنات ظاهرة لنا في ثبوتها وإن كانت جمادا ، وفي دورانها إن كانت أفلاكا ، أما حقائقها فهي الساجدة المُسَبِّحَة على الحقيقة ، قال تعالى **{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}**(٤)، فجسم القمر والشمس في فلك يدوران ، لم تتخط أن تكون من زينة السماء الدنيا ، ولكنها موجودة في السماوات السبع ، بحقائقها وأرواحها .

١- رواه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين ورواه البيهقي في الشعب وحسنه السيوطي وفي بعض النسخ " ألهم ابراهيم " بدلا من " اسماعيل ".

٢- {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَّبِيًّا} (٥٤) سورة مريم .

٣- آية ١٨ سورة الحج .

٤- آيات ١٥ – ١٦ سورة نوح .

قال تعالى : **{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}**(١) .

فما من شيء يطلق عليه اسم شيء في الوجود - حتى ما تترك الدودة من أثر خلفها في الأرض - إلا ويخلق الله له حقيقة ، هي روحه التي يسبح بها ، فإذا انطمس هذا الأثر ، ارتفعت روحه إلى البرزخ .

وهذه الحروف العربية القديمة ، إذا أحدثت كتابة أشكالها، وأخرجتها من العدم إلى الوجود خرجت مسبحة ذاكرة . وأول ما تذكر هي أن تستغفر لصاحبها الذي أخرجها إلى نور الوجود بعد ما كانت في ظلمة العدم .

روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب))(٢)** وهو حديث ضعيف ثابت المعنى .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد حين وجبت الشمس ، فقال : **((يا أبا ذر هل تدري أين تذهب الشمس ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فترجع إلى مطلعها فذلك مستقرها))(٣)** فالمراد بالساجدة هنا حقيقة الشمس وروحها وباطنها ، أما ظاهرها فهو دائر في فلكه .

١- آية ٤٤ سورة الإسراء .

٢- هذا الحديث رواه أيضا غير الطبراني ، أبو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة وابن عساكر عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وتعقبه السيوطي في كتاب العلم في الجزء الأول من اللآليء المصنوعة . فليطالعه هناك من أراد الاستزادة .

٣- هذا الحديث رواه البخاري في تفسير سورة يس ورواه مسلم في بيان الزمن . ورواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وصححه عن أبي ذر .

وما من شيء من الأمور الظاهرة ، إلا وهو مرتكز على حقيقة باطنة ، هي التي تدبره وتسيره ، فإن ارتفعت عنه تلك الحقيقة ، زال في الحال : **{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ}**(١) .

وما دامت هذه اللغة الشريفة ، قد أنزلت على نبي الله ، إسماعيل عليه السلام إلهاما ، فهي أمة من الأمم ، بل هي أشرف الأمم ، أقسم الله بها جملة ، فقال : **{وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}**(٢)، وأقسم بأحدها فقال :**{ن وَالْقَلَمِ}**(٢)، **{ص وَالْقُرْآنِ}**(٣)، **{ق وَالْقُرْآنِ}**(٤)، فهي أصل كل العلوم، ومادة كل مرقوم ، نزلت بها الصحف . وهي هجاء كل ما في الكون ، مفرده ومركبه .

والحروف ، مخاطبون ومكلفون ، وفيهم رسل من جنسهم ،
ولهم أسماء ، ولهم شريعة تعبدوا بها ،
وعليهم من الخطاب : الأمر . ليس عندهم نهي ،
وفيهم عامة ، وخاصة ، وخاصة الخاصة ، وصفاء خلاصة خاصة الخاصة.

وحروف أوائل السور ، أعني الحروف النورانية ، من الخاصة التي فوق العامة ، وأول الحروف في الخط : الألف . وأولها في النطق : الهمزة . ولكل حرف خدام يخدمونه ، من الملائكة والروحانية والجن .

١- آية ٤١ سورة فاطر .
٢- آية ١ سورة القلم .
٣- آية ١ سورة ص .
٤- آية ١ سورة ق .

واعلم أن : الثمانية والعشرين حرفا ، كانت في الأصل : ثمانية وعشرين اسما إلهيا .

ولكل حرف منها ، روحانيٌ ، موكل بذلك الحرف ، مشغول بذكر الإسم الإلهي .

وأصل الحروف :

- **في الأحدية : شؤون .**
- **وفي الأعيان الثابتة : أسماء إلهية .**
- **وفي الملكوت : هي صور الحروف الثمانية والعشرين .**

جعلت هذه الحروف على :

- إفراد ، في بعض السور ، مثل : **ص ، ق ، ن** .
- وتثنية ، في : **طس ، طه** .
- وجمعت ثلاثة فصاعدا ، حتى بلغت خمسة حروف متصلة ومنفصلة .

لكل حرف منها تسبيح وتمجيد ، وتهليل وتكبير وتحميد .

ملائكة هذه الحروف ، هي أرواحها .

والحروف ، أجسادها ، لفظا وخطا ، بأي قلم كانت .

وبهذه الأرواح تعمل الحروف ، لا بذواتها .

وروحانية هذه الحروف لا تفارقها .

بل وتتسمى هذه الملائكة بأسماء تلك الحروف في السماء .

فهذه الحروف هي صور ملائكة ، وأسماؤهم .

توضيح :

يعني أن الحروف ، أسماء إلهية :

- من الملائكة من تسمى بها : قاف ، وصاد ، وميم . مثل الذي نعرفه من أسماء الله ، التي يتسمى بها البشر مثل : لطيف ورحيم ونور .
- ومن الملائكة من تسموا بها : مع إضافة العبودية ، مثل : صائيل، وقائيل ، وطائيل . وكلمة ئيل معناها : عبد .

فإذا نطق القارئ ، كان مثل النداء بهم ، فأجابوه . فإذا قرأت [ألف لام ميم] يقول الثلاثة من الملائكة مجيبين : لبيك .

وأعلى ملائكة الحروف : أربعة عشر ملكا ، ظهروا في منازل مختلفة من القرآن :

- فمنازل ظهر فيها واحد ، مثل : ق ، ن ، ص .
- ومنازل ظهر فيها اثنان ، مثل : يس ، حم ، طه .
- ومنازل ظهر فيها ثلاثة ، مثل : الم ، الر ، طسم .
- ومنازل ظهر فيها أربعة ، مثل : المص ، المر .
- ومنازل ظهر فيها خمسة ، مثل : كهيعص ، حم عسق .

اعلم أن الله تعالى ما يسوي صورة محسوسة في الوجود ، على يد من كان من إنسان أو ريح إذا هبت ، فتحدث أشكالا في كل ما تؤثر فيه ، والحية والدودة تمشي في الأرض فيظهروا طريق .

فذلك الطريق صورة أحدثها الله تعالى ، بمشي هذه الدودة ، فينفخ الله تعالى فيها روحا من أمره .

وكل من أحدث صورةً أو رقماً أوحرفاً ، فإن هذه الصورة وذلك الحرف شيء : **{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}**(١)، فإذا محي وزال ، أو طمِسَ الأثر ، انتقلت روحه إلى البرزخ . فإن روحها ، الذي هو ذلك الملك ، يسبح الله ويحمده ، ويعود ذلك الفضل من التسبيح والتحميد ، على من أوجد تلك الصورة ، الذي كان هذا الملك روحها .

واعلم أنه ما من كلمة يتكلم بها العبد ، إلا ويخلق الله من تلك الكلمة ملكا، فإن كانت خيرا ، كان ملك رحمة . وإن كانت شرا ، كان ملك نقمة . فإن تاب إلى الله تعالى ، وتلفظ بتوبة ، خلق الله من تلك اللفظة ملك رحمة ، وخلع على ذلك الملك ، الذي كان خلقه من كلمة الشر ، خلعة رحمة ، وآخى بينه وبين الملك الذي خلقه من كلمة التوبة . فإن قال : اللهم إني تبت إليك من كل ذنب فعلته ، خلق الله من تلك الكلمة ، ملائكة بعدد الذنوب الفائتة ، وآخى بينها وبين كل ملائكة الشر ، التي خُلِقَت من سيئاته، وهذا هو التبديل : **{فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ}**(٢)، حتى يود أحدهم ، لو أنه أتى بقراب الأرض خطايا ، أو لو حمل ذنوب البرايا ، لما يعاينه من حسن التحويل ، وجميل صور التبديل ، فيفوز بالحسنيين ، وهنالك يعلم ما أخفي له من قرة عين ، ففاز في الدنيا باتباع الهوى ، وفي الآخرة بجنة المأوى ، فمن الناس من إذا حُرِم رُحِم ، وجوزي جزاء من عصم . فجزاء بعض المذنبين من هذه الأمة ، أعظم من جزاء المحسنين ، وذلك مشروط بسبق محبة الله لهذا العبد .

١- آية ٤٤ سورة الإسراء .
٢- آية ٧٠ سورة الفرقان .

فليست لكل عبد : **{ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء}**(١) .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((ليتمنين أناس من أمتي لو استكثروا من السيئات ، لما يرون من تبديل سيئاتهم حسنات))(٢)** .

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خاتمة هامة :

قال تعالى : **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ}**(٣) .

وقال تعالى : **{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}**(٤) .

وقال تعالى : **{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ}**(٥) .

وقال تعالى : **{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}**(٦) .

وقال تعالى : **{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}**(٧) .

١- آية ٥٤ سورة المائدة ، وآية ٢١ سورة الحديد ، وآية ٤ سورة الجمعة .
٢- رواه الحاكم في مستدركه ورمز لصحته وصححه السيوطي . كذا رواه الديلمي والثعلبي والقشيري عن أبو هريرة .
٣- آية ٤ سورة إبراهيم .
٤- آية ١٩٢ – ١٩٥ سورة الشعراء .
٥- آية ١٠٣ سورة النحل .
٦- آية ٢ سورة يوسف .
٧- آية ٣ سورة الزخرف .

وقال تعالى : **{وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا}** (١) .

وقال تعالى : **{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}**(٢) .

وقال تعالى : **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}**(٣) .

وقال تعالى : **{قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}**(٤) .

وغيرها كثير ، مما يدل على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة ، ليست فيه لفظة واحدة غير عربية ، فإن وافق شيء من كلام العرب شيئا من كلام العجم ولغتهم ، فهو عربي أصلا ، ولكن لاتساع اللغة العربية ، قد يجهله العرب أنفسهم ، حتى صار ينسب إلى غيرها من اللغات ، وذلك لإهمال أهل العربية له ، واتساع نطقه في لغات أخرى .

قال الشافعي رحمه الله : (لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجيمع علمه إنسان غير نبي ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها ، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه ، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه ، لا نعلم رجلا جمع السنن فلم يذهب عليه شيء ، فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها ، أتى على السنن ، وإذا فرق علم كل واحد منهم ، ذهب عليه الشيء منها ، ثم كان ما ذهب عليه موجودا عند غيره) .

١- آية ١١٣ سورة طه .
٢- آية ٣ سورة فصلت .
٣- آية ٧ سورة الشورى .
٤- آية ٢٨ سورة الزمر .

فالألفاظ التي يظن الناس أنها فارسية أو حبشية ، مثل : سندس واستبرق وقسورة وغيرها ، هي أصلا ألفاظ عربية ، في أصل لغة العرب ، نسيها أهل اللغة ، لقلة من يتكلم بها ، وتداولها غيرهم ، حتى صارت وكأنها لغتهم ، ثم لفت القرآن أنظار العرب إلى ما اندثر من لغتهم ، فأتى بها في كتابه .

*** فالقرآن عربي محض ، ليس فيه لفظة غير عربية ***

الأبجدية

أول مخرج الحروف الباء ، وآخرها الهاء .

فبسم الله : جمعت الأول والآخر .

فانطوت على كل الأبجدية ، بما كونت الابجديه من قرآن ، وذكر ، وحديث . فقراءة الأبجدية ، بهذه النية ، عبادة عظيمة .

وأول كل سورة : الباء ، في **{بِسْمِ اللّهِ}**(١) . حتى سورة التوبة بدأت بالباء : **{بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ}**(٢) .

والباء ، هو الحرف الظلماني في البسملة كلها . إذ هو حجاب على نور النقطة . فلا تنفذ إليها ، أي إلى كنزية الذات ، إلا إذا ارتفع حجاب الباء ، عن نور النقطة .

وبسم الله من العارف ، ككن من الله ، تنفعل لها كل العوالم العلوية والسفلية .

وقال ابن عربي : ولكن بعض العباد له (كن) دون (بسم الله) وهم الأكابر. جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك ، أنهم رأوا شخصا ، فلم يعرفوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((كن أبا ذر))(٣)** ، فإذا هو أبو ذر . ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (بسم الله) فكانت (كن) منه صلى الله عليه وسلم (كن) الإلهية .

١- آية ١ سورة الفاتحة . والبسملة في بداية كل سورة .
٢- آية ١ سورة التوبة .
٣- حديث " كن أبا ذر" رواه الحاكم في مستدركه وصححه وابن هشام في السيرة النبوية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

جمع الحروف :

جعلتُ المعاني في عقلك .

وجعلتُ الحروف على لسانك .

فالحروف ، أسمائي .

والمعاني ، فعلي .

وقد جعلتُ لكَ إظهار فعلي ، بأسمائي .

فإن جمعتَ بين حرفين ، في حق ، شهدا لك .

وإن جمعتَ بين حرفين ، في غير حق ، شهدا عليك .

وهذه كيفية عجيبة يتعبد بها أهل الحروف بالحروف :-

تبدأ بقراءة :

- الفاتحة .
- صلاة الفاتح .
- **{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** آيات ١٨٠-١٨٢ سورة الصافات .

((اللهم إني نويت أن أتقرب إليك ، بتلاوة أسمائك العظام الباطنة، والتي هي سر القرآن ، ونور الفرقان ، وباطن التنزيل ، وروح التأويل . نويت بذكرها التمجيد والتحميد والتقديس لذاتك العلية ، امتثالا لك ، وخضوعا لأمرك ، بما في ذلك الإحاطة بجميع أذكار الذاكرين ، وتلاوة التالين ، من لدن آدم عليه السلام إلى يوم الدين . بنية إهداء ثوابها إلى سيد الوجود ، وعلم الشهود ، سيدنا

محمد ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم . وأقول بعونك وحولك وقوتك ومستعينا بك))

ثم تقرأ الحروف ، بطرقها الواردة عن أهل الله ، بالتلقين .

ثم تقرأ الزجر :

((اللهم يا رب بالمكنون من أسمائك ، وما وارته الحجب من بهائك ، وبرداء كبريائك ، وإزار عظمتك ، وسرادق هيبتك ، وما وراء ذلك ، مما لا يحيط به إلا أنت .

- وبألف آلائك المعطوفة على أوليائك ، يا الله يا آخر .
- بباء بهائك لأحبائك ، يا بر يا بديع يا باقي يا باريء يا باسط يا باعث يا باطن .
- بتاء تمامك الدائم ، يا تواب .
- بثاء ثنائك المنعوت بكبريائك ، يا ثابت .
- بجيم جمالك الدال على كمالك ، يا جليل يا جامع يا جبار .
- بحاء حلمك الدال على صفاتك ، يا حي يا حسيب يا حنّان يا حكيم يا حليم يا حميد يا حق يا حفيظ .
- بخاء خبائك الظاهر لأصفيائك ، يا خالق يا خافض .
- بدال دوامك في ثنا علوك وارتفاعك ، يا دائم يا ديّان يا دافع .
- بذال ذاتك المنعوتة في صفاتك ، يا ذا الجلال والإكرام .
- براء رشدك لأهل قصدك ، يا رب يا رحمن يا رحيم يا رءوف يا رزاق يا رقيب يا رشيد .
- بزاي زجرك لأهل معصيتك ، يا زكي .

- بسين سنائك في بديع صفاتك ، يا سلام يا سريع يا سميع .
- بشين شكرك لرفيع قدرك ، يا شهيد يا شكور .
- بصاد صدقك الموفي لخلقك ، يا صمد يا صادق يا صبور .
- بضاد ضيائك في أرضك وسمائك ، يا ضمين .
- بطاء طولك لأهل فضلك ، يا طيب يا طاهر .
- بظاء ظلك بآياتك ، يا ظاهر يا ظهير .
- بعين علمك المحجوب عن غيرك ، يا عزيز يا عليم يا علي يا عدل يا عظيم يا عفو .
- بغين غنائك عن مخلوقاتك ، يا غفار يا غفور يا غني .
- بفاء فضلك لأهل ذكرك ، يا فرد يا فاطر يا فتاح .
- بقاف قربك من أهل ودك ، يا قادر يا قدير يا قوي يا قهار يا قابض يا قيوم يا قدوس .
- بكاف كرمك لأصفيائك ، يا كريم يا كبير .
- بلام لطفك لجميع خلقك ، يا لطيف .
- بميم ملكك مع عظيم قدرك ، يا مغني يا معطي يا مانع يا مقيت يا منتقم يا مجيد يا متعال يا مؤمن يا مهيمن يا ملك يا متين يا متكبر يا مصور يا محصي يا منتقم يا مبديء يا محيي يا مميت يا ماجد .
- بنون نورك لأهل قصدك ، يا نور يا نافع .
- بهاء هدايتك لأهل طاعتك ، يا هادي .
- بواو ودك لأوليائك ، يا ودود يا واسع يا وهاب يا وكيل يا واحد يا واجد يا وال يا وارث .
- بياء يسرك لمن ابتلي بعسرك ، يا يقين .

اجعلني مصونا بصونك ، محاطا بعونك ، مستورا بنورك ، ظاهرا بظهورك ، غنيا بعطائك ، مأنوسا بألطافك ، محروسا بإسعافك ، مقبولا بفضلك ، مكفولا بعطائك .
أسألك بكل ما وجب لذاتك ، من أسمائك وصفاتك ، وبكل ما دعاك به الداعون ، وقصدك به القاصدون ، وذكرك به الذاكرون ، وسبحك به المسبحون ، وقدسك به المقدسون ، وحمدك به الحامدون ، وبكل ما أثنيت به على نفسك ، في نفسك ، وبكل ما أجريته على ألسنة خلقك ، في جميع كونك . اجعلني بعنايتك مشمولا ، وبنورك موصولا ، في يقظاتي وغفلاتي ، وحركاتي وسكناتي ، وفي حياتي ومماتي ، وفي كل جهاتي . اللهم يا من حرك الأفلاك بتسبيح الأملاك ، ووفق للمناسك النساك ، حرك لي من كونك بأسماء التكوين ، كل ما أنا محتاج إليه ، وائتني به في الحين ، وبحق ما حواه اللوح من قضائك ، في أرضك وسمائك ، وبنور وجهك الساطع ، وحكمك القاطع ، وقهرك القامع ، اجعل لي من نفسك عند نفسك شافع ، وادفع عني جميع المضار ، واجلب لي جميع المنافع ، بنص حكيم له سر قاطع)).

الدعاء

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **((أفضل العبادة : الدعاء))(١) .**

قال تعالى : **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}**(٢) .

اعلم أن الله تعالى ، ما أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بقربه من السائلين من عباده ، إلا ليعرف بثلاثة أمور ، هي : القرب ، والسمع ، والإجابة .

فإذا تحقق العبد بهذه الآية ، فأول ما ينتج له الزهد ، فيما سوى الله ، فلا يتوسل إليه بغيره ، فيقول لسان حاله **"اللهم إني أتوسل بك إليك"** وهو لمن تحقق بالقرب إلى الله .

ومن تحقق بالقرب الإلهي ، لابد أن يسمع الإجابة الإلهية ، ذوقا ، فكل من دعا الله ، أجاب الله دعاءه ، فقال : **"لبيك عبدي"** فمن دعا ، بقوله : **"يا الله... يا رب..."** . أجابه الله : **"لبيك عبدي"** فمن كان صاحب حال ، أنساه سماعه لهذه الإجابة من الله ، كل مطلوب ، بل أخذ يكرر الدعاء ، فيتكرر عليه السماع ، ووجد لهذا السماع في ذاته لذة ، لا تعادلها لذائذ الدنيا ولا الآخرة ، فيطيل المناجاة لله ، بكثرة الثناء عليه ، والتسبيح والتعظيم له ، وينسى كل مطلوب أراد أن يطلبه .

أما صاحب المقام والمعرفة ، فإذا ورد على ذاته هذا السماع الإلهي ، فإنه يكثر الثناء ، لأن الله يحب الثناء ، ويكثر الطلب ، لأن الله يحب أن يُسأل،

١- أخرجه ابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عدي في الكامل عن أبي هريرة ، وابن سعد عن النعمان بن بشير وقال السيوطي : صحيح .

٢- آية ١٨٦ سورة البقرة .

ويكثر المسألة ، ليظهر ذله ، وخضوعه لله ، لا طمعا في تحقيق هذه المطلوبات .

وأخبرنا الله تعالى بالإجابة ، ليتحفظ السائل ، ويراقب ما يسأل فيه ، لأنه لابد من الإجابة : **{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}**(١) فقد يسأل العبد فيما لا خير له فيه ، لجهله بالمصالح ، فهو تنبيه وتحذير ، أن لا يسأل إلا فيما يعلم أن له فيه الخير الوافر عند الله ، في الدنيا والآخرة ، فمن تنبه لذلك ، لم يسأل الله تعالى في حاجة من حوائج الدنيا على التعيين ، ولكن يسأل فيما له فيه خير ، يعلمه الله ، مبهما ، لا يعين ، فإذا عين ولابد ، فليسأل فيه الخيرة ، وسلامة الدين .

فكم من سائل عَيَّنَ ، فلما قضيت حاجته ، لحكمة يعلمها الله ، أدركه الندم بعد ذلك على ما عَيَّن ، وتمنى أنه لم يعين ، أما تعيينه في السؤال ، فيما يرجع إلى أمر الدين ، فليعين ما شاء ، ولا مكر فيه ، ولا غائلة .

واعلم أن إجابة الدعاء ، أن يقول الله له : **"لبيك"** وهو لابد منه من الله في حق كل سائل ، ثم ما يأتي بعد هذا فهو خارج عن الدعاء ، وهو ما لم يضمنه تعالى رحمة بالناس ، إذ لو ضمنه لهم لقضى لهم ما فيه شرهم فيهلكهم .

فمن كرمه أنه ما ضمن إلا الإجابة في الدعاء فقط ، وهذا غاية الكرم من السيد في حق عبده ، وبهذا يُعلم فضل الدعاء الوارد في القرآن، إذ كله خير .

أما قوله : **{فَإِنِّي قَرِيبٌ}**(٢) فاعلم أن اتصافه : بالقرب في الإجابة ، هو

١- آية ٦٠ سورة غافر .
٢- آية ١٨٦ سورة البقرة .

اتصافه بأنه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد ، فشبه قربه من عبده ، كقرب الإنسان من نفسه ، إذا دعا نفسه لأمر ما تفعله ، فتفعله . فما بين الدعاء والإجابة ، الذي هو السماع ، زمان ، بل زمان الدعاء ، هو زمان الإجابة ، فقرب الحق من إجابة عبده ، قرب العبد من إجابة نفسه إذا دعاها .

{فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي}(١) أي من أجلي ، لا من أجل ما عندي ، فتكونوا عبيد نعمة ، لا عبيدي .

{وَلْيُؤْمِنُواْ بِي}(١) لا بأنفسهم ، إذ من آمن بنفسه ، لم يستوجب إيمانه ما استحق ، فإذا آمن بي ، وَفَّىَ الأمر حقه . ومن آمن بنفسه ، فإنه مؤمن بما أعطاه دليله .

واعلم أن سؤالك يدل على درجتك ، فمن دعا لنفسه فقط ، ليس كمن دعا لغيره : **((من دعا لأخيه بظهر الغيب ، قالت له الملائكة : آمين ، ولك بمثل))**(٢) . ومن دعا لأخيه ، ليس كمن دعا لعامة المسلمين والمؤمنين : **((من استغفر للمؤمنين والمؤمنات : كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة))**(٣) . ومن دعا للمسلمين والمؤمنين ، ليس كمن دعا لكل الناس ، ومن دعا لكل الناس ليس كمن يدعو لجميع المخلوقات وكل العالمين ، فذلك هو قطب الزمان **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**(٤) . فمن استدام على الدعاء لصنف من هذه الأصناف ، فقد علمنا درجته .

١- آية ١٨٦ سورة البقرة .
٢- سبق تخريجه ص ١٧٠ .
٣- رواه الطبراني في الكبير عن عبادة . وقال الهيثمي : اسناده جيد .
٤- آية ١٠٧ سورة الأنبياء .

واعلم أن : كل من سأل الله تعالى شيئا من أمور الآخرة ، واستدام على ذلك ، أعطاه الله تعالى ما سأل ، مع قلة عمله . ومن سأل الله شيئا من أمور الدنيا ، إن شاء أعطاه إياه ، وإن شاء أعطاه مثله من الخير ، وإن شاء أخره له في الآخرة ، كما في الحديث .

توفى رجلان ، كانا أخوين في الله حال حياتهما ، صلاتهما واحدة ، وعبادتهما واحدة ، ثم أن الله تعالى رفع أحدهما إلى أعلى عليين ، والآخر كان أدنى في الدرجات - وما في الجنة دني - فقال يا رب : إني وصاحبى كنا نعبدك ، لا نرى لأحدنا فضلا على الآخر ، فقال الله تعالى له: ولكنه كان يسألني أعلى عليين ، وكنت لا تسألني ، فأعطيتها له .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((أعجز الناس من عجز عن الدعاء))(١) .**

قال تعالى : **{وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ}**(٢) وإنما يخترقها العمل الصالح والدعاء إذا رفعه الله تعالى : **{وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}**(٣) وهو أعلاه حيث لا يحتاج إلى إذن ، أو إذا صعدت به ملائكة التسخير بعد أن تستأذن عند دخول أي سماء ، أو إذا سبق وختم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما صَحَّ (٤) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١- رواه الطبرانى في الأوسط والبيهقى في الشعب بسند صحيح.
٢- آية ١١ سورة الطارق .
٣- آية ١٠ سورة فاطر .
٤- أخرج الترمذي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ولا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم. وأخرج البيهقي في الشعب والطبراني في الأوسط عن علي- يعني ابن أبي طالب - قال: كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وآل محمد . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجال الطبراني ثقات . ونفس الحديث أخرجه الديلمي في الفردوس عن أنس .

- متى أطلق لسانك بالطلب ، فاعلم أنه يريد أن يعطيك .
- طلبك منه ، اتهام له . وطلبك له ، غيبة منك ، عنه . وطلبك لغيره ، لقلة حيائك منه . وطلبك من غيره ، لوجود بعدك عنه .
- لا يكن تأخر أمد العطاء - مع الإلحاح في الدعاء - موجبا ليأسك ، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك ، لا فيما تختار لنفسك ، وفي الوقت الذي يريد ، لا في الوقت الذي تريد .
- لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك ، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعاً ؟ من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه ، فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعاً ؟
- العطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله إحسان .
- إنما يؤلمك المنع ، لعدم فهمك عن الله فيه .
- متى فتح لك باب الفهم في المنع ، عاد المنع عين العطاء .
- متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف إليك ، ومقبل بوجود لطفه عليك .
- كيف يكون طلبك اللاحق ، سببا في عطائه السابق ، جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل .
- خير ما تطلبه منه ، ما هو طالبه منك .
- ما توقف مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك .
- لا يكن طلبك تسببا إلى العطاء منه فيقل فهمك ، وليكن طلبك إظهارا للعبودية وقياما بحقوق الربوبية .
- ربما دلهم الأدب على ترك الطلب ، اعتمادا على قسمته ، واشتغالا بذكره عن مسألته .

واعلم أن أفضل الدعاء ، هو ما ورد في كتاب الله تعالى :

الدعاء الوارد في القرآن الكريم :

- **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ {٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ {٧} آمين** . الفاتحة
- **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** . آية ١٢٧سورة البقرة
- **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** . آية ٢٠١ البقرة
- **رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**. آية ٢٥٠ البقرة
- **رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** . آية ٢٨٦ البقرة
- **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** . آية ٨ آل عمران
- **رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** . آية ١٦ آل عمران
- **رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء** .آية ٣٨ آل عمران

- رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . آية ٥٣ آل عمران
- ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . آية ١٤٧ آل عمران
- رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ {١٩٣} رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ {١٩٤} . آل عمران
- رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. آية ٢٣ الأعراف
- رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ . آية ٨٩ الأعراف
- رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ . آية ١٢٦ الأعراف
- أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ . آية ١٥٥ الأعراف
- رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{٨٥} وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ {٨٦} . يونس
- فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ . آية ١٠١ يوسف
- رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء {٤٠} رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ {٤١} . إبراهيم

- رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً . آية ٨٠ الإسراء
- رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً . آية ١٠ الكهف
- رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي {٢٥} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي {٢٦} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي {٢٧} يَفْقَهُوا قَوْلِي {٢٨} . طه
- رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً . آية ١١٤ طه
- أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . آية ٨٣ الأنبياء
- لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . آية ٨٧ الأنبياء
- رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . آية ٨٩ الأنبياء
- رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ . آية ٢٩ المؤمنون
- رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ . آية ٩٧- ٩٨ المؤمنون
- رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . آية ١١٨ المؤمنون
- رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً . آية ٦٥ الفرقان
- رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً . آية ٧٤ الفرقان
- رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ {٨٣} وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ {٨٤} وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ {٨٥} الشعراء

- رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ . آية ١٩ النمل
- رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ . آية ٢٤ القصص
- رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ {٧} رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٨} وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ{٩} . غافر
- رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ . آية ١٢ الدخان
- رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . آية ١٥ الأحقاف
- رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ . آية ١٠ الحشر
- رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . آية ٤ الممتحنة
- رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . آية ٨ الممتحنة
- وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . آية ١٠ يونس

الجهاد

قال تعالى : **{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}**(١)، **{يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}**(٢) وهذا خطاب خاص بأهل المجاهدة والمكابدة ، فما قال لهم ذلك إلا من بعد ما لاقوه في جهادهم ، تنفيسا لهم وتأنيسا . فلم تنزل إلا بعد قوله تعالى : **{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ}**(١) .

وصاحب المجاهدة ، هو الذي عليه في عمله مشقة ، وهي المجاهدة . ومنهم من لا يجدها ، فلا يكون صاحب مجاهدة .

والمجاهدون أربعة أصناف :

١- مجاهدون ، بدون تقييد : **{وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ}**(٣) .

٢- مجاهدون ، بتقييد ، في سبيل الله : **{وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ}**(٣).

٣- المجاهدون فيه : **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا}**(٤) .

٤- المجاهدون في الله حق جهاده : **{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}**(١) .

١- آية ٧٨ سورة الحج .
٢- آية ١٨٥ سورة البقرة .
٣- آية ٩٥ سورة النساء .
٤- آية ٦٩ سورة العنكبوت .

فالقسم الأول :

هم المجاهدون بالله ، الذي ليس من صفته التقييد ، فجهاده في كل شيء ، وهذا مشقته أعظم ، لأن مجاهدته مطلقة ، ولذلك كانت له عند الله درجات إذ كانت لغيره من المجاهدين درجة : **{وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً}**(١) ، وهؤلاء ما باعوا نفوسهم ولا اشتراها الله منهم ، إذ أنهم نظروا فوجدوا نفوسهم هدية من الله إليهم ، فأهدوها إليه تعالى ، بغير بيع ولا شراء ولا عوض ، فاستحقوا من الله الأجر العظيم .

القسم الثانى :

المجاهدون في سبيل الله . وهي الطريق إلى الله ، فهو في جهاد ، لأنه في طريق عرَّضَ نفسه في السلوك فيه ، إلى إتلاف ماله ، ونفسه ، ويَتَّمَ أولاده ، وفقد مألوفاته . قال تعالى : **{وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ}**(٢)، وقال تعالى : **{يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ}**(٣) .

ولما نظرنا إلى أعظم المشقات ، لم نجد أعظم من إتلاف المهج في سبيل الله ، ولما علم تعالى من العباد مشقة ذلك عليهم ، قدم شراء الأموال والنفوس منهم ، حتى يرفع يدهم عنها ، فبقى المشتري يتصرف في سلعته

١- آية ٩٥ - ٩٦ سورة النساء .
٢- آية ٧٢ سورة الأنفال ، وآية ١٥ سورة الحجرات .
٣- آية ١١١ سورة التوبة .

كيف شاء ، والبائع - وإن أحب سلعته - فالعوض الذي أعطاه المشتري فيها ، وهو الثمن ، أحب إليه مما باعه ، فقال : **{إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ}**(١) .

وبعد هذا الشراء ، أمر أن يجاهد بها في سبيل الله ، ليهون ذلك عليهم ، فهم يجاهدون بنفوس مستعارة ، أعني النفوس الحيوانية القائمة بالأجسام ، فهم كمن سافر على دابة مستعارة ، ومال غيره ، وقد رفع عنه الحرج مالكها - عندما أعاره - إن نفقت الدابة ، وهلك المال . فهو مستريح القلب مما يناله ، من الطعن بالرماح ، والرشق بالسهام ، والضرب بالسيوف ، والإنسان مجبول على الشفقة الطبيعية ، فهو يشفق على مركوبه من حيث أنه حيوان ، لا من جهة مالكه ، فالنفوس التي اشتراها الله في هذه الآية ، هي النفوس الحيوانية الجسمية ، اشتراها من النفوس الناطقة المؤمنة : **{اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}**(١) وهي النفوس الناطقة الموصوفة بالإيمان ، فالمؤمن لا نفس له ، إذ أن الله قد اشتراها ، وهو لا يشترى إلا نفسا مؤمنة ، فمن ادعى الإيمان وله نفس فقد كذب في دعواه .

أما القسم الثالث :

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}(٢) الذين قلنا لهم فيها : **{وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}**(٣) يعني السبيل التي لكم فيها السعادة ، وإلا فالسبل كلها إليه : **{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ}**(٤) .

١- آية ١١١ سورة التوبة .
٢- آية ٦٩ سورة العنكبوت .
٣- آية ١٥٣ سورة الأنعام .
٤- آية ١٢٣ سورة هود .

ولما كان سبب الجهاد : أفعالا تصدر من الذين أُمِرنا بقتالهم وجهادهم ، **وتلك الأفعال أفعال الله ، فما جاهدنا إلا فيه ، لا في العدو ، إذ أنه تعالى الظاهر في المظاهر ، فما في الوجود إلا الله تعالى ، فما جاهد فيه سواه: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى}**(١) ولذلك فإنه بعد أن قال : **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}** تمم الآية بقوله : **{وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}**(٢) و **((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه))(٣)** فإذا رأيته ، علمت أن الجهاد إنما كان منه ، وفيه .

القسم الرابع :

الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، وهو قوله تعالى : **{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}**(٤) فالهاء من جهاده ، تعود على الله ، وذلك لأن الجهاد وقع فيه ، ولا يعلم أحد كيف الجهاد في الله إلا الله ، فالله المجاهد ، لا هم .
وإن كانوا هم محل ظهور الآثار ، فهم المجاهدون ، لا مجاهدون .
فهؤلاء لا ينظرون إلى العالم من حيث عينه ، وإنما من حيث هو مظهر لصفات الله تعالى .
وأصحاب الأقسام الأربعة كلهم عارفون ، إذ أن هذه الأقسام مركبة من مقام الإحسان ، وهم أهل بلاء ومشقة ، ما هم بأهل دنيا ، ولا أهل أخرى، ولكنهم أهل الله وخاصته .

١- آية ١٧ سورة الأنفال .
٢- آية ٦٩ سورة العنكبوت .
٣- تقدم تخريجه ص ٣١ .
٤- آية ٧٨ سورة الحج .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، جاهدوا في الله ، وفي سبيل الله ، فأحِلَت لهم الغنائِم ، أما الأمم السابقة فكانوا يقاتلون لأنفسهم ولديارهم وأموالهم : **{وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا}**(١) فلم تحل لهم، بل **((كانت تنزل عليها نار من السماء ، فتأكلها))(٢) .**

١- آية ٢٤٦ سورة البقرة .

٢- حديث " لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتأكلها " رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة ، وقال : حسن صحيح . وأخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "..... وكانوا إذا أصابوا الغنائم قربوها في القربان ، فجاءت النار فأكلتها " وفي رواية مسلم وعبد الرزاق في آخرها " فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ، ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا ، فطيبها لنا ".

نفس الرحمن جل جلاله

اعلم أن الله تعالى لما توجه إلى إيجاد المخلوقات ، إنما توجه على إيجادهم ، بأسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر والعزة ، فخرجوا أذلاء تحت هذا القهر الإلهي ، وتعرف إليهم حين أوجدهم بهذه الأسماء : **{وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ}**(١) **{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}**(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((رأيت جبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى))**(٣) .

فهم ، ومن دونهم ، يعبدون الله على الخشية ، لا على الحب والود . فلم يتمكن لمن خلق بهذه المثابة أن يرفع رأسه ، ولا أن يجد في نفسه طعما للكبرياء على أحد من خلق الله ، فكيف على من خلقه ، وقد أشهده أنه في قبضته ، وتحت قهره ، وشهدوا كشفا : نواصيهم ، ونواصي كل دابة ، بيده : **{مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا}**(٤) والأخذ بالناصية عند العرب إذلال : **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}**(٥) .

١- آية ١٣ سورة الرعد .
٢- آية ٥٠ سورة النحل .
٣- أخرجه الطبراني في الأوسط وابن مردويه وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح وقال السيوطي سنده صحيح ، وكذلك رواه ابن أبي حاتم والديلمي وابن أبي عاصم في السنة عن جابر رضي الله عنه وأخرجه محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقي في دلائل النبوة من حديث أنس .
٤- آية ٥٦ سورة هود .
٥- آية ١١ سورة فصلت .

وأما الثقلان ، فخلقهم تعالى بأسماء اللطف والحنان والرحمة ، فعندما خرجوا ، لم يروا عظمة ولا عزا ولا كبرياء ، ورأوا أنفسهم مستندة في وجودها إلى رحمة وعطف ، ولم يبد الله لهم من جلاله ولا كبريائه ولا عظمته في خروجهم إلى الدنيا شيئا من العز والكبرياء ، فلو شهدوا أن نواصيهم بيد الله ، شهادة عين ، ما عصوا الله طرفة عين ، وكانوا مثل سائر المخلوقات ، يسبحون الليل والنهار ، لا يفترون : **{إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}**(١) ولكن الله تعالى أراد منهم الإقبال عليه ، إقبال حب ، لا إقبال خشية ، فلما ظهروا عن هذه الأسماء الرحمانية ، قالوا : ربنا لم خلقتنا ؟، قال : لتعبدون ، أي لتكونوا أذلاء بين يدي ، فلم يروا صفة قهر تذلهم ، ولا جناب عز يقهرهم ، ولاسيما وقد قال لهم : لتذلوا إليّ ، فأضاف فعل الإذلال إليهم ، فزادوا بذلك كبراً .

فلو قال لهم ما خلقتكم إلا لأذلكم ، لفَرَقوا ، وخافوا . فإنها كلمة قهر ، فكانوا يبادرون إلى الذلة من نفوسهم خوفا من هذه الكلمة ، كما قال للسماوات والأرض : **{إئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا}**(٢) .

فلما رأى الثقلان ذلك العطف والحنان ، عصوه فلم يطيعوه : **{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ}**(٣) وعصى إبليس ربه ، فمعصية إبليس كانت عن تكبر على الله ، وذلك مما عصم الله منه آدم عليه السلام .

١- آية ٤ سورة الشعراء .
٢- آية ١١ سورة فصلت .
٣- آية ١٢١ سورة طه .

وإذا شاء الله تعالى أن يعتني بعبده ، ويرزقه التوفيق ، يجعل عبوديته بين عينيه ، فيصير عبداً ، تام العبودية لله . فإذا أداه ذلك إلى حرج وضيق وقهر ، حينئذ يلتفت إلى الأسماء التي منها وجد ، وهي أسماء الرحمة ، فيحن إليها ، ويطلبها لتزيل عنه ما هو فيه من الضيق والحرج : **{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}**(١) ويعرف أن لها سلطانا ، فتنفس عنه ما يجده من ذلك ، قال تعالى : **{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا}**(٢) فالمتقي دائما خائف من مراقبة أسماء القهر ، ولا يكون أحد يشهد الرحمن الرحيم الرؤوف ، ويتقيه ، وإنما يشهد السريع الحساب الشديد العقاب المتكبر الجبار ، فيتقيه ، ويخاف منه ، فيؤمنه تعالى بأن يحشره إلى الرحمن ، ليخفف عنه ، فهو تعالى بالرحمة أوجدنا ، وتأخرت المعصية ، فتأخر غضبه عن رحمته في الثقلين .

ألا ترى أن الله تعالى إذا ذكر أسماءه لنا ، يبتديء بأسماء الرحمة ، ويؤخر أسماء الكبرياء ، لنأخذها بحكم التبعية ، فقبلنا أسماء العظمة ، لما رأينا أسماء الرحمة قد قبلتها .

ولذلك بدأ كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم حتى سورة التوبة ، قالوا إنها وسورة الأنفال سورة واحدة ، وقالوا أيضا أن بسملتها في سورة النمل، ألا ترى أنها كتبت بغير {ألف} بعد {الباء} كالتى في فواتح السور .

ثم انظر في اسمها : ((سورة التوبة)) والتوبة تطلب الرحمة ، ما تطلب التبري، وإن ابتدأ جل وعلا بالتبري، فقد ختم بآية لم يأت بها ، ولا وجدت

١- آية ٧٨ سورة الحج .
٢- آية ٨٥ سورة مريم .

إلا عند من جعل شهادته ((**شهادة رجلين**))(١) ، وهو قوله تعالى : **{لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ....}**(٢) . فإن كنت تعقل ، علمت ما في هذه السورة من الرحمة المدرجة ، لا سيما في تعدد قوله تعالى فيها : **{وَمِنْهُمْ...}**، **{وَمِنْهُمْ...}**(٣) وذلك كله رحمة بنا ، لنحذر الوقوع فيه ، فلم تتضمن سورة من القرآن - في حقنا - رحمة أعظم من هذه السورة .

وقد يتطرق للأذهان أن الجن والإنسان سواء ، لاشتراكهما في أسماء العطف والرحمة ، هيهات هيهات ، فقد قالت الملائكة : **{وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ}**(٤) وهكذا كل موجود ، له مقام معلوم ، فيه خُلِق ، وفيه عاش ، وفيه ينتهى ، فالحجر حجر ، منذ أن خُلِق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والمَلَك مَلَك منذ أن خُلِقَ إلى منتهاه .

١- حديث "شَهَادَةُ خُزَيْمَةَ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ" رواه أحمد وأبو داود عن النعمان بن بشير. والحاكم وصححه عن أنس . وفي صحيح البخاري عن زيد بن ثابت قال : أرسل إلي أبو بكر، فتتبعت القرآن ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره : {لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...}. حتى خاتمة {براءة} . وفي صحيح البخاري أيضا عن زيد بن ثابت قال: لما نسخنا الصحف في المصاحف، فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري، الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه} .

٢- آية ١٢٨ – ١٢٩ سورة التوبة .

٣- الآيات المقصودة هنا في سورة التوبة هي الآية ٤٩ {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} والآية ٥٨ {وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} والآية ٦١ {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} والآية ٧٥ {وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} .

٤- آية ١٦٤ سورة الصافات .

أما الثقلين ، فلهم مقامات غُيِبَت عنهما ، إليها ينتهى كل أحد منهما بانتهاء أنفاسه ، فآخر نفس ، هو مقامه المعلوم الذي يموت ويبعث عليه ، ولهذا دُعوا إلى السلوك ، فسلكوا :

- **عُلواً** ، بإجابة الدعوة المشروعة .
- **وسفلاً** ، بإجابة الأمر الإرادي .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **((كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة(١) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا حجر أرسل في جهنم ، منذ سبعين خريفاً ، فانتهى إلى قعرها))(٢) .**

فما فرغ إلا والصراخ في دار منافق من المنافقين ، مات وعمره سبعون عاما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الله أكبر) . فعلم علماء الصحابة أن هذا الحجر هو ذلك المنافق ، وأنه منذ خلقه الله يهوى في نار جهنم ، فلما مات حصل قعرها .

والمقام المعلوم لصالحي الجن ، ليس كالمقام المعلوم لصالحي الإنس ، كما بين من قال : **{قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ}**(٣) .

وبين من قال : **{قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}**(٤) .

فالإنس وحدهم لهم الخلافة عن الله : **{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}**(٥).

١- في القاموس المحيط : الوَجْبَةُ : السَّقْطَةُ مع الهَدَّةِ ، أو صَوْتُ السَّاقِطِ .
٢- رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة ، ورواه مسلم عن ابن مسعود .
٣- آية ٣٩ سورة النمل .
٤- آية ٤٠ سورة النمل .
٥- آية ٣٠ سورة البقرة .

وهم حاملوا الأمانة : **{وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ}**(١) خلقهم الله بيده ، وأسجد لهم ملائكته ، وخلقهم على صورته : **((إن الله خلق آدم على صورته))(٢) وعرفهم عليه ، به ، إذ صار سمعهم وبصرهم وجميع قواهم ، فما عرف إلا نفسه ، بنفسه .**

وأنَّى يتسنى ذلك للجن ، فما هم إلا خدم عند مقام العارفين من الإنس.

- وكذلك يظهر نفس الرحمن في الذين يغضب عليهم ربنا تعالى ، فإذا اشتد عليهم غضبه ، أرسل عليهم نفس الرحمن في صورة عذاب ، فيأخذهم ، فيذهب الغضب ، إذ أن الغضب من الله تعالى أشد من العذاب ألف مرة ، وذلك مثل ما نفس الله به على حبيبه بقتال المشركين ، وكان عذابا على الكافرين .
- ومن نفس الرحمن ، قوله : **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}**(٣) فلا تتكبدوا مشقة الإتيان ، والبحث عنه .
- ومن نفس الرحمن ، ما نفَّس به على الموجودات ، فأوجدها ، بعد أن كانت عدما .

١- آية ٧٢ سورة الأحزاب .
٢- تقدم تخريجه ص ١٢ .
٣- آية ٤ سورة الحديد .

الورع

أصله ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((دع ما يريبك إلى مالا يريبك))(١)** ومحله الأمور المشتبهات : **((وبينهما أمور مشتبهات))(٢) .**
فكلما حاك في صدورهم شيء من المكاسب ، تركوه ، حتى كانوا في أشد ما يكونون من الشدة ، وحتى لم يجدوا حلالا إلا ما تنبت به الأرض من بقلها على ضفاف الأنهار ، وما يخرجه الله تعالى من النبات في الصحاري والقفار ، فبعث الله عليهم نفس رحمة ، حتى صاروا يعرفون الحلال من الحرام عن طريق خرق العادة ، أو عن طريق علامة بينهم وبين ربهم ، أو يقذف الله في قلوبهم نورا ، فيستفتون تلك القلوب السليمة ، فتخبرهم الخبر .

أما الورع في المنطق : فقد أداهم إلى العزلة والسياحة ، حتى لا يقعوا في الغيبة والنميمة ، فلما ساحوا في بطون الأودية وفي الصحاري والقفار ، ووجدوا من الوحشة ما تتزلزل له الجبال ، أدركهم نفس رحمة منه تعالى، فآنسهم بسماع تسبيح الأحجار ، وخرير الماء ، وتسبيح كل أمة ، وسلامهم عليه ، حتى أنه يسمع تسبيح جوارحه ، وكل عضو فيه ، وتصير تكلمه السباع - إما بلغته ، وإما يلهمه الله منطقها - وتخدمه ، فيأنس بهم من وحشته .

١- أخرجه الطيالسي وأحمد والترمذي وصححه والدارمي وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والبيهقي والنسائي والضياء عن الحسن بن علي وأحمد في مسنده عن أنس والطبراني في الكبير عن وابصة بن معبد والخطيب في التاريخ عن ابن عمر . وصححه السيوطي .

٢- روي بلفظ الترجمة وبعضهم بلفظ " أمور متشابهات " متفق عليه [البخاري ومسلم] والأربعة [أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه] وأحمد في مسنده عن النعمان بن بشير .

لكثرة فضولهم ، فالهروب منهم أفضل ، فالجان هم أجهل العالم الطبيعي بالله تعالى ، ومجالستهم تورث التكبر ، على من يظن أنه دونه من عباد الله ، ويفتتن بهم ، وبما يخبرونه من حوادث الأكوان ، وما يجري في العالم ، فلا يصحبهم أحد ، فيحصل عنده منهم علم بالله ، غايتهم أن يمنحوه من علم خواص النبات والأحجار والأسماء والحروف ، فإذا رآهم في سياحته ، فليغض طرفه عنهم ، ولا يلتفت إليهم ، فإنهم سيتجنبوه إن رأوه مشغولا بربه عنهم .

وفي هذه العزلة تتحبب إليه الملائكة وتجالسه ، ونعم الجلساء هم : **((وإن الملائكة ، لتضع أجنحتها ، لطالب العلم))(١)** فكيف بطالب الله تعالى ، فالملائكة من نور خلقوا ، ولا يخرج منهم إلا كل علم إلهي عزيز .

١- أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه والطيالسي والترمذي وصححه والطبراني عن صفوان ابن عسال وأبو داود وابن ماجة والترمذي والنسائي وأحمد وابن حبان عن أبي الدرداء .

العزلة

وهي تسبق الخلوة ، وفيها يعَوِّد الإنسان نفسه على الجوع والعطش ، والصمت ومخالفة النفس ، وعلى الأنس بالله دون غيره .

وهي ثلاثة أنواع :

١- **عزلة في حاله :** بأن يعتزل كل صفة مذمومة ، وكل خلق دني .
٢- **عزلة في قلبه :** وهو أن يعتزل بقلبه عن التعلق بأحد من خلق الله، من أهل ومال ، وولد وصاحب ، حتى عن خواطره ، وكل أحد يحول بينه وبين ذكر الله ، ولا يكن له هم إلا تعلقه بالله .
٣- **وعزلته في حسه :** وهو أن يعتزل في الصحاري والقفار ، والفيافي والأماكن البعيدة عن العمار ، والخرابات والمساجد المهجورة .

والعزلة إما لنفسك أو لغيرك :

فإذا كانت للمبتدئين : فهي لأنفسهم ، حتى يجتمعوا على ربهم ، وأما الواصلين : فليس لهم نفس ، فهي لغيرهم ، لأنهم علموا أن الأرض تزهو وتفخر بذكر الله عليها ، وهم - رضي الله عنهم - أهل إيثار ، وسعي في حق الغير ، ورأوا أن المعمور من الأرض لا يخلو عن ذاكر لله ، فيه ، من عامة الناس . وأن المفاوز المهلكة البعيدة عن العمران ، لا يكون فيها ذاكر لله من البشر ، فلزم بعض العارفين السياحة ، صدقة منهم على البيد ، التي لا يطرقها إلا أمثالهم ، وسواحل البحار ، وبطون الأودية ، وقمم الجبال ، والشعاب .

فالله يقول : **{يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ}**(١) وأرض الله : هي كل أرض موات ، لا يكون عليها ملك لغير الله ، فتلك أرضه الخاصة ، المضافة إليه ، البريئة من الشركة فيها ، البعيدة عن المعمورة ، فإن الأرض الميتة القريبة من العمران ، يمكن أن يصل إليها بعض الناس ، فيحييها بالذكر والعبادة ، فيملكها بإحيائها : فمن أحيا أرض موات فهي له ، والبعيدة من العمران سالمة من هذا . فأمرنا تعالى بأن نعبده فيها ، إذ ليس فيها ملك لغير الله ، فرأوا من العجائب والآيات ما يبهر العقول ، وراثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا}**(٢) .

والجهاد في أرض الكفر - التي لا يوحد الله تعالى فيها - من هذا النوع .

وهذه الأنواع من العزلة ، هي نسبة ، لا مقام .

أما عزلة العلماء ، فهي مقام ، وهي من المقامات المستصحبة لصاحبها في الدنيا والآخرة ، وعزلة العلماء هي أن ينظر إلى أسمائه تعالى ، فلا يتخلق بشيء منها ، عبودية لله تعالى ، ويقول في نفسه : إن الأليق بي أن أعتزل بأسمائي عن أسمائه ، ولا أزاحمه فيها ، فاعتزل صاحب هذا النظر عن التخلق بالأسماء الحسنى ، وانفرد بفقره وذله ، وعجزه وقصوره وجهله ، لأنه تعالى ذم من تسمى بأسمائه ، فقال : **{ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ**

١- آية ٥٦ سورة العنكبوت .

٢- آية ١ سورة الإسراء .

الْكَرِيمُ}(١)، قال : **{يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}**(٢) فاعتزل عن هذه الأسماء ، وإن ظهر بحكمها في العالم ، فكلما قرع عليه الباب اسم إلهي ، قيل له : ما ها هنا من يكلمك .

فقال له الحق تعالى : اعتزل عن الجميع ، فلا تسم نفسك بنفسك ، بل دعني أسميك ، وأظهرك للوجود بها ، كلها ، أو بعضها ، فاستجاب العبد تأدبا مع ربه ، فرجع إلى العبودية التي لم تزاحم الربوبية ، فتحلى بها ، وقعد في بيت شيئية ثبوته ، متخليا عن شيئية وجوده ، ينظر تصريف الحق فيه ، وهو معتزل عن التدبير في ذلك ، فإن تسمى بأي اسم ، فإن الله مسميه ، ما هو تسمى ، وليس له رد ما سماه به .

فتلك الأسماء هي خلع الحق على عباده ، وهي خلع تشريف ، فمن الأدب قبولها ، لأنها جاءته من غير سؤال ، ولا استشراف ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبول مثل هذا العطاء ، فمن استشرف وتطلع ، سلبه الله كل هذا ، وترك له العبادة ، فهي اسم حقيقى للعبد ، وهي ذاته ، وموطنه ، وحاله ، وعينه ، ونفسه ، وحقيقته : **{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ}**(٣) ، **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ}**(٤) .

ومن الخلق من يعتزل في السياحات ، ليحقق صحبة الله الخاصة ، في قول رسوله صلى الله عليه وسلم : **((اللهم أنت الصاحب في السفر)) (٥)**

١- آية ٤٩ سورة الدخان .
٢- آية ٣٥ سورة غافر .
٣- آية ١٢٣ سورة هود .
٤- آية ٥٦ سورة الذاريات .
٥- رواه الحاكم وأبو داود والنسائي والترمذي عن أبي هريرة ومسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عمر والترمذي عن عبد الله بن سرجس .

فهو تعالى يصحبنا في كل حال نكون عليه ، ونحن لا نصحبه إلا في الوقوف عند حدوده ، فما نصحب في الحقيقة إلا أحكامه ، لا ، هو .

فله تعالى السيادة ، والعالم عبيده . والعبد لا يتمكن له أن يصحب غير سيده ، لأنه محكوم ، لا هو يحكم نفسه . فالمؤمن تحت شرعه : **((لو أن فاطمة بنت محمد ، سرقت ، لقطعت يدها))(١) .**

فهو تعالى معنا ، ما نحن معه ، لأنه يعرفنا ، ونحن لا نعرفه ، فهو يحفظنا ، له ، لا ، لنا . ونحن نطلبه ، لنا ، لا ، له : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ}(٢) . فأوجدنا ، له ، لا ، لنا .

والصحبة لها حق عظيم ، فمن أخلص مع الله نفسا واحدا ، يصح به إطلاق الصحبة مع الله ، فلابد أن يراعي الله حق ذلك النفس ، ومن استظل بشجرة أو استند إليها طلبا للراحة - ولو للحظة - فقد صحبها ، وصار لها حق عليه - أن يسقيها إن وجدها ذابلة - مراعاة لحق الصحبة .

ومنهم من أراد الانفراد بذاته عن أمثاله ، حتى لا يبقى له أنس إلا بذاته وحده ، فلا يرى له مثلا ، ليحقق أحديته ، غِيرة أن يرى له مثلا ، كما غار الحق تعالى أن يكون له مثل ، مثل قوله تعالى : **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**(٣) .

ومنهم من تحقق بقوله تعالى : {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} (٤) فرأى أن

١- رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة والترمذي وصححه عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، والبخاري والنسائي عن عروة .
٢- آية ٥٦ سورة الذاريات .
٣- آية ١١ سورة الشورى .
٤- آية ٤ سورة الحديد .

قطع المسافات : زيادة تعب ، إلى تعب .
فطلب وجهه تعالى ، في موضع إقامته .
فإذا عرفه ، صار مقصودا ، لا قاصدا .
تقصده الأنوار ، ولا يقصدها .

فصاحب السفر مع قوله : ((ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا))(١) .
وصاحب الإقامة مع قوله : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}(٢) .
فالسكون مع المشاهدة ، والحركة مع الفقد .

ولا معنى لشكوى الشوق يوما إلى من لا يزول من العيان

فإن تحركت إليه ، حددته .
وإن سكنت معه ، عبدته .
الحركة إليه ، عين الجهل به .
والسكون إليه ، عين العلم به .
ما أسرى برسوله ليراه .
وإنما ليريه من آياته .
وإن كان جليس الذاكر .
فإلى أين يرحل ؟

١- رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وصححه وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة .
٢- آية ٥ سورة طه .

الخلوة

وهي عكس الجلوة ، ولا تكون إلا بعد عزلة صحيحة .

قال رب العزة جل جلاله : **((من ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي . ومن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم))(١)** وهذا حديث إلهي صحيح يتضمن الخلوة والجلوة .

ومطلوب صاحب الخلوة : هو العلم بالله ، فلا يطلب واردا ، ولا شهودا ، ولا لصفاء الفكر ، فكل هذه نيات معلولة ، لا تعطي مقاما ولا رتبة . والخلوة على الصورة المعهودة ، لا تصح إلا للمحجوبين . وأما أهل الكشف ، فلا تصح لهم خلوة أبدا ، لأنهم مشاهدون على الدوام ، فهم في ملأ أبدا ، ولكن بعض الأكابر قد يدخل الخلوة لمزيد علم بالله ، مشاهدا لقوله : **{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}**(٢) .

فإذا دخل الخلوة ، فلا يتحدث مع كون من الأكوان ، ولا مع نفسه .

قال بعضهم لصاحب خلوة : اذكرني عند ربك في خلوتك .

فقال له : إذا ذكرتك ، فلست معه في خلوة .

وهو قوله : **((أنا جليس من ذكرني))(٣)** فإنه لا يذكره حتى يحضر المذكور في نفسه ، فمن شرط الخلوة : الذكر النفسي ، لا الذكر اللفظي ، **فأول خلوته : الذكر الخيالي:** وهو تصور لفظ الذكر ، مع كونه مركبا من

١- تقدم تخريجه ص ١٢٦ .
٢- آية ١١٤ سورة طه .
٣- تقدم تخريجه ص ٣٨ .

حروف رقمية ولفظية ، يمسكها الخيال سمعا أو رؤية ، ثم يرتقي إلى الذكر المعنوي ، الذي لا صورة له ، وهو ذكر القلب ، فإذا تلاشت الحروف ، وثبت المعنى ، انقدح له المطلوب وزيادة .
ولا ينشغل في الخلوة بقراءة القرآن ، أو مذاكرة علم ، ولكن يكون انشغاله وذكره باللفظ المفرد (الله) .

والخلوة : إما مقام ، أو مُقَام .

فالتى تحدثنا عنها هي خلوة المُقام ، حيث يقيم فيها المريد مع نفسه ، حتى يصل إلى ربه .

وأما الخلوة التي هي أعلى المقامات ، فيكون فيها العارف خاليا بربه ، لا بنفسه ، مع ربه ، لا ، مع نفسه ، وهو قوله تعالى : **{الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ}**(١) وهي من المقامات المستصحبة دنيا وأخرى . من حصلت له ، لا تزول ، وصاحبها يكشف له آيات العالم قبل آيات نفسه ، ثم يريه تلك الآيات في نفسه : **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}**(٢) جل جلاله ، وآيات العالم هي الدلالات على أنه الحق ، الظاهر في مظاهر أعيان العالم ، وآيات نفسه أن يريه نفسه جامعا لجميع الحقائق في العالم كله ، فالإنسان نفسه عدم محض على الحقيقة ، وأنه قائم بالله .

فقد أصبح في خلوة مع ربه ، بربه ، لربه ، وصح له مقامه .

١- آية ٢٣ سورة المعارج .
٢- آية ٥٣ سورة فصلت .

* فالله واحد ، وإن اختلفت مظاهر ظهوره *

* والإنسان واحد ، ولكن يده ما هي رجله *

* ورأسه ما هي صدره . وعينه ما هي أذنه *

* ولا لسانه ولا فرجه . وعقله ما هو فكره ، ولا خياله *

* فهو متنوع متعدد العين ، بالصور المحسوسة والمعنوية *

* ومع هذا يقال فيه أنه واحد ، ويصدق *

* ويقال فيه كثير ، ويصدق *

* فمن حيث أحديته ، نقول رأى نفسه ، بنفسه *

* ومن حيث كثرته ، نقول رأى بعضه ، ببعضه *

* فتكلم بلسانه ، وبطش بيده ، وسعى برجليه ، واستنشق بأنفه *

* وسمع بأذنه ، ونظر بعينه ، وتخيل بخياله ، وعقل بعقله *

* وما ثم إلا هو *

فالخلوة دنيوية : وهي من اسمه الباطن .

والجلوة أخروية : وهي من اسمه الظاهر .

الخواطر

قال تعالى : **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}**(١) ومن سوء الأدب ، نسبة إلهام الشر إلى الله تعالى ، فلابد من نسبته إلى الشيطان ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن للمَلَك في الإنسان لمة ، وللشيطان لمة))(٢) .**

فالضمير الأول في **{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}** عائد على الشيطان ، والثاني عائد إلى الملك . إذ لا يجوز أن يقابل الخالق بالمخلوق ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للخطيب الذي قال : ومن يعصهما فقال: **((بئس الخطيب أنت))(٣)** إذ أنه جمع بين الخالق والمخلوق في ضمير واحد ، وهذا المخلوق ، هو من هو ، فما بالك بمن قابل الحق تعالى ، بأشر مخلوق .

فعلم الإلهام : هو أن تعلم أن الله ألهمك بما أوقره في نفسك ، ولكن بقي عليك أن تنظر على يدي من ألهمك : ملك أو شيطان .

والشياطين إما حسية : وهي شياطين الجن والإنس ، **وإما معنوية :** وهو أن الشيطان يلقي إلى الإنسان بابا ، وأصلا صحيحا في الدين ، لم يدقق هذا الإنسان فيه النظر ، فينقدح له من المعاني المهلكة ، ما لا يقدر على ردها بعد ذلك ، حتى يكون الشيطان تلميذا لهم ، يتعلم منهم ، فيفتح له

١- آية ٧ – ٨ سورة الشمس .
٢- أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والبيهقي في الشعب والطبراني في الكبير عن ابن مسعود . وصححه السيوطي .
٣- مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وأبو داود والنسائي عن عدي بن حاتم .

الشيطان أمرا عاما ، تتفقه فيه النفس ، وتستنبط من تلك الشبه أمورا ، إذا تكلم بها ، تعلم إبليس الغواية :

- كحب أهل البيت : أصل صحيح ، وواجب على المسلمين ، ولكنه جر الشيعة إلى بغض الصحابة ، ثم بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجبريل ، ورب العزة تبارك وتعالى ، الذي لم ينزل الوحي على علي كرم الله وجهه .
- وكذا ألقت الشياطين إلى أناس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من سن سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة))(١)** وجعل بعض الناس لحرصه على الخير ، يسن سننا حسنة من الخير ، ويريد الناس أن يعملوا بها ، فيخاف إذا نسبها لنفسه ، لا تُقبَل . فيضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحض عليها ، فإذا ألقى الملك في خاطره قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **((من كذب علي متعمدا ، فليتبوأ مقعده من النار))(٢)** تأول ذلك ، وقال : إنما ذلك إذا دعا إلى ضلالة ، وأنا ما سننت إلا خيرا .

فالشيطان يأتي كل طائفة بما هو الغالب عليهم ، فلا يزال بالصالحين يلقي إليهم بالخواطر الطيبة ، حتى إذا اطمأنوا في الأخذ عنه ، وظنوه من الله ،

١- تقدم تخريجه ص ٥٠ .

٢- هو من الأحاديث المتواترة التي ذكرها الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر حيث رواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أنس وأحمد في مسنده وصحيح البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن الزبير و صحيح مسلم عن أبي هريرة والترمذي عن علي وأحمد في مسنده وابن ماجة عن جابر، وعن أبي سعيد والترمذي وابن ماجة عن ابن مسعود وأحمد في مسنده والحاكم في المستدرك عن خالد بن عرفطة ، وعن زيد بن أرقم وغيرهم .

فقد قنع منهم إبليس بهذا القدر من الجهل ، فهم تحت سلطانه ، ثم يسلخه من دينه ، كما تسلخ الحية من جلدها .

وخواطر الأنبياء كلها : إما ربانية وإما ملكية ، ولا حظ للشيطان في قلوبهم ، ومن يُحفظ من الأولياء في علم الله ، يكون بهذه المثابة في العصمة مما يُلقَى ، لا في العصمة من وصوله إليه ، فيأتيهم الشيطان في الظاهر على أي صورة ، لأنه لا يستطيع الوسوسة في قلوبهم ، ولكنهم يعرفونه ، أما قوله تعالى : **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ}**(١) تمنى : أي قرأ . في أمنيته : أي في قراءته : على لسانه ، ولا حظ له في قلوبهم .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مخصوص من هذه الخصوص بقوله تعالى : **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى}**(٢) فَنَزَّه أيضا لسانه ، فليس للشيطان عليه سبيل ، لسانا ، وقلبا ، وروحا .

جاء الشيطان لعيسى عليه السلام على صورة شيخ ، فقال له : قل لا إله إلا الله ، ورضي منه أن يطيع أمره في هذا القدر ، فقال عيسى عليه السلام : أقولها ، لا لقولك ، فرجع خاسئا .

فالسعادة في الإيمان ، أن تقول ما تعلمه - لقول رسولك عليه السلام - لا لعلمك - فإذا قلت ذلك - لا ، لقوله - وأظهرت أنك قلت ذلك لقوله ، كنت منافقا ، فالشيطان يأتي المنافق من أهل الكتاب ، فيقول له : ألم تعلم أن رسولك بشر بهذا النبي، وهما في النبوة سواء ، فآمِن به عن قول نبيك

١- آية ٥٢ سورة الحج .
٢- آية ٣ سورة النجم .

لا عن قوله ، فهؤلاء لما آمنوا ، قال الله لهم : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ}**(١) أي : آمنوا بأنبيائي ، لقول محمد عليه الصلاة والسلام ، لا لعلمكم بذلك ، ولا لإيمانكم الأول ، فتجمعوا بين الإيمانين ، فيكون لكم أجران .

فالشيطان يوسوس :

- **بالمحظور** ، للعامة من أهل المعاصي .
- **وبالمكروه** ، للعباد من العامة .
- **وبالمباح** ، في حق المبتديء من أهل الطريق .
- **وبالمندوب** ، في حق المتوسطين .
- **وبالواجبات** ، للعارفين . فإذا نوى العبد أمرا مع الله ، واستوثق من ذلك ، أقام له الشيطان عبادة أخرى ، أفضل منها شرعا ، فيقطع الأولى ويبدأ في الثانية ، فيفرح إبليس بأن جعله نقض عهد الله من بعد ميثاقه .

فإذا كنت من العامة ، فإنه يوسوس لك بفعل المحرمات ، فإذا سددت على نفسك باب الحرام ، أتاك في المكروه ، فإذا امتنعت عن المكروه ، أتاك في المباحات ، من أكل ونوم وشهوة......إلخ .

فليسأل الله كل عالِم ، أن يجعل له علامة ، تكون له فرقانا في أمر الخواطر ، وقد أعطى الله تلك العلامة للعامة ، وهي ميزان الشرع ، فميز بين فرائضه ، ومندوباته ، وبين المباح والمكروه ، والحرام ، ونَصَّ على

١- آية ١٣٦ سورة النساء .

ذلك في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، فإذا خطر لك خاطر في محظور أو مكروه ، فتعلم أنه من الشيطان بلا شك ، وإذا خطر لك خاطر في مباح ، فتعلم أنه من النفس بلا شك .

فخاطر الشيطان ، فاجتنبه . والمباح ، أنت مخير فيه ، ولكن إذا طلبت الأرباح ، فاجتنب المباح ، واشتغل بدلا منه بالواجب أو المندوب ، فإذا تصرفت في المباح ، فتصرف فيه على حضور أنه مباح ، وأن الشارع لولا ما أباحه لك ما تصرفت فيه ، فتكون مأجورا في مباحك ، وإن خطر لك في فرض أو مندوب ، فقم إليه فإنه من المَلَك .

ولكي تفرق بين خواطر النفس والشيطان :

فإن النفس تثبت على ما تأمرك به من معصية .

أما الشيطان : فيوسوس لك بمعصية ، ثم يتركها ويوسوس لك في أخرى ، وفي ثالثة ، فهو لا يثبت على معصية واحدة ، والشيطان يعلم النفس المعصية أول مرة ، ثم يتركك لنفسك ، هي التي تأمرك بها ، بعد ما ذاقت حلاوتها .

فإذا ذكرت الله تعالى ، انخنس الشيطان ، وبقيت النفس تنغص عليك أوقاتك ، ولا تستطيع لها علاجا إلا بالله تعالى ، أما الشيطان فإن **{كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}**(١) .

١- آية ٧٦ سورة النساء .

الإشارات

الإشارة هي نداء على رأس البعد .

فالإشارة كمثل رجل ضاق صدره بشيء ، ثم سمع رجلا ينادي آخر فيقول: يا فرج ، فيستبشر . كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصالحة المشركين ، لما صدوه عن البيت الحرام ، فجاء يصالحه رجل من المشركين اسمه (سهيل) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((قد سُهِّلَ لكم من أمركم))(١) .**

وأهل الله لا يستعملون الإشارة فيما بينهم ، ولا في أنفسهم ، إلا عند مجالسة من ليس منهم ، والعجيب أنه ما من طائفة إلا ولها إشارات واصطلاحات ، لا يعلمها الدخيل فيهم إلا بالتعلم من الأستاذ ، إلا أهل هذه الطريقة ، إذا دخلها المريد الصادق ، فهم الإشارات بدون معلم ، وأهل الله تعالى قد اضطروا إلى الإشارة ، وذلك لأنه ما خلق الله تعالى أشد ولا أشق على أهل الله من علماء الرسوم ، فهم كالفراعنة للأنبياء ، فعدل العارفون إلى الإشارة ، كما عدلت مريم - من أجل أهل الإفك والإلحاد - إلى الإشارة ، فكلامهم رضي الله عنهم في شرح كتابه العزيز ، إشارات . وإن كان ذلك حقيقة ، تفسيرا لمعانيه النافعة ، فلقد قال تعالى : **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ}(٢) .**

١- قال السيوطي : أخرجه عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم .

٢- آية ٥٣ سورة فصلت .

فكل آية منزلة ، لها وجهان :

- وجه ، يرونه في نفوسهم .
- ووجه ، يرونه فيما خرج عنهم .

فيسمعون - ما يرونه في نفوسهم - إشارات، ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك ، ولا يقولون في ذلك أنه تفسير ، وقاية لشرهم وتشنيعهم ، وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق ، فالله تعالى كان قادرا على تنصيص ما تأول أهل الله في كتابه ، ومع ذلك فما فعل ، بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية - التي نزلت بلسان العرب - علوم معاني الاختصاص ، التي فهمها عباده بعين البصيرة ، فعلماء الرسوم اختلفوا فيما بينهم ، وتفاضلوا ، لما نظروا إلى معانى الآيات بالعين الظاهرة ، ومع ذلك عذر بعضهم بعضا ، ومع ذلك ينكرون على أهل الله ، إذا جاءوا بشيء مما يغمض عن إدراكهم ، وذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء ، وأن العلم لا يحصل إلا بالتعلم المعتاد .

وما قرأوا قوله تعالى : **{وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ}**(١)، **{عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}**(٢)، **{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}**(٣)، وقال للرسل عليهم السلام : **{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ}**(٤)، **{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}**(٥) . ونسوا أن كل علوم الشريعة وهبية ، لا كسب فيها من حيث نزولها على الرسل عليهم السلام .

١- آية ٢٨٢ سورة البقرة .
٢- آية ٥ سورة العلق .
٣- آية ٤ سورة الرحمن .
٤- آية ١١٣ سورة النساء .
٥- آية ٤٨ سورة آل عمران .

فصدق علماء الرسوم عندما قالوا : إن العلم لا يكون إلا بالتعلم .

وأخطأوا في اعتقادهم أن الله لا يعلم من ليس بنبى ولا رسول ، يقول تعالى : **{يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء}**(١) وهي العلم ، و(مَن) هنا نكرة ، فإن الله تعالى قد أغلق باب التنزيل بالأحكام المشروعة ، وما أغلق باب التنزل بالعلم بها وبمعرفة معانيها على قلوب أوليائه ، حتى يكونوا على بصيرة .

وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه : ما ترك لنا ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا فهما ، يؤتيه الله من يشاء من عباده ، في هذا القرآن .

فلما رأى أهل الله ، أن الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم ، وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به ، سلم أهل الله لهم أحوالهم ، لأنهم علموا من أين تكلموا ، وصانوا عنهم أنفسهم ، بتسميتهم الحقائق : إشارات .

فإن علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات .

أين عالِم الرسوم من قول علي كرم الله وجهه - حين أخبر عن نفسه - أنه لو تكلم في الفاتحة لحمل منها سبعين وقرا . هل هذا إلا من الفهم الذي أعطاه الله إياه في القران ؟ .

وكل علماء الرسوم ، إنما يتكلمون في علومهم على غلبة الظن ، لا عن بصيرة ، وشتان بينهما .

فأهل الله ، منهم من يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقظة ، فأعلمني بصحة هذا الحديث .

وقال أبو يزيد رضي الله عنه : أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت ، يقول أمثالنا حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون

١- آية ٢٦٩ سورة البقرة .

حدثني فلان وأين هو قالوا مات ، عن فلان وأين هو قالوا مات .

قال الشيخ الأكبر في الفتوحات : فمن كان يأخذ عن الله ، لا عن نفسه ، كيف ينتهي كلامه أبدا ؟ فشتان بين مؤلف يقول : حدثني فلان - رحمه الله - عن فلان - رحمه الله - وبين من يقول : (حدثني قلبي عن ربي) وإن كان هذا الأخير رفيع القدر ! فشتان بينه وبين من يقول : (حدثني ربي عن ربي) أي (حدثني ربي عن نفسه) !

وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله ، إذا قيل له : فلان عن فلان ، يقول : ما نريد أن نأكل قديدا ، ائتوني بلحم طري . يرفع همم أصحابه ، فإن هذا فلان ، وأي شيء ، قلت أنت ، خصك الله به ، من عطاياه من إشارته وعلمه اللدني .

أي : حدثوا عن ربكم ، واتركوا فلانا وفلانا ، فإن أولئك أكلوه لحما طريا.

والواهب لم يمت ، وهو أقرب إليكم من حبل الوريد

والفيض الإلهي ، والمبشرات ما سد بابها

والطريق واضحة ، والباب مفتوح ، والعمل مشروع

والله يهرول لتلقي من أتى إليه يسعى

فمن كان معك بهذه المثابة من القرب

مع دعواك العلم بذلك والإيمان به

لِمَ تترك الأخذ عنه ؟ والحديث معه ؟

وتأخذ عن غيره ؟ ولا تأخذ عنه ؟

* فتكون حديث عهد بربك *

الجنة

الجنان ثلاث :

١- **جنة اختصاص إلهي :** يدخلها الأطفال ، من أول ما يولد إلى ستة أعوام ، من مات منهم قبل ذلك ، والمجانين ، وأهل التوحيد العلمي ، وأهل الفترات ، ومن لم تصل إليهم الدعوة .

٢- **جنة ميراث :** وهي جنات كانت معدة لأناس دخلوا النار ، فيرثها المؤمنون : **{تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا}**(١) **{أُورِثْتُمُوهَا}**(٢) .

٣- **جنة أعمال :** ينزل الناس فيها بأعمالهم ، فللصلاة جنة مخصوصة بها، وللزكاة كذلك ، فما من فريضة ولا نافلة ، ولا فعل خير ، ولا ترك محرم ولا مكروه ، إلا وله جنة مخصوصة ، ونعيم خاص ، والجنة التي سمع فيها صلى الله عليه وسلم خشخشة بلال ، إنما كانت جنة معدة لهذا العمل بذاته : **{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**(٣) .

١- آية ٦٣ سورة مريم .
٢- آية ٤٣ سورة الأعراف . آية ٧٢ سورة الزخرف .
٣- آية ٣٢ سورة النحل .

وكل جنة من الجنان الثلاث : مائة درجة ، وكل درجة تنقسم إلى منازل ، وأعلى الجنان : الوسيلة ، ثم عليين ، وهما درجتان في جنة عدن ، فأعلى الجنان إذا جنة عدن ، ثم جنة الفردوس ، ثم جنة الخلد ، ثم جنة المأوى ، ثم دار السلام ، ثم دار المقامة .

*** فأهل النار معذبون بأعمالهم ***

*** وأهل الجنة منعمون بأعمالهم ، وأعمال غيرهم ***

*** والجنة أوسع من النار ، فهي كمحيط في الدائرة للنار ***

النار

اعلموا أن وجود اللذة بالملتذ ، هو النعيم . ووجود الألم عند الأسباب ، هو العذاب . فالألم غير العذاب ، فصاحب أسباب الألم ، إذا وجد اللذة بتلك الأسباب ، وجب عليه الشكر ، لا الصبر .

وقال الفاروق عمر رضي اللَّه عنه : ((ما ابتليتُ ببليةٍ ، إلاّ للَّه عليَّ فيها أربعُ نعم : إذ لم تكن في ديني ، وإذ لم أحرم الرضا ، وإذ لم تكن اعظم ، وإذ رجوت الثواب عليها))(١)

ثم اعلم بأن جهنم من أعظم المخلوقات ، وهي سجن الله في الآخرة ، وسميت جهنم لبعد قعرها ، يقال : بئر جهنام ، إذا كانت بعيدة القعر ، وفيها حرورٌ ، وزمهريرٌ ، فيها البرد على أقصى درجاته ، والحرور كذلك . وهي مخلوقة ، وغير مخلوقة ، الآن . وذلك أنها مبنية ومجهزة ، كرجل أراد أن يبني بيتا ، فأقام حيطانها ، فيقال : قد بنى بيتا ، فإذا دخلها ، لم يجد إلا سورا دائرا على فضاء ، وبعد ذلك ينشيء غرفها على حسب أغراض الساكنين فيها ، وكذلك النار لا يوجد فيها الآن آلات العذاب وتنوعه ، إذ أن : **{وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}**(٢) وتحدث فيها الآلات على حسب أعمال داخليها ، من الجن والإنس . فهي خلقت من اسمه اللطيف ، أي أنه لطف بها ، فأوجدها من العدم ، أما عذاب المعذبين فيها، فمن صفات الغضب الإلهي .

١- ذكره الحافظ عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير ، والبيجوري في شرح جوهرة التوحيد .

٢- آية ٢٤ سورة البقرة . وآية ٦ سورة التحريم .

قال تعالى : **{وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ}**(١) وهم أهل النار الذين هم أهلها ، أي : تميزوا عن الذين يخرجون منها ، بشفاعة الشافعين ، وسابق العناية الإلهية بالموحدين .

أما تخاصم أهل النار : فإن الخصام هو نفس عذابهم ، فهم يتعذبون بهذا الخصام ، فإن عذاب أهل جهنم ما هو من جهنم ، وإنما جهنم دار سكناهم وسجنهم ، والله يخلق الآلام فيهم متى شاء ، فعذابهم من الله ، وهم محل له. ولها سبعة أبواب ، وهناك باب ثامن ، مغلق لا يفتح ، وهو باب الحجاب عن رؤية الله تعالى .

والشمس في جهنم شارقة ، لا مشرقة .

وقوله تعالى : **{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}**(٢) معنى ذلك : أن الأرض تعود كلها إلى النار ، إلا الأماكن التي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها في الجنة ، كروضته الشريفة . وكذا الأنهار التي حددها الله فإنها من الجنة ، ومعنى أنها في الجنة بتحديد الشرع ، أن غيرها من الأرض في النار ، وإبليس أشد أهل النار عذابا ، ومع ذلك فعذابه بالزمهرير .

والنار ، ناران :

- حسية ، وهي المسلطة على إحساسه ، وظاهر جسمه .
- ونار معنوية ، وهي التي تطلع على الأفئدة ، وهي القلوب والأرواح . ولا عذاب على الأرواح أشد من الجهل بالله ، والحجاب عنه .

وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((لا تزال جهنم يلقى**

١- آية ٥٩ سورة يس .
٢- آية ٦ سورة التكوير .

فيها وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع الجبار فيها قدمه))(١)، وليست تلك القدم إلا غضبه ، فإذا وضع غضبه ، امتلأت . فهي دار الغضب . ثم وسعت رحمته كل شيء ، بما في ذلك النار ، وما ملأها من غضب .

واعلم أن الناس على نوعين :

- نوع ليس لإبليس عليه سلطان ولا قوة ، وهم عباد الله : **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}**(٢) .
- ونوع تحت سلطانه ، وهذا النوع طائفتان :

١- طائفة لا تضرهم الذنوب التي وقعت منهم **{وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً}**(٣) ، فلا تمسهم النار ، بما تاب الله عليهم ، وباستغفار الملأ الأعلى لهم .

٢- وطائفة أخذهم الله بذنوبهم ، والذين أخذهم الله بذنوبهم قسمان :

- قسم أخرجه الله من النار بشفاعة الشافعين ، وهم أهل الكبائر من المؤمنين، وبالعناية الإلهية ، وهم أهل التوحيد بالنظر العقلي.

- وقسم آخر أبقاهم الله في النار ، وهذا القسم هم أهل النار الذين هم أهلها ، وهم أربع طوائف :

١- رواه بهذا اللفظ الدار قطني في الصفات عن أبي هريرة وعن أبي . وبلفظ " رب العزة " بدل " الجبار " أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أنس . وبلفظ " الرب " بدل " الجبار " أخرجه البخاري وابن مردويه عن أبي هريرة رفعه . وبلفظ " فلا تمتلئ حتى يضع رجله " أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة .

٢- آية ٤٢ سورة الحجر . وآية ٦٥ سورة الإسراء .

٣- آية ٢٦٨ سورة البقرة .

الأولى : المتكبرون على الله ، كفرعون وأمثاله ، ممن ادعى الربوبية ، ونفاها عن الله .

والثانية : المشركون ، الذين يجعلون مع الله إلها آخر وقالوا : **{مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}**(١) .

والثالثة : المعطلة ، الذين نفوا وجود الإله جملة ، فلم يثبتوا إلها للعالم .

والرابعة : المنافقون ، وهم الذين أظهروا الإسلام من إحدى هؤلاء الطوائف .

وليس في النار دركات اختصاص إلهي .

ولكنه أخبرنا تعالى أنه يختص برحمته من يشاء .

فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير .

وأهل الجنة ينعمون بأعمالهم ، وبغير أعمالهم ، في جنات الاختصاص .

فلأهل السعادة ثلاث جنات :

- جنة أعمال ، يدخلونها بأعمالهم .
- وجنات اختصاص ، وهي التي يدخلها الأطفال والمجانين وأهل الفترات
- وجنات ميراث ، وهي التي كانت لأهل النار إذا دخلوا الجنة .

أما قوله تعالى: **{زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ}**(٢) فذلك لطائفة مخصوصة

١- آية ٣ سورة الزمر .
٢- آية ٨٨ سورة النحل .

وهم الأئمة المضلون ، وهؤلاء قال فيهم : **{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ}**(١) وهم الذين قالوا : **{اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}**(٢) في هذا القول ، بل هم حاملون خطاياهم ، والذين أضلوهم يحملون أيضا خطاياهم ، وخطايا هؤلاء مع خطاياهم ، ولا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شيء ، وهو معنى قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **((من سن سنة سيئة ، فعليه وزرها ، ووزر من عمل بها ، دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئا))(٣)** ومعلوم أن الذي يسن هم الأئمة .

فأهل النار الذين هم أهلها :

- فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون .
- واتفق العلماء على أنهم لا يخرجون منها .
- واتفقوا على دوام عذاب قلوبهم وأفئدتهم أبد الآبدين .
- واختلفوا في عذابهم الحسي ، هل ينقلب عذابهم إلى استعذاب بعد انقضاء مدة موازنة أزمان العمل ، فيفقدون الإحساس بالألم .
- ومنهم من قال بتخديرهم وعدم إحساسهم بالعذاب في زمان النضج والتبديل **{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ}**(٤) .
- ومنهم من قال بدوامه عليهم ، بنياتهم لا بأعمالهم ، لأنه إذا عاشوا إلى الأبد في الدنيا لانطوت نيتهم على الكفر .

١- آية ١٣ سورة العنكبوت .
٢- آية ١٢ سورة العنكبوت .
٣- تقدم تخريجه ص ٥٠ .
٤- آية ٥٦ سورة النساء .

أما الذين سيخرجون منها ، فإنهم يموتون فيها موتة فلا يحسُّون بعذاب ، ثم يجاء بهم على أنهار الجنة ، وهؤلاء هم أهل الموتتين ، وذلك قبل ذبح الموت بين الجنة والنار ، فينظر أهل النار الذين هم أهلها ، فلا يجدونهم فيقولون : **{مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ}**(١) .

فمن الناس من يقيم في النار ، أولا بالجزاء ، ثم بالأهلية .
وغيرهم أقام ورودا ، وخرجوا بالشفاعات .

النار قد تتخذ دواء ، لبعض الأمراض ، كمن يتداوى بالكي بالنار في الدنيا . وقد جعل الله تعالى النار يوم القيامة ، وقاية في هذا الموطن ، من داء هو أشد من النار ، في حق المبتلى به ، وأي داء أكبر من الكبائر .

فجعل الله لهم النار يوم القيامة ، وقاية من داء أعظم من النار ، وهو غضب الله . فالغضب أعظم من العذاب ، فإذا عذب المغضوب عليه ، تنفس الغضب وزال .

وكما أن الحدود الدنيوية وقاية من عذاب الآخرة ، لأنها كفارات ، أي تستره هذه الحدود عن عذاب الآخرة ، مِنْ (كفر) يعني (ستر) ، وذلك للمؤمنين أصحاب الكبائر .

أما المحاربون الله ورسوله ، وهم الكفار ، فإن الله لمَّا عاقبهم في الدنيا ، لم يجعل عقوبتهم كفارة ، مثل ما هي الحدود في حق المؤمنين ، بل قال : **{ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**(٢) والعذاب العظيم : هو العذاب الذي يعم الظاهر والباطن.

١- آية ٦٢ سورة ص .
٢- آية ٣٣ سورة المائدة .

قال تعالى : **{وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**(١) وأي عقوبة أشد من عقوبة تعم المستحق وغير المستحق ، والظالم وغير الظالم ، وهي هذه الحدود الدنيوية ، فهي للظالم عقوبة ، وللبريء فتنة واختبار .

وحدود الآخرة ليست كذلك ، فإنها دار تمييز ، فلا تصيب فيها العقوبة إلا أهلها .

وأعظم من النار ، الحجاب عن الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، ما يسمع من نفس من حس تلك الحجب ، إلا زهقت نفسه))**(٢)، فانظر ما ألطف هذه الحجب ، وما أخفاها ، فإنه قال : **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}**(٣) مع وجود هذه الحجب التي تمنعنا من رؤيته ، في هذا القرب العظيم ، وما نرى لهذه الحجب عينا ، فهي أيضا محجوبة عنا ، وقال تعالى : **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لا تُبْصِرُونَ}**(٤) .

نعم يا ربنا : ما نبصرك ، ولا نبصر الحجب ، فنحن خلف حجاب الحجب، وأنت منا بمكان الوريد ، أو أقرب إلينا ، منا ، والله غير محدود ، بحجاب ، ولا بغيره ، إلا أن يكون الله هو عين الحجاب ، فما احتجبنا عنك ، إلا بك ، ولا احتجبت عنا ، إلا بظهورك .

١- آية ٢٥ سورة الأنفال .
٢- تقدم تخريجه ص ١٢٤ .
٣- آية ١٦ سورة ق .
٤- آية ٨٥ سورة الواقعة .

وكيف نحتجب عنه ؟ ونحن مظهر من مظاهر ظهوره ؟

فحجب النور في الحديث : من اسمه الظاهر .

وحجب الظلمة : من اسمه الباطن . وذلك هو ظهور الحق تعالى في مظاهر أعيان الممكنات ، بحكم ماهي الممكنات عليه من الاستعدادات ، فاختلفت الصفات على الظاهر ، لأن الأعيان التي ظهر فيها مختلفة ، فتميزت الموجودات ، وتعددت لتعدد الأعيان وتميزها .

فما في الوجود إلا الله ، وأحكام الأعيان ، وما في العدم شيء إلا أعيان الممكنات ، مهيأة للاتصاف بالوجود .

واعلم أن الغضب ، من الأشياء التي وسعتها الرحمة ، فما ثم غضب خالص غير مشوب برحمة ، والرحمة لا يشوبها غضب : وقوله تعالى : **{وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى}**(١) فالغضب جعله يهوي فقط ، فإذا هوى : سقط في الرحمة ، فلا يسقط إلا إليها ، وبالرحمة التي في الغضب سقط ، فهي التي جعلت الغضب يهوى به ، لتستلمه الرحمة الخالصة ، كالرحمة التي في الدواء الكريه ، ألا ترى إلى ما جعل الله في النار في الدنيا من الراحات والمنافع ، ولو لم يكن إلا الكي بها لبعض العلل ، فإنه أقطع الأدوية ، ولقوته في أثره ، قَدَح في التوكل ، لأنه يقوم في الفعل مقام الشافي والمعافي ، فحكمت الغيرة على المكتوي بأنه غير متوكل(٢).

سمع أبو يزيد قارئا يقرأ {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}(٣) فقال : بطشي أشد ، وذلك لأن بطش الخالق دائما مشوب بلطف ورحمة ، أما بطش المخلوق فبطش محض ، وعذاب محض ، لا رحمة فيه .

١- آية ٨١ سورة طه .
٢- من صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم "لا يكتوون" رواه البخاري ومسلم وآخرون.
٣- آية ١٢ سورة البروج .

جهنم مكان للعبادة ، ومسجد للكافرين :-

حيث يتذكرون الحق فيها ، فهم يذكرون الله فيها ليلاً ونهاراً .

ومثل هؤلاء إذا دخلوا الجنة ، غفلوا عن ذكر الله .

لأنهم في الدنيا ، إذا كانوا في حال رخاء ، نسوا الله تعالى . وإذا كانوا في حال ألم ، ذكروا . فكذا حالهم في الآخرة .

فأهل النار ، في النار ، أسعد منهم في الدنيا .

كالفرق بين من يجلس في المسجد ، ومن يجلس في السوق .

المنافقون ، في الدرك الأسفل من النار وليس لهم إلا ذلك .

وهي النار التي تطلع على الأفئدة ، وهي القلوب ، وهي أشدها .

وذلك أن آفتهم في قلوبهم .

لأن كفرهم في الدنيا كان قويا ، فيحتاجون إلى عذاب مضاعف ، ليصلوا إلى ذكر الله .

أما الكافر ، فكان كفره ضعيفا ، فيحتاج إلى قليل من العذاب ، حتى يصل إلى أن يكون لله ذاكراً .

الزهد

وهو يتحقق حتى في الفقير الذي لا يجد شيئا يزهد فيه ، وذلك لأن الفقير متمكن من الرغبة في الدنيا ، والتعمُّل في تحصيلها ، فتركه لذلك التعمُّل والطلب ، والرغبة عنه ، يسمى زهدا .

فمقام الزاهد : هو الزهد في كل اسم إلهي يحول بينك وبين عبوديتك .

قال أبو يزيد كنت زاهدا ثلاثة أيام :

- **أول يوم ، زهدت في الدنيا .**
- **واليوم الثانى ، زهدت في الآخرة .**
- **واليوم الثالث ، زهدت في كل ما سوى الله .**

فنادانى الحق : ماذا تريد ؟

فقلت : أريد أن لا أريد ، لأني أنا المراد ، وأنت المريد .

فالزهد عنده حال ، وليس بمقام .

ولو رأيت الحق ، لم تزهد ، فإن الله ما زهد في الخلق ، وما ثم من تخلق إلا بالله ، فبمن تتخلق في الزهد ؟

وذلك أنه ما زهد إلا لطلب الأكثر ، فزهد في الأقل : **{قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ}**(١) فأين الزهد ؟ فما تركوا الدنيا إلا حذرا أن يرزأهم (٢) في الآخرة . فهذا عين الطمع والرغبة ، فيمن يتخيل أنه زهد .

١- آية ٧٧ سورة النساء .

٢- الرزأ : النقصان ، فهم زهدوا في الدنيا خوفا من نقص آخرتهم .

قيل لبعضهم : ما الزهد عندكم ؟

قال : إذا وجدنا شكرنا وإذا فقدنا صبرنا .

فقال : هذه حالة الكلاب عندنا .

فقال : وما الزهد عندكم ؟

قال : إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا ؟

فالزاهد ، مال إلى قوله تعالى : **{وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى}**(١) .

والعارف ، مال إلى قوله تعالى : **{وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}**(٢) .

١- آية ٦٠ سورة القصص وآية ٣٦ سورة الشورى .

٢- آية ٧٣ سورة طه .

الصدقة و الهدية و العوض

الصدقة : إما من الحق على العبد وإما من العبد على الحق :

فصدقة الحق ، على العبد :

- بإبقاء عينه في الوجود .
- وبإيجاده أولا ، مع علمه بأنه إذا أوجده يدعي الألوهية ، ويقول أنا ربكم الأعلى .

وصدقة العبد ، على الحق :

هو ما يجده العبد في نفسه من عزة الصورة ، وربوبية صفاتها ، ومع هذا يتركها ، ويقر له بالعبودية الخالصة .

والهدية من الحق للعبد ، ومن العبد للحق .

فهدية الحق ، للعبد : نفسه .

وهدية العبد ، للحق : رد تلك النفس إليه .

بغير بيع ولا شراء .

بل محبة لله خالصة .

وأما طلب العوض : **{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}**(١) .

ومن العبد : **{إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ}**(٢) .

١- آية ٤٠ سورة البقرة .

٢- آية ٧٢ سورة يونس . وآية ٢٩ سورة هود . وآية ٤٧ سورة سبأ .

الكلام

ورد في الحديث القدسي : **((..، ذلك بأني واحد ، عذابي كلام ، ورحمتي كلام))(١) .**

وورد أيضا في الحديث القدسي : **((أنا الله لا إله إلا أنا ، رضائي كلام ، وغضبي كلام ، ورحمتي كلام ، وعذابي كلام))(٢) .**

وصح أيضا في الحديث القدسي ، أن رب العزة جل وعلا قال : **((عطائي كلام ، وعذابي كلام ، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له : {كن فيكون}))(٣) .**

فأول كلام شق أسماع الكائنات كلمة ((كن)) .

فما ظهر العالم إلا عن صفة الكلام ، وهو توجه نفس الرحمن ، على عين من الأعيان ، في حضرة العدم ، فينفعل ذلك العين ، ويخرج إلى الوجود على حسب ما يراد منه .

والكلام : من الكلم وهو الجرح . لأنه يؤثر في جسم المجروح .

فكذلك الكلام ، فلابد لكل متكلم من أثر في نفس من كلمه .

والله تعالى - وحده - هو الذي إذا توجه إلى عين بكلام : فلا يملك هذا العين إلا أن ينفعل لكلامه ، ويطيع مقصوده فيه .

١- قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن أبي موسى مرفوعا.

٢- رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة عن سلمان موقوفا .

٣- أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد وأحمد والترمذي وحسنه، والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان والبزاروالحكيم والديلمي في الفردوس وهناد في الزهد عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعا .

وهذا التوجه للأعيان لإخراجها من العدم إلى الوجود ، هو لله وحده بالأصالة ، ويتعدى منه إلى من يكون الحق تعالى : هو لسانه الذي يتكلم به .

كما صح في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه : **((رأى رجلا مبيضا ، يزول به السراب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كن أبا خيثمة "، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري))(١) .**

وصح أيضا عنه صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك ، أنه نزل في بعض منازله ، ونظر ناظر من المسلمين فقال : **((يا رسول الله ، هذا رجل يمشي على الطريق ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم " كن أبا ذر" فلما تأمله القوم ، قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر))(٢) .**

في هذين الحديثين الصحيحين ، انفعلت الأشياء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند توجهه عليها بكلمة (كن) .

وفي حديث أسامة بن زيد : ((**فإذا تلك المرأة أم الصبي**(الذي تفل في فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفي) **فجاءت ومعها شاة مصلية...فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أسيم : ناولني ذراعها، فامتلخت الذراع فناولتها إياه، فأكلها ثم قال: يا أسيم! ناولني ذراعها، فامتلخت الذراع فناولتها إياه، فأكلها ثم قال: يا أسيم! ناولني الذراع، فقلت: يا رسول الله! إنك قلت: ناولني الذراع، فناولتكها فأكلتها، ثم قلت: ناولني، فناولتكها فأكلتها، ثم قلت: ناولني الذراع، وإنما للشاة ذراعان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أما إنك لو أهويت إليها ما زلت تجد**

١- " كن أبا خيثمة " جزء من حديث غزوة تبوك ، رواه مسلم وأحمد والطبراني في الكبير وذكره ابن حجر في الإصابة وابن هشام في السيرة النبوية .

٢- رواه الحاكم وصححه وابن هشام في السيرة النبوية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

فيها ذراعا ما قلت لك)) . فهنا كانت تخلق للشاة ذراع ، كلما طلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدون تقيد بكلمة (كن) بمجرد أن يأمر أسامة أن يناوله إياها . وفي نفس الحديث : ثم أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضي حاجته **((فقال: يا أسيم! اذهب إلى النخلات فقل لهن : يأمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتحق بعضكن ببعض حتى تكن سترة لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقل ذلك للرجم، فأتيت النخلات فقلت لهن الذي أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فو الذي بعثه بالحق نبيا! لكأني أنظر إلى تعاقرهن بعروقهن وترابهن حتى لصق بعضهن ببعض فكن كأنهن نخلة واحدة،..)) (١)** . وهنا أعطى الله - المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم - القدرة على أن يتعدي (انفعال المكونات) منه إلى شخص غيره (كأسامة) في هذا الحديث .

وبهذا تصبح الإشارة في قوله **{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}**(٢) **أي أنك لا تقدر - على من تريد أن تجعله محلا لظهور ما تريد إنشاءه فيه - أن يكون محلا لوجود إنشائك فيه - إلا بنا . فليس كل متكلم في الدنيا بإلهي مطلق لكن عندما يضفي عليه المولى سبحانه من نعته ، ويخلع عليه من وصفه وهو قوله: {وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا} يصبح له الإطلاق وهو قوله : {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}**(٣) .

{فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ}(٤) .

١- رواه أبو يعلي وأبو نعيم ، والبيهقي معا في الدلائل ، وأورده ابن حجر في المطالب العالية (١٠/٤) بطولِهِ ، وقال : إسناده حسن .
٢- آية ٥٦ سورة القصص .
٣- آية ٥٢ سورة الشورى .
٤- آية ٢٣ سورة الذاريات .

القيومية

ومقام القيومية ، للخلق فيه تخلق .

قال تعالى : **{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء}**(١) .

ومنه مقام السهر .

ومن **((تنام عيناه ، ولا ينام قلبه))(٢)** هو صاحب هذا المقام .

فيحفظ العبد - بسهر قلبه - ذاته الباطنة ، كما يحفظ - بسهر عينه - ذاته الظاهرة .

وهذه صفة قطب الوقت ، الذي يحفظ الله به الكون من صفته الحفيظ ، وهذا القطب إذا سهر ، سهر بعين الله وعين الله حافظته .

١- آية ٣٤ سورة النساء .

٢- بهذا اللفظ رواه البخاري عن جابر ومسلم والطيالسي والفريابي وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل والترمذي وصححه، والنسائي وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة، وابن مردويه والضياء في المختارة، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ورواه الحاكم وصححه عن أنس . وبلفظ " تنام عيناي ولا ينام قلبي " رواه أحمد عن ابن عباس ورواه أحمد وأبو داود وعبد الرزاق عن أم المؤمنين السيدة عائشة وابن سعد عن الحسن مرسلا .

النوم

هو حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس ، إلى شهود عالم البرزخ ، وهو أكمل العوالم ، يجسد المعاني ، ويجعل مالا صورة له ؛ يجعل له صورة . ويجعل ما ليس قائما بنفسه ، قائما بنفسه . ويرد المحال ممكنا ، فإذا كان له كل هذا الإطلاق ، وهو خلق مخلوق لله ، فما ظنك بالخالق سبحانه ، وكذلك يأتي تعالى بأعمال العباد - وإن كانت أعراضا - صورا قائمة ، توضع في الموازين ، لإقامة القسط . ويؤتى بالموت - مع أنه نسبة - في صورة كبش أملح ، ظاهر في منتهى الوضوح ، فيعرفه جميع الناس . وكذلك نعيم الجنان ، في فاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، فهي كما قال تعالى : **{لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ}**(١) فإن الله جاعل فيها رزقا ، يسمى قطفا وتناولا ، وهي في أماكنها - كما جعل للجن في العظام رزقا ، وما نرى ينقص من العظم شيء - ونحن بلا شك نأكل من فاكهة الجنة قطفا دانية ، مع كون الثمرة في موضعها من الشجرة ، لا كما قال المفسرون في هذه الآية ، وذلك لأنها دار بقاء لما يتكون فيها ، لا دار فناء وإعدام . وكذلك سوق الجنة ، ندخل في أي صورة شئنا من صور السوق ، مع كوننا على صورتنا ، لا **ينكرنا** أحد من أهلنا ولا من معارفنا، ونحن نعلم أن قد لبسنا صورة جديدة تكوينية ، مع بقائنا على صورتنا ، فأين العقول والمعقول هنا .

١- آية ٣٣ سورة الواقعة .

الخوف

منهم من يخاف الحجاب ، ومنهم من يخاف رفع الحجاب .

يخاف الحجاب ، لأنه أشد العذاب .

ويخاف رفع الحجاب . لأنه يخاف لو رفع الحجاب لذهبت عينه .

فلم يحظ برؤية الجمال المطلق :

((لو كشفه ، لأحرقت سبحات وجهه ، ما انتهى إليه بصره من خلقه))(١).

الليل إن وصلت كالليل إن هجرت   أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فمقام الخوف هو مقام الحيرة .

ومن خاف من غير هذا فهو حال لا مقام .

فإن المقام هو ما له قدم راسخ في الألوهية .

والحال إنما يأتي ويزول بزوال حكم ما تعلق به .

فأهل النار محجوبون ، ولكن عن ربهم .

والرب هو المربي ، الذي يعلم مصلحة من يربيه .

فهو المربي والمصلح ، فما حجبهم عنه إلا ليصلحهم.

ولما وقف صلى الله عليه وسلم على مقام الخوف ، أداه إلى أن طلب أن يكون نورا : **((واجعلني نورا))(٢) .**

١- تقدم تخريجه ص ١٢٠ .

٢- تقدم تخريجه ص ١١٩ .

فكأنه يقول : اجعلني أنت : {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}(١) .
حتى أراك ، فلا تذهب عيني برؤيتك ، لكن أندرج فيك .

ورحم الله الجيلي رضي الله عنه ، حيث يقول في عينيته :

هُوَ الموجِدُ الأَشياءَ ، وَهوَ وُجودُها ... وَعَينُ ذَواتِ الكُلِّ ، وَهوَ الجَوامِعُ
بَدَت في نُجومِ الخَلقِ أَنوارُ شَمسِهِ ... فَلَم يَبقَ حُكمُ النَجمِ ، وَالشَمسُ طالِعُ
حَقائِقُ ذاتٍ ، في مَراتِبِ حَقِّهِ ... تُسَمّى بِإِسْمِ الخَلقِ ، وَالحَقُّ واسِعُ
وَفي – فِيهِ مِن روحي نُفِخْتَ – كِنايَةً ... هَلِ الروحُ إِلا عَينُهُ يا مُنازِعُ
وَنَزِّههُ عَن حُكمِ الحُلولِ فَما لَهُ ... سِوى ، وَإِلى تَوحيدِهِ الأَمرُ راجِعُ
فَيا أَحَدِيَّ الذاتِ في عَينِ كَثرَةٍ ... وَيا واحِدَ الأَشياءِ ذاتُكَ شائِعُ
تَجَلَّيتَ في الأَشياءِ حينَ خَلَقتَها ... فَها هِيَ ميطَت عَنكَ فيها البَراقِعُ
قَطَعتَ الوَرى مِن ذاتِ نَفسِكَ قِطعَةً ... وَلَم تَكُ مَوصولاً وَلا فَصلُ قاطِعُ
وَلَكِنَّها أَحكامُ رُتبَتِكَ اِقتَضَت ... أُلوهِيَّةً ، لِلضِدِ فيها التَجامُعُ
فَأَنتَ الوَرى حَقّاً ، وَأَنتَ إِمامُنا ... وَأَنتَ لما يَعلو ، وَما هُوَ واضِعُ
وَما الخَلقُ في التِمثالِ إِلا كَثَلجَةٍ ... وَأَنتَ بِها الماءُ الَّذي هُوَ نابِعُ
فَما الثَلجُ في تَحقيقِنا غَيرَ مائِهِ ... وَغَيرَ آنِ في حُكمٍ دَعَتها الشَرائِعُ
وَلَكِن بِذَوبِ الثَلجِ يُرفَعُ حُكمُهُ ... وَيوضَعُ حُكمُ الماءِ وَالأَمرُ واقِعُ
تَجَمَّعَتِ الأَضدادُ في واحِدِ البَها ... وَفيهِ تَلاشَت ، فَهوَ عَنهُنَّ ساطِعُ

١- آية ٣٥ سورة النور .

الرجاء

مقام مخوِّف ، يحتاج صاحبه إلى أدب حاضر ، ومعرفة ثابتة ، وهو مقام عن جانب الطريق ، ما هو في نفس الطريق ، تحته مهواة سحيقة عميقة ، ولا ينبغي أن يظهر سلطانه إلا عند الاحتضار ، وأما في حال الحياة فيستوي مع الخوف ، قال تعالى : **((أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء))**(١) أي فليظن بي خيرا ، وليظن بنفسه شرا ، فيستوي الخوف والرجاء . أما عند الموت ، فهو مشغول بربه ، فلا يبقى إلا ظن الخير ، وهو من المقامات المستصحبة في الدنيا والآخرة .

وقد يتعلق الرجاء بتحصيل شيء ، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم **((رجل آتاه الله مالا وعلما، فهو يعمل بعلمه في ماله، ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا، وهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل فهما في الأجر سواء))**(٢) فهذا قد فاته العمل ، وجنى ثمرته بالتمني ، وربما زاد على صاحب العمل ، فإن العامل مسئول : **{لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ}**(٣) وهذا غير مسئول ، لأنه ليس بعامل ، ولا يكون هذا إلا لمن لم يعطه الله أمنيته من الخير، الذي تمنى العمل به ،

١- رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك وصححه عن واثلة وصححه السيوطي وبلفظ " أنا عند ظن عبدي بي ، إن ظن خيرا فله ، وإن ظن شرا فله " رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة وصححه السيوطي وبلفظ " أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني " أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ، وبلفظ " أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني " رواه أحمد عن أنس .

٢- رواه أحمد وهناد وابن ماجة والطبراني والبيهقي وقال العراقي أخرجه الترمذي وصححه من حديث أبي كبشة .

٣- آية ٨ سورة الأحزاب .

فإن أعطاه ما تمناه من الخير ، فليس له هذا المقام ، ولا هذا الأجر .
وليس الكلام هنا عن رجاء العاصين في رحمة الله ، ذلك رجاء آخر .

أما مقامنا هذا ، فهو مقام عبد شهد ضعف عبوديته ، في عدم الوفاء بما تستحقه الألوهية ، في قوله تعالى : **{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}**(١) هذا من جهتنا ، وأما من جانب ما تستحقه الربوبية على العبودية ، فقوله : **{اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}**(٢) وهو مقام صعب .

فمن ترك الرجاء ، فقد ترك نصف الإيمان .
فالإيمان نصفان : نصف خوف ، ونصف رجاء ، وكلاهما منطقهما عدم .

فإذا أصبح العبد صاحب شهادة ، وهو أعلى من الإيمان ، إذ أنه شهد وآمن به ، والشهادة علم ، والإيمان تقليد ، يناقض العلم ، إلا أن يكون المخبر معصوما ، وليس بينك وبينه واسطة في إخباره ، وهذا لا يكون اليوم إلا عند أهل الكشف ، والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، هم وأهل الكشف سواء ، فهم علماء غير مقلدين ، إذ أنهم سمعوا شفاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما لا يحتمل التأويل .
فاجعل دليلك ربك على الأشياء ، فإن كنت كذلك ، كنت صاحب علم .

١- آية ١٦ سورة التغابن .
٢- آية ١٠٢ سورة آل عمران .

الصبر

يقول تعالى : **{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}**(١) فأخبر أنه يؤذَى فتسمى سبحانه بالصبور على أذى خلقه ، والصبر هو حبس النفس عن الشكوى إلى غير الله ، والركون إلى ذلك الغير ، وليس الصبر حبس النفس عن الشكوى لله تعالى ، فإنه تعالى قد سأل عباده أن يرفعوا أذاهم عنه ، مع أنه قادر على أن لا يخلق فيهم ما خلق من الأذى ، وورد أنه : **((لا أحد أصبر على أذىً سمعه من الله))(٢)** وهو من المقامات التي تزول بدخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، والصبر الإلهي يزول حكمه بزوال الدنيا ، وهذه بشرى برفع حكم اسم المنتقم والشديد العقاب ، فقد أخبرنا بذلك جل جلاله بقوله : **((رحمتي سبقت غضبي))(٣) .**

فبإزالة الدنيا ، زال الأذى عن كل مَن أوذي . ومن أسباب العقاب الأذى ، والأذى قد زال ، فلابد من الرحمة ، وارتفاع الغضب ، فلابد من الرحمة أن تعم الجميع بفضل الله ، وهذا ظننا في الله ، فقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نظن بالله خيرا ، قائلا : **((أحسنوا الظن بالله))(٤) .**

١- آية ٥٧ سورة الأحزاب .

٢- تقدم تخريجه ص ٢٨٨ .

٣- أخرجه عبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس وبلفظ "رحمتي تغلب غضبي" أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة .

٤- أخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن عكرمة وأبو الشيخ عن أبي هريرة أيضا مرفوعا بلفظ العبد عند ظنه بالله، ولابن ماجه وللبيهقي من حديث سالم بن عامر عن أبي هريرة بلفظ : "يا أيها الناس أحسنوا الظن برب العالمين، فإن الرب عند ظن عبده به" .

والصبر أنواع :

- الصبر في الله ، إذا أوذي فيه .
- والصبر مع الله ، إذا رأى المعذب في العذاب .
- والصبر على الله ، حال فقده لربه بوجود نفسه .
- والصبر بالله ، أن يكون الحق عين صبره كما هو سمعه وبصره .
- والصبر مع الله ، حال رفع الحول والقوة ، مِنك .
- والصبر عن الله ، وهو أعظمها مقاما ، وهو الصبر الذي يزول بالموت ، وصاحب هذا الصبر يُنسَب الصبر إليه ، نسبة الاسم الصبور إلى الله ، ولهذا يرتفع حكمه بزوال الدنيا ، فهؤلاء أخذوا الصبر عن الله ، كما تقول : أخذت هذا العلم عن فلان ، فأنت فيه ، كهو .

قال سلطان العاشقين عمر بن الفارض رضي الله عنه :

عسى عطفة منكم علي بنظرة فقد تعبت بيني وبينكم الرسل
أحباي أنتم أحسن الدهر أم أسا فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخِل
إذا كان حظي الهجر منكم ولم يكن بعاد فذاك الهجر عندي هو الوصل
وما الصد إلا الود ما لم يكن قِلىً وأصعب شيء غير إعراضكم سهل
وتعذيبكم عذبٌ لدي وجوركم علي بما يقضي الهوى لكمُ عدل
وصبري صبرٌ عنكم وعليكم أرى أبداً عندي مرارته تحلو
أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي يضركم لو كان عندكم الكل
نأيتم فغير الدمع لم أر وافياً سوى زفرةٍ من حر نار الهوى تغلو
فسهدي حيٌّ في جفوني مخلدٌ ونومي بها ميتٌ ودمعي له غسلُ

أما الصبر المعروف عند العامة ، ففيه مقاومة القهر الإلهي ، وسوء أدب مع الله ، إذ أنه تعالى لم يبتل عباده إلا ليتضرعوا إليه ، ويسألوه رفع ما ابتلاهم به من البلاء عنهم .

قال بعضهم - وقد بكى حين أخذه الجوع - إنما جوعني لأبكي .

فهو يبكي له تعالى .

فإن الأكابر لا يحبسون نفوسهم عن الشكوى إلى الله .

فإذا مدح الله الصابرين ، فهم الذين حبسوا نفوسهم عن الشكوى لغير الله.

ألا ترى إلى (عالم العلماء) : صلى الله عليه وسلم ، يقول : **((أفضل الدعاء أن تسأل ربك العفو والعافية))(١)** وهي من عفى الأثر إذا ذهب ، فالعافية تذهب بالبلاء وأثره .

١- رواه أحمد في مسنده وهناد والترمذي وابن ماجة عن أنس وحسنه السيوطي وبلفظ " وما سئل شيئا أحب إليه من أن يسأل العافية." أخرجه ابن أبي شيبة والترمذي عن ابن عمر وبلفظ "سل الله العافية في الدنيا والآخرة " أخرجه ابن أبي شيبة عن هلال بن يسار وبلفظ " لو عرفت أي ليلة القدر ما سألت الله فيها إلا العافية " أخرجه ابن أبي شيبة ومحمد بن نصر والبيهقي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

المراقبة

{إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}(١)، **{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا}**(٢) .

المراقبة : هو نعت إلهي ، لنا فيه شرب ، وهو قوله تعالى : **{وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا}**(٣) .

- **فالمراقبة الأولى :** مراقبتنا للأشياء وهي عين مراقبتنا إياه ، إذ أنه الظاهر في المظاهر :
  - فمنهم من قال : ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله .
  - وآخر قال : ما رأيت شيئا إلا رأيت الله بعده .
  - وآخر قال : ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه .
  - وآخر قال : ما رأيت شيئا إلا رأيت الله فيه .
- **والمراقبة الثانية :** مراقبة الحياء : **{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}**(٤) فهو يراقب رؤيته ، وهي تراقبه ، فهو يرقب مراقبة الحق إياه ، فهذه مراقبة المراقبة .
- **والمراقبة الثالثة :** أن يرقب قلبه ونفسه الظاهرة والباطنة ، ليرى آثار ربه فيها ، فيعمل بحسب ما يراه من تلك الآثار ، وكذلك يرقب الموجودات الخارجة عنه ، ليرى آثار ربه فيها ، منها : **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ}**(٥) .

١- آية ١ سورة النساء .
٢- آية ٥٢ سورة الأحزاب .
٣- آية ٢٥٥ سورة البقرة .
٤- آية ١٤ سورة العلق .
٥- آية ٥٣ سورة فصلت .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((للدنيا أبناء))(١)** وإذا كان لها أبناء ، فهي أم لهؤلاء الأبناء ، ومن عادة الأم أن ترقب أبناءها ، لأنها المربية لهم ، ولهم عليها حنو الأمومة ، والحذر عليهم أن تؤثر فيهم ضرتها وهي الآخرة ، فيميلون إليها ، وهي خائفة أن تأخذهم الضرة الآخرة ، فإن الدار في هذا الوقت للدنيا ، والحكم لها ، وكما أن الدار الدنيا لا تعترض الدار الآخرة إذا انتقل الناس إليها ، فالدنيا أنصف من الآخرة ، فإنها في دار سلطانها ، وإذا جاءت الآخرة ، وكان يومها ، لا تعترض الدنيا ، ولا تزاحم الآخرة .

قال قتادة رضي الله عنه : ما أنصف أحد الدنيا ، ذمت بإساءة المسيء فيها، ولم تُحمد بإحسان المحسن فيها ، فلو كانت بذاتها تعطي القبح والسوء ، ما تمكن أن يكون فيها نبي مرسل ، ولا عبد صالح .

كيف وقد وصفها الله بالطاعة ، وقال : **{أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}**(٢) والصالح لا يرث إلا المال الصالح ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إذا قال أحدكم : لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه))(٣)** فهذا ابن عاق لها ، كيف لعنها ؟ والدنيا من حنوها على أبنائها لم تقدر أن تلعن ولدها ، فقالت : لعن الله أعصانا لربه !

١- رواه بهذا اللفظ ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ، ونصر المقدسي في أماليه ، عن علي كرم الله وجهه . و بلفظ " ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا " رواه البخاري في صحيحه وابن عساكر وابن المبارك وأحمد في الزهد وهناد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد عن الإمام علي كرم الله وجهه موقوفا .

٢- آية ١٠٥ سورة الأنبياء .

٣- نقله العلقمي عن الدميري قال أبو العباس القرطبي رويناه من حديث أبي موسى الأشعري .

فما قدرت أن تسميه باسمه ، مع أنه صرح باسمها ، فهذا حنو الأم وشفقتها على ولدها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((فنعم مطية المؤمن ، عليها يبلغ الخير ، وبها ينجو من الشر))(١)** فوصفها بالمطية التي تهرب بهم من الشرور ، وتزين لهم الخير ، وتشوقهم إليه ، فهي تسافر بهم ، وتحملهم من موطن الشر إلى موطن الخير ، وذلك لشدة مراقبتها إلى ما أنزل الله فيها من الأوامر الإلهية المسماة شرائع ، فتحب أن يقوم بها أبناؤها ليسعدوا .

فينبغى لأهل المراقبة أن يكون بدؤهم في الدخول ، لاكتساب هذه الصفة ، أن يرقبوا أحوال أمهم ، لأن الطفل لا يفتح عينيه إلا على أمه ، فلا يبصر غيرها ، فيحبها طبعا ، ويميل إليها أكثر مما يميل إلى أبيه ، لأنه لا يعقل سوى من يربيه ، وبأفعالها ينبغي أن يقتدي ، وبذلك يصعب عليها أن يكون أبناؤها ينسبون إلى الآخرة ، وما ولدتهم ، ولا تعبت في تربيتهم ، ثم بعد ذلك ينسب الناس ما هم عليه من الشرور إليها ، وهي أحوالهم ، ما هي أحوال الدنيا ، ونسبوا أعمال الخير إلى الآخرة ، وهي أحوالهم ، ما هي أحوال الآخرة ، فمن عرف الدنيا ، فقد عرفها ، ومن جهلها ، فهو بالآخرة أجهل .

وأهل الكشف إذا كوشفوا ، وطالعوا أحوال الآخرة ، فليست تلك الآخرة على الحقيقة ، وإنما هي الدنيا ، أظهرها الله لهم في عالم البرزخ ، بعين الكشف أو النوم ، في صورة ما جهلوه منها في اليقظة ، فيقولون رأينا الجنة والنار والقيامة ، فذلك الذي رأوه : هو حال الدنيا ، التي خلقها الله

١- نقله العلقمي عن الدميري قال أبو العباس القرطبي رويناه من حديث أبي موسى الأشعري . وبلفظ " لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن " رواه الديلمي وابن النجار عن ابن مسعود .

عليها من الخير والطاعة ، ومعلوم أن القيامة ما هي موجودة الآن ، فإذا رؤيت في الدنيا ، فما هي إلا قيامة الدنيا ، وجنة الدنيا ، ولذا قال عليه الصلاة السلام : **((إن الجنة والنار مثلتا لي ، حتى رأيتهما دون الحائط))**(١) والحائط من الدار الدنيا ، وتمثل الشيء ما هو عين الشيء بل هو شبهه ، وقال متمدحا : **{وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}**(٢) وهما للدار الدنيا .

فراقبوا الله عباد الله ، مراقبة الدنيا أبناءها ، فهي الأم الرقوب ، وكونوا على أخلاق أمكم ، تسعدوا .
فإن راقبت ، فاعلم من راقبت .
فما زالت عنك ، ولا عرفت سوى ذاتك.

١- أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق قتادة عن أنس و بلفظ "صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط" رواه البخاري وابن جرير عن أنس . وبلفظ "عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط" رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن جرير عن أنس .
٢- آية ١٨٩ سورة آل عمران . وآية ١٧ سورة المائدة . وآية ١٨ سورة المائدة . وآية ٤٢ سورة النور . وآية ٢٧ سورة الجاثية . وآية ١٤ سورة الفتح .

العبودية

العبودية ، نسبة إلى العبودة ، والعبودة مخلصة من غير نسب ، ولذا لم تأت بياء النسب ، فأذل الأذلاء من ينتسب إلى ذليل على جهة الافتخار به، ولذا قيل في الأرض ذلول ، لأن الأذلاء يطأونها .

فالعبد مع الحق في حال عبوديته كالظل مع الشخص في مقابلة السراج ، كلما قرب من السراج عظم الظل ، ولا قرب من الله إلا بما هو لك .

وإذا عرف التلميذ من الشيخ أنه عبد لله ، تام العبودة ، فقد فتح الله على ذلك التلميذ بما فيه سعادته .

فإنه يتجرد إلى جانب الحق تجرد الشيخ ، فإنه عرف منه ، واتكل على الله لا عليه ، وبقى ناظرا في الشيخ ما يجرى الله عليه من الحال في حق ذلك التلميذ ، مِن نطقٍ بأمرٍ يأمره به ، أو ينهاه عنه ، أو بعلم يفيده ، فيأخذه التلميذ من الله على لسان الشيخ ، ويعلم التلميذ في نفسه من الشيخ ما يعلمه الشيخ من نفسه ، أنه محل جريان أحكام الربوبية ، حتى لو فقد الشيخ ، لم يقم فقده عند ذلك التلميذ .

كأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين مات ، ما بقى أحد إلا اضطرب ، إلا أبا بكر ، فما تغير ، لِمَا وقر في قلبه من سر العبودة لله تعالى ، فظهر حكم ذلك السر في ذلك اليوم .

فصاحب مقام العبودة : يسري ذوقه في كل ما سوى الله أنه عبد ، وأنه محل جريان تعريفات الحق له ، فيفتقر إلى كل شيء ، فإنه ما يفتقر إلا إلى الله .

والحاصل أن : صحبة من يوصل إلى الله ، ما هي إلا صحبة الله .
والنظر إلى العارف بالله ، فإنما هو النظر إلى الله ، إذ لم تبق فيه بقية ، عليه ، لغير الله ، فصار نورا محضا من نور الله ، فهو في مقام العبودة ، وروي في الأثر : إن لله رجالا من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا .
وفي الحديث **((لا تمس النار مسلما رآني ، أو رأى من رآني))(١)** .
ولا تصح العبودة المحضة التي لا يشوبها ربوبية إلا للإنسان الكامل .

١- رواه بهذا اللفظ الترمذي والضياء المقدسي عن جابر ابن عبد الله ، وقال الترمذي حسن غريب . ورواه الطبراني في الكبير والأوسط عن عبد الرحمن بن عقبة بلفظ " لا يدخل النار مسلم رآني أو رأى من رآني ، ولا رأى من رأى من رآني " . وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه والخطيب في تاريخه، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن رجلا قال: "يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك؟ قال: {طوبى} لمن رآني وآمن، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني. قال رجل: وما طوبى؟!...قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها." وأخرج الطيالسي وأحمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات." وأخرج الطيالسي وعبد بن حميد عن نافع قال: جاء رجل إلى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعينكم هذه؟ قال: نعم. قال: طوبى لكم. فقال ابن عمر: ألا أخبرك بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلى. قال: سمعته يقول " طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني ثلاث مرات." وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات . وأخرج الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن بسر "طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي، طوبى لهم وحسن مآب " . وأخرج عبد بن حميد عن أبي سعيد- وابن عساكر عن واثلة "طوبى لمن رآني، ولمن رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني " وأخرج الحاكم عن أبي هريرة مرفوعا " إن ناسا من أمتي يأتون بعدي ، يود أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله " .

الملائكة

اعلم أن الملائكة ثلاثة أصناف :

- **صنف مُهَيَّم :** تجلى لهم في اسمه الجميل ، فهيمهم ، وأفناهم عنهم ، فلا يعرفون نفوسهم ، ولا من هاموا فيه ، ولا ماهيمهم ، فهم سكارى .

- **والصنف الثانى :** الملائكة المسخرة ، حجبهم الله عن هذا التجلي الذي هيم أصحابهم ، **وهم على ثلاثة أقسام :**

١- قسم لنصرة المؤمنين :

- إذا أذنبوا ، وتوجهت عليهم أسماء الانتقام الإلهية : **{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا}**(١) ما زادوا على ذلك ، تأدبا مع الغيرة الإلهية ، وتعرضا لله تبارك وتعالى ، بأن رحمته وسعت كل شيء .

- وأما نصرتهم بالدعاء لمن تاب منهم ، فهو قولهم : **{فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}**(١) فصرحوا بذكرهم لمَّا كان هؤلاء قد قاموا في مقام القرب الإلهي بالتوبة ، وقرعوا بابها .

- ولما عرفت الملائكة أن هناك منزلة متوسطة بين الجنة والنار ، تسمى الأعراف ، فقالت الملائكة بعد قولهم : **{وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}**(١)، قالت : **{رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم}**(٢)

١- آية ٧ سورة غافر .
٢- آية ٨ سورة غافر .

أي لا تنزلهم في الأعراف . **{وَمَن صَلَحَ}** الواو بمعنى مع **{إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**(١) تأدبا مع الله ، لأن المقام مقام حشمة وتوقير .

- أما نصرهم المؤمنين في القتال : فإنهم ينزلون العدد(٢) ، أما في بدر خاصة فإنهم قاتلوا مع المؤمنين : **{وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ}**(٣) إذ أن الله أنزل الملائكة الذين قالوا : **{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء}**(٤) فأنزلهم في يوم بدر ، فسفكوا الدماء ، حيث عابوا آدم بسفك الدماء ، فنصرونا على الأعداء بما عابوه علينا ، إنما وقع الغلط عندهم في استعجالهم بهذا القول ، من قبل أن يعلموا حكمة الله في هذا الفعل .

٢- **قسم لنصرة من في الأرض ، بغير تعيين** : مؤمن من غيره : **{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ}(٥)** فدخل المؤمن وغيره في هذا الإستغفار ، ثم إن الله تعالى بشر أهل الأرض ، بقبول استغفار الملائكة بقوله: **{أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(٥)** فنعم الإخوان لنا.

٣- **والقسم الثالث من هذا الصنف الثاني :** فهم ملائكة مسخرون في إنزال الوحي ، ومصالح العالم : من هبوب رياح ، ونشء سحاب ، وإنزال مطر . إذ كانوا الصافَّات ، والزاجرات، والتاليات، والمرسلات

١- آية ٨ سورة غافر .

٢- روى الطبراني وابن هشام في سيرته : عن ابن عباس ، قال : لم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا ومددا لا يضربون .

٣- آية ١٢٦ سورة آل عمران .

٤- آية ٣٠ سورة البقرة .

٥- آية ٥ سورة الشورى .

والناشرات ، والفارقات ، والملقيات ، والنازعات ، والناشطات ، والسابحات ، والسابقات ، والمدبرات ، والمقسمات .

• **والصنف الثالث :** ملائكة التدبير ، وهم الأرواح المدبرة أجسام العالم المركب ، وهذه المدبرة هي النفوس الناطقة ، وولايتها هي نصرتها الله ، فيما جعل في أخذها به سعادتها ، وسعادة جسدها الذي أمر بتدبيره ، ومن هذا النوع من الملائكة : السياحون في الأرض ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلمُّوا إلى حاجتكم . قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم ، وهو أعلم منهم ، ما يقول عبادي ؟ قال : تقول : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك ، قال : فيقول : وكيف لو رأوني ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً ،.... قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة ، قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم))(١)** . وذلك لأن هؤلاء الملائكة خلقوا من أنفاس الذاكرين .

١- أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة وبلفظ " هلموا إلى بغيتكم " رواه الترمذي وصححه وأحمد عن أبي سعيد الخدري .

المعرفة بالله تعالى

اعلم أنه لا يصح العلم لأحد ، إلا لمن عرف الأشياء بذاته ، وكل من عرف شيئا بأمر زائد على ذاته ، فهو مقلد لذلك الزائد ، وما في الوجود من عَلِمَ الأشياء بذاته ، إلا الله تعالى . فعِلمه ، ذاته ، وما سواه ، فهو مقلد لذلك الزائد ، فلنقلد الله تعالى ، ولاسيما في العلم به .

فالإنسان قد يقلد حواسه فيما يتعلمه بها ، وقد يقلد عقله ، والعقل يقلد الفكر ، والحواس قد تخدع ، والفكر منه صحيح ، ومنه فاسد ، فينبغى للعاقل إذا أراد أن يعرف الله ، فليقلده فيما أخبر به عن نفسه ، في كتبه وعلى ألسنة رسله ، وإذا أراد أن يعرف الأشياء ، فلا يعرفها بما تعطيه قواه ، وما من قوة إلا ولها غلط في أتفه الأشياء ، فكيف بالله تعالى . **فليسع بكثرة الطاعات ، حتى يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه ، فيكون كالمرآة الصقيلة ، فينطبع فيها علم لدني ، إلهي ، بالله تعالى ، فيعرف الأمور كلها بالله ، وعندئذ لا يدخل عليك شك ولا شبهة ، ولا جهل ولا ريب ، فيما عرفت .** إذ قد رأينا الحق أخبر عن نفسه ، بأمور تردها الأدلة العقلية والأفكار الصحيحة ، مع إقامة أدلتها على تصديق المخبر ولزوم الإيمان بها ، والمعرفة بالله ما لها طريق إلا معرفة النفس : **((من عرف نفسه ، عرف ربه))(١)** فجعل معرفتك بك دليلا على معرفتك به ، إما بطريق ما وصفك بما وصف به نفسه ، من ذات وصفات ، وجَعْله إياك خليفة ، نائبا عنه في أرضه ، وإما بما أنت عليه من الافتقار إليه في وجودك ، وإما الأمران معا .

١- سبق الكلام عليه ص ٣٥ .

الكمال و النقص

من كمال الوجود ، وجود النقص فيه : **{أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}**(١) أي حتى : النقص اعطاه خلقه ، فله كمال يليق به ، وللإنسان كمال يقبله ، وعين ما يراه العقل كمالا ، هو النقص عند الله ، وكل نقص إنما هو في مرتبته لا ينقصه شيء ، وما كل إنسان قبل الكمال ، وما عداه فكامل في مرتبته ، لا ينقصه شيء : **((كمُل من الرجال كثير))(٢)** فما ظهر في العالم نقص ، إلا في هذا الإنسان ، وذلك لأنه مجموع حقائق العالم ، وهو المختصر الوجيز ، والعالم هو المطول البسيط .

أما العقل ، فقد جاء بنصف معرفة الله ، وهو التنزيه ، وسلب أحكام كثيرة عنه تعالى ، وجاء الشارع يخبر عن الله ، بثبوت ما سلب عنه بالعقل بدلالته ، فجاء بالأمرين في آية واحدة :

- **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** تنزيه .
- **{وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}**(٣) تشبيه

وهذا غاية الكمال الإلهي .

وخاطب الحواس والخيال بالتنزيه ، فحارت الحواس والخيال ، وخاطب العقول بالتشبيه ، فحارت العقول ، فعلا جل جلاله عن إدراك العقول والخيال ، وانفرد سبحانه بالحيرة في الكمال .

١- آية ٥٠ سورة طه .
٢- أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وأحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وابن جرير والطبراني عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .
٣- آية ١١ سورة الشورى .

فلم يعلمه سواه ، ولا شاهده غيره .
فلم يحيطوا به علما ، ولا رأوا له عينا .
ما هي إلا آثار تُشْهَد ، وجناب يُقصد .
ورتبة تُحمد ، وإله منزه .
ومشبه يُعبد . هذا هو الكمال الإلهي .

وبقى الإنسان متوسط الحال ، في حيرته بين تشبيه وتنزيه ، فبالإنسان كمل العالم ، وما كمل الإنسان بالعالم .

ولما انحصرت في الإنسان حقائق العالم ، بما هو إنسان ، لم يتميز عن العالم بصغر حجمه خاصة ، وبقيت له رتبة كماله ، فجميع الموجودات قبلت كمالها ، والإنسان انقسم إلى قسمين :

- قسم لم يقبل كماله .
- وقسم قبل الكمال ، فظهرت فيه الحضرة الإلهية بكمالها ، وجميع أسمائها ، فأقام هذا القسم خليفة ، وكساه حلة الحيرة فيه ، فنظرت الملائكة إلى نشأة جسده ، فقالت ما قالت ، فلما أخبرهم تعالى بحقائقه ، وما أودع فيه ، حارت فيه الملائكة ، فقالت : **{لاَ عِلْمَ لَنَا}**(١) والحائر ، لا علم له، فأعطاه علم الأسماء الإلهية ، التي لم تسبحه الملائكة بها ، ولا قدسته . وغدا يحمده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمحامد لا يعلمها الآن ، فإن محامد الله بحسب ما تطلبها المواطن والنشآت ، فأعطت نشأة آدم ومن أشبهه من أولاده ، الأهلية للخلافة في العالم ، فظهر بأسماء الحق على كثرة تقابلها ، وحكم بالحق والعدل ، والله هو الحق والعدل .

١- آية ٣٢ سورة البقرة .

فإن أعطي التحكم في العالم فهي الخلافة ، فإن شاء تحكم وظهر ، كعبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، وإن شاء سلم ، وترك التصرف لربه في عباده ، كأبي السعود الشبلي رضي الله عنه ، إلا أن يقترن بأمر إلهي كداود عليه السلام ، فلا سبيل إلى رد أمر الله ، وكعثمان رضي الله عنه الذي لم يخلع ثوب الخلافة عن عنقه حتى قتل ، لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

فكل من اقترن بتحكمه أمر إلهي ، وجب عليه الظهور به ، ولا يزال مؤيدا ، ومن لم يقترن به أمر إلهي ، فهو مخير ، إن شاء ظهر به ، وإن شاء لم يظهر ، وترك الظهور أولى ، فتلحق الأولياء الأنبياء بالخلافة خاصة ، ولا يلحقونهم في الرسالة والنبوة ، فإن بابها مسدود .

فالكمال المطلوب ، الذي خلق له الإنسان ، إنما هو الخلافة ، فأخذها آدم عليه السلام بحكم العناية الإلهية ، لا بشيء آخر ، وهو مقام أخص من الرسالة ، فما كل رسول خليفة ، فدرجة الرسالة هي التبليغ خاصة : **{مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ}**(١) فإذا أعطي الرسول التحكم فيمن أرسل إليهم، بالسيف والقتال ، والضر والنفع ، فهذا الرسول الخليفة ، وهذه درجة الخلافة والاستخلاف ، فما كل من أرسل حكم ، فإن ظهر بالتحكم من غير نبوة ، فهو مَلِك وليس بخليفة . فلا يكون خليفة إلا من استخلفه الحق تعالى على عباده ، فأصبح له الكمال ، وظهر بسلطان الأسماء الإلهية ، فيعطي ويمنع ، ويعز ويذل ، ويحيي ويميت ، ويضر وينفع ، وكان مع ذلك نبيا أو مرسلا ، أما الأولياء أصحاب التصريف ، فهم خلفاء عن الأنبياء ، لا عن الله .

١- آية ٩٩ سورة المائدة . وآية ٥٤ سورة النور . وآية ١٨ سورة العنكبوت .

وليس الخليفة من أقامه الناس وبايعوه ، وقدموه لأنفسهم على أنفسهم ، فالخلافة قد تكون مكتسبة ، والنبوة غير مكتسبة ، وفي حقيقة الأمر أن الطريق كله مكتسب ، حتى تصل إلى الباب ، فإذا وصلت إلى الباب ووقفت عليه ، فحسب ما استعدت نفسك ، وتهيأت ، خرج التوقيع ، وهو اختصاص إلهي محض ، لا كسب فيه :

١. فمنهم من يخرج له توقيع بالولاية .
٢. ومنهم من يخرج له توقيع بالنبوة وبالرسالة .
٣. ومنهم من يخرج له توقيع بالرسالة وبالخلافة .
٤. ومنهم من يخرج له توقيع بالخلافة وحدها .

وهناك فرق بين الولي والخليفة :

- فالولي يُنصَر ولا ينتَصِر ، والخليفة يُنصَر وينتَصِر .
- ويقول الخليفة لأزيدن على السبعين في وقت ، ويدعو على رعل وذكوان في وقت ، فالخليفة تختلف عليه الأحوال، والولي لا تختلف .
- الخليفة قد يتهم ، والولي لا يتهم .
- فآداب الأولياء : غضب في المغضوب عليهم ، لا رجعة فيه ، ورضا في المرضي عنهم : لا رجعة فيه .
- والخلفاء آدابهم : الرضى في المرضي عنهم ، والعفو وقتا ، والغضب وقتا ، في المغضوب عليهم .

الخلافة

اعلم أن الإنسان ما أُعطى التحكم في العالم بما هو إنسان ، إنما أُعطى ذلك بقوة إلهية ربانية ، وهي الخلافة ، وهي في الإنسان ابتلاء ، لا تشريف ، ولو كانت تشريفا لبقيت معه في الآخرة ، ولكنها تنتهي بانتهاء الدنيا .

ولما قيل له : **{وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى}**(١) فحجرت عليه ، والتحجير ابتلاء ، والتشريف إطلاق .

فالإنسان هو مجموع حقائق هذا العالم ، فتعين عليه أن يقوم وحده ، من حيث هو ، بعبادة جميع العالم ، وإن لم يفعل ، فما عرف نفسه من جهة حقائقه ، لأنها عبادة ذاتية ، فيشاهد جميع حقائقه كلها في عبادتها كشفا ، كما هي عليه في نفسها ، فإذا شاهد عبادات حقائقه ، لم يتمكن من مخالفة أمر سيده فيما أمر به ، من عبادته بالوقوف عند حدوده ، فإذا قال : (سبحان الله) بكله ، انتقش في جوهر نفسه جميع ما قاله العالم كله ، فلو قدرنا العالم كله - ما سوى الإنسان - غفل عن عبادة الله طرفة عين ، وكان هذا الإنسان ذاكرا لله ، قائما بحقه ، في تلك اللحظة ، ناب مناب العالم ، وَسَدَّ مَسَدَهُ .

*** فجوزي بجزاء العالم كله ***

١- آية ٢٦ سورة ص .

الخيال وعالمه

وهو علم البرزخ ، وعلم عالم الأجساد التي تظهر فيها الروحانيات ، وهو علم التجلي الإلهي في الصور .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: **((وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفونها ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه . فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ..))(١).**

فلابد لمن اعتنى الله به من علامة ، بها يَعرِف تجلي الحق ، من تجلي الملك ، من تجلي الجان ، من تجلي البشر إذا أُعطوا قوة الظهور في الصور .

- فجبريل عليه السلام ، أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في صورة أعرابي ، ولم يعرف الصحابة أنه جبريل ، بل لم يشكوا في أنه أعرابي ، حتى عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم ، لما قال : **((هذا جبريل))(٢) .**
- وكذا يظهر الحق لعباده يوم القيامة فيتعوذون منه ، لعدم معرفتهم به فلابد من العلامة . فالله تعالى لا يتجلى لنا في الإطلاق ، ولكنه يتجلى تعالى في الصور .

١- سبق تخريجه ص ٣٩ .
٢- حديث " الإحسان " سبق تخريجه ص ٣١ .

- فيأمرنا بتقبيل الحجر الأسود ، ويخبرنا بأنه يمينه(١) .
- ويأمرنا بالصلاة ، والسجود نحو الكعبة ، ويقول إنها بيته .
- ويأمرنا بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول : إن من بايعه إنما يبايع الله تعالى : **{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}**(٢) ويقول : **{بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ}**(٣) والضمير يعود على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من رآني فقد رأى الحق))(٤)** والحق : اسم من أسمائه تبارك وتعالى . ويقول تعالى : **{لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا}**(٥) والضمير عائد على واحد بعينه . فما أرفع رتبة البشر ، حين أنزل الله هذا الخليفة منزلته تعالى ، فأمر ببيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم : **{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}**(٢) أما الحجر الأسود فإنما هو يمينه تعالى فحسب .

قَبِّل فإن يمين العهد في الحَجَرِ ... وأين رتبته من رتبة البشرِ ؟

إن المبايَع مَن تعنوا الوجوه له ... الواحد الأحد القيوم بالصورِ

إن شاء في مَلَكٍ إن شاء في بَشَرٍ ... إن شاء في شجرٍ إن شاء في حجرٍ

فما تقيده ذاتٌ ولا عَرَضٌ ... وما له في وجودِ الكونِ مِنْ أثرِ

١- حديث " الحجر يمين الله " سبق تخريجه ص ١٣٥ .
٢- آية ١٠ سورة الفتح .
٣- آية ٢ سورة محمد .
٤- سبق تخريجه ص ٥٧ .
٥- آية ٩ سورة الفتح .

وصح أنه **((من لم يشكر الناس ، لم يشكر الله))(١)** ، **((من لم يستح من الناس ، لم يستح من الله))(٢)** فنرى الله تعالى في عيون الناس ، إذا نَظَرَتْ إلينا .

فحياؤنا منهم عين حيائنا من الله . وشكرنا لهم هو عين شكرنا لله تعالى.

والخيال هو علم سوق الجنة ، فقد صح أن **((في الجنة سوقا ليس فيه إلا الصور))(٣)**، يدخل الرجل في أي صورة يشتهيها ، وهي مع ذلك في السوق ، أي ما خرجت منه ، وهو مع ذلك على نفس صورته الأصلية ، يعرفه أهله ، ومع ذلك يرى الصورة في السوق ، ما انفصلت ولا فقدت ، ولو اشتهاها أهل الجنة جميعا لدخلوا فيها ، وهي على حالها في السوق ما برحت ، وهذه الحالة الخيالية هي كما يكون الإنسان في نومه ، فيرى نفسه في صورة غير صورته ، ويرى نفسه في صورته في آن واحد ، ويرى أنه في مكانين في آن واحد . وهذا العالم (أي عالم الخيال) هو عالم البرزخ ، يدخله الإنسان بمجرد نومه أو موته ، فإن **((النوم أخو الموت))(٤)** وجاء في الخبر : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا (٥) وهؤلاء ، يخرجون من قبورهم ، فيقولون : **{ مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا}**(٦) ؟ .

١- أخرجه أحمد والترمذي وصححه والضياء في المختارة وصححه السيوطي والطبراني في الأوسط (وحسنه الهيثمي) عن أبي سعيد. ورواه أحمد والترمذي والنسائي عن أنس . والترمذي وصححه وأبو داود وابن حبان عن أبي هريرة . وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند والبزار والطبراني ووثق رجاله الهيثمي كذلك رواه البيهقي في شعب الإيمان والشعبي والخطيب عن النعمان بن بشير والديلمي عن جابر . والطيراني عن جرير .

٢- رواه هناد في الزهد عن زيد ابن ثابت . ورواه بلفظ " من لم يستح من الله في العلانية ، لم يستح من الله في السر " أبو نعيم في المعرفة عن محمد بن أبي الجهم .

٣- حديث سوق الجنة سبق تخريجه ص ٧٥ .

٤- أخرجه البزار والطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث بسند صحيح عن جابر .

٥- سبق الكلام عليه في ص ٢٠٩ .

٦- آية ٥٢ سورة يس .

فكل حياة ، بالنسبة لما بعدها نوم ، ولما قبلها يقظة .

فهذا هو النائم اليقظان .

فكيف يكون مستيقظا بقول الرسول ؟

وكيف يكون نائما - في نفس الوقت - بكلام الله تعالى ؟

وهو علم ظهور المعاني ، التي لا تقوم بنفسها مجسدة .

- مثل الموت في صورة كبش ، وذبحه(١) .
- ومثل وزن أعمال العباد وهي شيء معنوي .
- وكإتيان جبريل عليه السلام في صورة دحية(٢) وهو في نفس الوقت في صورته في السماء ، له ستمائة جناح(٣) ، وتمثله لمريم في صورة بشر كذلك .
- وكرؤية العلم في صورة اللبن(٤) ، والدين في صورة القيد(٥) .
- وكرؤية العصي والحبال في صورة الحيات تسعى : **{يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ}** (٦) .

١- حديث ذبح الموت سبق تخريجه ص ١١٢ .

٢- حديث تمثل جبريل في صورة الصحابي دحية الكلبي سبق تخريجه ص ١٩٥ .

٣- حديث " جبريل له ستمائة جناح " أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وأحمد وعبد بن حميد والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم في الدلائل عن ابن مسعود .

٤- حديث تأويل اللبن بالعلم رواه البخاري ومسلم والترمذي وصححه من حديث ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما .

٥- حديث رؤيا " القيد ثبات في الدين" رواه ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم والحاكم وصححه وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة .

٦- آية ٦٦ سورة طه .

وفي حضرة الخيال هذه ، يظهر وجود المحال ، بل لا يظهر فيها على التحقيق إلا وجود المحال :

- فآدم عليه السلام في الحديث رأى نفسه خارج القبضة فلما بسط الحق يده **((فإذا فيها آدم وذريته))(١) .**
- ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسراء : **((مر على موسى وهو يصلي في قبره))(٢)** ثم رآه مرة أخرى في بيت المقدس فصلى به(٣)، ثم رآه في السماء(٤) وهو ما انتقل ولكنه في هذه الأماكن في وقت واحد .
- وكمن يشاهد ميتا ، في قبره ساكنا ، خيل إليك أنه ساكت ، ولكنه متكلم ، يُسْأل ويُجيب ، ويُنعَّم ويُعذَّب .
- وثمار الجنة ، أخبر الله تعالى أنها : **{لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ}**(٥) فتشاهدها في يدك ، وهي في نفس الوقت على الشجرة ، ما قطعت ، وتأكلها ، ولا تشك أن عين ما تأكله ، هو عين ما على الشجرة ، ما قطعت .

١- حديث القبضة أخرجه الحاكم وصححه على شرط مسلم والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة .

٢- حديث مروره صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام يصلي في قبره أخرجه ابن أبي شيبة ومسلم والنسائي وابن مردويه والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه . وأخرجه الطبراني ، عن ابن عباس رضي الله عنهما . وأخرجه ابن مردويه ، عن أبي سعيد رضي الله عنه .

٣- حديث صلاته بالأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام أخرجه ابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس رضي الله عنه وأخرجه الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن أبي ليلى ، وأخرجه ابن سعد وابن عساكر، عن عبد الله بن عمر، وأم سلمة والسيدة عائشة وأم هانئ وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين .

٤- حديث " ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ...فإذا أنا بموسى" رواه أحمد وسلم والنسائي عن أنس وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن مالك بن صعصعة .

٥- آية ٣٣ سورة الواقعة .

وفي هذا البرزخ ، يتجلى لنا ربنا في الصور المحدودة ، فإنه ذكر لنفسه خمس كينونات :

١- كينونة في العماء : ((كان في عماء))(١) .

٢- وكينونة على العرش : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}(٢) .

٣- وكينونة في السماء : {وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ}(٣) .

٤- وكينونة في الأرض : {وَفِي الأَرْضِ}(٣) .

٥- وكينونة عامة في كل المخلوقات : {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}(٤) بحسب ما يليق بجلاله ، من غير تكييف ولا تشبيه ولا تصور ، بل كما تعطيه ذاته .

فإنه سبحانه وتعالى :

١. ذكر استواء على العرش . وهذا تحديد .

٢. ثم ذكر أنه في السماء والأرض . وهذا تحديد .

٣. ثم ذكر أنه معنا حيث كنا . وهذا تحديد .

٤. ثم أخبرنا أنه عين الأشياء ، بقوله : **{وَالظَّاهِرُ}**(٥) فلا ظهور لشيء سواه ، وهي محدودة .

فهو محدود بحد كل محدود .

فالعالم صورته ، وهو الروح المدبرة له .

١- تقدم تخريجه ص ٤ .
٢- آية ٥ سورة طه .
٣- آية ٣ سورة الأنعام .
٤- آية ٤ سورة الحديد .
٥- آية ٣ سورة الحديد .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث **((كان في عماء))**(١) فالعماء هو الخيال المحقق وفيه يقبل الله تعالى الصور .

وجاء الشرع ، يقرر ما ضبطه هذا الخيال ، من كينونة الحق تعالى في قبلة المصلي ، وفي مواجهة المصلي(٢) .

وهذا البرزخ لا يدخله إلا أصحاب المشاهدة بالعين ، لا أصحاب العلم والأين ، فما دمت خارج البرزخ ، فأنت من أهل اليقين ، فإذا دخلته أصبحت من أصحاب حق اليقين .

ولا يُدخَل هذا البرزخ إلا عن طريق أهل الله العارفين : فلكل واحد منهم باب من هذا البرزخ ، يُدخِل منه أحبابه لا غير .

عن علي كرم الله وجهه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

((أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب))(٣).

١- تقدم تخريجه ص ٤ .

٢- هذا الحديث "الله تعالى قِبَل وجه أحدكم إذا صلَّى."رواه البخاري ومالك في الموطأ وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري ومسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله .ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة وغيرهم كثير .

٣- رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك وصححه وابن حبان في السنة وابن عدي في الكامل عن ابن عباس وابن عدي في الكامل والحاكم في المستدرك عن جابر وأبو نعيم في المعرفة عن علي . وأفتى ابن حجر بحسنه وقال الزركشي الحديث ينتهي إلى درجة الحسن المحتج به . ورواه ابن مردويه والترمذي وأبو نعيم عن علي بلفظ " أنا دار الحكمة وعلي بابها " وقد أخرج الديلمي بسند ضعيف جدا عن ابن عمر أنه قال علي بن أبي طالب باب حطةٌَ فمن دخل فيه كان مؤمنا، ومن خرج منه كان كافرا، وأخرجه أيضا عن أبي ذر رفعه بلفظ " علي باب علمي، ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفة " ورواه أيضا عن ابن عباس رفعه " أنا ميزان العلم، وعلي كفتاه، والحسن والحسين خيوطه " وروى الديلمي بلا إسناد عن ابن مسعود رفعه " أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها، وعلي بابها " وحديث (مدينة العلم) تعقبه السيوطي في (مناقب الخلفاء الأربعة في اللآليء) ، وبسط الكلام فيه ، وأثبت حسنه ، فليراجع هناك لمن شاء الاستزادة .

الفقر

الفقير هو الذي يفتقر إلى كل شيء ، من حيث أن ذلك الشيء ، هو مسمى الله ، ولا يفتقر إليه شيء ، وليس فوقه مقام ، وهو مقام العبودة ، وهذا هو العبد المحض ، حيث لا يشم رائحة ربوبية أصلا .

فالعبد فيه ربوبية من حيث النفس ، وعبودية من حيث الأصل : **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ}**(١) .

وهؤلاء ، لا حال لهم ، ولا مقام ، ولا تصريف ، مع الله تعالى .

والفقر في عينه ، كامل الخلق ، لا قدم له في الغنى .

والغنى في حاله ، كامل الخلق ، لا قدم له في الفقر .

فلا يقال : الغني الشاكر ، أفضل من الفقير الصابر ، ولا العكس .

فالفقر صفة الخلق ، والغنى صفة الحق ،

والمفاضلة لا تصح بين صفة حق ، وصفة خلق ،

كما لا تصح المفاضلة بين الخالق والمخلوق .

ولكن النسبة بلفظ الفقر إلى الله ، أولى من نسبة الغنى بالله .

فإذا كان البساط : النظر لأوصافك ، فأنت الفقير إلى الله .

وإذا كان البساط : النظر لأوصافه ، فأنت الغني بالله .

وهما يتعاقبان على العارف ، فتارة يغلب عليه الغنى بالله ، فتظهر عليه آثار العناية ، وتارة يغلب عليه الفقر إلى الله ، فيلتزم الرعاية ، فحين غلب الغنى بالله على حبيب الله ، عليه أفضل الصلاة والتسليم ، أطعم ألفا

١- آية ٥٦ سورة الذاريات .

من صاع(١) ، وحين غلب عليه الفقر إلى الله ، شد حجرين على بطنه من الجوع(٢) .

وأوصاف الربوبية أربعة ، هي : الغنى ، والعز ، والقوة ، والعلم .

وأوصاف العبودية أربعة ، هي : الفقر ، والذل ، والضعف ، والجهل .

فتجعل صفات الربوبية في باطنك ، وصفات العبودية في ظاهرك .

فتكون في باطنك غنيا عزيزا قويا عالما بالله .

وفي ظاهرك فقيرا ذليلا ضعيفا جاهلا .

والله تعالى منعك أن تدعي ما ليس لك مما هو للمخلوقين ، أفيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين .

فمن غيرته تعالى أن اخْتُصَّ بأوصاف الربوبية ، ونهانا عن إظهارها ، والتجلي بها في الظاهر ، أو ادعاء ذلك بالمقال : **((الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني على واحد منهما ، قصمته))(٣) .**

وكليم الله ، لما سُئِل : هل أحد أعلم منك ؟ فقال : لا . فأَدَّبَه – تعالى - بطلب غيره ، حتى صار تلميذا له ، يأمره وينهاه ، لأنه أظهر شيئا من الحرية ، فكل من أظهر الحرية ، رده إلى العبودية بالقهر .

فمن غيرته ، أن حرم الفواحش من الزنا والسرقة والغصب ، وما هي إلا ادعاء ما ليس لك ، من حقوق المخلوقين .

١- أخرجه البخاري ومسلم والحاكم في المستدرك وصححه عن جابر بن عبد الله .

٢- رواه بلفظ "حجرين" الترمذي عن أبي طلحة ووثق رجاله العراقي وبلفظ " حجر" واحد متفق عليه (البخاري ومسلم) وابن أبي شيبه والبيهقي في الدلائل من حديث جابر .

٣- أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في مسنده ومسلم والحاكم في المستدرك وصححه وأبو داود وابن ماجة وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن ماجة عن ابن عباس وصححه السيوطي وأخرجه سمويه عن أبي سعيد ، وأبي هريرة وصححه السيوطي .

*** فإذا ادعيت ما ليس لك ، سلبك ما ملكك ***

*** وإذا تحققت بوصفك ، وسلمت له وصفه ، منحك ما لم يكن عندك ***

واعلم أن الحرية إذا تحققت في الباطن ، لابد من رشحات تظهر على الظاهر ، فيظن الجاهل بحالهم أن ذلك دعوى ظهور ، وليس كذلك ، إنما ذلك رشحات من قوة الباطن ، لا قدرة لهم على إمساكها ، منها ما يكون تحدثا بنعمة الله ، ومنها ما يكون نصحا للعباد ، ليعرفوا حالهم ، فينتفعون بهم في طريق الإرشاد .

ومن ذلك ما وقع للشيخ زروق رضي الله عنه ، مع أبي المواهب التونسى رضي الله عنه ، حين ظهرت عليه آثار القوة الباطنية ، حتى قال فيه الشيخ زروق : دعواه أكبر من قدمه ، وليس ذلك .

وسر هذه القوة : أن الروح جاءت من عالم العز والقوة ، ففيها أثر النفخة الإلهية ، فلما ركبت في هذا البدن حجبت وقهرت ، فأرادت الرجوع إلى أصلها ، فمنعت إلا من باب الذل والانكسار والفقر ، فرجعت إلى أصلها من القوة والعز والحرية ، فأمرت أن تجعل ذلك في باطنها ، ففعلت ، لكن ربما رشح شيء من ذلك على الظاهر ، غلبةً .

فالفقير الصادق : لا يَملِك ولا يُملك ، ولا يستغنى بشيء دون الله .

قال بعض الصالحين : كان لي بعض مال ، فرأيت فقيرا في الحرم ، جالسا منذ أيام ، ولا يأكل ولا يشرب ، وعليه أطمار ، فألقيت المال في حجره ، فنفض بها في الحصباء ، وقال : اشتريت هذه الجلسة مع ربي بما ملكت ، وأنت تفسدها علي ، ثم انصرف . وتركني ألتقطها ، فوالله ما رأيت أعز منه لما بدرها ، ولا أذل مني لما كنت ألقطها .

ومقام الفقر ، يعرض صاحبه للعطاء بلا مقابل ، من حضرة الوهاب ، قال تعالى : **{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ}**(١) والصدقة لا تكون في مقابل عمل : **{وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ}**(٢) .

يغلق الإنسان على نفسه باب العطاء ، لما جعل في قلبه من خوف الفقر ، إن هو أعطى : **{كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}**(٣) فيطغى في غناه ، في عين فقره ، فإن هو أعطى ما به استغنى ، افتقر ، فلا يزال الغني خائفا ، ولا يزال الفقير راجيا .

قال سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : (الفقير الصابر) مع الله تعالى ، أفضل من (الغني الشاكر) ، و (الفقير الشاكر) أفضل منهما .

{أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}(٤) فقد أعطاك ما فيه المصلحة لك ، فما بقى لصاحب هذا المقام ما يسأل الله فيه ، فما شُرِعَ السؤال إلا لمن ليس له هذا الشهود ، ورآه - تعالى - يسأل الأغيار ، فغار ، فشرع له أن يسأله ، وهذا لأهل الحجاب .

أما أهل الكشف ، فيرونه المسئول على الحقيقة في النبات والجماد والحيوان والملك ، فأخبر تعالى أن الناس فقراء إلى الله ، حيث قال : **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}**(٥)، **{وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء}**(٦) .

١- آية ٦٠ سورة التوبة .
٢- آية ٣٩ سورة سبأ .
٣- آية ٦ – ٧ سورة العلق .
٤- آية ٥٠ سورة طه .
٥- آية ١٥ سورة فاطر .
٦- آية ٣٨ سورة محمد .

واعلم أن الله تعالى مدح الفقير الصابر ، بما مدح به الغني الشاكر ، فظهر أنهما واحد ، وأن الفقير الصابر ، هو عين الغني الشاكر : **{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**(١)، **{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**(٢) .

فإن الفقر إليه ، هو عين الغنى ، لأنه تعالى الغني .

فالله تعالى لا يقرب فقيرا من أجل فقره ، ولا يبعد غنيا لأجل غناه ، وليس للأعراض عنده خطر ، حتى بها يوصل وبها يبعد ويقطع ، ولو بذلت الدنيا والآخرة ، ما أوصلك إليه بها ، ولو أخذتها كلها ، ما قطعك بها ، قرب من شاء بغير علة ، وقطع من شاء بغير علة .

وقال الشيخ الأكبر ، رضي الله عنه : إذا أغناك ، فقد أبعدك في غاية القرب . وإذا أفقرك ، فقد قربك في غاية البعد .

للإنسان وجهان ، إذا كان كاملا : وجه افتقار إلى الله ، ووجه غنى عن العالم ، فيستقبل العالم بالغنى عنه ، ويستقبل ربه بالافتقار إليه ، فهو لا يكون عند الله أبدا إلا فقيرا ذليلا ، ويكون عند العالم وجيها ، أي غنيا عزيزا ، فمن ذاق طعم الغنى عن العالم - وهو يراه عالما - لابد من هذا الشرط - فقد حصل على نصيب وافر من الغنى الإلهي ، إلا أنه محجوب عن المقام الأرفع في حقه ، لأن العالم مشهود له ، ولهذا اتصف بالغنى عنه ، فلو كان الحق مشهوده ، وهو ناظر إلى العالم ، لاتصف بالفقر إلى الله ، وجاز المقام الأعلى في حقه ، وهو ملازمة الفقر إلى الله ، لأن في ذلك ملازمة ربه عز وجل ، وأما الاستغناء ، فإنه يؤذن بالقرب المفرط ،

١- آية ٤٤ سورة ص .
٢- آية ٣٠ سورة ص .

وهو حجاب ، كالبعد المفرط .

ولما كان الغنى معظما في العموم ، حيث ظهر وفيمن ظهر ، فإن الخصوص ما لهم نظر إلا في الفقر ، فإنه شرفهم ، فلا يبرحون في شهود دائم مع الله ، قال تعالى : **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}**(١) فصفة الغنى ، صفة ذاتية للحق ، والفقر صفة ذاتية في العبد .

لذلك قال الشيخ رضي الله عنه ، يناجي الحق بقوله :

(فيا من قربه بعد) ، أي يا من تقرب إليك المتقربون بصفة الغنى - ولو كان الغنى بالله - فهو بعد عن الصفة الذاتية للعبد ، وهي الفقر .

وقال : **(يا من بعده قرب)** أي يا من تقرب إليك المتقربون بصفة الفقر ، وهي على الضد ، والبعد عن صفة الغنى .

وهو شرح قوله رضي الله عنه : **(إذا أغناك فقد أبعدك)** أي عن صفتك الذاتية .

(في غاية القرب) من حيث أن أغناك بالله .

(وإذا أفقرك فقد قربك) أي بصفتك الذاتية .

(في غاية البعد) أي عن صفته تعالى ، وهي الغنى .

كل هذا يشير إلى أن صفة الفقر إلى الله ، أعلى مقاما عند العارفين ، من صفة الغنى بالله .

١- آية ١٥ سورة فاطر .

مقام الخلة

من أراد أن يكون خليلا للرحمن ، فإنه يحسن إلى أعدائه مع عداوتهم ، ولا يشعرهم أن هذا الإحسان منه ، كما فعل الله مع أعدائه ، فإنه يحسن إليهم ، وهم لا يشعرون أن هذا الإحسان منه تعالى ، فينبغي للإنسان طالب مقام الخلة أن يحسن لجميع الخلق ، كافرهم ومؤمنهم ، طائعهم وعاصيهم ، ويوصل الإحسان إليهم ، من حيث لا يعلمون ، وإن لم يستطع بالظاهر لعدم الموجود ، أمدهم بالباطن ، فدعا الله لهم في نفسه ، بينه وبين ربه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((المرء على دين خليله))(١)** وهو الله تعالى .

نزل ضيف من غير ملة إبراهيم عليه السلام ، بإبراهيم عليه السلام :

فقال له إبراهيم : وحد الله حتى أكرمك وأضيفك .

فقال يا إبراهيم : من أجل لقمة ، أترك ديني ، ودين آبائي ، فانصرف عنه.

فأوحى الله إليه : يا إبراهيم : له سبعون سنة وأرزقه ، وهو يشرك بي .

فلحقه إبراهيم عليه السلام ، فاعتذر إليه ، وأخبره بما أوحى إليه .

فقال المشرك : مثل هذا ينبغي أن يعبد ، فأسلم .

وقال إبراهيم عليه السلام : تعلمت الكرم من ربي .

رأيته لا يضيع أعدائه ، فلا أضيعهم .

فأوحى الله إليه : أنت خليلي حقا .

١- رواه الحاكم في المستدرك وصححه وأبو داود والترمذي وحسنه وأحمد والطيالسي والبيهقي والقضاعي وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة . وابن عدي في الكامل والعسكري في الأمثال عن أنس .

ولولا الرحمة الإلهية ، ما كان الله يقول : **{وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا}**(١) وما كان يقول : **{حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ}**(٢) .

أليس هذا إبقاء عليهم ؟

فهو في الدنيا يرزق مع الكفر ، ويعافي ويرحم .

فكيف مع الإيمان والاعتراف في الدار الآخرة على الكشف ؟

فهو تعالى ينظفهم ويطهرهم في النار .

وهذه رحمة أخرى بهم ، إذ لولا النار لبقوا بقذارتهم .

ولو لم يكن من عظيم الرجاء ، في شمول الرحمة ، إلا قوله : **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}**(٣) فإذا استقرت الرحمة في العرش ، الحاوي على جميع أجسام العالم ، فالرحمة قد عمت العالم أجمع ، وكل ما يناقضها أو يريد رفعها من الأسماء والصفات ، فعوارض لا أصل لها في البقاء .

لأن الحكم للمستولي وهو الرحمن ، فإليه يرجع الأمر كله ، فمآل الخلق إلى الرحمة .

فابحث عن صفات إبراهيم عليه السلام ، وقم بها ، ترزق مقام الخلة .

واعلم أن الكون كله ما فيه إلا أخلاق الله تعالى ، فعندما يقول صلى الله عليه وسلم **((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))(٤)** فما ثم سفساف أخلاق .

١- آية ٦١ سورة الأنفال .
٢- آية ٢٩ سورة التوبة .
٣- آية ٥ سورة طه .
٤- رواه ابن سعد والبخاري في الأدب وأحمد ووثق رجاله الهيثمي والحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في شعب الإيمان والبزار والخرائطي عن أبي هريرة ، وصححه السيوطي . وأخرجه مالك في الموطأ والطبراني في الأوسط من حديث جابر . وأحمد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنهم جميعا .

إذ أن أخلاق الله كلها مكارم ، فأبان رسول الله صلى الله عليه وسلم المصارف ، لهذا المسمى (سفساف أخلاق) ، من حرص وحسد ، وشره وبخل وفزع ، وكل صفة مذمومة ، فأعطانا لها المصارف ، إذا أجريناها عليها ، عادت مكارم أخلاق ، وزال عنها اسم الذم ، وكانت محمودة .

وما أمر الله باجتناب ما يتجنب منها ، إلا لاعتقادهم فيها أنها سفساف أخلاق ، وما تسفسف إلا اعتقادهم .

المعرفة

المعرفة لا تترك للهمة تصرفا .

فكلما علت المعرفة ، نقص التصرف بالهمة .

لتحققه بمقام العبودية ، والنظر إلى أحدية المتصرف ، والمتصرَّف فيه ، فلا يرى على من يرسل همته ، فيمنعه ذلك من التصرف : **{وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}**(١) .

ثم قال له الحق : هذا الأمر الذي استخلفتك فيه ، اتخذني وكيلا فيه .

حتى أن بعض الأبدال ، سأل الشيخ أبا مدين ، فقال :

لِمَ لا يعتاص علينا شيء ؟ وأنت تعتاص عليك الأمور ؟

ونحن نرغب في مقامك ؟ وأنت لا ترغب في مقامنا ؟

وقال صلى الله عليه وسلم في هذا المقام : **{وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ}**(٢) .

فإن أوحي إليه :

١. بالتصرف بجزم ، تَصَرَّف .

٢. وإن مُنِعَ ، امتنع .

٣. وإن خُيِّرَ ، اختار ترك التصرف : **{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}**(٣) .

١- آية ٧ سورة الحديد .
٢- آية ٩ سورة الأحقاف .
٣- آية ٥٦ سورة القصص .

- والدلال - غالبا - يلقي صاحبه في الزلات .
- وزلات الأكابر - غالبا - في نزولهم إلى المباحات .
- أو قيل لهم على سماع منهم : **((اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم))(١).**
- فما خالفوا ، وما تصرفوا ، إلا فيم أبيح لهم .
- فإن الغيرة الإلهية ، تمنع أن ينتهك المقربون عنده ، حرمة الخطاب الإلهي .
- فما عصوا ، ظاهرا ، ولا باطنا .

١- سبق أن خرجنا حديثين بهذا المعنى :-

- **أحدهما خاص بأهل بدر في ص ٣٢٩ .** ((إن الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال : **اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم))** . وهذا الحديث أخرجه أحمد والحميدي وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأبو عوانة وابن حبان وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم معا في الدلائل عن علي كرم الله وجهه وأخرجه أبو يعلى وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء في المختارة والبزار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وأبو داود عن أبي هريرة . وأحمد عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أجمعين .
- **والثاني عام - للمستديمين على الاستغفار - في ص ٣٤٠ .** ((إن رجلا أذنب ذنبا فقال : رب إني أذنبت ذنبا فاغفره ، فقال الله : عبدي عمل ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ، ثم عمل ذنبا آخر ، فقال : رب إني عملت ذنبا فاغفره ، فقال تبارك وتعالى : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ، ثم عمل ذنبا آخر ، فقال : رب إني عملت ذنبا فاغفره ، فقال الله : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، **أشهدكم أني غفرت لعبدي فليعمل ما شاء))** . وهذا الحديث أخرجه عبد بن حميد والبخاري ومسلم والحاكم وصححه على شرط الشيخين وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الرحمة المهداة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إنما أنا رحمة مهداة))(١) .**

فإذا رحم الحق ، باسمه الرحمن أو الرحيم ، فإنما يرحم برحمة .

ورحمة ، في الحديث ، نكرة ، تفيد التعميم .

فما رحم تعالى إلا برسوله صلى الله عليه وسلم .

- إذ كان الوجود في عدم العدم .
- فلما تجلى عليهم الحق ، أخرجهم إلى العدم ، ليس لهم فيه إلا السمع عن الله تبارك وتعالى .
- فلما أمرهم تعالى بالتكون ، والخروج إلى الوجود من العدم ، ما تحمل ذلك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أول سامع ، وأول مجيب .
- فلما أوجد تعالى حقيقة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونوره ، تجلى عليه تعالى ، بكل تجلٍ هو متجليه على كل مخلوق ، حتى العذاب : **((أشد الناس بلاء الأنبياء))(٢) .**
- وظل يتجلى عليه - إذ أنه أول موجود أوجده - ما شاء الله من الزمان - ليس هناك موجود غيره : **((أول ما خلق الله ، نور نبيك يا جابر))(٣) .**

١- أخرجه الحاكم في المستدرك (وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي) وابن النجار والطبراني في الصغير والأوسط والبزار (وقال الهيثمي رجال البزار رجال الصحيح) والبيهقي في الدلائل وابن عساكر وابن سعد عن أبي هريرة . وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما والحكيم والبيهقي عن أبي صالح مرسلا .

٢- سبق تخريجه ص ٣١٤ .

٣- سبق تخريجه ص ٢٠ .

- ثم شفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في المخلوقات التي في العدم، أن يخرجها تعالى إلى الوجود والرحمة .
- فقال له ربه : إنهم لا يتحملون ، ولكني أحببتك أنت ، فكنت لك سمعا وبصرا ، وكنت جميع قواك .
- فمرهم أنت بالتكوين ، فأمرك أمري ، وقولك قولي .
- فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمعوها منه حسبوا أنهم سمعوها من الحق ، وصدقوا : **{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى}**(١) .
- فهو آمرهم ، وهو ممدهم ، وهو حجابهم الأعظم .
- فلا يعرفون ربهم إلا من خلاله صلى الله عليه وسلم ، والآيات الكريمة تقول : **{ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ }**(٢) .
- فرحمتي في الآية ، هي رسوله صلى الله عليه وسلم ، حتى أنها وسعت العذاب .

١- آية ١٧ سورة الأنفال .
٢- آية ١٥٦ ــ ١٥٧ سورة الأعراف .

- فكل تجلٍ سيتجلى به تعالى على مخلوق ، أودعه رسوله صلى الله عليه وسلم : **((إنما أنا قاسم))(١) .**
- ثم يقسمه رسوله صلى الله عليه وسلم على أصحابه .
- وانظر إلى قوله يأمرهم وينهاهم ، ويحل ويحرم ، فهم لا يعرفون غيره.
- **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**(٢) وهي عامة في كل العالمين ، حتى الملائكة .
- حتى جبريل ، ما استراح وأمن سوء العاقبة إلا بعد نزول قوله تعالى : **{ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ}**(٣) .
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لا تمس النار مسلما رآني ، أو رأى من رآني))(٤) فالمسلم هنا : نكرة ، تفيد العموم ، فكل نبي مسلم، وكل من آمن بنبى في حياته ، قبل مجيء نبي آخر فهو مسلم، فمن رآه من هؤلاء رؤية التعظيم ، في الدنيا أو في الآخرة ، قبل وروده النار ، فلن تمسه النار .**

١- رواه البخاري وأحمد عن أبي هريرة . وأحمد والبخاري ومسلم والطبراني في الكبير عن معاوية . والبخاري ومسلم وابن سعد عن جابر رضي الله عنهم .
٢- آية ١٠٧ سورة الأنبياء .
٣- آية ٢٠ سورة التكوير .
٤- تقدم تخريجه ص ٤٢٦ .

أهل البيت

الله يغار على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة ، فإنهم يحشرون مغفورا لهم، أما في الدنيا : فمن أتى منهم حدا ، أقيم عليه ، مع تحقق المغفرة ، ولا يجوز ذمه ، ونعتقد أن جميع ما يصدر من أهل البيت إنما هو معفو عنه ، مغفور لهم .

كيف وقد شهد لهم بذهاب الرجس ، وهي الذنوب ؟

وجعل حبهم من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجعل غضبهم من خيانة الله ورسوله .

{قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}(١) فهو وأهل بيته على السواء في المودة ، فلو صحت محبتك لله ولرسوله ، أحببت أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك - مما لا يوافق طبعك ولا غرضك - إنه جمال تنعم به بوقوعه منهم ، فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله ، الذي أحببتهم من أجله ، حيث ذكرك من يحبه ، وخطرت على باله ، وهم أهل البيت ، فتشكر الله تعالى على هذه النعمة ، فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة ، بطهر الله ، طهارة لم يبلغها علمك، وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت ، الذي أنت محتاج إليهم ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، حيث هداك الله به ، فكيف أثق أنا بودك ؟

١- آية ٢٣ سورة الشورى .

وقال أحد العلماء : كنت أكره ما تفعله الشرفاء بمكة في الناس ، فرأيت في النوم السيدة فاطمة ، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي معرضة عني .

فسلمت عليها ، وسألتها عن إعراضها .

فقالت : إنك تقع في الشرفاء .

فقلت لها : يا ستي ، ألا ترين إلى ما يفعلون في الناس .

فقالت : أليس هم مني .

فقلت لها : من الآن وتبت .

فأقبلت علي .

الحس و المعنى

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **((إنما الأعمال بالنيات))**(١) .

ومعناه أن قوام كل عمل : نية عامله ، كما أن قوام الجسم بالروح ، وقوام النبات بالماء .

الروح للجسم والنيات للعمل تحيا به كحياة الأرض بالمطر
فتبصر الزهر والأشجار بارزة وكل ما تخرج الأشجار من ثمر

فعندما يبرز أي عمل إلى الوجود ، فإنه تسبقه نية عامله ، ومن هذه النية تخرج صورة محسوسة ملموسة ، يراها أهل الفتح والشهود ، وهذه الصورة هي قوام هذا العمل ، وعلى قدر قدرة قوة هذه الصورة ، يرفع هذا العمل إلى مكانه : **{وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}**(٢) فتكون هذه الصورة كالمطية للعمل ، فإما إلى أعلى عليين ، وإما إلى أسفل سافلين .

وعلى إخلاص هذه الصورة وبهائها ، أو على خبثها ونتنها ، يكون الحساب : **{وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ}**(٣) .

ولا عبرة بعمل لا تسبقه النية الصالحة .

١- متفق عليه [البخاري ومسلم] والأربعة [أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه] عن عمر بن الخطاب . وأبو نعيم في الحلية والدارقطني في غرائب مالك عن أبي سعيد . وابن عساكر في أماليه عن أنس . والرشيد العطار في جزء من تخريجه عن أبي هريرة .

٢- آية ١٠ سورة فاطر .

٣- آية ١٠ سورة العاديات .

قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله ، في الحِكَم :

(رب معصية أورثت ذلا وانكسارا ، خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا) وتكون لهذه الصورة :

- رائحة طيبة ، يخجل من عرفها المسك .
- أو رائحة منتنة تتباعد عنها الملائكة .

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : **((إذا كذب العبد ، تباعد عنه الملك ميلاً ، من نتن ما جاء به))(١) .**

وأولو العلم بالله تعالى يشمون تلك الروائح ، التي تخرج من الأعمال ، فهم والملائكة سواء :

{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ}(٢)

فالملائكة وأولوا العلم يشهدون ، وسائر الناس يعلمون فقط .

وكتب السنة المطهرة تفيض بما قدمنا :-

ففي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالخير فيقول أنا عملك الصالح))(٣)** . وفي نفس الحديث أيضا يصف حالة أهل العصيان **((ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعد ،**

١- رواه الترمذي وحسنه وأبو نعيم في الحلية وابن أبي الدنيا عن ابن عمر وحسنه السيوطي .
٢- آية ١٨ سورة آل عمران .
٣- أخرجه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد (وقال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح) وهناد بن السري وعبد بن حميد وأبو داود في سننه وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه وابن خزيمة والضياء والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن البراء بن عازب .

فيقول : من أنت ؟ فوجهك الذي يأتي بالشر فيقول أنا عملك الخبيث)) .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

- **((من صلى الصلاة لوقتها ، وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها ، خرجت بيضاء مسفرة ، تقول : حفظك الله كما حفظتني .**
- **ومن صلى الصلوات لغير وقتها ، ولم يسبغ لها وضوءها ، ولم يتم ركوعها ولا سجودها ، خرجت وهي سوداء مظلمة ، تقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، حتى إذا كانت حيث شاء الله ، لفت كما يلف الثوب الخلق ، ثم ضرب بها وجهه))(١) .**

فالعمل له صورة حسية ، يراها صاحبه ، وهي صورة ناطقة ، والصلاة تخرج بصورة حسية ناطقة أيضا .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :

((بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ قال رجل من القوم : الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من القائل كذا وكذا ؟ قال رجل من القوم : أنا يا رسول الله . قال : عجبت لها ، فتحت لها أبواب السماء))(٢) .

فهذه الكلمات ، لها صورة مفخمة ، حملت الملائكة على فتح أبواب السماء لها حين رأتها ، إجلالا لها ، وللموكب الذي صعد معها من الملائكة .

١- رواه الطبراني في الأوسط عن أنس . والطبراني والعقيلي والطيالسي والبيهقي في الشعب وسعيد ابن منصور عن عبادة بن الصامت وصححه السيوطي .

٢- رواه مسلم وأحمد والترمذي وصححه والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((يُؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله ، الذين كانوا يعملون به في الدنيا ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران – وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ، ما نسيتهن بعد - قال :

- **كأنهما غمامتان .**
- **أو ظلتان** (أي : سحابتان) **سوداوان بينهما شرق** (أي : ضوء) **.**
- **أو كأنهما حزَقّان** (أي: جماعات) **من طير صواف تحاجان))(١)** .

وعن سلمان رضي الله عنه :

((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يعود رجلا من الأنصار ، فلما دخل عليه ، وضع يده على جبينه ، فقال كيف تجدك ؟ فلم يُحِر إليه شيء ، فقيل يا رسول الله إنه عنك مشغول ، فقال : خلوا بيني وبينه ، فخرج الناس من عنده ، وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، فأشار المريض أن أعد يدك حيث كانت، ثم ناداه يا فلان : ما تجد ؟ قال أجدني بخير ، وقد حضرني اثنان، أحدهما أسود ، والآخر أبيض ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أيهما أقرب منك ؟ قال الأسود ، قال إن الخير قليل وإن الشر كثير ، قال :

١- بهذا اللفظ أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه ومسلم والترمذي ومحمد بن نصر عن نواس بن سمعان . وأخرجه أبو عبيد وأحمد وحميد بن زنجويه في فضائل القرآن ومسلم وابن الضريس وابن حبان والطبراني وأبو ذر الهروي في فضائله والحاكم والبيهقي في سننه عن أبي أمامة الباهلي . ونحوه مما رواه ابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل وابن أبي عمر العربي في مسانيدهم والدارمي ومحمد بن نصر والحاكم وصححه عن بريدة . ونحوه مما أخرجه الطبراني وأبو ذر الهروي في فضائله بسند ضعيف عن ابن عباس . ونحوه مما أخرجه البزار بسند صحيح وأبو ذر الهروي ومحمد بن نصر .

فمتعني منك يا رسول الله بدعوة .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر الكثير وأَنْمِ القليل ، ثم قال : ما ترى ؟ قال : خيراً ، بأبي أنت وأمي ، أرى الخير ينمى ، والشر يضمحل ، وقد استأخر عني الأسود))(١) .

وتلك الصور التي تخرج من النية ، تكون على ثلاثة أحوال :

إما ثابتة . وإما مضاعفة . وإما متعدية متصرفة .

- فتكون ثابتة ، كما في قوله تعالى : **{وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا}**(٢) وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((فمن هم بحسنة ، فلم يعملها ، كتبها الله عنده حسنة كاملة))(٣) .**
- وتكون مضاعفة ، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك :**
  - **فمن هم بحسنة فلم يفعلها كتبها الله عنده حسنة كاملة .**
  - **فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .**
  - **ومن هم بسيئة فلم يعملها ، كتبها الله عنده حسنة كاملة .**
  - **وإن هم بها فعملها ، كتبها الله سيئة واحدة ، أو محاها ولا يهلك على الله إلا هالك))(٤) .**

١- رواه البزار والطبراني في الكبير عن سلمان رضي الله عنه .
٢- آية ٤٠ سورة الشورى .
٣- سبق تخريجه ص ٢٣٠ .
٤- رواه أحمد والبخاري ومسلم (واللفظ له) والنسائي وابن مردويه وابن حبان والخطيب والبيهقي في الأسماء والصفات والطبراني في الكبير عن ابن عباس .

- وقد تخرج من النية الصالحة صورة قوية متصرفة ، تتعدى إلى غير صاحبها ، فتؤثر في أرواحهم ، فتستخرج من نياتهم صور أعمالهم الصالحة ، وأرواحهم الطيبة ، فعن جرير بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((من سن في الإسلام سنة حسنة : فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))(١) .**

قال سيدي محيي الدين بن عربي رضي الله عنه : خدمت امرأة صالحة(٢) ، فكانت إذا قرأت الفاتحة ، خرجت من قراءتها صورة ، على شكل امرأة حسنة وضيئة ، فتأمرها وتقول لها : افعلي كذا وكذا، وكانت تقول : **من معه الفاتحة فلا يحتاج إلى أحد .**

وصدق الله إذ يقول : **{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}**(٣) .

- وكذلك تتعدى صور الأعمال الفاسدة ، والنيات الخبيثة ، فتعتدي على غيرها ، فتسبب لها الشرور والأسقام ، فيسمى حسدا ، وإما باستنفار الشياطين ، فتسمى سحرا .

١- تقدم تخريجه ص ٥٠ .
٢- هذه المرأة الصالحة هي السيدة فاطمة بنت المثنى القرطبي رضي الله عنها ، كانت تقول لسيدي محيي الدين : نور أمك الترابية وأنا أمك الروحية . قال ابن عربي : خدمت فاطمة بنت المثنى القرطبي وقد بلغت من العمر نحو مائة فكانت تفرح وتضحك وتضرب بالدف وتقول : (عجبت لمن يقول أنه يحب الله ولا يفرح به وهو مشهوده ، عينه إليه ناظرة في كل عين لا يغيب عنه طرفة عين فهؤلاء البكاءون كيف يدعون محبته ويبكون أما يستحيون إذا كان قربه مضاعفاً من قرب المتقربين إليه والمحب أعظم الناس قرباً إليه فهو مشهوده فعلى من يبكي إن هذه لأعجوبة) .
٣- آية ٥٢ سورة الشورى .

وكما أن للنية صورة تخرج لها ، فإن لكل معنى من المعاني صورة حسية، يراها العارفون بالله تعالى .

• وفي حديث الإسراء الطويل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغُسِلَ قلبي ثم حُشِي ثم أُعيد))** وفي رواية **((فأتيت بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا))**(١) . فالإيمان والحكمة شيئان معنويان ، ومع ذلك فقد تحيزتا في طست من ذهب ، ورآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم رأي العين .

• وقال تعالى : **{فَزَادَهُمْ إِيمَاناً}**(٢) فالإيمان يزيد وينقص ، وهو مذهب أهل السنة . والزيادة والنقصان من صفات الجواهر ، فأثبتوا أن الإيمان جوهر يُرَى ويُحَس .

• والسكينة أمر معنوي ، ومع ذلك فإن أسيد بن حضير رضي الله عنه وهو يقرأ القرآن ذات ليلة ، نزلت عليه مثل الظلة فيها أمثال السرج ، فلما غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقص عليه ما رأى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((تلك السكينة تنزلت بالقرآن))(٣) .**

١- أخرجه البخاري ومسلم وابن جرير وابن مردويه من طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، وأخرج ابن مردويه من طريق كثير بن خنيس، عن أنس رضي الله عنه وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن مردويه من طريق قتادة رضي الله عنه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة وأخرج البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وابن مردويه من طريق يونس، عن ابن شهاب، عن أنس رضي الله عنه عن أبي ذر رضي الله عنه .

٢- آية ١٧٣ سورة آل عمران .

٣- أخرجه مسلم وأحمد والطبراني عن أسيد ابن حضير وأخرجه أحمد والبخاري ومسلم وابن الضريس والنسائي وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، عن أبي العالية . والبخاري ومسلم وأحمد والترمذي وصححه عن البراء .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

((إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن :

- **فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء .**
- **فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء .**
- **فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء .**

حتى يخرج نقيا من الذنوب))(١) .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **((إن تحت كل شعرة جنابة ، فاغسلوا الشعر وأنقوا البشرة))(٢).**

● ووزن الأعمال يوم القيامة ، وهي شيء معنوي ، ولكن الأعمال جاءت لها صورة حسية ، توضع على الميزان ، وتوزن .

● والإتيان بالموت على صورة كبش أقرن ، يوم القيامة ، وذبحه بين الجنة والنار (٣) .

١- أخرجه مسلم ومالك وابن جرير الشافعي والترمذي وصححه وأحمد عن أبي هريرة .
٢- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة وابن ماجة والبيهقي والضياء وابن جرير والطبراني عن أبي أيوب وابن جرير عن أنس وابن جرير عن أبي الدرداء وعن حذيفة موقوفا عليهما .
٣- حديث " يؤتى بالموت ...." سبق تخريجه ص ١١٢ .

وبالمثل ، كما أن للمعنويات محسوسات ، فإن للمحسوسات أيضا أمورا معنوية ، وأرواحا تسري لا يحس بها ولا يشاهدها إلا أهل الشهود :

- فكل ما حولنا من جمادات وطيور وحيوانات ونباتات ، فإنها تسبح وتعقل وتتعرف وتنطق .

قال تعالى : {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}(١) .

وقال تعالى : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ}(٢) .

وقال تعالى : {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ....}(٣) .

وقال تعالى : {الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ}(٤) .

وقال الله تعالى باسطا الحوار الذي دار بين الهدهد ، ونبى الله سليمان عليه السلام : **{فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ...}(٥) .**

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : **((كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب ، يقوم إلى جذع منه ، فلما صُنِعَ له منبر ، سمعنا لذلك الجذع صوتا ، كصوت العشار))(٦) .**

١- آية ٤٤ سورة الإسراء .
٢- آية ٤١ سورة النور .
٣- آية ١٨ سورة النمل .
٤- آية ٢١ سورة فصلت .
٥- آية ٢٢ سورة النمل .
٦- تفرد بهذا اللفظ البخاري عن جابر بن عبد الله . وورد نحوه في حديث أنس عند ابن خزيمة والدارمي . وفي حديث أبي بن كعب عند أحمد والدارمي وابن ماجه . وفي حديث بريدة عند الدارمي .

وهو حديث متواتر قال القاضي عياض : رواه تسعة عشر صحابيا(١) .

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه :

((عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبها الراعي فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه ، فقال : ألا تتقي الله ، تنزع مني رزقاً ساقه الله عز وجل إلي ؟ فقال : يا عجباً ! ذئب مقعي على ذنبه يكلمني بكلام الإنس ! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ! محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب ، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق . قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه ، حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنودي : الصلاة جامعة . ثم خرج فقال للأعرابي : "أخبرهم". فأخبرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صدق ، والذي نفس محمد بيده ، لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبر فخذه ما أحدث أهله بعده "))(٢) .

١- حديث جابر ابن عبد الله " سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار "، وفي رواية أنس: حتى ارتج المسجد لخواره، وفي رواية سهل: وكثر بكاء الناس لما رأوا ما به، وفي رواية المطلب: حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت. والخبر بأنين الجذع وحنينه باعتبار مبناه مشهور عند السلف والخلف، وباعتبار معناه متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر منهم جابر ابن عبد الله ، وأُبَيِّ بن كعب، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وسهل بن سعد الساعدي، وأبو سعيد الخدري، وبريدة، وأم سلمة، والمطلب بن أبي وداعة، رضي الله عنهم كلهم يحدثون بمعنى هذا الحديث وإن كانت ألفاظهم مختلفة في باب التحديث، فلا شك في حصول التواتر المعنوي.

٢- بهذا اللفظ رواه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط مسلم ورواه أحمد ورواه أبو نعيم في الدلائل وأورد أن الراعي اسمه أهبان ابن أوس عن أبي سعيد الخدري . وكلام الذئب والبقرة للإنسان أورده البخاري (أحاديث أرقام ٢١٩٩ ، ٣٢٨٤ ، ٣٤٦٣ ، ٣٤٨٧) ومسلم والنسائي وأحمد والترمذي عن أبي هريرة في حديث في آخره " آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر " .

• عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قالوا : كان لايدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل ، فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، دعاه ، فوضع مشفره على الأرض ، وبرك بين يديه، فخطمه ، وقال : **((ما بين السماء والأرض شيء ، إلا يعلم أني رسول الله ، إلا عاصي الإنس والجن))(١) .**

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : **((لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل))** وفي غير هذه الرواية ، عن ابن مسعود : **((كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ، ونحن نسمع تسبيحه))(٢) .**

• عن أبي ذر الغفاري قال : **((كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم :**

- **فأخذ حصيات فسبحن في يده ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أخذهن فسبحن في يده .**
- **ثم أعطاهن أبا بكر فسبحن في يده ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أخذهن النبي صلى الله عليه وسلم ، فسبحن في يده ، ثم وضعهن فخرسن .**

١- بهذا اللفظ رواه أحمد عن جابر بن عبد الله ووثق رجاله الهيثمي .
وقد أورد الكتاني أحاديث شكوى الجمل إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم في الأحاديث المتواترة وبعد أن أورد الروايات كلها أورد تخريج السيوطي لها حيث قال : قال السيوطي في تخريج أحاديثها حديث أنس رواه أحمد والبزار بسند صحيح وحديث أبي هريرة رواه البزار بسند حسن وحديث ثعلبة بن مالك رواه أبو نعيم وحديث جابر بن عبد الله رواه أحمد والدارمي والبزار والبيهقي وحديث يعلى بن مرة رواه أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح وحديث عبد الله بن جعفر رواه مسلم وأبو داود وحديث عبد الله بن أبي أوفى رواه أبو نعيم والبيهقي .

٢- بهذا اللفظ أخرجه البخاري والترمذي وصححه وأبو داود وأحمد والطبراني وابن عساكر وعبد ابن حميد وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابن مسعود ونحوه ما أخرجه أبو الشيخ عن أنس .

- **ثم أعطاهن عمر فسبحن في يده ، ثم أخذهن النبي صلى الله عليه وسلم فسبحن في يده ثم وضعهن فخرسن .**
- **ثم أعطاهن عثمان فسبحن في يده))(١) .**

• روى أسامة بن زيد ، قال : **((قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه :**

- **هل ؟ يعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .**
- **فقلت : إن الوادى ما فيه موضع من الناس ،**
- **فقال : ترى من نخل أو حجارة ؟**
- **قلت : أرى نخلات متقاربات**
- **قال : انطلق وقل لهن : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأمركن أن تأتين لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقل للحجارة مثل ذلك .**
- **فقلت ذلك لهن : فوالذى بعثه بالحق ، لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن ، والحجارة يتعاقدن ، حتى صرن ركاما خلفها .**
- **فلما قضى حاجته ، قال لي : قل لهن : يتفرقن فوالذى نفسه بيده ، لرأيتهن والحجارة يتفرقن ، حتى عدن إلى موضعهن))(٢) .**

• وقال جرير بن عبد الله : **((شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل . فضرب بيده في صدري وقال: "اللهم! ثبته . واجعله هاديا مهديا"))(٣)** فصار أفرس العرب ، وأثبتهم .

١- رواه الطبراني في الأوسط والبزار وابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنه وابن عساكر عن أنس .
٢- رواه أبو يعلي وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل وحسنه ابن حجر في المطالب العلية .
٣- رواه البخاري ومسلم وابن ماجه عن جرير بن عبد الله البجلي .

فلابد أن شيئا حسيا انتقل من يده الشريفة ، وسرا ملموسا انتقل عن طريق هذه الضربة ، أو خلق عند هذه الضربة ، ولا غرو فإنها وراثة إلهية .

• فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **((أتاني ربي عز وجل الليلة في أحسن صورة – أحسبه يعني في النوم – فقال : يا محمد : هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟**

قال : قلت : لا .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : فوضع يده بين كتفي ، حتى وجدت بردها بين ثديي ، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض))(١).

• وعن جابر بن عبد الله قال : **((كنا في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا على ناضح** (بعير) . **إنما هو في أخريات الناس .**

قال : فضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو قال نخسه . (أراه قال) **بشيء كان معه .**

قال : فجعل بعد ذلك يتقدم الناس ، ينازعني ، حتى إني لأكفه))(٢) .

١- رواه الترمذي وحسنه وعبد ابن حميد وأحمد وابن جرير عن ابن عباس وأخرجه أحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه الترمذي وصححه ومحمد بن نصر والطبراني والحاكم وابن مردويه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وأخرجه الطبراني في السنة وابن مردويه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه وأخرجه الطبراني في السنة وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه الطبراني في السنة والشيرازي في الألقاب وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه وأخرجه ابن نصر والطبراني وابن مردويه عن أبي أمامة رضي الله عنه .

٢- رواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد عن جابر .

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **((قلت : يا رسول الله ، إني سمعت منك حديثا كثيرا فأنساه ، قال : (ابسط رداءك). فبسطته ، فغرف بيديه فيه ، ثم قال : (ضمه) . فضممته ، فما نسيت حديثا بعد))(١) .**

وكذلك انتقلت الأسرار والأنوار من الأولياء ، إلى من يريدون من المخلصين ، بطريق المصافحة ، أو يلمسه بيده ، أو يلبسه بعض ثيابه ، أو يعطيه من يديه لقمة ، أو ينظر إليه نظرة خاصة ، بإذن خاص ، فتنتقل الأنوار والأسرار ، على شكل صور محسوسة ، متعدية متصرفة : {وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}(٢) .

أما الهمَّة : فهي التوجه إلى العمل ، لإخراجه إلى الوجود ، مع العزم الأكيد : **{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ}**(٣) فمهما توجَهَت إلى شيء ، انفعل لها هذا الشيء ، فالهمة قاهرة لجميع الأكوان ، متى تعلقت بمطلوب ، وسعت في طلبه على الجادة المستقيمة ، بحيث لا ينالها في طلبه سآمة ولا رجوع عنه ، ولم ينلها شك ولا تردد في نيله ، بل كان باعتقاد أن تناله أو تموت في طلبه ، اتصلت بمطلوبها ولو كان وراء العرش .

((ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة))(٤) والملائكة لا تكتب إلا ما تراه من قول أو فعل ، فلابد أن تكون خرجت من هذه الهمة صورة مرئية للملائكة ، حتى تكتبها .

١- رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وصححه من حديث أبي هريرة .
٢- آية ٨ سورة النحل .
٣- آية ٢٤ سورة يوسف .
٤- سبق تخريجه ص ٢٣٠ .

وهذه هي عين الهمة ، التي أوجد بها السحرة في خيالات الناس ، صورا لحيات وأفاعي : **{فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}**(١) فالعصي والحبال ، هي العصي والحبال ، لم تنقلب ولم تتحرك، ولكنها خيالات في أعين الناظرين ، فلما القى موسى عصاه : **{فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ}**(٢) **{إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ}**(٣) فالسحرة لم يصنعوا الحبال ولا العصي ، ولكن صنعوا صورا لحيات في مخيلة الناظرين ، فعصا موسى تلقفت ، والتلقف لا يكون من على الأرض ، ولكن يكون من علو ، فتلقفت العصا ما صنعه السحرة بهممهم ، من صور الحيات ، فنظر الناس فإذا العصي هي العصي ، والحبال هي الحبال ، فعرفوا بطلان ما جاء به السحرة ، ولو أن عصا موسى تلقفت الحبال والعصي التي كانت تسعى ، لظن الناس أن هذا السحر من جنس ذلك السحر ، ولكنه سحر أقوى ، أما إذا تلقفت الصور والخيالات ، وتركت لهم العصي والحبال ، فهو دليل على بطلان سحرهم .

ومعجزات الأنبياء – دوماً – لا تكون عن همة ، ولا عن انفعال لأسماء ، وليست عن حيلة . فسميت معجزة ، أي : يعجز البشر - كان من كان - عن الإتيان بمثلها ، إنما هي مِنَ الله ، وبالله . وبتلك الهمة أتى الذي عنده علم من الكتاب ، بعرش بلقيس في أقل من طرفة عين(٤) ، ولكن العرش لم يَقطع مسافة ، ولا زُويت له الأرض . ولكن - بهمته - أعدمه

١- آية ٦٦ سورة طه .
٢- آية ١١٧ سورة الأعراف . وآية ٤٥ سورة الشعراء .
٣- آية ٦٩ سورة طه .
٤- إشارة للآية : {قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} (٤٠) سورة النمل .

هناك ، وأوجده هنا ، وهذا عِلم : (تجديد الخلق مع الأنفاس) .
والإنسان لا يشعر به في نفسه ، أنه في كل نفس لا يكون ، ثم يكون ، ولكنه لا يحسه ، لقصر الزمن بينها .
ولما سأل رجل ، عليماً الأسود رضي الله عنه ، أن يحول اسطوانة المسجد - وكانت من رخام - إلى ذهب ، فتوجه إليها بهمته ، فإذا هي كلها ذهب، فتعجب الرجل ، فقال له عليم : يا هذا ، إن الأعيان لا تنقلب . ولكنها أصبحت ذهبا في عين الرائي فقط . ثم أن الرجل أبصرها بعد ذلك حجرا، وإنما كساها مَن خلقها ، الكسوة في عين الرائي ، بهمة هذا الشيخ الجليل.
وأنت إذا طالعك الله على حقيقتك ، وجدت نفسك عبدا محضا ، عاجزا ميتا ضعيفا . عدما ، لا وجود لك . ثم يكسوك الله تعالى ، صور الأسماء الإلهية ، فتظهر بها عنه تعالى : **((يا عبادي : كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم))(١)** فأول ما يلبسه الإنسان ، هو الوجود ، ثم بعد ذلك يقبل جميع ما يخلع عليه من الأسماء الإلهية ، فيتصف عند ذلك بالحي والقادر ، والعليم والمريد ، والسميع والبصير ، والمتكلم والشكور والرحيم ، ومع ذلك لا يزول عن الإنسان حقيقة كونه عبدا إنسانا ، فأنت لا تخلو عن صورة إلهية تظهر فيها .
وقد يكسو الله من أسمائه حجرا ، كالكعبة فيكسوها أنوارا وتعظيما وإجلالا، فمن رآها حجرا فإنما عَبَدَ الأوثان ، ومن رأى الكسوة الإلهية فإنما عَبَدَ الرحمن .
وأعظم الناس همة أهل الليل ، فلهم المعراج ولله تعالى النزول إلى سماء الدنيا ، فيلقاهم الحق في الطريق فيضع عليهم تعالى كنفه .

١- أخرجه مسلم وأحمد وابن ماجة والحاكم وصححه على شرط الشيخين عن أبي ذر.

- فمن الهمم من تلقاها الحق في السماء الدنيا .
- ومنها من يلقاها عند العرش ، في أول النزول ، فيعطي لتلك الهمم من المعاني والمعارف والأسرار على قدرها .
- ثم ينزلون في كنف الله تعالى إلى السماء الدنيا .
- فتقف الهمم بين يديه تعالى .
- ويستشرف الحق على من بقى من الهمم ، من أهل الليل في محاريبهم وما عرجت بعد . إذ أنها لا تستطيع العروج ، فيعطيهم ما يسألون .
- وكذب من ادعى محبة الله ، فإذا جن عليه الليل نام عنه .

أليس كل محب يطلب الخلوة بحبيبه ؟

الكرامة

وهي نتيجة الاستقامة ، أو ينتج عنها استقامة ، وهي :

١- كرامة حسية : كالطيران في الهواء ، والمشي على الماء ، وقراءة الخواطر ، والإخبار بالمغيبات ، وطي الأرض ، وقد يدخلها المكر الخفي.
وهي لأهل الاستقامة ولغيرهم ، وقد يجعلها الله حظ عملك ، وجزاء فعلك الصالح ، فإذا قدمت عليه يمكن أن يحاسبك بها ، ولا يعرف العامة سوى هذا النوع .

٢- وكرامة معنوية : لا يعرفها إلا الخواص من عباد الله ، ولا يشاركك فيها أحد إلا الملائكة المقربون ، وأهل الله المصطفون الأخيار ، ولا يدخلها مكر ولا استدراج ، بل وملأت لك كفة الحسنات يوم القيامة ، وهي أن يحفظ الله عليك آداب الشريعة ، وأن يوفقك لإتيان مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها ، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها ، والمسارعة إلى الخيرات ، وإزالة الغل والحقد من صدرك للناس ، وكذا سوء الظن وطهارة القلب من كل صفة مذمومة ، وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس ، ومراعاة حقوق الله في نفسك وفي الأشياء .
فإذا ظهر عليك شيء من كرامات العامة ، فضج إلى الله منها ، وسل ستره بالعوائد ، وأن لا تتميز عن العامة بأمر يشار إليك ، فيه ، ما عدا العلم ، لأن العلم هو المطلوب ، وبه تقع المنفعة ، ولو لم يعمل به ، فإنه

لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، فالعلماء هم الآمنون من التلبيس، وما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يطلب منه الزيادة من شيء ، إلا من تعلم العلم ، لأن الخير كله فيه ، والبطالة مع العلم ، أحسن من الجهل مع العمل ، ولا نعني بالعلم إلا العلم الإلهي ، وهو العلم بالله ، والدار الآخرة ، وما تستحقه الدار الدنيا ، وما خلقت له .

سُئِل أبو يزيد عن طي الأرض ؟

فقال : ليس بشيء ، فإن إبليس يقطع من المشرق إلى المغرب ، في لحظة واحدة .

وسئل عن اختراق الهواء ؟

فقال : إن الطير يخترق الهواء ، والمؤمن عند الله أفضل من الطير .

فالكرامة هي التعريف الإلهي ، بأن الذي أتحفك به كرامة منه ، لا ينقص لك حظا من آخرتك ، ولا هو جزاء لشيء من عملك ، إلا لمجرد قدومك عليه .

السلوك

السالكون في سلوكهم على أربعة أقسام :

- **سالك ، يسلك بربه .**
- **وسالك ، يسلك بنفسه .**
- **وسالك ، يسلك بالمجموع .**
- **وسالك ، لا سالك .**

• **فأما الذي يسلك بربه :** فهو الذي يكون الحق سمعه وبصره ، وجميع قواه ، ولذلك أعاد الضمير عليك لوجودك ، في قوله : **((كنت سمعه))**(١) فهذه الهاء هي عينك ، الذي الحق سمعها وبصرها .

• **والسالك بنفسه :** وهو المتقرب إلى ربه ، ابتداء بالفرائض والنوافل ، الموجبين محبة الحق ، فهو يَجِدّ فيما كلفه الحق ، ويبذل استطاعته وقوته فيما أمره به ربه ونهاه ، وهذا هو سلوك الأدباء من أهل الله ، فيبذلون المجهود ويوفون بالعقود ، وإن جهلوا المقصود ، إلى أن يفتح الله لهم ، كما يفتح لمن سلك بربه .

• **وأما السالك بالمجموع :** فهو السالك ، بعد أن ذاق كون الحق سمعه وبصره ، وعلم سلوكه أولا بنفسه على الجملة ، من غير شهود نفسه على

١- رواه البخاري عن أبي هريرة . ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلي والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر عن أم المؤمنين عائشة . ورواه ابن السني في الطب عن سمويه . وأبو يعلي عن أم المؤمنين السيدة ميمونة .

التعيين ، فلما علم أن الحق سمعه ، وعلم أن السامع بالسمع ما هو عين السمع ، ورأى ثبوت الضمير ، وعاين على من عاد ، فعلم أن نفسه وعينه هي السميعة بالله ، والناظرة بالله ، والمتحركة بالله ، والساكنة بالله ، وأنها المخاطبة بالسلوك ، فسلك بالمجموع .

- **وأما القسم الرابع فهو سالك لا سالك :** لأنه رأى نفسه لم تستقل بالسلوك ، ما لم يكن الحق صفة لها ، ولا تستقل ما لم تكن نفس المكلف موجودة ، ويكون كالمحل لها ، ورأى الحق يقول : **{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى}**(١) علم أنه سالك لا سالك .

ثم اعلم أن السالكين - الذين ذكرنا - على مراتب :

- فمنهم السالك منه ، إليه : وهو المتنقل من تجل إلى تجل .
- ومنهم السالك إليه ، منه ، فيه : وهو السالك من اسم إلهي ، إلى اسم إلهي في اسم إلهي .
- ومنهم السالك منه ، إليه ، فيه ، به : وهو السالك باسم إلهي ، من اسم إلهي ، إلى اسم إلهي ، في اسم إلهي .
- ومنهم السالك منه ، لا فيه ، ولا إليه : فهو الذي خرج من عند الله ، في الكون إلى الكون .
- ومنهم السالك إليه ، لا منه ، ولا فيه : فهو الفار إليه في الكون ، من الكون ، كفرار موسى عليه السلام .
- ومنهم السالك لا منه ، ولا فيه، ولا إليه : فهو المتنقل في الأعمال الصالحة من الدنيا إلى الآخرة ، وهم الزهاد ، غير العارفين .

١- آية ١٧ سورة الأنفال .

والناس أربعة أنواع :

١. سالكون فقط .

٢. مجذوبون فقط .

٣. سالكون ثم مجذوبون .

٤. مجذوبون ثم سالكون .

فالنوع الأول والثانى : لا يصلحان للتربية والإرشاد .

لأن النوع الأول : ظاهري محض ، لا نور له في باطنه ، يجذب به .
والثانى : لا سلوك عنده يسير به .

والنوع الثالث والرابع : يصلحان للتربية ، مع أفضلية النوع الثالث .

- فالنوع الأول : يشهد خلقا بلا حق .
- والنوع الثاني : يشهد حقا بلا خلق .
- والثالث والرابع : يشهدون خلقا بحق .

فأهل السلوك : شهدوا الآثار ، ثم تعلقوا بالأسماء ، ثم شهدوا الصفات ، ثم الذات .

وأهل الجذب : بالعكس .

فأحدهما نازل ، يشهد الأشياء بالله في تدليه ، والآخر صاعد ، يشهد الأشياء بنفسه في ترقيه ، فربما التقيا في الطريق ، والمترقي أكمل من المتدلي في التربية ، ولكنهما يجتمعان في مقام البقاء .

{اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ} هم المحبوبون أهل الجذب .

{وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}(١) وهم المحبوبون أهل السلوك .

والبقاء في السلوك أعلى .

والفناء في الوصول أعلى .

وهو الفناء ، عن الفناء والبقاء .

وأهل الجذب بالوارد درجات :

- إما أن يؤخذ بالكلية .
- وإما أن يؤخذ عقله ، ويبقى يدبر أموره كالحيوان .
- وإما إذا جاءه الوارد كان معك ، ولكنه مشغول البال عنك .
- وأعلاهم ، من لا يشغله وارد ، عن جالس معه ، ولا جالس ، عن وارد.

١- آية ١٣ سورة الشورى .

حديث عهد بربه

الحكم دائما للحديث : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج للمطر ، ويمسح على وجهه ، ويقول : **((حديث عهد بربه))**(١) .

ولما كان الطفل الصغير حديث عهد بربه كان له الحكم ، فكان صلى الله عليه وسلم يحبهم ويمازحهم ، مع عظيم قدره . وقد امتطاه مرة الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فما رفع رأسه من السجود ، حتى أن بعض من وراءه رفع رأسه ، فوجد الغلام ممتطيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما رفع رأسه حتى نزل الغلام ، وقد طال السجود حتى ظنوا أنه قبض ، فلما سئل قال : **((إن ابني هذا ارتحلني ، فكرهت أن أعجله))**(٢) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الجمعة : **((فأقبل الحسن والحسين - رضي الله عنهما - عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر . ثم قال : "صدق الله {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ}(٣)))**(٤) . وكان ذلك من عظيم معرفته بربه .

١- أخرجه مسلم والحاكم في المستدرك وصححه وأبو داود وأحمد عن أنس ابن مالك . وأفرد له البخاري بابا أسماه باب " من تمطر في المطر، حتى يتحادر على لحيته " . وقال ابن حجر في فتح الباري في شرحه : قوله: (باب من تمطر) بتشديد الطاء أي تعرض لوقوع المطر،..، وكأن المصنف أراد أن يبين أن تحادر المطر على، لحيته صلى الله عليه وسلم لم يكن اتفاقا وإنما كان قصدا فلذلك ترجم بقوله من تمطر " أي قصد نزول المطر عليه، لأنه لو لم يكن باختياره لنزل عن المنبر أول ما وكف السقف، لكنه تمادى في خطبته حتى كثر نزوله بحيث تحادر على لحيته صلى الله عليه وسلم.

٢- رواه الحاكم في المستدرك وصححه والنسائي وأحمد والبغوي والطبراني وسعيد ابن منصور وابن أبي شيبة وابن عساكر عن عبد الله بن شداد بن الهاد . وأبو يعلي عن أنس .

٣- آية ١٥ سورة التغابن .

٤- أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه وابن مردويه وابن حبان عن بريدة رضي الله عنه .

وترى الملك العظيم القدر ينزل من على عرشه ليداعب طفلا صغيرا ، وما ذاك إلا لأن الحكم للحداثة .

والطفل من حين ولادته ، يلازمه قرينان ، ملك وشيطان ، يأخذ كل واحد منهما يهمزه ، الملك بفعل الخير ، والشيطان بفعل الشر ، وذلك ليس من أجله ، ولكن من أجل والديه ، فحركات الطفل كلها لا إرادية له ، وإنما يحركه الملك ، فيضحك ، فيأتي من الخير بما يسعد والديه ، جزاء عملهما الصالح ، والطفل لا يشعر ، ويلمزه الشيطان ، فيأتي بما يحزن والديه من كسر الأشياء ، والبكاء ، وغيرها .

واعلم أن أول درجات التكليف ، إذا كان الطفل ابن سبع سنين ، إلى أن يبلغ الحلم ، ولذا أمرنا بأن نأمر أطفالنا بالصلاة لسبع ، وقد اعتبر الله فعل الصبي في غير زمان تكليفه ، لو قتل لم يقم عليه الحد ، وحبس إلى أن يبلغ ، ويقتل بمن قتل في صباه ، إلا أن يعفو ولي الدم ، فقد آخذه الله بما لم يعمله زمن تكليفه ، فمن إنفاذ الوعيد من حيث لا يشعر أحد وجود التكليف ، وهو أول العذاب ، لقيام الخوف بنفس المكلف ، فقد عذب عذابا نفسيا مؤلما ، وهو عقوبة ما جرى منه في الزمان الذي لم يكن فيه مكلفا ، من الأفعال التي تطرأ بين الصبيان ، من الأذى والشتم والضرب على طريق التعدي . وكل خير يفعله الصبي يكتب له ، وقال صلى الله عليه وسلم للمرأة التي رفعت له طفلا ، وقالت : ألهذا حج ؟ قال : **((نعم ولكِ أجر))**(١) وهو أجر المعونة التي لا يقدر الصبي عليها .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الصبي إذا حج قبل بلوغ

١- رواه مسلم والنسائي وأحمد والطبراني عن ابن عباس . والترمذي وابن ماجة وابن عساكر عن جابر بن عبد الله والطبراني في الأوسط عن انس بن مالك .

التكليف ، ثم مات قبل البلوغ ، كتب الله له ذلك الحج عن فريضته .
وكما أقام الله تعالى التطوع في الآخرة مقام الفرض ، إذا أكمله به ، فكذا كل ما يأتي الصبي فهو تطوع ، فهو محسوب له في الآخرة ، فكل ما يفعله الصبي في غير بلوغ زمان التكليف ، معتبر في الشرع ، في الخير والشر .
غير أن الكرم الإلهي جازاه ما عمله من خير ، وادخر له ثواب ذلك في الدار الآخرة .
وأما الشر ، فلم يدخر له في الآخرة منه شيئا ، بل جازاه به في الدنياة ، بالآلام الحسية والنفسية التي تطرأ على الصبيان .

القضاء و القدر

أصحاب المشهد الأول :

يقولون إن القضاء هو حكم الله في الأشياء ، في عينها ، من غير مزيد ، فحكم الله هو الذي أمرنا بالرضى به ، وأما المقضي ، المحكوم به ، فلا يلزمنا الرضى به ، فلا يلزم الراضي بالقضاء ، الرضى بالمقضي ، وحكم الله في الأشياء على حد علمه بها ، وفيها ، وعَلِمَ الأشياء على ما أعطته المعلومات ، مما هي عليه في نفسها .

فما حكم القضاء على الأشياء إلا بها ، فالحاكم تابع لعين المسألة التي يحكم فيها ، بما تقتضيه ذاتها ، فالمحكوم عليه بما هو فيه ، حاكم على الحاكم أن يحكم عليه بذلك .

فكل حاكم ، محكوم عليه ، بما حكم به ، وفيه ، فإن القدر ما جهل إلا لشدة ظهوره .

أصحاب المشهد الثانى :

قالوا : إن الإنسان مسيَّر .

فنازعهم أهل التخيير .

فقال لهم أهل التسيير : علام بنيتم حكمكم عليه بالتخيير ؟

قالوا : لأن الله أعطاه عقلا يفكر به .

قالوا : أرأيتم الأفكار التي تخلق في العقل ، أهي خالقة ؟ أم مخلوقة ؟

قالوا : بل مخلوقة .

قالوا : حتى الأفكار - التي بنيتم عليها قولكم بالتخيير - هي مخلوقة لله تعالى ، فالإنسان إذن مسيَّر .

فلِمَ يعذب الله من يعذب ، وقد سيره إليه ؟

قالوا : شيئان لا ثالث لهما :

- إما أن الله تعالى ظالم .
- وإما هناك سر لا نعلمه .

وقد اتفق كل العالمين - بما في ذلك الملاحدة - بأنه تعالى ، تنزه عن الظلم ، فبقى أن يقال أن هناك سرا اسمه سر القدر ، لا يعلمه إلا الله .

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((القدر سر الله))(١) .**

١- أخرجه الطبراني من طريق ميمون بن مهران ، عن ابن عباس وحسنه ابن حجر في فتح الباري بلفظ " القدر سر الله ، فلا تكلفوه ". والديلمي عن أنس بلفظ " القدر سر الله ، فلا تكلفوا علمه " وابن عدي في الكامل عن أم المؤمنين السيدة عائشة بلفظ "لا تكلموا في القدر فإنه سر الله " ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بلفظ " القدر سر الله ، فلا تفشوا لله عز وجل سره " وأبو يعلي في مسنده عن أبي هريرة بلفظ "القدر سر الله ، من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فأنا بريء منه" . وخرج ابن عساكر في تاريخه عن الحارث قال جاء رجل إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. قال : طريق مظلم ، لا تسلكه . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر . قال بحر عميق ، لا تلجه . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر . قال : سر الله قد خفي عليك ، فلا تفشه . قال : يا امير المؤمنين أخبرني عن القدر . قال : يا أيها السائل ، إن الله خالقك كما شاء أو كما شئت ؟ قال : بل كما شاء . قال : فيستعملك كما شاء أو كما شئت ؟ قال : بل كما شاء . قال : فيبعثك يوم القيامة كما شاء أو كما شئت ؟ قال : بل كما شاء . قال : أيها السائل ألست تسأل الله ربك العافية ؟ قال : بلى . قال : فمن أي شيء تسأله العافية ؛ أمن البلاء الذي ابتلاك به، أم من البلاء الذي ابتلاك به غيره ؟ قال : من البلاء الذي ابتلاني به . قال : يا أيها السائل ، تقول لا حول ولا قوة إلا بمن ؟ قال : إلا بالله العلي العظيم . قال : فتعلم ما في تفسيرها ؟ قال : تعلمني مما علمك يا أمير المؤمنين . قال : إن تفسيرها : لا يقدر على طاعة الله ، ولا يكون له قوة في معصية الله ، في الأمرين جميعا ، إلا بالله . أيها السائل ألك مع الله مشيئة ؟ (أو دون الله مشيئة ؟) فإن قلت : لك دون الله مشيئة ، فقد اكتفيت بها عن مشيئة الله ، وإن زعمت أن لك فوق الله مشيئة ، فقد ادعيت مع الله شركا في مشيئته . أيها السائل ، إن الله يشج ويداوي ؛ فمنه الدواء ومنه الداء . أعقلت عن الله أمره ؟ قال : نعم . قال علي : الآن أسلم أخوكم ، فقوموا ، فصافحوه .

ويوم القيامة ، ينادي الله على أهل النار - قبل دخولها - أظُلِمتُم شيئا ؟ فيقولون : لا . فلابد وأنه تعالى قد كشف لهم سر القدر ، فوجدوا أنهم يستحقون أشد من النار ، راضين عن حكم الله ، متلذذين بكشفهم أنهم يستحقون أشد من النار، فالنار بالنسبة لهم أرحم مما يستحقون ، ثم يُغَيِّب الله عنهم سر القضاء ، فحينئذ يشعرون بالعذاب في النار .

أصحاب المشهد الثالث :

قالوا إن القضاء معاملة بين الله وخلقه ، وهي معاملة بين الشريعة والحقيقة . كلها آداب مرعية :

- فإن عصى العبد ، فقابل الله تعالى بالشريعة : فقال له يا رب أنا عصيت ، وأنا جنيت ، وأنا اعتديت . قابله ربه بالحقيقة ، فقال : له بل أنا قضيت ، وأنا أغفرها لك .
- وإذا قابل العبد ربه بالحقيقة : فقال له : بل أنت يا رب قضيت علي المعصية ، قابله الله بالشريعة : فقال له : بل أنت فعلت ، وأنت عصيت ، وسأدخلك النار .
- وكذا إذا فعل العبد طاعة : فقال : يا رب ، أنت يسرت ، وأنت سهلت، وأنت أعنت . قابله ربه بالشريعة ، فقال : بل أنت عملت ، وأنت أحسنت ، وسأدخلك الجنة .

أصحاب المشهد الرابع :

قالوا العباد نوعان :

- عبد يشاهد نفسه .
- وعبد يشاهد أن الله سمعه وبصره وجميع قواه .

فالأول : مُسَيَّر .

والثانى : يفعل بالله ، فهو مخير . لأنه يغير القضاء بالقضاء ، والحكم منه، كالحكم من ربه .

قال سيدي عبد القادر الجيلاني :

كل الأولياء لما وصلوا إلى القدر ، وجدوه مصمتا ، فوقفوا ، إلا أنا . فَتُحَتْ لي فيه روزنة ، فولجت فيها ، فدافعت أقدار الحق بالحق .

فالرجل هو المنازع للقدر ، لا الموافق له .

ولذلك قالوا : (بسم الله) من العارف (ككن) من الله .

وأهل الجنة جميعا يقولون للشيء (كن فيكون) .

وهو معكم

خرج أبو يزيد في بدايته إلى السياحة ، فقابله شيخ :

فقال له : إلى أين ؟

فقال : أبحث عن الحق .

فقال : الذي تبحث عنه ، تركته في بسطام .

{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}(١)

قد يرحل المرء لمطلوبــه والسبب المطلوب في الراحل

فما نقل الله عبدا من مكان إلى مكان ليراه ، بل ليريه من آياته التي غابت عنه : **((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها))(٢)** **{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}**(٣) وكذلك ينقل عبده من مكان إلى مكان ، ليريه ما خص الله به ذلك المكان ، من الآيات الدالة عليه : **{لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا}**(٤) .

فإذا أراد تعالى أن يسري بأرواح من شاء من ورثة رسله ، من أوليائه ، فهو إسراء لزيادة علم ، وفتح عين فهم .

١- آية ٤ سورة الحديد .

٢- أخرجه أحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه والبزار وابن حبان والحاكم وصححه على شرط الشيخين وابن مردويه عن ثوبان وأخرجه عبد الرزاق وأحمد (وقال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح) والبزار وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن شداد بن أوس .

٣- آية ٧٥ سورة الأنعام .

٤- آية ١ سورةالإسراء .

- فمنهم من أُسرِيَ به ، فيه ، فيرى العالم على صورة الحق .
- ويرى نفسه على صورة العالم .
- فيسري به الحق في أسمائه .
- فيعلم أنه المسمى بكل اسم إلهي .
- وبها يظهر الحق في عباده ، وبها يتلون العبد في حالاته .
- فهي في الحق : أسماء ، وفينا : تلوينات ، وهي عين الشؤون التي هو فيها الحق .
- ففينا ربنا يتصرف ، كما نحن به ، فيه ، نظهر .

فمن رحمته تعالى ، أنه وصف نفسه بالإتيان والنزول ، ومن رحمته أن ألزمنا مكاننا ، وكان معنا حيث كنا ، رحمة بنا ، ورعاية لنا .

فإذا علم العبد ما أودع الله فيه من أسرار وحكم ، وتحقق عنده حدوثه ، وعرف ذاته ، معرفة إحاطية ، فتجلى له :

وقال : ما اسمي عندك ؟

فقال : أنت ربي .

فقال له سبحانه : أنت مربوبي ، وأنا ربك ، أعطيتك أسمائي وصفاتي ، فمن رآك ، رآني . ومن أطاعك ، أطاعنى . ومن علمك ، علمني . ومن جهلك ، جهلنى . فغاية مَنْ دونك ، أن يتوصلوا إلى معرفة نفوسهم منك .

قال الجيلي :

أأحطت خبراً ، مجملاً ، ومفصلاً ؟ بجميع ذاتك ، يا جميع صفاته

أم جل وجهك أن يُحاط بكنهه ؟ فاحطته ، أن لا يحاط بذاته

حاشاك من غاي ، وحاشا أن تكن بك جاهلاً ، ويلاه من حيرتاه

التوسل

التوسل : هو طلب الوسيلة .

وهو مأمور به : **{وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ}**(١) ومدح أناسا فقال : **{يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ}**(٢) .

والتوسل ، إما أن يكون بالعمل الصالح ، وإما برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما بالأنبياء ، وإما بالصالحين ، وإما بآثار الصالحين .

١- التوسل بالعمل الصالح :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **((انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم ، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدت عليهم الغار، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم :**

- **فقال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا ، فنأى بي طلب الشجر يوما ، فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين ، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا ، فلبثت والقدح على يدي ، أنتظر استيقاظهما ، حتى**

١- آية ٣٥ سورة المائدة .
٢- آية ٥٧ سورة الإسراء .

برق الفجر ، فاستيقظا ، فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه ، من هذه الصخرة ، فانفرجت ، شيئا لا يستطيعون الخروج منه .

- قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي ، فأردتها عن نفسها ، فامتنعت مني ، حتى ألمت بها سنة من السنين ، فجاءتني ، فأعطيتها عشرين ومائة دينار ، على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها ، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها ، وهي أحب الناس إلي ، وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .
- قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم ، غير رجل واحد ، ترك الذي له ، وذهب ، فثمرت أجره ، حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين ، فقال : يا عبد الله ، أد إلي أجري ، فقلت له : كل ما ترى من أجرك : من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله : لا تستهزيء بي ، فقلت : إني لا أستهزيء بك ، فأخذه كله ، فاستاقه ، فلم يترك منه شيئا ، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون))(١) .

١- رواه البخاري ومسلم وأحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر رضي الله عنهما . ورواه ابن حبان والبزار والطبراني في الأوسط بعدة أسانيد عن أبي هريرة وقال الهيثمي رجال البزار وأحد رجال الأوسط رجال الصحيح .

٢- التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم :

- **توسل به آدم عليه السلام قبل خلقه .**

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لما اقترف آدم الخطيئة ، قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي. فقال الله : يا آدم : وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال يا رب : لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت في من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ، ادعني بحقه ، فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك))(١) .**

- **التوسل به في حياته صلى الله عليه وسلم :**

عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال :

((أن رجلا ضرير البصر أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، علمني دعاء أدعو به يرد الله علي بصري . فقال له: " قل اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك ، نبي الرحمة ، يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي ، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي " فدعا بهذا الدعاء ، فقام وقد أبصر))(٢) .

١- أخرجه الحاكم وصححه والطبراني في المعجم الأوسط والصغير وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل وابن عساكر وسعيد بن منصور عن عمر بن الخطاب .

٢- رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين والترمذي وصححه وأحمد وابن ماجة والطبراني وصححه والنسائي وابن خزيمة عن عثمان بن حنيف .

- **التوسل به بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم :**

عن مالك الداري قال : **((أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه، وجاء بلال بن الحارث المزني إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، وقال له : "ائت عمر فأقرئه مني السلام وأخبرهم أنهم مُسْقون ، وقل له عليك بالكيس الكيس"))(١) .**

قال تعالى : **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا}**(٢) قال المفسرون : هي عامة ، في حياته وبعد مماته ، صلى الله عليه وسلم .

عن أنس رضي الله عنه ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان إذا قحطوا ، استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : **((اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك ، فتسقينا . وإنا نتوسل إليك بعم نبيك ، فاسقنا . قال : فيسقون))(٣) .**

فهو في الحقيقة توسل بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، ولكن الاستسقاء يتعين بإمام حاضر ، يدعو أو يصلي ، ويؤمِّن المسلمون وراءه، فقُدِم العباس رضي الله عنه ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١- رواه ابن أبي شيبة في مصنفه وقال ابن حجر في فتح الباري سنده صحيح ورواه ابن كثير في البداية والنهاية عن البيهقي وقال سنده صحيح ورواه ابن حجر في ترجمة مالك الدار وقال أخرجه ابن أبي خيثمة .

٢- آية ٦٤ سورة النساء .

٣- رواه البخاري والبيهقي وابن حبان والطبراني وابن سعد وابن خزيمة وابو عوانة عن أنس وابن عساكر وابن النجار عن ابن عمر .

عن أوس بن عبد الله قال : قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، فقالت : **((انظروا إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فاجعلوا منه كوة إلى السماء ، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف))** قال : ففعلوا ، فمطروا مطرا ، حتى نبت العشب ، وسمنت الإبل ، حتى تفتقت من الشحم ، فسمي : (عام الفتق)(١) .

- **التوسل في عرصات يوم القيامة :**

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل : إن الناس يقولون **((لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ... فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه...))(٢) .**

- **توسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وبالأنبياء :**

عن أنس رضي الله عنه أن فاطمة بنت أسد ، أم علي بن أبي طالب لما ماتت ، حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لحدها بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاضطجع فيه ، فقال : **((الله الذي يحيى ويميت ، وهو حي لا يموت . اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع مدخلها ، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين))(٣) .**

١- رواه الدارمي في سننه .
٢- رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه .
٣- رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم في الحلية عن أنس . رجال الأوسط رجال الصحيح ما عدا روح بن صلاح (ذكره ابن حبان في الثقات وقال الحاكم ثقة مأمون ، وضعفه ابن عدي) .

٣- التوسل بالصالحين :

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من قال حين يخرج إلى الصلاة : اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي إليك فإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة إنما خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب إلا أنت وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى يخلو من صلاته))(١) .**

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **((ابغوني في ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم))(٢) .**

٤- التوسل بآثار الصالحين :

قال تعالى : **{وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ}**(٣) .

قال الحافظ بن كثير في التاريخ : قال ابن جرير عن هذا التابوت : وكانوا إذا قاتلوا أحدا من الأعداء ، يكون معهم هذا التابوت ، فكانوا ينتصرون

١- رواه أحمد وابن السني وسمويه وابن ماجة وأبو نعيم وابن خزيمة عن أبي سعيد . وقال العراقي : اسناده حسن .

٢- أحمد في مسنده وصحيح مسلم وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك وصححه والترمذي وصححه وأبو داود والنسائي والطبراني والبيهقي عن أبي الدرداء والطبراني في الأوسط عن سعد ابن أبي وقاص .

٣- آية ٢٤٨ سورة البقرة .

ببركته ، وبما جعل الله فيه من السكينة .

قال ابن كثير : والبقية هي آثار موسى وآل هارون ، قالوا كانت فيه عصا موسى ، وعصا هارون ، ولوحان من التوراة .

واعلم أنه بعد انتقال الناس إلى البرزخ بالموت ، فإنهم يتميزون إلى سبعة أقسام ، وتحت كل قسم درجاته ، ودركاته :

١- أرواح الكافرين :

وتكون في سجن يسمى سجين ، ذكره الألوسي وابن كثير والطبري في تفسير قوله تعالى : **{كَلا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ}**(١) .

٢- أرواح عامة المسلمين :

تكون كالنائمة ، ليس لها صلة بدنيا ولا بأخرى ، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : **((خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الصبح فقال إني رأيت رؤيا هي حق فاعقلوها ، أتاني رجل فأخذ بيدي فاستتبعني حتى أتى بي جبلا طويلا وعرا فقال لي: ارقه! فقلت: لا أستطيع، فقال: إني سأسهله لك، فجعلت كلما رقيت قدمي وضعتها على درجة حتى استوينا على سواء الجبل فانطلقنا فإذا نحن برجال ونساء مشققة أشداقهم فقلت: من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون ، ثم انطلقنا فإذا نحن بموتى أشد شيء انتفاخا وأنتنه ريحا قلت ما هؤلاء قال هؤلاء موتى الكفار... ثم انطلقنا فإذا نحن برجال نيام تحت**

١- آية ٧ سورة المطففين .

ظلال الشجر قلت ما هؤلاء قال هؤلاء موتى المسلمين ، ثم انطلقنا فإذا نحن بغلمان وجواري يلعبون بين نهرين قلت ما هؤلاء ؟ قال ذرية المؤمنين ثم انطلقنا فإذا نحن برجال أحسن شيء وجها وأحسنه لبوسا وأطيبه ريحا كأن وجوههم القراطيس قلت ما هؤلاء قال هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة نفر يشربون خمرا ويغنون فقلت : ما هؤلاء ؟ قال : ذاك زيد بن حارثة ، وجعفر وابن رواحة ،......))(١)

٣- أرواح أطفال المؤمنين :

تكون سارحة في الجنة كما في الحديث السابق يعلمهم إبراهيم عليه السلام القرآن. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة))(٢) .**

وعن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الطويل **((والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام ، والصبيان حوله . فأولاد الناس – وفي رواية - وأما الولدان الذين حوله : فكل مولود مات على الفطرة . فقال بعض المسلمين : وأولاد المشركين يا رسول الله ؟ فقال : وأولاد المشركين))(٣) .**

١- رواه الطبراني في الكبير وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح وقال ابن حجر في الفتح سنده جيد . ورواه الحاكم وسعيد ابن منصور والبيهقي في عذاب القبر عن أبي أمامة . ورواه الحافظ ابن كثير عن الحافظ أبي زرعة في البداية والنهاية .

٢- أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا في العزاء وابن أبي داود في البعث وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والديلمي عن أبي هريرة وسعيد ابن منصور عن مكحول .

٣- أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن مردويه عن سمرة بن جندب .

أما أطفال المشركين ، الذين ماتوا قبل الحلم ، فمنهم من سيكون خدم أهل الجنة ، فهم في البرزخ مع أرواح القسم الثاني ، نائمين ، ومنهم من يتعلم القرآن مع أطفال المسلمين ، إذ أن الله أعلم بما كانوا عاملين . عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((أطفال المشركين ، خدم أهل الجنة))(١) .**

٤- أرواح عامة المؤمنين :

تكون في البرزخ ، على حالة ما كانت عليه في الدنيا ، من انشغالها بالله ، وليس لها اتصال بالدنيا . عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **((إن نسمة المؤمن ، طائر يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة))(٢) .** وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **((.. فيأتون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشد فرحا من أحدكم بغائبه يقدم عليهم ، فيسألونه ما فعل فلان ؟ وما فعلت فلانة ؟ فيقولون دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال أو ما أتاكم ؟ قالوا: ذُهب به إلى أمة الهاوية))(٣) .**

٥- أرواح خاصة المؤمنين :

ويكون لها النفع التام لأهلها خاصة عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : **((إن أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم ، من**

١- رواه الطبراني في الأوسط والطيالسي وأبو يعلي والحكيم الترمذي عن أنس والطبراني في الكبير والبزار والبخاري في تاريخه عن سمرة مرفوعاً عن سمرة وسعيد بن منصور عن سلمان الفارسي (موقوفاً) عليه .
٢- رواه مالك في الموطأ وأحمد وابن ماجة والنسائي وابن حبان والطبراني عن كعب .
٣- رواه النسائي والحاكم عن أبي هريرة .

الأموات ، فإن كان خيرا استبشروا . وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا))(١) . وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوها ، فالله الله في إخوانكم من أهل القبور ، فإن أعمالكم تُعرض عليهم))(٢) .**

٦- أرواح الشهداء :

وتكون في حواصل طير خضر في الجنة ، ويكون لها التصريف التام في الدنيا بالنفع . عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، مر على شهداء أحد ، فقال : **((أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، فأتوهم وزوروهم ، والذى نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه))(٣) .**

وعن مسروق قال سئل ابن مسعود عن قوله تعالى : **{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}**(٤) فقال : **((أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل))(٥) .**

١- رواه أحمد والطيالسي والحكيم وابن منده عن أنس .
٢- أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن أبي الدنيا في كتاب المنامات وابن لال والحاكم وصححه والبيهقي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .
٣- رواه الحاكم وصححه والطبراني وأبو نعيم وابن سعد عن أبي هريرة والطبراني في الأوسط عن ابن عمر .
٤- آية ١٦٩ سورة آل عمران .
٥- أخرجه عبد الرزاق في المصنف والفريابي وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في الدلائل .

عن ابنة ثابت بن قيس بن شماس : أن أباها قتل يوم اليمامة شهيدا ، فرآه رجل من المسلمين في منامه ، فقال : **((إني لما قُتلت بالأمس ، مر بي رجل من المسلمين ، فانتزع مني درعا نفيسة ، ومنزله أقصى العسكر ، وعند منزله فرس يستن في طوله ، وقد أكفأ على الدرع برمة ، وجعل فوق البرمة رجلا ، فائت خالد بن الوليد فليبعث إلى درعي فليأخذها فإذا قدمت على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه أن علي من الدين كذا وكذا وفلان رقيقي عتيق ، وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ، قال : فأتى خالد بن الوليد ، فوجه إلى الدرع ، فوجدها كما ذكر . وقدم على أبي بكر ، فأخبره . فأنفذ أبو بكر رضي الله عنه وصيته بعد موته ، ولا نعلم أحدا أنفذت وصيته بعد موته ، غيره))(١) .**

٧- أرواح الصديقين والنبيين :

ويكون لها النفع التام والتصريف الكامل في أهل الدنيا وأهل البرزخ بالنفع والضر . عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((حياتي خير لكم : تحدثون ويحدث لكم . فإذا أنا مت ، كانت وفاتي خير لكم : تُعرَض علي أعمالكم : فإن رأيت خيراً ، حمدت الله ، وإن رأيت شراً ، استغفرت لكم))(٢)** .

١- أخرجه البغوي وابن المنذر والطبراني والحاكم وابن مردويه والشيباني في الآحاد والمثاني والخطيب في المتفق والمفترق عن عطاء الخراساني . وثابت بن قيس هذا صحابي شهد له المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه من من امتحن الله قلوبهم للتقوى حيث أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((لما أنزل الله {أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى} آية ٣ الحجرات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " منهم ثابت بن قيس بن شماس ")) .

٢- رواه البزار من حديث ابن مسعود؛ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح . كذا رواه الديلمي عن أنس . ورواه ابن سعد عن بكر بن عبد الله مرسلا . ورواه الحكيم الترمذي وابن عدي .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((الأنبياء أحياء في قبورهم ، يصلون))(١) .**

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: **((ما من أحد يسَلِّم علي ، إلا رد الله علي روحي ، حتى أرد عليه السلام))(٢) .**

وأكبر نفع انتفعته أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كان ببركة روح سيدنا موسى عليه السلام ، فلولاه لكانت الصلاة خمسين .

عن عمارة بن حزم قال: رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على قبر فقال : **((يا صاحب القبر : انزل من على القبر ، لا تؤذي صاحب القبر ، ولا يؤذيك))(٣)** فدل على أن صاحب هذا القبر حي ، له تصريف بالضر ، فيمن يؤذيه .

واعلم أنه لايجوز طلب النفع إلا من الأحياء ، ولذا فإنه لا يطلب النفع من الصنف الأول ولا الثانى ولا الثالث ، بل زيارتهم تكون للإمداد بأن تدعو لهم ، وتترحم عليهم ، وتقرأ لهم ما يصلهم من القرآن وغيره .

أما الشهداء فقد نهينا بنص القرآن أن نقول عنهم أموات ولا أن نحسبهم أمواتا **{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء}**(٤) .

١- رواه أبو يعلي في مسنده والبيهقي وصححه والبزار عن أنس وحسنه السيوطي .
٢- البيهقي وأحمد وأبو داود (ووثق رواته ابن حجر) والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة .
٣- رواه الطبراني (ووثق رجاله الهيثمي) والحاكم وابن منده والبغوي عن عمارة ابن حزم . وبلفظ " رآني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متكيء على قبر، قال : " لا تؤذ صاحب القبر " رواه ابن عساكر وأحمد وقال ابن حجر في الفتح إسناده صحيح .
٤- آية ١٥٤ سورة البقرة .

{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء}(١) فيجوز طلب النفع منهم ، إذ أنهم أحياء .

أما الصديقون والنبييون ، فهم أعلى من الشهداء درجة ، فيجوز كذلك طلب الخير منهم ، إذ أن حياتهم كاملة ، وتصريفهم تام ، وتكون زيارتهم للاستمداد .

وكذا يجوز الاستمداد والاستغاثة بالمخلوق ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((إن لله ملائكة في الأرض - سوى الحفظة - يكتبون ما يسقط من ورق الشجر . فإذا أصاب أحدكم عرجة ، بأرض فلاة ، فليناد : أعينوا عباد الله))(٢) .**

واعلم أن النفع :

- إما مطلق ، فلا يطلب إلا من الله ، فهو النافع الضار . وطلب النفع المطلق من غير الله كفر .
- وإما مقيد ، بإذن الله ، فيكون حتى من الجمادات وآثار الصالحين ، فكيف بالشهداء والصديقين والنبيين ، فيجوز أن تقول : خذ هذا الدواء ينفعك الله به ، أو تقول : نفعتنى هذه القوس ، أو هذا السيف .

١- آية ١٦٩ سورة آل عمران .

٢- رواه البزار (وقال الهيثمي رجاله ثقات) ورواه البيهقي في شعب الإيمان وابن أبي شيبة في مصنفه (حديث رقم ٢٩٧٢١) عن ابن عباس . وروى الطبراني عن عتبة بن غزوان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أعينوني فإن لله عبادا لا يراهم) وقد جرب ذلك (ووثق رجاله الهيثمي) . وروى أبو يعلى وابن السني والطبراني عن عبد الله بن مسعود أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا ، يا عباد الله احبسوا ، فإن لله حاضرا في الأرض ، سيحبسه " .

أما التبرك فيكون بثمانية أشياء :

١- التبرك بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن أم سليم رضي الله عنها قالت : **((دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي البيت قربة معلقة ، فشرب منها ، فقطعت فاها ، فإنه لعندي))(١) .**

عن أنس رضي الله عنه قال : **((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة ، جاء خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها ، فربما جاؤوه في الغداة الباردة فغمس يده فيها))(٢) .**

وعنه رضي الله عنه قال **((لما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة ، نحر نسكه ، ثم ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه ، فأعطاه أبا طلحة ، ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه فقال : " اقسمه بين الناس "))(٣) .**

عن أنس : **((ان أم سليم كانت تبسط للنبى صلى الله عليه وسلم نطعا فيقيل عندها على ذلك النطع فإذا نام النبي صلى الله عليه وسلم أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثم جمعته في سك وهو نائم ، قال :**

١- أخرجه أحمد والطبراني (وقال عن سنده الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه البراء بن زيد ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله رجال الصحيح) والترمذي في الشمائل والطحاوي في معاني الآثار وابن شاهين عن أم سليم . وفي الباب عن كبشة جدة عبد الرحمن ابن أبي عمرة رواه الترمذي وصححه وأحمد وابن ماجة .
٢- رواه مسلم وأحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس بن مالك .
٣- رواه البخاري ومسلم والترمذي وصححه والحاكم في المستدرك وصححه وأحمد عن أنس بن مالك .

فلما حضر أنس الوفاة أوصى إلى أن يجعل في حنوطه من السك))(١) . عن سفينة رضي الله عنه قال **((احتجم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : " خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطير والناس " . فتغيبت فشربته ثم ذكرت ذلك له ، فضحك))(٢) .** روى الشيخ ابن تيمية عن الإمام أحمد ، أنه رخص في التمسح بالمنبر والرمانة ، وذكر أن ابن عمر وسعيد ابن المسيب ويحيى بن سعيد ، من فقهاء المدينة ، كانوا يفعلون ذلك .

٣- أما التبرك بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فقد فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فعن عمرو ابن ميمون قال : **((لما حضر عمر بن الخطاب الوفاة أوصى ، قال : إذا أنا مت فاحملوني إلى باب بيت عائشة ، فقولوا لها : هذا عمر بن الخطاب يقرئك السلام ، ويقول : أدخل أو أخرج ؟ فسكتت ساعة – وفي رواية : قالت : كنت أريده لنفسي ، ولأوثرنه اليوم على نفسي – ثم قالت : أدخلوه . فلما دفن عمر ، أخذت الجلباب ، فتجلببت . قال : فقيل لها : مالك وللجلباب ؟ قالت : كان هذا زوجي ، وهذا أبي ، فلما دفن عمر ، تجلببت))(٣) .**

١- رواه البخاري ومسلم وأحمد والطبراني والنسائي وابن سعد عن أنس .

٢- رواه البخاري في تاريخه وابن أبي خيثمة والبيهقي (في السنن والشعب) والبزار والطبراني (وقال الهيثمي رجال الطبراني ثقات) عن سفينة . وفي هذا الباب عند البيهقي في السنن عن ابن الزبير وأسماء بنت أبي بكر وعن سلمان أن ابن الزبير أيضا شرب دم حجامته صلى الله عليه وسلم ، فقال له صلى الله عليه وسلم:"ماذا تلقى أمتي منك؟" قال أبو جعفر وزادني بعض أصحاب الحديث عن أبي سلمة قال : فيرون أن القوة التي كانت في ابن الزبير من قوة دم النبي صلى الله عليه وسلم . وفي تلخيص الحبير لابن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحجام الذي شرب من دم حجامته صلى الله عليه وسلم" اذهب فقد أحرزت نفسك من النار".

٣- رواه البخاري وابن أبي شيبة والنسائي وابن حبان والبيهقي والطبراني وابن سعد عن عمرو ابن ميمون ورواه أحمد وأبو يعلي عن يزيد بن بانوس . وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في تعليقه على هذا الحديث : " وفيه الحرص على مجاورة الصالحين في القبور طمعا في إصابة الرحمة إذا نزلت عليهم " .

٣- أما التبرك بآثار الصالحين :

فمنها التبرك بالتابوت وقد ذكرناه آنفا .

ومنها الحديث الذي ذكره الإمام مسلم عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبرنا أن الناس : **((نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر - أرض ثمود - فاستقوا من آبارها ، وعجنوا به العجين ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا ، ويعلفوا للإبل بالعجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت توردها الناقة))(١)** تبركا بذلك .

٤- فأما مقامات الأنبياء والصالحين :

وهي الأمكنة التي قاموا عليها ، أو عبدوا الله فيها ، فهو مستحب لقوله تعالى : **{وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}**(٢) وكذا بالأراضي الطيبة ، عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله كيف أُسرى بك؟ قال : **((.... حتى انتهينا إلى أرض ذات نخل ، قال : انزل ، فنزلت ، ثم قال : صل ، فصليت ، ثم ركبنا . قال لي : أتدري أين صليت ؟ قلت : الله أعلم ، قال : صليت بيثرب ، صليت بطيبة ، ثم انطلقنا تضع حافرها حيث أدرك طرفها ، حتى بلغت أرضا بيضاء ، قال : انزل ، فنزلت ، ثم قال : صل ، فصليت . ثم ركبنا . قال : أتدري أين صليت ؟ قلت : الله أعلم ، قال : صليت بمدين ، صليت عند شجرة موسى ، ثم انطلقت تهوي بنا ، تضع حافرها حيث أدرك طرفها ، ثم ارتفعنا . قال : انزل ، فنزلت . فقال**

١- رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن مردويه وابن حبان والبيهقي في السنن وابن الجعد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما .

٢- آية ١٢٥ سورة البقرة .

صل ، فصليت ، ثم ركبنا . فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت : الله أعلم ، قال : صليت ببيت لحم ، حيث ولد عيسى بن مريم...))(١) .

وقوله تعالى : **{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ}**(٢) أي المكان الذي تعبدت فيه مريم الصديقة ، أي دعا الله في هذا المكان ، التماسا للبركة . عن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال : ذهب بصري على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله : **((أنا رجل ضرير البصر ، فصلِّ يا رسول الله في بيتي ، مكانا أتخذه مصلى ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أين تحب أن أصلي لك ؟ فأشار إلى مكان من البيت، فصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم))(٣) .**

وقال تعالى : **{لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا}**(٤) تبركا بالمكان الذي قام فيه أهل الكهف .

أما التبرك بمسِّ قبره الشريف : فعن أبي داود بن صالح قال : أقبل مروان يوما ، فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر ، فقال : أتدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه ، فإذا هو أبو أيوب رضي الله عنه ، فقال : نعم **((جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أر الحجر))(٥) .**

١- البزار وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين وابن مردويه والبيهقي في الدلائل ؛ وصححه ، عن شداد بن أوس . والنسائي وابن مردويه عن أنس .
٢- آية ٣٨ سورة آل عمران .
٣- رواه البخاري ومسلم والإمام مالك في الموطأ والنسائي وابن ماجة وعبد ابن حميد والطبراني وأحمد وابن خزيمة وابن حبان وأبو عوانة والبيهقي في السنن .
٤- آية ٢١ سورة الكهف .
٥- رواه الحاكم في المستدرك وصححه وأحمد والطبراني في الكبير والأوسط .

٥- أما التبرك بمس الكعبة والأركان والحجر :

عن جعفر بن عبد الله وهو بن الحكم قال : **((رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر ، وسجد عليه ، ثم قال : رأيت خالك ابن عباس يقبله، ويسجد عليه . وقال ابن عباس : رأيت عمر بن الخطاب قبله ، وسجد عليه . ثم قال : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعل هكذا ، ففعلت هذا)) (١)** عن ابن عباس رضي الله عنهما **((أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد على الحجر الأسود))(٢)** . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **((إن لهذا الحجر لساناً وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق))(٣).** عن عبد الرحمن بن صفوان رضي الله عنه قال : **((رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه قد استلموا البيت ، من الباب إلى الحطيم ، وقد وضعوا خدودهم على البيت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطهم))(٤) .**

١- بهذا اللفظ رواه الحاكم وصححه ورواه النسائي والطيالسي . ومتفق عليه من حديث عمر " أنه قبل الحجر وقال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك" وقال ابن حجر في الفتح : وقد روى الحاكم من حديث أبي سعيد أن عمر لما قال هذا قال له علي بن أبي طالب إنه يضر وينفع، وذكر أن الله لما أخذ المواثيق على ولد آدم كتب ذلك في رق وألقمه الحجر، قال: وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد " . اهـ . وللبخاري من حديث ابن عمر "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله" وللبخاري في التاريخ من حديث ابن عباس " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن اليماني قبله".

٢- رواه الحاكم في المستدرك وصححه .

٣- أخرجه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس وأخرجه ابن خزيمه والطبراني في الأوسط والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبد الله بن عمرو واخرج الطبراني في الأوسط عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٤- رواه أحمد وأبو دود والبيهقي في السنن عن عبد الرحمن بن صفوان .

عن أبي الشعثاء قال : **((كان معاوية يستلم الأركان ، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما : إنه لا يستلم هذان الركنان ، فقال : ليس شيء من البيت مهجور . وكان ابن الزبير رضي الله عنهما يستلمهن كلهن))(١).**

عن ابن عمر قال : **((رأيت عمر قبَّل الحجر وسجد عليه ثم عاد فقبَّله وسجد عليه ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم))(٢) .**

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((إنَّ مسح الركن اليماني والركن الأسود يحط الخطايا حطا))(٣) .**

قال ابن حجر العسقلانى رحمه الله في فتح الباري :

فائدة : استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الأركان ، جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم ، ونُقِلَ عن الإمام أحمد رحمه الله أنه سُئِلَ عن تقبيل منبر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وتقبيل قبره ؟ فلم ير به بأسا . ونُقِل عن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية : جواز تقبيل المصحف وأجزائه ، وكتب الحديث ، وقبور الصالحين .

١- هذا اللفظ هو رواية البخاري في صحيحه . ورواية البخاري توافق ما رواه أحمد عن ابن عباس وأحمد عن أبي الطفيل من طريق الثوري والطبراني عن أبي الطفيل من طريق شعبة عن قتادة .
وننوه هنا أنها عكس رواية أحمد عن شعبة عن قتادة عن أبي الطفيل قال : ((قدم معاوية وابن عباس فاستلم ابن عباس الأركان كلها فقال له معاوية : إنما استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركنين اليمانيين . قال ابن عباس : ليس من أركانه شيء مهجور)) وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح .
هذا ، وقد نقل ابن حجر في كتاب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في العلل قال : سألت أبي عنه (أي عن هذا الحديث) فقال : قلبه شعبة . وقد كان شعبة يقول : الناس يخالفونني في هذا ، ولكنني سمعته من قتادة هكذا . انتهى .

٢- رواه أبو يعلي والبزار عن ابن عمر ووثق رجاله الهيثمي .

٣- رواه ابن حبان في صحيحه وابن خزيمة والبيهقي في السنن وأحمد والنسائي والطبراني في الأوسط والطيالسي وأبو يعلي وعبد بن حميد عن ابن عمر .

٦- التبرك بالصلاة عند قبور الصالحين واتخاذ المساجد عليها :

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : **((رأيت أسامة يصلي عند قبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فخرج مروان بن الحكم ، فقال : تصلي عند قبره ؟ قال : إني أحبه))(١) .**

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **((بمسجد الخيف قبر سبعون نبياً))(٢) .**

ومعلوم أن القبور كانت قبل بناء المساجد ، وذلك كما في الآية الكريمة : **{قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا}**(٣) وقد استدل الألوسي في تفسيره على جواز اتخاذ المساجد على قبور الصالحين ، مستدلا بهذه الآية الكريمة ، إذ أنه تعالى ذكرها ، ولم يعقب عليها ، بنهي أو غيره .

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))(٤) .**

١- رواه أبو يعلي وابن حبان في صحيحه والمقدسي في المختارة والذهبي في سير أعلام النبلاء وابن عبد البر في الإستيعاب . وبلفظ " رأيت أسامة بن زيد عند حجرة أم المؤمنين السيدة عائشة يدعو" رواه الطبراني ووثق رجاله الهيثمي .

٢- رواه الطبراني في الكبير والبزار ووثق رجاله الهيثمي عن ابن عمر . وأخرج الأزرقي والبيهقي من طريق عبد الرحمن بن سابط عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال: ما بين المقام إلى الركن إلى بئر زمزم إلى الحجر قبر سبعة وسبعين نبيا، جاؤوا حاجين فماتوا فقبروا هنالك . وأخرج ابن عساكر عن ابن سابط قال: بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وسبعون نبيا، وإن قبر نوح وهود وشعيب وصالح واسمعيل في تلك البقعة.

٣- آية ٢١ سورة الكهف .

٤- رواه مالك وابن سعد في الطبقات عن عطاء ابن يسار . والحميدي في مسنده وأبو يعلي وأحمد عن أبي هريرة . والدار قطني عن عمر موقوفا ومرفوعا . ورواه البزار وابن عبد البر في التمهيد عن أبي سعيد . وأبن أبي شيبة وعبد الرزاق عن زيد بن أسلم مرسلا .

دل الحديث على أن كل ما يفعل ، عند قبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من تقبيل أو مس أو صلاة ، ليست شركا ولا حراما ، إذ أن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجابة إلى يوم القيامة ، أما كلمة مساجد في الحديث ، فليست هي البناء المعروف ، إذ أنه يقصد اليهود والنصارى، ومعابد اليهود : بِيَع ، والنصارى : كنائس ، فلم يكونوا يعرفون كلمة مساجد بمعناه عندنا ، ولكن المقصود بمساجد هي أماكن السجود ، فلعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يسجدون على قبور الصالحين ، اعتقادا منهم بأنها تنفع النفع المطلق ، وعبادة لها .

والدليل على ذلك ، ما ذكره الإمام ابن عبد البر في التمهيد ، بأن هذا الحديث منسوخ بحديثين ، لا يجوز النسخ عليهما :

أولهما : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا))**(١) وقال إن تلك فضيلة ، خُص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز على فضائله النسخ ، ولا الخصوص ، ولا الاستثناء . وذلك جائز في غير فضائله .

والثانى : قوله صلى الله عليه وسلم لأبى ذر : **((حيثما أدركتك الصلاة فصل ، والأرض لك مسجد))**(٢) .

قال تعالى : **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}**(٣) فهم يعبدونهم

١- بهذا اللفظ رواه البخاري والنسائي عن جابر ابن عبد الله ورواه عبد الرزاق في مصنفه عن عبد الله ابن الزبير وابن ماجة عن أبي هريرة وأبو داود وأحمد عن أبي ذر والبيهقي في السنن عن أبي أمامة وصححه السيوطي والبزار عن ابن عباس .

٢- رواه البخاري واللفظ له ومسلم وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والحميدي وبلفظ "الأرض لك مصلى. فصل حيثما أدركتك الصلاة " رواه ابن ماجة عن أبي ذر .

٣- آية ٣ سورة الزمر .

لذاتهم ، حتى بعد أن أخبر تعالى بأنه لا يحب ذلك .

أما الحب فهو حُب لله ، فإذا علمنا من الله تعالى حبه للصالحين ، أحببناهم توسلا بهم إليه ، فإذا علمنا بغضه لهم ، أبغضناهم .

وهذا هو الفرق بين العبادة والحب ، فهم لم يقولوا (ما نحبهم) ولكن قالوا (ما نعبدهم) فأنكر عليهم تعالى قول (ما نعبدهم) فقط .

عن سعيد بن المسيب **((أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على قبر أم سعد بن عبادة بعد شهر))(١) .** عن عامر بن ربيعة قال : **((مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبر حديث ، فقال : ما هذا القبر ؟ قالوا : فلانة. قال : فهلا آذنتموني ، قالوا : كنت نائما ، فكرهنا أن نوقظك . قال: فلا تفعلوا ، ادعوني لجنائزكم ، فصف عليها صفا))(٢) .** عن ابن عباس رضي الله عنهما : **((أن النبي صلى الله عليه وسلم ، رأى قبرا منتبذا ، فصف أصحابه ، فصلى عليه))(٣) .** عن الحسين رضي الله عنه قال : **((أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة ، فتصلي وتبكي))(٤) .**

١- رواه الترمذي وأحمد من قول سعيد بن المسيب .

٢- أخرجه أحمد وابن ماجة والضياء في المختارة وابن أبي شيبة عن عامر بن ربيعة .

٣- رواه البخاري والترمذي وصححه عن ابن عباس .
قال الإمام أحمد: رُويَت الصلاة على القبر من النبي صلّى الله عليه وسلّم من ستة وجوه حسان. قال ابن عبد البر: بل من تسعة كلها حسان، وساقها كلها بأسانيده في"تمهيده" من حديث سهل بن حنيف، وأبي هريرة وعامر بن ربيعة، وابن عباس، وزيد بن ثابت الخمسة في صلاته على المسكينة، وسعد بن عبادة في صلاة المصطفى صلى الله عليه وسلم على أم سعد بعد دفنها بشهر، وحديث الحصين بن وَحْوَح صلاته صلّى الله عليه وسلّم على قبر طلحة بن البراء، وحديث أبي أمامة بن ثعلبة أنه صلّى الله عليه وسلّم رجع من بدر وقد تُوفيت أمُّ أبي أمامة فصلى عليها، وحديث أنس أنه صلى على امرأة بعد ما دُفنت، وهو محتمل للمسكينة وغيرها، وكذا ورد من حديث بريد عند البيهقي وسمّاها محجنة .

٤- رواه الحاكم عن سيدنا الحسين بن علي من طريقين أحدهما صححه والثاني وثق رواته . كذا رواه البيهقي في السنن عن سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه وكرم وجه أبيه .

أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **((لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام . ومسجد الرسول ، صلى الله عليه وسلم . والمسجد الأقصى))(١)** . قال ابن حجر ما معناه : هذا الحديث لم يذكر أي ذكر للقبور ، فلو شد أحد الرحال لزيارة قبر والده، أو قبر صالح ، فلا بأس بذلك ، بل هو داخل الأمر العام بزيارة القبور ، فقد روى ابن خزيمة بسند حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **((من زار قبري ، وجبت له شفاعتي))(٢)** .

١- رواه البخاري واللفظ له ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن أبي شيبة عن أبي هريرة أحمد في مسنده . وأخرجه ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري . وابن ماجة عن ابن عمرو .

٢- بهذا اللفظ أخرجه الحكيم الترمذي والبيهقي في الشعب والبزار وابن خزيمة وابن أبي الدنيا والطبراني وابن عدي والدار قطني عن ابن عمر . وفي الباب بلفظ " مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي " أخرجه البيهقي وابن عساكر عن حاطب ، وأخرجه سعيد بن منصور وأبو يعلى والطبراني وابن عدي والدارقطني والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عمر . وفي الباب **روى مالك في الموطأ :** أن ابن عمر : كان إذا أراد سفراً أو قدم من سفر جاء قبر النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ، ودعا ثم انصرف . وبلفظ " من حج ولم يزرني فقد جفاني " أخرجه ابن حبان في الضعفاء وابن عدي في الكامل والدار قطني في العلل عن ابن عمر مرفوعا . وأخرج البيهقي عن حاتم بن مروان قال : كان عمر بن عبد العزيز يوجه بالبريد قاصدا إلى المدينة ليقرئ عنه النبي صلى الله عليه وسلم السلام. وأخرج البيهقي عن أبي حرب الهلالي قال : حج أعرابي إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ راحلته ، فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ، ووقف بحذاء وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، جئتك مثقلا بالذنوب والخطايا ، مستشفعا بك على ربك ، لأنه قال في محكم تنزيله : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) (النساء الآية ٦٤) وقد جئتك - بأبي أنت وأمي - مثقلا بالذنوب والخطايا ، استشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن تشفع في ، ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول :

يا خير من دفنت في الترب أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وإنما حديث : **((لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد))(١)** فهو خاص بذكر المساجد ، إذ أن المستثنى منه محذوف ، ويكون دائما من جنس المستثنى فيكون التقدير (لا تشد الرحال لمسجد) .

وقد روي هذا الحديث برواية أخرى ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : **((لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد ، تُبتَغَى فيه الصلاة ، غير المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي))(٢) .** وقال النووي رحمه الله : والنهى هنا للكراهة التنزيهية ، بمعنى (لا ينبغي) وإلا فقد شد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحال إلى مسجد قباء ، وندب أصحابه إلى ذلك . فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : **((كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يزور قباء ، راكباً وماشياً ، فيصلي فيه ركعتين))(٣) .**

وفي رواية : **((كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا ، وكان عبد الله يفعله))(٤) .** عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : **((لأن أصلى في مسجد قباء ركعتين ، أحب إلي من أن آتي بيت المقدس مرتين، ولو يعلمون ما في قباء ، لضربوا إليه أكباد الإبل))(٥) .**

١- سبق تخريجه ص ٥١٣ .
٢- رواه أحمد عن أبي سعيد من طريق شهر ابن حوشب .
٣- رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود ومالك في الموطأ عن ابن عمر .
٤- رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما .
٥- رواه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين عن عائشة بنت سعد عن أبيها . وقال ابن حجر العسقلاني في الفتح : رواه عمر بن أبي شيبة في أخبار المدينة بسند صحيح . وفي فضل مسجد قباء حديث مشهور " الصلاة في مسجد قباء كعمرة " رواه أحمد والترمذي (وحسنه) وابن ماجة والحاكم عن أسيد ابن ظهير وقال العراقي رواته كلهم ثقات . وأخرج ابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجة عن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من خرج حتى يأتي هذا المسجد - مسجد قباء - فيصلي فيه كان كعدل عمرة." وفي موطأ الإمام مالك عن عبد الله بن أبي بكر، عن عمَّته أنها حدَّثَتْه عن جدّته: أنها كانت جعلتْ عليها مشياً إلى مسجد قباء فماتت، ولم تَقْضِه، فأفتى ابن عباس ابنتها أن تَمْشيَ عنها.

٧- التبرك بتقبيل يد الصالحين :

عن صفوان بن عسال قال : **((قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي ...))** إلى أن قال : **((قَبِّلوا يديه ورجليه ، وقالوا : نشهد أنك نبي...))(١) .**

وعن الزارع العبدي وكان في وفد عبد القيس قال : **((فجعلنا نتبادر من رواحلنا ، فنقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم ، ورجله))(٢) .**

ومن حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال : **((قمنا إلى النبي فقبلنا يده))(٣) .**

وعن ابن عمر رضي الله عنهما **((أنهم لما رجعوا من الغزو - حيث فروا - قالوا : نحن الفرارون . فقال صلى الله عليه وسلم : "بل أنتم الكرارون، أنا فئة المؤمنين " . قال : فقبلنا يده))(٤) .**

و **((قبل أبو لبابة يد رسول الله صلى الله عليه وسلم))(٥) .**

و **((قبل كعب بن مالك وصاحباه يد النبي صلى الله عليه وسلم حين تاب الله عليهم))(٦) .**

١- أخرجه الطيالسي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وصححه، والنسائي وابن ماجة وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن قانع والحاكم وصححه، وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل ، عن صفوان بن عسال .

٢- رواه أبو داود والبخاري في الأدب المفرد والبيهقي في السنن والطبراني في الكبير والأوسط وابن المقري .

٣- رواه المحاملي في أماليه والخطيب البغدادي في الجامع للأخلاق وفي جزء تقبيل اليد للحافظ أبو بكر ابن المقري وقال ابن حجر في الفتح : سنده قوي .

٤- أخرجه سعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجة وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر رضي الله عنهما .

٥- أخرجه البيهقي في الدلائل وابن المقري .

٦- رواه الطبراني في الكبير وأخرجه ابن المقري .

ومن حديث بريدة أن أعرابيا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم آية : **((قال : ما الذي تريد ؟ قال الأعرابي : ادع تلك الشجرة فلتأتك . قال اذهب فادعها ....ثم أقبَلَت عن عروقها وفروعها مغبرة ، فقالت : عليك السلام يا رسول الله . قال : فقال الأعرابي : حسبي حسبي يا رسول الله. فقال لها : ارجعي فرجعت ... فقال الأعرابي : يا رسول الله ، أئذن لي أن أقبل رأسك ورجلك ، فأذن له . ثم قال : يا رسول الله أئذن لي أن أسجد لك . فقال : لا يسجد أحدٌ لأحدٍ))(١)** . عن عبد الرحمن بن رزين قال : **((أخرج سلمة بن الأكوع كفا له ضخمة ، كأنها كف بعير . فقال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي هذه ، فقمنا ، فقبلناها))(٢)**. و **((قبَّل زيد بن حارثة يد ابن عباس حين أخذ ابن عباس بركابه))(٣)** . و **((قبَّل أبو عبيدة يد عمر حين قدم))(٤)** . وعن ثابت أنه **((قبَّل يد أنس))(٥)** . عن أبي مالك الأشجعي قال **((قلت لأبى أوفى ناولني يدك التي بايعت بها الرسول صلى الله عليه وسلم فناولنيها فقبلتها))(٦)** . قال النووي رحمه الله : تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه ، أو عمله أو شرفه ، أو صيانته أو نحو ذلك ، من الأمور الدينية ، لا يكره ، بل يستحب . فإن كان لغناه أو شوكته أو جاهه ، فمكروه ، شديد الكراهية .

١- رواه أبو نعيم في الدلائل والحاكم وصححه والبزار وابن عدي وأخرجه ابن المقري .
٢- أخرجه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الأوسط وقال الهيثمي رجاله ثقات ، ورواه ابن المقري . وفي الباب روى الطبراني عن يحيى بن الحارث الذماري قال: لقيت واثلة بن الأسقع فقلت : بايعت بيدك هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم . قلت : أعطني يدك أقبلها . فأعطانيها ، فقبلتها .
٣- رواه ابن عساكر وابن المبارك عن الشعبي وأورده ابن حجر في الإصابة في مناقب ابن عباس رضي الله عنهما وابن المقري .
٤- رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن تميم بن سلمة ورواه ابن المقري .
٥- رواه ابن المقري .
٦- رواه ابن المقري .

٨- التبرك بالمطر :

عن أنس رضي الله عنه قال : **((أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر ، قال : فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه ، حتى أصابه من المطر . فقلنا : يا رسول الله : لم صنعت هذا ؟ قال لأنه حديث عهد بربه))(١) .**

١- رواه مسلم والبخاري في الأدب والحاكم في المستدرك (وصححه) وابن حبان في صحيحه والحاكم (وصححه على شرط مسلم) وأحمد وأبو داود والبيهقي في السنن والنسائي وأبو يعلي وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم في السنة (وقال : اسناده صحيح على شرط مسلم) والحكيم الترمذي وأبو نعيم في الحلية وابن عدي في الكامل عن أنس .
وقد أفرد البخاري في صحيحه بابا أسماه **" بَاب مَنْ تَمَطَّرَ فِي الْمَطَرِ حَتَّى يَتَحَادَرَ عَلَى لِحْيَتِهِ"** وشرحه ابن حجر في الفتح قائلا : (باب من تمطر) بتشديد الطاء أي تعرض لوقوع المطر .
وقال الحكيم الترمذي رضي الله عنه ، في تعليقه على هذا الحديث : هذا فعل المشتاقين . وأولاهم بالله ، أشدهم شوقا . وكلما ازداد العبد انتباها ويقظة ، ازداد شوقا وكمدا . وكان عليه السلام طويل الفكر دائم الاحزان ، ولا يكون حزنه إلا من الحبس عن لقاء الصفاء . فأعلاهم منزلة ، وأقربهم قربا ، وأشدهم حرقة في القلوب شوقا ، وينتظر متى يُدعى ؟ فيجيب . فكأنه صلى الله عليه وسلم وجد روحا إلى ذلك المطر ، بما وصف من حداثة عهده بربه - عز وجل - وكذلك جد المشتاق إلى لقاء من غاب عنه ، فهو قلق لمكانه ، فإذا ورد عليه منه كتاب ، أو شيء من آثاره ، كان له فيه أنس ، وإليه استرواح ، وبه تلذذ .

لا إله إلا الله

من أخلاقهم رضي الله عنهم : عدم معاداة أهل لا إله إلا الله ، فإن لهم من الله الولاية ، فهم أولياء الله ، وإن أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا ، ولا يشركون بالله شيئا لقيهم الله بمثلها مغفرة .

ومن ثبتت ولايته ، حرمت محاربته .

ومن حارب الله ، فقد ذكر جزاءه في الدنيا والآخرة .

وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله ، فلا تتخذه عدوا .

وأقل أحوالك إذا جهلت : أن تهمل أمره ، فإذا تحققت أنه عدو لله – وليس إلا المشرك – فتبرأ منه ، كما فعل الخليل إبراهيم عليه السلام : **{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ}(١) ، {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ}(٢) فالذي ينبغي لك مع أهل التوحيد : أن تكره فعله إذا أتى بالمعصية ، ولا تكره عينه .**

أما عدو الله ، فتكره عينه .

فإن المؤمن العاصي منور القلب .

والكافر المحسن ، إنما هو مظلم الباطن ، منور الظاهر فقط .

١- آية ١١٤ سورة التوبة .
٢- آية ٢٢ سورة المجادلة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله))(١) .**

فهذه الكلمة تزن السماوات والأرض ، ومن يعمرها غير الله بل تزيد .

فهي كلمة التوحيد ، والتوحيد لا يماثله شيء .

إذ لو ماثله شيء ما كان واحدا ، ولكان اثنين فصاعدا .

فما ثم ما يزنه إلا المعادل والمماثل ، وما ثم مماثل ولا معادل .

ولا يزن التوحيد إلا الإشراك .

ولا يجتمعان في ميزان .

يقول تعالى في الحديث القدسى : **((لو أن السماوات السبع ، وعامرهن - غيري - والأرضين السبع ، وعامرهن - غيري - في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، مالت بهن كفة لا إله إلا الله))(٢) .**

وحديث البطاقة معلوم مشهور(٣) .

١- رواه الترمذي وحسنه عن عمرو ابن شعيب ومالك في الموطأ عن طلحة ابن عبيد الله مرسلا ورواه الطبراني (وقال القاري والأذرعي : اسناده جيد) ورواه أحمد (ورجاله كلهم ثقات) والبيهقي عن أبي هريرة .

٢- أخرجه أبو يعلى(ووثق رجاله الهيثمي) وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات وأبو نعيم والنسائي (بسند صحيح ، قاله ابن حجر في الفتح)وسعيد ابن منصور عن أبي سعيد الخدري .

٣- أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجة وابن حبان والحاكم (وصححه على شرط مسلم) وابن مردويه واللالكائي والبيهقي في البعث عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله سيخلص رجلا من أمتي ، على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم . فتخرج بطاقة فيها ((أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)) فيقول : احضر وزنك . فيقول : يا رب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : فإنك لا تظلم . فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولايثقل مع اسم الله تعالى شيء .

فأهل لا إله إلا الله ، لا ينصب لهم ميزان ، يوم القيامة .

إذ أن وزنهم معلوم ، وميزانهم ثقيل بلا إله إلا الله . عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إن أمتي أمة مرحومة ، ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب ، إنما عذابها في القتل والزلازل والفتن))(١) .** عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **((وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفا ، وثلاث حثيات من حثيات ربي))(٢) .**

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((تحشر هذه الأمة على ثلاثة أصناف :**

- **صنف يدخلون الجنة بغير حساب .**
- **وصنف يحاسبون حسابا يسيرا ، ثم يدخلون الجنة .**
- **وصنف يجيئون على ظهورهم أمثال الجبال الراسيات ذنوبا فيسأل الله عنهم وهو أعلم بهم فيقول : ما هؤلاء فيقولون: هؤلاء عبيد من عبادك فيقول حطوها عنهم واجعلوها على اليهود والنصارى وأدخلوهم برحمتي الجنة))(٣) .**

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر أهل النار خروجا منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة ، فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه ،**

١- أخرجه الحاكم وصححه عن أبي بردة والحاكم وصححه وأبو داود والبيهقي والطبراني وأحمد عن أبي موسى والحاكم في الكني وابن ماجة عن أنس .

٢- تقدم تخريجه ص ٣٢٧ .

٣- رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين والطبراني والديلمي عن أبي موسى . وكذا رواه الحاكم عن أبي بردة عن أبيه وصححه على شرط مسلم .

وارفعوا عنه كبارها ، فيعرض عليه صغارها . فيقال له : عملت يوم كذا كذا وكذا ، وعملت يوم كذا كذا وكذا ، فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه ، أن تعرض عليه . فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول : رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا ، قال: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه))(١) .

عن أنس بن مالك قال : ((شق على الأنصار النواضح(٢) فاجتمعوا عند النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يكري لهم نهرا سيحا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مرحبا بالأنصار والله لا تسألوني اليوم شيئا إلا أعطيتكموه ولا أسال الله لكم شيئا إلا أعطانيه " . فقال بعضهم لبعض: اغتنموها واطلبوا المغفرة . فقالوا يا رسول الله : ادع الله لنا بالمغفرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار ، ولأبناء أبناء الأنصار"))(٣) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل - ولا يريدون بذلك إلا وجهه - إلا ناداهم مناد من السماء : أن قوموا مغفورا لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات))(٤) . عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ((ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات ! قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : الذين {يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ}(٥)))(٦) .

١- تقدم تخريجه ص ٣٢٨ .
٢- النواضح من الإبل : هي التي يستقي عليها . الذكر منها ناضح ، والأنثى ناضحة .
٣- رواه أحمد والبزار بنحوه والطبراني في الأوسط والكبير بنحوه .
٤- تقدم تخريجه ص ٣٢٨ .
٥- آية ٧٠ سورة الفرقان .
٦- تقدم تخريجه ص ٣٢٨ .

عن ابن الحنظلية رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأنس بن مرثد الغنوى ، وقد كان حرس لهم الشعب يوم حنين إلى الصباح **((قد أوجبت ، فلا عليك أن لا تعمل بعدها))(١) .**

عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر ، وهو يقول **: ((ما على عثمان ماعمل بعد هذه ، ما على عثمان ما عمل بعد هذه))(٢)** وفي رواية عن عبد الرحمن بن سمرة **((ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين))(٣) .**

فكما قلنا في موضع سابق من هذا الكتاب أن أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- **فيها من هو يعلم أنه مغفور له ، حتى قبل أن يولد ، فيولد محفوظا فيتعجب ربنا منه ، ليست له زلة .**
- **ومنهم من يبدل الله سيئاتهم حسنات .**
- **ومنهم من قال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .**

١- رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وأبو داود والطبراني في الكبير والأوسط والبغوي وابن منده والنسائي وأبو عوانة والبيهقي في السنن ، عن سهل بن الحنظلية .

٢- رواه البخاري في التاريخ والطبراني في الأوسط والطيالسي وعبد بن حميد وأحمد والترمذي وأبو نعيم في الحلية وابن أبي عاصم وأحمد في فضائل الصحابة عن عبد الرحمن بن خباب . وابن أبي شيبة وابن عساكر والخلال في السنة عن الحسن .

٣- رواه الحاكم وصححه والترمذي وحسنه وأحمد وابن أبي عاصم في السنة وأبو نعيم في الحلية عن ابن سمرة والطبراني عن عمران ابن حصين وأحمد والترمذي عن عبد الرحمن ابن خباب . وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عمر وابن أبي عاصم في السنة عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده .

الوسائط

الذكر كله يستوي عند الله . فكله فاضل .

ولا تفاضل بينه عند الله تعالى .

إذ العبرة بالذاكر ، والمذكور .

والذاكر على الحقيقة ، هو الله .

كما أنه هو المذكور .

فلا ذِكر .

إذ لا بين .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يغار ، أن يكون واسطة بين الله وخلقه :

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}(١) .

وغار الله تعالى أن يعرفه أحد ، إلا إن دخل عليه من باب رسوله صلى الله عليه وسلم ، حتى الأنبياء عليهم السلام .

فخبأ نوره ورضاه ، في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يرضى لرضاه ، ويسخط لسخطه .

فلم يبق فيه ، صلى الله عليه وسلم ، شيئا لنفسه .

بل كله لله تعالى .

من رآه ، فكأنما رأى الله تعالى .

إذ أنه صلى الله عليه وسلم ، إلهيٌ كله .

روحا وجسما ، وخلقا وخُلقا .

١- آية ١٨٦ سورة البقرة .

فهو صلى الله عليه وسلم مرآة الحق تعالى ، ومن نظر في المرآة ، فإنه لا يرى جرم المرآة ، ولكن يرى الصورة . فكل من نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنما ينظر إلى الله الذي في رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا شك أن ظهور الله في روحه ، صلى الله عليه وسلم ، أظهر وأعلى من ظهوره في أرواحنا ، وذلك لصفاء مرآة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبهائها .

وفي حقيقة الأمر ، أن الله تعالى لا يظهر إلا في مرآته صلى الله عليه وسلم ، أما غيره ، صلى الله عليه وسلم :

- فالأنبياء لا يرون الله ، إلا في مرآته صلى الله عليه وسلم .
- وكذا خاتم الأولياء ، لا يَرى إلا في مرآته صلى الله عليه وسلم .
- وغيرهم من الأولياء ، فإن كانوا محمديين ، جامعين ، فلا يرون الله إلا في مرآة خاتم الأولياء ، وأما المحمديين غير الجامعين ، فلا يرون الله إلا من خلال مرآة نبي من الأنبياء .

فالولي المحمدي الجامع : هو من ورث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في جمعيته لجميع مشارب الأنبياء ، ولم تفته إلا درجة النبوة ، مثل ابن عربي وعبد القادر الجيلاني رضي الله عنهم ، فهؤلاء يستمدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بواسطة الختم المحمدي الجامع .

أما الولي المحمدي غير الجامع : فهو الذي ورث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، من جهة مشرب نبي من الأنبياء . فيقال إبراهيمي محمدى ، أو نوحي محمدي ، أو موسوي محمدي . وهؤلاء هم الأفراد ، وخاتمهم المهدي المنتظر ، وهو خاتم الولاية المطلقة .

(راجع الختمية والكتمية كتاب كشف الغيوم)



أقسمت على نفسي ، بنفسي :

لا ترك لي تارك شيئا ، إلا آتيته ما ترك .

أو أزكى مما ترك .

فأعطيه الحسنى ، أو الحسنى وزيادة .

على حسب استعداده .

نفس

إذا أذنب من يحبني :

استوحش من نفسه .

واحتج لي ، عليها .

وغفرت له .

ولا يعتبر مصرا ، ولو عاد في اليوم سبعين مرة .

وإذا أذنب من لا يراني بمبلغ تأويله :

واحتج عليَّ ، لنفسه .

لم أغفر له .

واعتبرته مصرا ، ولو بذنب واحد .

نسب

من لم ينتسب إلى الله ، انتسب إلى سواه .

والنسب إليه تعالى متفاوت .

فأقلها ، أن يحب الذكر ، ويحلو له .

ثم يحب الذكر ، والمذكور .

ثم الدوام على ذلك .

ثم الدوام بغير تعلق بجنة ولا نار .

مراتب العلماء

إن الله تعالى خلق الخلق على مراتب ، وأهلهم لما أراد بهم من مواهب ، فثبتت المقامات بالقرآن الكريم ، وجاء الحديث الشريف بمقام الإحسان لعبد يعبد الله كأنه يراه ، وآخر بمقام الحب حتى يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه .

ولكل مقام - من هذه المقامات - أهل وطلاب . وبلسان أهلها ، تكلم رجال . فأنكر عليهم من لم يكن له هذه الحال ، وتوهموا أنهم حازوا كل المراتب ، فلا يعرفون معنىً للتقوى ، ولا للزهد ولا للورع ولا للأخوة ، إلا ما تعرفوا عليه في زمنهم .

وصدق الحسن البصري رضي الله عنه ، وهو يصف الصحابة، للتابعين ، فيقول :

لقد أدركت رجالا ، لو رأيتموهم ، لقلتم : إنهم مجانين .

ولو رأوكم ، لقالوا : إنكم لم تؤمنوا قط .

وهناك فرق بين أن تقول : إن هذا كلام ما قاله أحد ، لا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا الصحابة .

وبين أن تقول : ما بلغنا دليل على أنه ما وقع .

فمن المعلوم ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم صحبه أصحابه ، ثلاثة وعشرين عاما ، يعلمهم بالليل والنهار ، في الحل والترحال ، في السلم والحرب ، ولو جمع منصف عاقل ما بلغ إلينا ، من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما جمع ما يكفي لشهر واحد من هذه الصحبة .

وعن عمرو بن أحطب الأنصاري رضي الله عنه قال :

- **((صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوماً ، الفجر .**
- **وصعد المنبر ، فخطبنا حتى حضر الظهر . فنزل فصلى .**
- **ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر . ثم نزل فصلى .**
- **وخطبنا ، حتى غربت الشمس . فأخبرنا بما كان ، وبما هو كائن ، إلى يوم القيامة .**
- **قال : فأعلمنا ، أحفظنا))(١) .**

ولم يذكر الصحابي شيئا مما قاله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وانتقل رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى جوار ربه ، عن أكثر من مائة ألف صحابي ، كلهم روى الحديث عنه ، فماذا بلغنا منهم ، أو عنهم : فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أقرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألصقهم به ، ما روي عنه إلا بضعا وتسعين حديثا .

ثم اعلم أنه : ليس كل من فهم الكلام ، فهم عن المتكلم .

وأن كل من فهم عن المتكلم ، فقد فهم الكلام .

١- رواه مسلم في صحيحه والحاكم (وصححه) وأحمد والطبراني (في الكبير) عن عمرو بن أحطب الأنصاري . وبلفظ " قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقاما ، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه " رواه البخاري والدار قطني عن عمر . وبلفظ " قام فينا رسول الله مقاما أخبرنا بما يكون إلى قيام الساعة ، عقله منا من عقله ، ونسيه من نسيه " رواه مسلم وأحمد والحاكم في مستدركه (وصححه على شرط الشيخين) وأبو داود وابن عساكر عن حذيفة ، والترمذي (وصححه) ونعيم بن حماد في الفتن عن أبي سعيد الخدري . وبلفظ " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً ، خبرنا بما يكون في أمته إلى يوم القيامة ، وعاه من وعاه ، ونسيه من نسيه " رواه أحمد والطبراني عن المغيرة ابن شعبة . وبلفظ " كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فنزلنا منزلا ، فناموا عن الصلاة حتى طلعت الشمس ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر بلالا فأذن ، وتوضأوا وصلوا ركعتين ، ثم أقام بلال ، فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم حدثنا بما هو كائن إلى يوم القيامة ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه " رواه الطبراني في الكبير عن يزيد بن أبي مريم .

فحين نزول قوله تعالى : **{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ}**(١) فتلاها على بلغاء قريش ، فضجت الصحابة ، وقالت : من منا لم يظلم نفسه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : **((ليس هذا ، إنما هو الشرك))(٢)** فهؤلاء الصحابة ، فصحاء العرب ، فهموا الكلام ، ولم يفهموا قصد المتكلم .

ويقول تعالى : **{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ}**(٣) مع أن كليهما رسول .

فهلا اتهمت فهمك يا أخي ، بدلا من أن تقع في أعراض أولياء الله وخاصته .

وهذا كله فيما يظهر من الأحكام والآيات ، فما بالك بالأذواق ، فإنهم أشد اختلافا ، لأن كلا منهم له ذوق خاص به .

ولذلك قال الجنيد رحمه الله : لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق .

وهذا نبي الله ، موسى عليه السلام ، قد اختلف ذوقه مع الخضر رضي الله عنه .

والعلوم على ثلاث مراتب ، علم العقل - وعلم الأحوال - وعلم الأسرار :

فأما علم العقل : فهو كل علم يحصل لك ضرورة ، أو عقيب نظر في دليل ، كعلم الفقه والحديث والطب والحساب وغيرها .

١- آية ٨٢ سورة الأنعام .
٢- أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والدار قطني في الأفراد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن مسعود .
٣- آية ٧٩ سورة الأنبياء .

وعلم الأحوال : لا سبيل إليه إلا بالذوق ، فلا يقدر عاقل أن يقيم على معرفتها دليلا ، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ، ولذة الجماع ، والعشق والوجد ، والخشوع والرضا ، وغيرها .

وهذا العلم ، وما بعده ، هو المقصود بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : **((كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فشخص بنظره إلى السماء ، ثم قال : " هذا أوان يُختلس العلم من الناس حتى لا يقدرون منه على شيء " فقال زياد بن لبيد الأنصاري : كيف يُختلس منا وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله لنقرأنه ولنقرئنه أبنائنا ونساءنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثكلتك أمك يا زياد ، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة ، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود فماذا تغني عنهم ؟ " قال جبير : فلقيت عبادة بن الصامت ، فقلت: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء ؟ فأخبرته بالذي قال ، فقال : صدق أبو الدرداء . إن شئت أحدثك بأول علم يرفع ، أول علم يرفع من الناس الخشوع ، يوشك أن تدخل المسجد الجامع ، فلا ترى فيه رجلا خاشعا))(١) .** فسمى الخشوع علما وهو ذوق .

وهذا علم لا يؤخذ من كتاب ، ولا يعرف من كلام ، إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء ، بدليل أنه يموت بموت العلماء به ، مع وجود العلم المدون في الكتب ، ومع وجود القرآن الكريم .

١- بهذا اللفظ رواه الحاكم وصححه والترمذي وحسنه والبيهقي في المدخل عن أبي الدرداء . وبلفظ فيه أن (الذي لقيه شداد بن أوس بدلا من عبادة بن الصامت) رواه البخاري في خلق أفعال العباد وابن حبان والحاكم وصححه والبزار والطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين وأحمد والنسائي وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في الاستيعاب والبيهقي في المدخل عن عوف ابن مالك. وبلفظ (ليس فيه الزيادة : فلقيت ...) رواه الحاكم وأحمد والطبراني في الكبير والطيالسي عن زياد بن لبيد .

وما أجمل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ذاق طعم الإيمان : من رضي بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا))(١) .**

والمرتبة الثالثة من العلوم هي علم الأسرار : وهو علم فوق طور العقل ، ولا غرو ، فإن هذا العقل ما أعجزه أن يعرف طعم شيء لم تذقه الجوارح، فهو عاجز عن معرفة حلاوة العسل مثلا ، ما لم يذقه اللسان ، وهذا في الأذواق ، فما بالك بالأسرار .

يختص الله بهذا العلم ، الأنبياء والأولياء ، ولا يدرك بداية إلا بالروح ، ثم بعد ذلك قد يدخل تحت طور العقل ، أو الذوق ، كالجنة والنار ، وحوض الرسول صلى الله عليه وسلم والصلاة ، والقرآن . فكل هذه كانت أسرارا. فالقرآن والصلاة المعروفة كانتا سرا ، حتى على الأنبياء والملائكة ، حتى أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق روحاني بحت . فلما أخبر بها ، أدركناها بعقولنا ، علما . وبقلوبنا ، ذوقا .

وهي على ثلاث مراتب :

أولها إشارة : وهو ما يرد على القلوب من معان ، زائدة عما يفهمه عامة الناس وعلمائهم :

- **من قرآن :** كمن قرأ قوله تعالى : **{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}**(٢) فغاب عن وعيه ، من شدة فرحه برسول الله صلى الله عليه وسلم .

١- بهذا اللفظ أخرجه أحمد في مسنده ومسلم والترمذي وصححه عن العباس بن عبد المطلب . وبلفظ " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان:.." رواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أنس . وبلفظ " ثلاث من فعلهن طعم طعم الإيمان.." أخرجه أبو داود والطبراني عن عبد الله بن معاوية الفاخري

٢- آية ٥ سورة الضحى .

ومن قرأ قوله تعالى : **{وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}**(١) فورد عليه وارد قوي ، جعله يتوب عن السرقة ، ويصبح من كُمَّل الأولياء .

ومن قرأ : **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْض}**(٢) فخر ميتا ، من شدة ما تجلى له من معنى .

ومن قرأ : **{وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ}**(٣) فعلم أنه من تفكر في ذات الله تعرض للهلكة .

ومن قرأ : **{إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}**(٤) فعلم أنه لا فتح إلا بعد الإنتصار على النفس وغيرها .

- **أو من حديث :** كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((المؤمن مرآة المؤمن))(٥)** فمنهم من فهم فيه معنى زائدا ، وهو أن لفظ (المؤمن) الثاني هو اسم من أسماء الله ، فكان الإنسان (المؤمن) هو مرآة صافية ، تتجلى فيها صفات الله تبارك وتعالى .

- **أو من شعر :** فمنهم من سمع جارية تنشد وتقول :

قال الرسول غدا نزور   قلت تعقل ما تقــول

فتذكر أنهم في الجنة ، يأتيهم رسول من ربهم كل جمعة ، يبشرهم بزيارة

١- آية ٢٢ سورة الذاريات .
٢- آية ٦٨ سورة الزمر .
٣- آية ٢٨ ، ٣٠ سورة آل عمران .
٤- آية ١ سورة النصر .
٥- تقدم تخريجه ص ٢٩ .

ربهم لهم ، فغشي عليه .

أو كقول الشاعر :

رق الزجاج ، ورقت الخمر فتشابها ، فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

فالأقداح أشباح ، والخمور أرواح .
فانكسرت الأواني ، وسطعت المعاني .

وثانيها رمز : كقوله تعالى : ((**كهيعص**))(١) وقوله : ((**الم**))(٢) وقوله : ((**الر**))(٣) وغيرها .
فهذه الأحرف النورانية لها معان كموج البحر .
ومن قال أن في القرآن حرفا ليس له معنى ، فقد قال الجمهور بكفره .
ذكره النووي في الآداب .
فهي رموز على تلك المعاني ، لا يكشفها الله تعالى إلا لأهل الخاصة والمشاهدة .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه : أتذكر يوم يوم ؟ فقال : بلى .
وقال عمر رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم مع أبي بكر في التوحيد ، وأجلس بينهما كأني أعجمي .

١- آية ١ سورة مريم .
٢- آية ١ في سور (البقرة – آل عمران – العنكبوت – الروم – لقمان – السجدة)
٣- آية ١ في سور (يونس – هود – يوسف – إبراهيم – الحجر)

وثالثهما سر : وهو ثمرة من ثمرات الحب ، فكل متحابين لابد وأن يكون بينهما سرٌ لا يفشى ، وقول لا يذاع ، إلا عن تراضٍ منهما ، وتشاور ، وهو على أنواع :

- فمنه ما أخبر به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن أمر من الله ، فكاد بعض الناس أن يضل :

وذلك أنه - صلى الله عليه وسلم - أخبرهم أنه أسري به في بعض ليلة ، إلى بيت المقدس ، على البراق ، وفي صحبة جبريل عليه السلام ، فارتد بعض من أسلم ، ولم تتحمل عقولهم السقيمة ذلك ، فكيف لو كان أخبرهم بالمعراج ؟

ومن صدقه من المسلمين ، فهم على درجات من التصديق .

فكلما زاد تصديقهم ، كلما أباح بعضا من السر ، الذي لم يصلنا منه سوى بضعة أحاديث ، فنحن حتى الآن لم نعرف ما رآه ، صلى الله عليه وسلم ، مفصلا ، في هذه الرحلة المباركة ، إذ أنه من الأسرار .

- ومن هذه العلوم والأسرار ، ما أخبر به الأمة جميعا :

كالصلاة والقرآن . إذ أن السر في ذلك ليس في هيئة : كالصلاة والتلفظ بالقرآن ، ولكن السر قد انطوى فيمن أحب من عباده . ثم ترك للأرواح ميدانها تغترف كل روح منها على قدر استعدادها وأنوارها .

وكإخباره عن الملائكة ، والجنة وما فيها ، والنار وما فيها ، وأهوال يوم القيامة ، وحساب القبر ، وغيرها كثير .

فعن جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

((أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش : ان ما بين

شحمة أذنه ، إلى عاتقه ، مسيرة سبعمائة عام))(١) .

● من هذا العلم ، ما أخبر به صلى الله عليه وسلم بعضهم ، دون بعض ، كاختصاصه لحذيفة رضي الله عنه بعلم أسماء المنافقين ، حتى أن عمر رضي الله عنه كان يأتيه ، فيقول له : أأنا منهم ؟ فيقول : لا . وأخبر حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه أن : **((في أصحابي اثني عشر منافقا ، منهم ثمانية ، لا يدخلون الجنة ، حتى يلج الجمل في سم الخياط))(٢)** . وعن أنس رضي الله عنه قال : **((أسَرَّ إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا ، فما أخبرت به أحدا بعده ، ولقد سألتني عنه أم سليم ، فما أخبرتها به))(٣)** . وعن حذيفة رضي الله عنه قال : **((أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة))(٤)** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **((أخذت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين ، وعاء فبثثته لكم ، وأما الآخر لو بثثته لقطع مني هذا البلعوم))(٥) .**

١- أخرجه أبو داود وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وأبو يعلي والضياء في المختارة بسند صحيح عن جابر والطبراني في الأوسط عن أنس . ونحوه ما أخرجه أبو يعلى وابن مردويه بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة ، والعرش على منكبيه ، وهو يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون ؟ " . وما أخرجه الطبراني والحاكم وصححه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك ، قد مرقت رجلاه الأرض ، وعنقه منثن تحت العرش ، وهو يقول : سبحانك ما أعظمك ربنا ! فيرد عليه ما علم ذلك من حلف بي كاذبا ".

٢- رواه مسلم وأحمد عن حذيفة .

٣- رواه البخاري ومسلم وأحمد عن أنس .

٤- تقدم تخريجه ص ٥٢٩ .

٥- رواه البخاري في صحيحه وابن سعد في الطبقات . وفي الحلية لأبو نعيم عن أبي هريرة قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة جرب ، فأخرجت منها جرابين ، ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة . وعند أبو نعيم وأحمد من طريق يزيد عن أبي هريرة وقيل له أكثرت فقال لو حدثتكم بما سمعت لرميتموني بالقشع (أي الجلود) .

• ونوع منه ، ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا أصلا ، فهو سر بينه وبين ربه ، وهي معظم الأحاديث التي تبدأ بكلمة : ((لو تعلمون)) أو ((لو يعلمون)) .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا))(١) .** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لو تعلمون ما في الصف الأول ما كانت إلا قرعة))(٢) .** عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((لو يعلم المتخلفون عن صلاة العشاء وصلاة الغداة ما لهم فيهما لأتوهما ولو حبوا))(٣) .** عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : **((لو يعلم الناس من الوحدة ما أعلم ، ما سار راكب بليل وحده))(٤) .** عن أبي جهيم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه ؟ لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه))(٥) .** وغيرها كثير .

١- أخرجه البخاري في صحيحه وفي الأدب والترمذي وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة وأخرجه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن مردويه عن أنس وابن مردويه عن أم المؤمنين السيدة عائشة وأخرجه أحمد في الزهد عن عبد الله بن عمر وأخرجه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان أحمد في الزهد عن أبي الدرداء والحاكم وصححه عن أبي ذر .

٢- بهذا اللفظ رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة . وبلفظ " ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا " رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي .

٣- رواه مالك وأحمد والنسائي وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة . ورواه أحمد (ووثق رجاله الهيثمي) وسمويه عن أنس . ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر وصححه السيوطي . وغيرهم كثير .

٤- أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه والترمذي وابن ماجة عن ابن عمر .

٥- مالك في الموطأ ومتفق عليه [البخاري ومسلم] والأربعة [أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه] عن أبي جهيم .

أي أن في هذه الأمة أسرار ، لا تطيقها عقولهم ، من الخير أو من الشر ، فلم يصرح بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، واكتفى بعلمه صلى الله عليه وسلم بها .

عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أين كان الله قبل أن يخلق الخلق ؟ قال : **((كان في عماء ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، وخلق عرشه على الماء))(١) .**

- ونوع آخر من الأسرار ، لو أخبر به غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفره الناس ، ولكنهم قبلوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووكلوا علم حقيقته إلى الله تبارك وتعالى : كصفات الإستواء على العرش، والضحك والفرح والتبشبش من الله تعالى، واليد والقدم، والنزول وغيرها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، في حديث طويل عن سيدنا آدم عليه السلام ، يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **((فقال له الله ، ويداه مقبوضتان : إختر أيهما شئت ؟ قال : اخترت يمين ربي - وكلتا يديه يمين مباركة - ثم بسطها ، فإذا فيها آدم وذريته ، فقال : أي رب ، ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ......))(٢) .**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام ، فلما جاءه صكه ، فرجع إلى ربه ، فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، قال : ارجع إليه ، فقل له يضع يده على متن ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة))(٣).**

١- تقدم تخريجه ص ٤ .
٢- تقدم تخريجه ص ٤٤٠ .
٣- رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي عن أبي هريرة .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : **((أتاني ربي ، عز وجل ، الليلة ، في أحسن صورة ، فقال : يا محمد : هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : قلت : لا . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فوضع يده بين كتفي ، حتى وجدت بردها بين ثديي ، فعلمت ما في السموات وما في الأرض ، .....))(١) .**

• وآخرها بل هو أولها : السر الذي أحاط بكل سر ، والخفاء الذي لم يعلمه الخفاء ، والجوهر المكنون الذي لا يدريه زمان أو مكان أو إنسان هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث جمع الله تعالى في ذاته الشريفة كل ما أراد إيصاله لخلقه من أرزاق وأنوار وأسرار ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُقَسِّم ذلك على أرواحهم ، على قدر استعدادها . فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((إنما أنا قاسم ، ويعطي الله))(٢) .** وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((العلم علمان : فعلم ثابت في القلب فذاك علم نافع ، وعلم في اللسان فذاك حجة الله على عباده))(٣).**

١- رواه بلفظ فيه " فعلمت ما في السموات وما في الأرض " أحمد عن ابن عباس . ورواه ابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وعبد الرزاق وعبد بن حميد والترمذي وحسنه عن عبد الرحمن ابن عائش الحضرمي ، ورواه بلفظ " فعلمت ما بين المشرق والمغرب " الترمذي وحسنه عن ابن عباس ، ورواه بلفظ فيه " فتجلى لي كل شيء فعرفته " الترمذي وصححه ومحمد بن نصر والطبراني والحاكم وابن مردويه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه . ورواه بلفظ فيه " فعلمني كل شيء " الترمذي في كتاب التفسير وابن عساكر والطبراني في السنة والشيرازي في الألقاب وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه . ورواه بلفظ فيه " فعلمت في مقامي ذلك ما سألني عنه من أمر الدنيا والآخرة " الطبراني عن أبي أمامة وحسنه الهيثمي .

٢- سبق تخريجه ص ٤٥٦ .

٣- أخرجه ابن أبي شيبة والترمذي والحاكم والحكيم الترمذي وابن عبد البر عن الحسن رضي الله عنه مرسلا . ورواه الخطيب في التاريخ عنه [أي عن الحسن] عن جابر مرفوعا بإسناد جيد ورواه الديلمي وأبو نعيم عن أنس مرفوعا .

فالعلم الأول : هو علم القلوب والبواطن والحقائق ، فهو علم الحقيقة .
والعلم الثاني : هو علم الجوارح والظواهر والشرائع، فهو علم الشريعة.

فالشريعة : هي ما تعبد الله به عباده في ظواهرهم من صلاة وصيام وجهاد في سبيل الله وصدقة وقراءة قرآن وغيرها ، وهذه إما حجة لك أو عليك :

- فتكون حجة لك : إن صاحبتها نية صالحة وخشوع ورجاء وحب لله تعالى وهي الحقيقة .
- وتكون حجة عليك : إن صاحبتها نية سيئة من رياء وسمعة وحقد وغل وحسد .

والحقيقة : هو حقيقة ما أراد الله منك في القيام بشريعته .

وهما وجهان لعملة واحدة هي : الدين . لا ينفكان عن بعضهما .

فمن تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق .

فالحقيقة هي درجة الإحسان ، وهي أن تعبد الله كأنك تراه : **{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ}**(١) .

فقوله تعالى : **{ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**(٢) تشريع .

وقوله صلى الله عليه وسلم : **((اعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله))(٣)** ، تحقيق .

١- آية ١٨ سورة آل عمران .
٢- آية ٣٢ سورة النحل .
٣- بلفظ " سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله " رواه البخاري ومسلم وأحمد عن أم المؤمنين السيدة عائشة . وهو الحديث رقم ٢٢٣ في الأحاديث التي أوردها الكتاني في المتواتر ، حيث ورد عن أكثر من سبعة من الصحابة من حديث : (١) أبي هريرة (٢) وأبي سعيد (٣) وشريك بن طريف (٤) وأسامة بن شريك (٥) وأسد بن كرز (٦) وأبي موسى (٧) وشريك بن طارق . سبعة أنفس .

وقوله تعالى : **{مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ}**(١) تشريع .

وقوله : **{قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ}**(٢) تحقيق .

والقضاء والقدر ما هو إلا معاملة وآداب ، بين العبد وربه في دائرة التشريع والتحقيق :

فمن فعل حسنة :

- فقابل الله فيها بالتشريع ، فنسبها إلى نفسه وأنه الفاعل لها ، قابله الله بالتحقيق وقال له : بل أنا يسرتها لك ، وقَدَّرتَكَ على فعلها ، ولم أقبلها منك ، وسأدخلك النار .
- أما من قابل الله منها بالتحقيق ، فقال أنت يا رب الذي يسرت ومهلت وأعنت ، قابله الله تعالى بالتشريع ، فقال : بل أنت يا عبدي الذي عملت ، وقبلتها منك ، وسأدخلك الجنة .

ومن اقترف سيئة :

- فقال يا رب : أنت الذي قضيت وقدرت علي ذلك ، قابله الله ، فقال : بل أنت الذي فعلت وأنت الذي جنيت ، وسأدخلك النار .
- وأما من قال : يا رب أنا الذي جنيت وأنا الذي أخطأت فسامحني ، قال الله له : بل أنا الذي قضيت وقدرت ، وقد غفرتها لك ، وسأدخلك الجنة .

١- آية ٧٩ سورة النساء .
٢- آية ٧٨ سورة النساء .

• وكم شدد الله على أمر الشهود والكتابة ، في أمر المداينة : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ .... وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ ...}**(١) وهذا هو ظاهر الشرع .

أما التحقيق ، فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر : **((أن رجلا من بني إسرائيل ، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار ، قال : ائتني بالشهداء أشهدهم ، فقال : كفى بالله شهيدا ، قال : فأتني بالكفيل ، قال : كفى بالله كفيلا ، قال : صدقت . فدفعها إليه إلى أجل مسمى ، فخرج في البحر فقضى حاجته ، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله ، فلم يجد مركبا ، فأخذ خشبة فنقرها ، فأدخل فيها ألف دينار ، وصحيفة منه إلى صاحبه ، ثم زجج موضعها ، ثم أتى بها البحر ، فقال : اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانا ألف دينار ، فسألني كفيلا ، فقلت : كفى بالله كفيلا ، فرضي بك . وسألني شهودا ، فقلت : كفى بالله شهيدا ، فرضي بك . وإني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له ، فلم أجد ، وإني أستودعكها ، فرمى بها في البحر ، حتى ولجت فيه ، ثم انصرف ، وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده ، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ، ينظر لعل مركبا قد جاء بماله ، فإذا بالخشبة التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطبا ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار وقال : والله مازلت جاهدا في طلب مركب ، لآتيك بمالك ، فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إلي شيئا ؟ قال : أخبرتك أني لم أجد مركبا**

١- آية ٢٨٢ سورة البقرة .

قبل الذي جئت فيه ، قال : فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة ، فانصرف بالألف دينار راشدا))(١) .

• وكم شدد الله تبارك وتعالى في أمر الشهادة :

فظاهر الشرع أنه لا يجوز أن يشهد أحد إلا على ما رأت عيناه ، أو وعت أذناه .

أما حقيقة الأمر ، فيرويها لنا عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه وكان صحابيا : **((أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرساً من أعرابي ، فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم ليقضيه ثمن فرسه ، فأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشي ، وأبطأ الأعرابي ، فطفق رجال يعترضون الأعرابيَّ فيساومونه بالفرس ، ولا يشعرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاعه . فنادى الأعرابيُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن كنت مبتاعاً هذا الفرس وإلا بعته . فقام النبيُّ صلى الله عليه وسلم حين سمع نداء الأعرابي فقال : " أوَ ليس قد ابتعته منك ؟ " فقال الأعرابي : لا ، واللّه ما بعتكه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "بلى قد ابتعته منك " فطفق الأعرابيّ يقول : هلُمّ شهيداً . فقال خزيمة بن ثابت : أنا أشهد أنك قد بايعته . فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال : " بم تشهد ؟ " فقال : بتصديقك يا رسول الله ، فجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، شهادة خزيمة : بشهادة رجلين))(٢) .**

١- رواه البخاري (من سبعة طرق) وأحمد والبزار والبيهقي في السنن واللالكائي في كرامات الأولياء عن أبي هريرة .

٢- رواه أبو داود والنسائي والطبراني وابن خزيمة وابن أبي شيبة عن عمارة بن خزيمة . وفي البخاري رواية مختصرة عن زيد بن ثابت ، أنه وجد آية من القرآن ، مع خزيمة ، الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم ، شهادته ، بشهادتين .

• وقصة موسى عليه السلام مع الخضر ، وكيف أنه عليه السلام عامل موسى بحقائق الأمور ، لا بظواهرها ، فكان مخالفا في الظاهر ، طائعا في حقيقة الأمر ، وقال تعالى في حقه : **{آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا}**(١) فبهذه الرحمة قتل الغلام وفعل ما فعل .

• وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التشريع والتحقيق في حديث واحد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لا عدوى ولا طيَرة ، ولا هامة ولا صفر ، وفِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد))(٢) .** فقوله صلى الله عليه وسلم : **((لا عدوى))** تحقيق . وقوله : **((فر من المجذوم))** تشريع ظاهر .

أما الناس في تعاملهم مع هذه العلوم وأهلها ، على أضرب وأصناف :

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضا :**

- **فكان منها نقية ، قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير .**
- **وكانت منها أجادب ، أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا .**
- **وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ.**

فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسِلتُ به))(٣) .

١- آية ٦٥ سورة الكهف .
٢- تقدم تخريجه ص ٣١٣ .
٣- رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي عن أبي موسى .

فهذا الحديث قسم الناس ثلاثة أصناف :

١- صنف تعلم وعمل ، وذاق وشاهد ، يعني أخذ العلم من أوله لآخره ، فأصبح هاديا مهديا ، نفع الناس بعلمه ، ودعا إلى الله على بصيرة .

٢- وصنف تعلم ، ولم يعَلِّم أحدا ، فعلمه فيه لوقت الحاجة إليه .

٣- وصنف لم يتعلم ، ولم يعمل ، ولم يعَلِّم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب .

- **وما تقرب إلي عبدي بشيء ، أحب إلي مما افترضته عليه .**
- **وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه .**
- **فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإذا سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه))(١) .**

هذا الحديث الشريف قسم الناس إلى :

١. أناس تعلموا العلم فعملوا به ، فقاموا بالفرائض أولا فأتقنوها .

٢. والنوع الثاني : أتقن الفرائض ثم ثنى بالنوافل ، ولكنه لم يبلغ حب الله بعد .

٣. والنوع الثالث : قام بالفرائض فأتقنها ، وبالنوافل فأحكمها ، حتى بلغ إلى حب الله تعالى .

١- رواه البخاري عن أبي هريرة . ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلي والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر عن أم المؤمنين عائشة . ورواه ابن السني في الطب عن سمويه . وأبو يعلي عن أم المؤمنين السيدة ميمونة .

ولا يكون الإنسان صاحب نافلة ، حتى يحكم الفرائض إحكاما تاما ، بحيث لا يؤخذ من نوافله لاستكمال فرائضه .
وما شهد الله لأحد أنه صاحب نافلة ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : **{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ}**(١) .

- **وقوم تعلموا العلوم وما عملوا بها ، ونصحوا الناس وما انتصحوا :**

عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **((يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق به أقتابه ، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار ، فيقولون : يا فلان : مالك ؟ ما أصابك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر...؟ ! فيقول : كنت آمركم بالمعروف ، ولا آتيه . وأنهاكم عن المنكر ، وآتيه))(٢) .**

- وقوم قالوا : نتعلم ما نقيم به فرائضنا ونوافلنا من أحكام ظاهرة إذ لا وقت عندهم . قد شغلوا بمعاشهم ، ولكنهم كانوا أذكياء ، فقالوا نحب أهل الصلاح والمشاهدة ، الذين سلكوا العلوم من أولها لآخرها ، فنحشر معهم يوم القيامة بلا عناء : فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : **((المرء مع من أحب))(٣)** . **{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}**(٤) .

١- آية ٧٩ سورة الإسراء .
٢- رواه أحمد والبخاري ومسلم والحاكم وصححه عن أسامة بن زيد .
٣- سبق تخريجه ص ٢٦٠ .
٤- آية ٤ سورة الجمعة .

• ومما مَنَّ الله تعالى به على العلماء ، من أمة هذا الرسول الكريم ، أن جعلهم ورثة للأنبياء ، أي : في منازل الأنبياء والرسل . فأباح لهم الإجتهاد في الأحكام ، فكل مجتهد منهم مصيب ، كما أن كل نبي معصوم، وتعبدهم الله بذلك ، ليحصل لهذه الأمة نصيب من التشريع ، وتثبت لهم فيه قدم ، فلم يتقدم عليهم سوى نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فتحشر علماء هذه الأمة ، حفاظ الشريعة المحمدية ، في صفوف الأنبياء ، لا في صفوف الأمم ، فهم شهداء على الناس ، وهذا نص في عدالتهم ، إذ لا تقبل شهادة إلا من عدل ، فما من رسول إلا ولجانبه عالم من علماء هذه الأمة ، أو إثنان أو ثلاثة ، والنبي صلى الله عليه وسلم له التقدم ، وجميع الأنبياء خلفه ، وأمته خلفه ، وجميع الأمم وراءهم . ومن الناس من يكون له صورتان كعيسى عليه السلام :

- له صورة مع الأنبياء .
- وصورة مع أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والعلماء من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لهم صورة مع الأنبياء ، وصورة مع سائر الأمة .

والشهود يوم القيامة ستة ، وكلهم عدول :

١. الله : **{وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا}**(١) .

٢. ورسول الله صلى الله عليه وسلم : **{وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا}**(٢)

٣. والمرسلين : **{قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ}**(٣) .

١- آية ٧٩ سورة النساء . آية ١٦٦ سورة النساء . آية ٢٨ سورة الفتح .
٢- آية ٤١ سورة النساء .
٣- آية ٨١ سورة آل عمران .

٤. والملائكة : **{وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ}**(١) .

٥. وأمة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **{ لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ}**(٢) .

٦. والجوارح : **{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**(٣)، **{شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**(٤) .

قال تعالى : **{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}**(٥) وهم الورثة - بصدق اتباعهم - أورثهم الله تعالى دعوة الناس، وأشركهم مع الأنبياء في الدلالة على الله ، كما أشركهم في الإبتلاء في قوله : **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ}**(٦) .

وقوله تعالى : **{وَمَآ أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}**(٧) يريد علم الوهب . فلو أراد العلم المكتسب ؛ لم يقل : أوتيتم ، بل كان يقول : أوتيتم الطريق إلى تحصيله .

١- آية ١٦٦ سورة النساء .
٢- آية ١٤٣ سورة البقرة .
٣- آية ٢٤ سورة النور .
٤- آية ٢٠ سورة فصلت .
٥- آية ١٠٨ سورة يوسف .
٦- آية ٢١ سورة آل عمران .
٧- آية ٨٥ سورة الإسراء .

وعلم الوهب : هو علم أنزله الله على قلوب وأسرار العارفين .

أما العلم الذي هو نتيجة التقوى ، فهو علم كسب : **{إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً}**(١) **{وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ}**(٢) فإن التقوى طريق إلى اكتساب علم الكسب .

أما الوهب ، فلا يحصل عن سبب .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يعلم))(٣)** هو كسب .

أما الشرائع كلها فعلوم وهبية .

١- آية ٢٩ سورة الأنفال .

٢- آية ٢٨٢ سورة البقرة .

٣- أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس . وأبو الشيخ عن ابن عباس وبلفظ "من عمل بعشر ما يعلم علمه الله ما يجهل" رواه الخطيب البغدادي في الأخلاق عن أبي الدرداء ولأبي يعقوب البغدادي عن سفيان . وفي فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي قال وروي عن ابن مسعود أنه قال: "ما عمل أحد بما علمه الله إلا احتاج الناس إلى ما عنده" .
وقال الحافظ عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير : قال الإمام مالك : علم الباطن لا يعرفه إلا من عرف علم الظاهر فمتى علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن ولا يكون ذلك إلا مع فتح قلبه وتنويره وقال: ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله في القلب يشير إلى علم الباطن . وقال يحيى بن معاذ : التقى ابن أبي الحواري وأحمد بن حنبل فقال أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك الداراني فقال يا أحمد قل سبحان الله وطوّلها بلا عجب قال سبحان الله وطولها بلا عجب قال سمعته يقول إذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علماً فقام أحمد وقعد ثلاثاً وقال سمعت في الإسلام بحكاية أعجب من هذه ثم ذكر حديث من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم. قال التونسي: اجتمع العارف علي وفا والإمام البلقيني فتكلم عليّ معه بعلوم بهرت عقله فقال البلقيني: من أين لك هذا يا علي ؟ قال : من قوله تعالى : {اتقوا الله ويعلمكم الله} فأسكت . إنتهى ما نقلته من المناوي .

العلم

العلم أسنى تحفة ، وأعظم كرامة . ولو قامت عليك به الحجة . فإنه يجعلك تعترف ولا تحاجج . ما طلبتُ من حبيبي أن يستزيد ، إلا منه : **{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}**(١)، فهو الكرامة العظمى . والبطالة مع العلم أحسن من الجهل مع العمل . إذا أردتُ شقاوة عبد : أزلتُ عنه العلم ، فعذبته بالجهل أشد مما أعذِب بالنار ، وإذا أردتُ سعادة عبد : كسوته حلة العلم ، فتنعم به أشد من تنعمه بالحور والقصور .

- العلماء هم الموحدون على الحقيقة : **{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ}**(٢) .
- العلماء هم أصحاب الخشية: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء}**(٣).
- العلماء هم أصحاب الفهم : **{وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ}**(٤) .
- العلماء هم الراسخون الثابتون ، لا تزيلهم الشبه ، ولا تزلزلهم الشكوك: **{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا}**(٥) .

كذب من قال : العلم حجاب . صدق من قال : العلم حجاب .

أي والله حجاب عظيم ، يحجب القلب عن الغفلة والجهل .

١- آية ١١٤ سورة طه .
٢- آية ١٨ سورة آل عمران .
٣- آية ٢٨ سورة فاطر .
٤- آية ٤٣ سورة العنكبوت .
٥- آية ٧ سورة آل عمران .

بالعلم فلتفرح ، بل واهجر من أجله الكونيين . كفاه شرفا أن وصفت نفسي به ، ومدحت به أهل خاصتي من أنبيائي وملائكتي ، ثم جعلت أهله ورثة أنبيائي : **((العلماء ورثة الأنبياء))**(١) . العلم نور من أنواري ، أقذفه قلب من أحب ، فيحيا به حياة الجسم بالروح : **{أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}**(٢) .

لا يعلم الحق إلا العلم ، كما لا يحمده إلا الحمد ، وأما أنت فتعلمه بواسطة العلم ، وهو حجابك . فإنك ما تشاهد إلا العلم القائم بك ، وهو مشهودك ومعبودك ، فلا تقل أنك علمت المعلوم ، وإنما علمت العلم ، والعلم هو العالم بالمعلوم ، وبين العلم والمعلوم بحور لا يُدرَك قعرها ، فكل ما خطر في سرك ، أو تصور في وهمك ، أو حاك في صدرك ، أو دل عليه عقلك ، فالله بخلاف ذلك ، فإنه : **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**(٣) .

اعلم أنه لا شيء أشرف من العلم بالله ، ولم يأمر الله تعالى نبيه بطلب الزيادة إلا منه ، وهو العلم بالله عن طريق التجلي والذوق ، فإنه أشرف الطرق إلى تحصيل العلوم ، لا علم التكليف ، فإن النقص منه هو مطلوب الأنبياء عليهم السلام .

١- أخرجه البخاري في تاريخه وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والدارمي والطبراني في مسند الشاميين والقضاعي في الشهاب والمحاملي في أماليه والبيهقي في الشعب وابن عساكر وأبو يعلي وصححه الحاكم من حديث أبي الدرداء. ورواه ابن النجار عن أنس ، والديلمي عن البراء بن عازب . وبلفظ " العلماء هم ورثة الأنبياء " رواه البخاري . وبلفظ " أكرموا العلماء؛ فإنهم ورثة الأنبياء " رواه ابن عساكر عن ابن عباس والخطيب في التاريخ عن جابر . وبلفظ " العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثتي وورثة الأنبياء " رواه ابن عدي وأبو نعيم والديلمي وأبو يعلي عن علي كرم الله وجهه . وبلفظ " العلماء خلفاء الأنبياء " رواه البزار ووثق رجاله الهيثمي .

٢- آية ١٢٢ سورة الأنعام .

٣- آية ١١ سورة الشورى .

أتراه أمره صلى الله عليه وسلم ، بطلب الزيادة ، من العلم بالأكوان ؟
لا والله ما أمِرَ إلا بالزيادة من العلم بالله ، وما أمره إلى وقت معين ، ولا حد محدود ، بل أطلقه ، فهو طلب الزيادة دنيا وأخرى ، مع كونه صلى الله عليه وسلم قد حصل علم الأولين والآخرين ، وقال : **((أعطيت جوامع الكلم))(١)** وكل تجل إلهي لابد أن يصحبه زيادة في العلم .

والعلم أشرف ما يؤتيه من منح — والكشف أعظم منهاج وأوضحه
فإن سألت إله الحق في طلب — فسله كشفا فإن الله يمنحه
وأدمن القرع إن الباب أغلقه — دعوى الكيان وَ جُودُ الله يفتحه

واعلم أن شرف العلم : الزهد . فإذا لم يكن العالم زاهدا ، كان عقوبة على أهل زمانه ، لأنه يتكلم بغير إخلاص ولا عمل في قلوبهم ، فيستمعون ولايعملون .

١- أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه عبد الرزاق والبيهقي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم ونصر المقدسي في الحجة والضياء في المختارة عن عمر رضي الله عنه . والنسائي والديلمي عن ابن عباس . وأبو يعلي والطبراني عن أبي موسى . وأبو يعلي عن ابن عمر . ورواه البزار عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح . ورواه أحمد عن ابن عمرو . والطبراني في الكبير عن عبد الله بن مسعود .

التعليم

{عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}(١) .

للعلم طريقان : مجموعان في قوله تعالى : **{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ}**(٢) .

- وهو علم مكتسب بالسمع والبصر .
- وعلم وهبي غيبي في الفؤاد .

وطريق ثالث : كسبي ، وهبي ، في آن واحد . وهو قوله تعالى : **{وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ}**(٣) : فالتقوى كسبية ، وهي طريق إلى التعليم الإلهي اللدني .

والعلم اللدني : علم ضروري ، يكون في أصل الخلقة والجبلة ، كعلم الحيوان والطيور والأطفال الصغار ببعض منافعهم ومضارهم : **{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ....}**(٤) .

والطفل أول ما يخرج من بطن أمه ، يمده الله تعالى بعلم من لدنه ، لا كسب له فيه ولا عقل ، ويظل يمده بهذا العلم صرفا خالصا ، حتى تبدأ عنده في الظهور ملكة العقل والخيال ، وكلما ازدادت عنده هذه الملكة ، كلما نضب عنده العلم اللدني ، وصارت روحه تستقي إما من فكره وعقله وإما من خياله .

١- آية ٥ سورة العلق .
٢- آية ٧٨ سورة النحل .
٣- آية ٢٨٢ سورة البقرة .
٤- آية ٦٨ سورة النحل .

فالقوى ثلاث : قوة علمية - وقوة عملية - وقوة مفكرة .

فالكائنات : كالنحل والعناكب والطيور والحيوانات والإنسان في أول أطوار حياته ، يمده الفيض الإلهي ، فيتعلم ويعمل ، وتظل القوة العلمية والعملية تُمَد من العلم اللدني عند جميع الكائنات ، إلا الثقلين .

فعندما تتكون عندهما القوة المفكرة ، تستقي أرواحهم من أفكارهم ، فكانت القوة المفكرة عندهم ، بمنزلة الحقيقة الإلهية لغيرهم من الكائنات ، حتى سادتنا الملائكة ، لهم القوة العلمية والعملية ، إلا أن ترقيهم يكون بالعلم لا بالعمل .

وهنا ينقسم الناس :

- فمنهم من يمده الله بالعلم اللدني طيلة حياته ، من أولها لآخرها ، وهم الأنبياء عليهم السلام ، وقليل من الأولياء ، فلقد كان سهل رضي الله عنه ممن ولد محفوظا قبل التكليف ، فلم يرزأه الله في عهده الذي أخذ عليه ، وهو في صلب أبيه آدم بشيء ، فبقى على أصله ، يُمَد بالعلم اللدني ، وهذا هو صاحب الدين الخالص ، الذي لا يشقى . فإنه لا يشقى إلا أهل المكابدة والمجاهدة ، في استخلاص الدين ممن أمرهم الله أن يستخلصوه منه ، وليس في الحقيقة إلا هوى نفوسهم .
- ومنهم من إذا رأى القوة الفكرية عنده أصبحت في زيادة ، وأصبحت روحه تستمد منها ، ولكنه رأى أن العقل أحيانا يخدعه ، والنفس تحوم حولها الشياطين ، فأخذ يحتال بنفسه ، حتى يتصل بالله ، ويعود إلى أصله، فتستقي روحه من ربها كما كانت ، فأخذ في الرياضات والمجاهدات ، وسمع قوله تعالى: **{وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ}**(١)، **{إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل**

١- آية ٢٨٢ سورة البقرة .

لَّكُمْ فُرْقَاناً}(١)، فتعود روحه تغترف من بحار فيض ربها ، ولكنه علماً أتى بعد اكتساب عمل منا ، فهو مكتسب ، لا وهب فيه . لأن التقوى جعلها الله طريقا إلى حصول هذا العلم ، كما جعل الفكر الصحيح سببا لحصول العلم . والعلم الوهبي لا يحصل عن سبب ، بل من الله سبحانه ، وهو من حضرة اسمه الوهاب ، فالنبوات كلها علوم وهبية ، فالشرائع كلها من علوم الوهب ، وهو المقصود بقوله تعالى : **{وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}**(٢)، أي ما أعطيتم ، فجعله هبة ، فإنه لو أراد العلم المكتسب ، لم يقل أوتيتم ، بل كان يقول أوتيتم الطريق إلى تحصيله . أما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من عمل بما علم ، أورثه الله ما لم يعلم))(٣) :** هو علم كسبي .

- ومنهم أهل الحجاب ، الذين اغتروا بعقولهم وأفكارهم ، فأرواحهم محجوبة عن الله ، بقولهم وخيالاتهم ، لا يعرفون استمدادا من الله ، بل يستمدون من أفكارهم ، فهم على شفا هاوية . إذ أن الأفكار والعقول أعداؤها كثير ، سواء من الشياطين أو النفس أو الهوى . والخيال الواسع : ضيق ، فعلى سعته ، لا يقبل المعاني ، إلا مقيدة بصورة حسية ، فيرى العلم لبنا ، والدين قيدا ، فهؤلاء أعطاهم الله الموازين ليزنوا بها لله ، فوزنوا بها على الله .

- ومنهم من جمع العلوم كلها ، كسبا ووهبا ، وهو رسول الله صلى الله

١- آية ٢٩ سورة الأنفال .
٢- آية ٨٥ سورة الإسراء .
٣- تقدم تخريجه ص ٥٤٩ .

عليه وسلم ، حيث قال : علمت علم الأولين والآخرين (١)، ثم يأتي يوم القيامة ، فيحمد الله تعالى بمحامد ، أخبر أن الله علمها إياه في ذلك الوقت، ولا يعلمها الآن ، فلو علمها غيره لم يصدق قوله علمت علم الأولين والآخرين ، وتلك المحامد هي المقام المحمود ، لا الشفاعة في الخلق ، لأنه تعالى يحب الثناء والمدح ، فمحبوب الله تعالى أعلى وأوثق من الشفاعة في المخلوق .

فالعلماء ثلاثة :

- عالم علمه ذاتي ، وهو رب العزة تعالى .
- وعالم علمه وهبي ، وهم الأنبياء وبعض أكابر الأولياء .
- وعالم علمه مكتسب ، وهو كثير .

والأرواح لا تفاضل بينها ، من حيث أنها مدبرة ، ولكن بينها تفاضل كبير ، في قابليتها للاستقبال النوراني ، فليس من استقبل عن الخالق ، كمن استقبل عن المخلوق .

والعقل والخيال كلاهما يحجب صاحبه ، فإذا عمل العقل ، فلا خيال . وإن عمل الخيال ، توقف العقل ، وتجد من سرح خياله في شيء ، وكأنه قد عمى وصم ، حتى أنه لا يرى ولا يسمع من حوله .

١- رواه بلفظ " فعلمت ما في السموات والأرض " أحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وعبد الرزاق وعبد بن حميد والترمذي وحسنه ، ورواه بلفظ " فتجلى لي كل شيء فعرفته " الترمذي وصححه ومحمد بن نصر والطبراني والحاكم وابن مردويه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ورواه بلفظ " فعلمني كل شيء " الترمذي في كتاب التفسير وابن عساكر والطبراني في السنة والشيرازي في الألقاب وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه رواه بلفظ " صلى بنا رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الفجر وصعد المنبر .... فأخبرنا ما كان وما هو كائن" رواه مسلم وأحمد والطبراني عن ابي زيد عمرو ابن أخطب.

الغضب

غضب الله ، أشد شيء في الوجود ، حتى الجحيم ؛ يرتعد فرقا منه . والأمان من غضب الله ، هو ترك غضب النفس .

غضب أحد الملوك على أحد الندماء ، فهَمَّ بعقابه وإهلاكه ، وسَلَّ الملك السيف من غمده ، حتى يضربه به ، فنهض أحد أصدقاء هذا النديم ، وأسرع بالسجود ، وشفع له أمام الملك ، فقبل الملك شفاعته في الحال . ولكن النديم تضايق جدا من ذلك الشفيع ، وقطع صداقته به ، وعندما لامه الناس على ذلك ، وقالوا له : كيف تقابل هذا المعروف بالإساءة ؟ فقال لهم : إن الروح مبذولة من أجل الملك ، فلماذا يقوم هو بالشفاعة ؟ فأنا نفيت كل ما سوى الملك ، وولائي كله للملك ، ولو قطعني بالسيف لكان ذلك كرماً منه ، ولوهبنى بدلاً من روحي ستين روحاً ، ولا عمل لي إلا التضحية ، والانسلاخ عن الذات . وهذا الذي شفع لي لم يتعلم الأدب من جبريل العظيم ، حين استأذن إبراهيم عليه السلام أولا في أن يشفع له عند ربه ، حين ألقي في النار . فقال له : ألك حاجة ؟ حتى أمد لك يد العون ، وإلا مضيت إلى حال سبيلي ، ولم أثقل عليك ، فقال الخليل : أما منك فلا .

فالمنع من الحق ، إحسان . والعطاء من الخلق ، حرمان .

فعندما شفع الشافع في ، توجه إليه قلبي مضطراً ، لأن القلوب عبيد لمن أحسن إليها ، وأنا لا أريد أن أرى إلا الملك .

الخبث

اعلم أن النار لأهلها ، أنفع لهم من الجنة .
إذ لو دخلوها ، لتضرروا بها غاية الضرر .

دخل رجل دباغ إلى سوق العطارين :
فلما شم رائحة العطر ، فقد الوعي ، ووقع على الأرض ، فاخذوا يشممونه العطور حتى يفيق ، ولا فائدة ، فلما مر عليه خنزير منتن ، ذو رائحة خبيثة ، نفاذة ، فشمه الرجل ، أفاق في الحال .
اقرأ قوله تعالى : **{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ}**(١) .
فأعط المريض ما تعود عليه ، فمن خالف العادة يأتيه التّعَب .
فالنار هي دواء الكفار وجنتهم .
ألم تر أن الله سمى المشركين نجساً **{إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ}**(٢) .

١- آية ٢٦ سورة النور .
٢- آية ٢٨ سورة التوبة .

الكنز

قال الله تعالى في الحديث القدسي : **((كنت كنزاً مخفياً))**(١) .

لقد اتخذتَ بيتا بالأجر والكراء ، فهو ليس ببيع أو شراء ، وفي المنزل نقوش جميلة تبهر الألباب والأبصار ، وتحف في كل مكان .

وتحت البيت كنز ، والإجارة لها أجل .

إن لم تُخرج الكنز قبل الأجل ، لم يصبح الكنز لك ، فلا تنشغل بمراقبة التحف والنقوش ، وشمِر ساعديك حتى تستطيع إخراج الكنز .

فإن أخرجت الكنز ، تستطيع أن تشترى به مئات البيوت .

أخرج الكنز ، ولو هدمت البيت .

ثم إن هذا المنزل سوف يتهدم في النهاية من تلقاء نفسه ، وعلى وجه اليقين سوف ينكشف الكنز من تحته ، لكنه آنذاك لن يكون لك .

فإن الروح ، جعلت الهدم ، هو الثمن لهذا الكنز .

وحينئذ ، يضيع المنزل ، ويضيع الكنز .

ولات حين ندم ، وا أسفاه ، لقد كنتُ جاهلا بأمر هذا الكنز ، وإلا لما فرطتُ فيه ، انشغلتُ بالنظر إلى الصور والنقوش ، وكنتُ أعشقها كالأطفال .

خذ هذا الجسد ، وهذا الشباب ، وهذه الدنيا ، فكلها نقوش وزخارف ، والروح هي الكنز ، والأجل هو الميقات ، وتنتهي الإجارة حينئذ .

١- هذا الحديث هو أحد الأحاديث التي يرويها السادة الصوفية من طريق الكشف ، وليس له سند معروف في كتب الحديث . وقال القاري لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى : {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} أي ليعرفوني كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما .

التجانس

جاءت امرأة إلى الإمام المرتضى ، على بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وقالت : إن طفلي صعد إلى حافة سطح منحدر جداً ، إن دعوته لا يأتي ، وإن تركته أخشى عليه السقوط ، وهو لا يفهم الإشارة باليد ، وناديته مراراً ولا فائدة .

فقال لها أمير المؤمنين : أحضري أحد الأطفال سريعا ، وضعيه أمامه .

أول ما رآه الطفل ، هش له ، وبش ، واتجه زاحفاً نحوه ، ونجا من السقوط في الهاوية .

ومن هنا كان الأنبياء والرسل من جنس البشر .

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ}(١)

أي إنني بشر مثلكم ، حتى تنجذبوا إلي .

وأنقذكم من السقوط في الهاوية .

فكل جنس ، ينجذب نحو جنسه .

١- آية ١١٠ سورة الكهف .

الحيوان

قال تعالى : **{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}**(١) .

الدار الآخرة : دار الحيوان ، لحياتها .

فأهلها يتنعمون فيها حساً ومعنىً .

والجنة أيضاً ، أشد تنعماً بأهلها الداخلين فيها .

فالكل حيوان .

فإن الدار الآخرة ، دار ناطقة ، ظاهرة الحياة ، ثابتة العين ، غير زائلة . فما ترى فيها إلا حيا ناطقا ، ينكشف ذلك للعموم والخصوص . فأبوابها ، وجدرانها ، وساحاتها ، ومائها ، وثمارها ، وأشجارها ، وكل شيء فيها حي ، متحدث مستمع .

ولذا كانت **((الدنيا جيفة))(٢)** كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجيفة يعني ميتة .

١- آية ٦٤ سورة العنكبوت .

٢- أورده أبو الشيخ عن علي كرم الله وجهه في تفسيره موقوفا . وروى الديلمي في الفردوس عن علي كرم الله وجهه مرفوعا بلفظ " مثل الدنيا كمثل جيفة ". وبلفظ " أوحى الله عز وجل إلى داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها كلاب يجرونها أفتحب أن تكون كلباً مثلهم فتجر معهم ؟ " وعند أبي نعيم عن يوسف ابن أسباط قال : قال علي بن أبي طالب : " الدنيا جيفة ، فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب " . وأخرجه ابن أبي شيبة عنه مرفوعا . وقد نظم الإمام الشافعي رضي الله عنه ذلك حيث قال وأجاد :

ومن يأمن الدنيا فإني طعمتها	**وسيق إلينا عذبها وعذابها**
فما هي إلا جيفة مستحيلة	**عليها كلاب همهن اجتذابها**
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها	**وإن تجتذبها نازعتك كلابها**

جنود ربك

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء}(١) .

وليس سوى النفس هي عدوك وعدو الله .

وهذه النفس لها جيوش وجنود .

قد حاصرت بها العقل والقلب والروح .

وأنت لا قِبَلَ لك بجيوشها .

ولكن كلمة ، أو نظرة ، أو فكرة ، من ولي لله تعالى ؛ تهزم كل هذه الجيوش : **{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ}**(٢) .

وأنت تستهين بالفكرة .

مع أنك تجد جيوش الأرض ، قد اجتمعت في مكان ، فعاثت فيه الفساد ، وهتكت الأعراض ، ونهبت الأموال .

وكل هذه الجيوش تتحرك نتيجة فكرة واحدة ، في رأس رجل واحد .

فآلاف الناس يتبعون رجلاً واحداً .

وهو يتبع فكرة واحدة .

١- آية ١ سورة الممتحنة .

٢- آية ٣١ سورة المدثر .

الأسباب

{وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}(١) يعني يرجعون إلينا من الأسباب ، ولا يعتمدون عليها ، ولا يرونها .

الصحة حجاب عظيم ، وكذا المال .

فصحيح الجسم ، يقول : أين الله ؟

لا أعرفه ! ولا أراه !

ومتى مرض ؛ قال : يا الله ، يا الله ، ويغدو نجياً ، ومحدثاً للحق .

والمال كذلك ، متى أعطاك الله المال ، انشغلت بذلك ليلك ونهارك ، ومتى ظهر إفلاسك ، غدوت ضعيف الحال ، تدور حول الحق .

(أنا أعشق الشراب ، لا أعشق القدح) .

للناس أنظار ترى القدح فقط ، وليس لديهم معرفة عن الشراب .

لو كان هناك قدح ذهبي ، مرصع بالجواهر ، وفيه خَلٌ .

وهناك قدح من خشب ، وفيه شراب الروح .

فأيهما تفضل ؟

هكذا أجاب المجنون ، حين لاموه على حب ليلى .

مع أن الحسان غيرها كثير .

وكلهن أجمل من ليلى .

١- آية ١٦٨ سورة الأعراف .

فلو أتيت بإنسان جائع ، لم يطعم شيئا منذ أيام ، وإنسان متخم ، يأكل كل يوم خمس مرات ، كلاهما ينظر إلى الخبز ، لكن المتخم يرى صورة الخبز . أما الجائع فيرى صورة الروح .

لأن هذا الخبز مثل القدح .

واللذة التي يحدثها : كالشراب في القدح .

وذلك الشراب لا يمكن رؤيته ، إلا بعين الاشتهاء والتشوق .

صور جميع الخلق ، مثل الكؤوس .

وهذه العلوم والفنون والمعارف ، نقوش ورسوم على الكؤوس .

ألا ترى كيف أنه عندما تُكْسَر الكأس ، لا تعود تلك النقوش موجودة .

القدح ، مثل الأسباب .

أما الشراب ، فهو المقصود .

السباح ، والغريق : كلاهما في الماء .

كل حركة يقوم بها الغريق ، إنما تصدر من الماء ، وليس منه .

أما السباح ، فكل حركة تكون منه هو .

الأسباب ليست أكثر من حجاب ، حتى لا يُرى المسبب .

مثلما يتكلم شخص من وراء ستارة ، فيحسب الجاهل أن الستارة تتكلم .

قال تعالى : **{إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى}**(١) .

فالذي يتكلم هو الله ، على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، حجاب على الله تعالى .

١- آية ٤ سورة النجم .

أنظر إلى صور الأعمال ، واعلم أنها ليست هي حقيقة الأعمال .

فمن زمان آدم عليه السلام ، إلى زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لم تكن الصلاة والصوم على هذه الصورة التي نعرفها .

تتغير مظاهر الأعمال وصورها ، ولا تتغير حقيقتها .

والمنافق قد يؤدي صورة العمل ، لا حقيقة العمل ، فلا يقبل منه .

وفي الحقيقة ، أن حقيقة العمل أيضا ، تفتقر إلى قالب العمل .

فالإيمان بالقلب ، ولكن إذا لم تذكره بالقول ، فإنه لا يفيد .

والصلاة ، إذا لم تقرأ فيها القرآن ، تبطل ، ولا تكون صحيحة .

وعدم النظر إلى الأسباب يورث راحة القلب والبدن .

فليكن قلبك جالساً ساكناً ، وَلْيَسْعَ بدنك .

فبرغم أن الإنسان يكون ساعياً ، حين يسعى من أجل الدين ، فإنه يكون جالساً .

وبرغم أنه يكون جالساً ، حين يجلس من أجل الدنيا ، فإنه يكون ساعياً .

فاجلس ، يأتك رزقك بغير مشقة ، ولا تعب .

أما إذا سعيت وراءه ، فإنه إما يهرب منك ، وإما يأتيك بعد تعب وكد وتشوش بال .

إلزم المحراب ، ترزق بغير حساب :

((أنا جليس من ذكرني))(١) .

فاجلس ، تجالس .

١- تقدم تخريجه ص ٣٨ .

الاستغناء

استغناء الله ثابت .

إلا إذا كان لك حال إلهية ذات قيمة .

فإنه لا يكون مستغنياً عنك .

إنما ورد استغناؤه عن الكافرين(١) .

أما أهل المحبة ، فأي سرور يكون لهم ، إذا استحضروا استغناءه عنهم ؟؟

ما هذا بخطاب الأحبة .

هذا خطاب الأعداء .

فالعدو هو الذي يمكن أن يقول أنا غير منشغل بك . ومستغن عنك .

١- إشارة للآيات : آية ٩٧ من سورة آل عمران **{وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}**، وآية ٤٠ من سورة النمل **{وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}**، وآية ١٢ من سورة لقمان **{وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}**، وآية ٧ من سورة الزمر **{ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ}**، وآية ٦ من سورة التغابن **{ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}** .

العقل

لو ملأت زجاجة من البحر ، ثم قلت أخذت البحر في هذه الزجاجة ، لن يصدقك أحد .

إذ كيف تأخذ البحر الكبير ، في هذه الزجاجة الصغيرة ؟

فهذا العقل هو هذه الزجاجة .

وعلوم الإطلاق والروح ؛ هذا البحر .

لا يستطيع عقلك المحدود ، أن يأخذ منها ، إلا بعض قطرات .

ثم يمتليء .

ولكن ؛

فلتكن أنت قطرة من هذا البحر .

فتتكلم بلسان البحر كله .

الصفاء

القليل من السواد ، يظهر في الثوب الأبيض النظيف !

أما الثوب الأسود - الذي اسود من الوسخ لسنوات عديدة ، وافتقد كل بياضه - فلو صببت عليه ألف نوع من الوسخ ، لما ظهر .

فهذا مثل ، ضربناه لأهل الله تعالى .

منهم أصفياء القلوب .

فكل الأشياء تظهر فيه ، وتؤثر عليه .

فلو جلس أمامه رجل يفكر في الطعام ، أو في امرأة ، أو في غيرها ، ينتقل هذا التفكير إليه في الحال ، فيعلم فيم يفكر من جلس أمامه .

فهو كالمرآة الصافية .

ينطبع فيها كل من وقف أمامها .

النجوم

((أصحابي كالنجوم))(١) .

تقع الهداية بالنظر إلى النجوم ، وبالنظر فقط وبدون الكلام .

وذلك لبعد النجوم ، وشدة نورها .

فأولياء الحق ، يتصرفون فيك بدون كلام .

بل بمجرد النظر إليهم .

فمن شاء فلينظر إليّ فمنظري نذير إلى من ظن أن الهوى سهل

١- رواه عبد بن حميد في مسنده عن ابن عمر والدارقطني في غرائب مالك عن جابر وذكره البزار عن عمر ومن حديث أنس أيضاً ورواه القضاعي في مسند الشهاب له عن أبي هريرة ورواه أبو ذر الهروي في كتاب السنة عن الضحاك بن مزاحم منقطعاً . وفي الباب بلفظ : " النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد؛ وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون؛ وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون " رواه أحمد في مسنده وصحيح مسلم عن أبي موسى .

والأخطاء

الأنبياء والأولياء ، بعد المجاهدة العظيمة ، يصيروا في مقام يكشف لهم فيه الخاطيء والصحيح ، فيميزون بين الخطأ والصواب .

والخلق يفعلون الأشياء كلها على نحو خاطيء .

وهذه مجاهدة عظيمة أيضا من الأنبياء والأولياء ، إذ يرون ذلك ، ويتحملون .

لأنهم إذا صرحوا للخلق بأخطائهم ، فسينفض جميع الخلق عنهم .

ولكن الحق منحهم قدرة عظيمة ، وصبرا على التحمل .

من مائة خطأ ، يذكرون خطأ واحدا ، لكى لا يشق ذلك على الخلق .

ويخفون بقية الأخطاء .

بل ويمدحونهم على أخطائهم ، حتى يدفعوا عنهم هذه الأخطاء بالتدريج ، واحداً إثر آخر .

الإرادة و الرضى

الله تعالى مريد للخير والشر . ولا يرضى إلا بالخير .

والله تعالى يريد الأمر والنهي .

والأمر : لا يصلح إلا إذا كان المأمور كارها لما أُمِر به طبعا .

فلا يقال : كل الحلوى والشواء يا جائع ، إلا على وجه التكريم ، لا الأمر. والنهي : لا يصلح إلا عن شيء يرغب فيه الإنسان .

فلا يقال : لا تأكل الحجر والشوك ، ولو قيل فلا يسمى نهيا .

فلا بد لصحة الأمر بالخير ، والنهى عن الشر ، من نفس راغبة إلى الشر، وراغبة عن الخير بالطبع .

ومن أراد التدريس ، فهو يريد جهل المتعلم ، حتى يعمل فيه التدريس ، ولكنه لا يرضى بجهله .

وكذا الطبيب ، يريد مرضى الناس ، ليداويهم ، ويظهر فيهم أثر طبه ، ولكن لا يرضى بمرض الناس ، وإلا لما داواهم وعالجهم .

وكذا الخباز ، يريد جوع الناس ، لحصول كسبه ومعاشه ، ولكن لا يرضى بجوعهم ، وإلا لما باع الخبز .

ولذا تجد الأمراء والفرسان ، يريدون أن يكون لسلطانهم مخالف ومعاند ، وإلا لما ظهرت رجولتهم ، لكنهم لا يرضون بالمخالف .

والله تعالى ، عفو غفور ، شديد العقاب ، وهو يريد أن تصدق عليه هذه الصفات .

فلابد من وجود الذنوب ، ليغفرها .

وأمر تعالى بالصلح والإصلاح .

ومن لوازم هذا ، وجود الخصومة .

وأمر بالكسب ، وتحصيل المال .

لأنه قال : **{وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ}**(١) .

ولا يمكن إنفاق المال ، إلا بتحصيل المال .

فالأمر بالإنفاق ، هو عين الأمر بالتحصيل .

١- آية ١٩٥ سورة البقرة .

الشكر

الشكر ، امتصاص لثدي النعمة .

والثدي - برغم امتلائه بالحليب - لا ينساب منه الحليب ، إذا لم يُمَص .

الشكر على النعم ، يورث المزيد .

والشكر على الجفاء ، يورث الحب .

الميزان ، يزن الأعمال ، من صلاة وصيام وغيرها .

أما المحبة ، فلا يتسع لها ميزان أصلاً .

الضحك

{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى}(١) .

من الناس من وفقهم الله تعالى لوجود أفراح العباد على أيديهم .

أول درجة من ذلك ، من يضحك الناس بما يرضي الله ، أو بما لا رضا فيه ولا سخط ، وهو المباح .

فإن ذلك نعت إلهي لا يشعر به . بل الجاهل يهزأ به ، ولا يقوم عنده هذا الذي يضحك الناس وزنه ، وهو المسمى في العرف مسخرة .

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعيمان ، يضحكه(٢) .

ليشاهد هذا الوصف الإلهي في مادةٍ ، فكان أعلم بما يرى .

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يسخر به ، ولا يعتقد فيه السخرية ، بل كان يشهده مجلىً إلهيا .

ومن هذه الحضرة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازح العجوز والصغير ، يباسطهم بذلك ، ويفرحهم(٣) .

١- آية ٤٣ سورة النجم .

٢- روى الإمام أحمد في مسنده وابن عساكر وابن منده عن أم سلمة أن أبا بكر خرج تاجرا إلى بصرى ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة وكلاهما بدري وكان سويبط على الزاد فجاءه نعيمان فقال أطعمني فقال لا حتى يأتي أبو بكر وكان نعيمان رجلا مضحاكا مزاحا فقال لأغيظنك فذهب إلى أناس جلبوا ظهرا فقال ابتاعوا مني غلاما عربيا فارها وهو ذو لسان ولعله يقول أنا حر فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوني لا تفسدوا عليَّ غلامي فقالوا بل نبتاعه منك بعشر قلائص فأقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها ثم قال للقوم دونكم هو هذا فجاء القوم فقالوا قد اشتريناك قال سويبط هو كاذب أنا رجل حر فقالوا قد أخبرنا خبرك وطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به فجاء أبو بكر فأخبر فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص وأخذوه فضحك منها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا . (القلائص = النوق) .

٣- قال صلى الله عليه وسلم : " إنما أنا بشر مثلكم أمازحكم " رواه ابن عساكر عن أبي جعفر الخطمي مرسلا . (الخاطمي ، وثقه ابن معين والنسائي والطبراني في تهذيب التهذيب) .

المرآة

جاء صديق ليوسف عليه السلام من سفر .

فسأله : ماذا أحضرت لي من الهدايا ؟

فقال الصديق : وأي شيء ليس عندك ، وأنت محتاج إليه .

ولكن ، لأنه لا يوجد من هو أجمل منك ، أتيت لك بمرآة .

لكى ترى فيها وجهك الجميل كل لحظة .

فأي شيء ليس عند الحق تعالى ، وهو محتاج إليه .

ينبغي أن يقدم الإنسان ، للحق تعالى ، قلباً صافيا مضيئا ، ليرى ذاته فيه : ((المؤمن مرآة المؤمن))(١) . ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))(٢) .

١- تقدم تخريجه ص ٢٩ .

٢- وأخرج أحمد ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه والحكيم عن يحيى ابن أبي كثير مرسلا . والطبراني الكبير عن أبي مالك الأشعري .

الغفلة

الدنيا قوامها الغفلة ، فلولا الغفلة ما عمرت .

هذا الصغير ، يتربى ويترعرع غافلا عن مهمات الدنيا والدين ، ولولا الغفلة ما نما نموا طبيعيا .

وترى الدنيا يعمرها الغافلون عن الدين ، المنهمكون في الدنيا .

أما من صحا منهم من هذه الغفلة ، فإنه يغدو مشمئزاً منها ، زاهداً فيها .

ووجود الإنسان في الدنيا ، مثل المزبلة .

وإنما كان عزيزا ، لأن خاتم الملك في هذه المزبلة .

الإنسان غافل عن الخاتم .

مستغرق في المزبلة .

فإذا انتبه إلى الخاتم ،

فكيف يلتفت إلى المزبلة ؟؟

النوافل

والنفل : هو كل عمل له أصل في الفرض .

وهي تتفاضل وتعلو بعلو فرائضها ، وهي عن أصلها تتولد ، وبصورته تظهر . كما ظهرنا نحن بصورة الحق ، فنحن له نافلة وهو أصلنا .

لهذا نقول فيه أنه واجب الوجود لنفسه ، ونحن واجبون الوجود به ، لا بأنفسنا ، فبهذه الدرجة يتميز عنا ، ونتميز عنه .

وما عدا النوافل يسمى عبادة مستقلة ، وسننا مبتدآت .

قال أبو حنيفة رحمه الله : النكاح أفضل نوافل الخيرات .

وذلك لأن فرضها هو توجه الله بالمحبة إلى المحدثات ، فأخرجها من العدم إلى الوجود ، فقال لها : كن ، فكانت ، وهي حالة تشبه النكاح ، فكان النكاح المفروض أفضل الفرائض ، ونافلته أفضل النوافل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حُبب إليه النساء من هذا الوجه ، وكان النكاح نصف الدين من هذا الوجه . فوجود الحق هو الفرض ، ووجود العبد نافلة عن ذلك المفروض .

وقوله تعالى : **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**(١) أي ليس كمثل مثله شيء(٢) ، وما مثله إلا من خُلِقَ على صورتِه ، فنفى سبحانه وتعالى أن يماثلك شيء ، فكيف به هو جل جلاله ؟ .

١- آية ١١ سورة الشورى .

٢- قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي في الفتوحات : **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** فأتى بكاف الصفة ، ما هي الكاف زائدة - كما ذهب إليه بعض الناس ممن لا معرفة له بالحقائق - حذراً من التشبيه - فنفى أن يماثل المثل ، غيره ، من هو مثله . فنفي المثل عن مثل المماثل ؛ نفي المثل عن المماثل ، فهذه أنوار مندرجة بعضها في بعض .

الاجتماع

المنافق ، لو جلس بين المؤمنين ، لآمن في تلك اللحظة .

{وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا}(١) .

فما بالك إذا جلس المؤمن مع المؤمن ؟

فلا شك أن للاجتماع آثاراً عظيمة ، على الروح والقلب .

ولذلك شرعت صلاة الجماعة والجُمَع ، فقال صلى الله عليه وسلم : **((صلاة الجماعة ، تفضل صلاة الفذ ، بسبع وعشرين درجة))**(٢) .

كما حث على الإجتماع فقال : **((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده))**(٣) .

١- آية ١٤ سورة البقرة . وآية ٧٦ سورة البقرة .

٢- رواه مالك وأحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] والترمذي والنسائي وابن ماجة عن ابن عمر .

٣- رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة والديلمي وابن حبان وابن عساكر وعبد بن حميد عن أبي هريرة .

الخوف و الرجاء

منهم من يخاف الحجاب ، ومنهم من يخاف رفع الحجاب .

يخاف الحجاب : لأنه أشد العذاب .

ويخاف رفع الحجاب : إذ لو رفع الحجاب لذهبت عينه قبل أن يرى الجمال المطلق .

ولما وقف صلى الله عليه وسلم على مقام الخوف ، أداه ذلك إلى أن طلب أن يكون نورا: **((واجعلني نورا))**(١) ، والله هو النور : **{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}**(٢)، فكأنه يقول : اجعلني أنت ، حتى أراك بك ، فلا تذهب عيني برؤيتك .

تعقيب :

والحاصل أن :

- صحبة من يوصل إلى الله تعالى ، ما هي إلا صحبة الله .
- والنظر إلى العارف إنما هي النظر إلى الله .

إذ لم تبق فيه بقية عليه لغير الله، فصار نورا محضا من نور الله ، قال صلى الله عليه وسلم : **((لا تمس النار مسلماً رآني ، أو رأى من رآني))(٣)** وذلك لشدة أنوارهم .

١- أخرجه مسلم عن ابن عباس برواية النضر عن شعبة .
٢- آية ٣٥ سورة النور .
٣- تقدم تخريجه ص ٤٢٦ .

إيضاح :

- **لا تبلغ مرتبة الخوف من الله :** حتى لا تخاف شيئا من الخلق ، فلا تخاف الموت لأنه مخلوق ، ولا تخاف الذنوب لأن رحمة الله تعالى أوسع منها ، ولا تخاف العالم كله إنسه وجنه وحيوانه .
- **ولا يصح لك الرجاء في الله :** حتى تقطع رجاءك من كل مخلوق.

النسبة

- النسبة ، إما إلى الله ، فهي نسبة إلهية . وإما لغير الله .
- والنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هي نسبة إلهية : **{مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ}**(١) .
- والنسبة إلى الأولياء - ورثة الأنبياء - هي نسبة إلى الله : **((من أطاع أميري ، فقد اطاعني))(٢) .**
- أما غير ذلك ، فهي نسبة دنيوية ، نَبُلُّها بِبَلالِها ، وكلها مقطوعة يوم القيامة ، بقوله تعالى : **{فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ}**(٣) ، **{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ}**(٤) .

أما النسبة الإلهية ، فهي لا تنقطع أبداً ، فالعمل لله إخلاص ، والعمل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إخلاص ، والعمل للشيخ إخلاص .

والعمل لغير ذلك ، إنما هو رياء وسمعة . قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر عليه بالليل ، وكان يقرأ القرآن ، وما شعر أبو موسى رضي الله عنه ، بمروره ، صلى الله عليه وسلم : **((والذى بعثك بالحق ، لو شعرت بك ، لحبَّرته لك تحبيراً))(٥) .**

١- آية ٨٠ سورة النساء .
٢- أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم والنسائي وأحمد وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي هريرة .
٣- آية ١٠١ سورة المؤمنون .
٤- آية ٣٤ – ٣٥ سورة عبس .
٥- تقدم تخريجه ص ١٧٧ .

المؤمن

اعلم أن المؤمن من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يموت إلا مغفوراً له ، قال الله تعالى : **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}**(١) فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، واستغفاره صلى الله عليه وسلم مقبول على كل حال ، لأمر الله تعالى إياه بذلك ، حين منعه من الاستغفار للمنافقين : **{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ}**(٢) .

ولا يموت أحد من هذه الأمة إلا شهيداً وصديقاً ، قال تعالى : **{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ}**(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم : **((مؤمنوا أمتي شهداء))(٤) .**

فكأن الله تعالى يقول للمؤمنين : إذا أذنبتم ، فاستغفروني ، لا خوفا من الذنب ، فإني قد غفرت لكم ، قبل أن تستغفروا ، ولكن احتراماً لنظر الحق تعالى ، وحبا فيه .

١- آية ١٩ سورة محمد .
٢- آية ٨٠ سورة التوبة .
٣- آية ١٩ سورة الحديد .
٤- أخرجه ابن جرير عن البراء بن عازب رضي الله عنه . وبلفظ " كلكم صِدِّيق وشهيد " أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه . وبلفظ " كل مؤمن صِدِّيق وشهيد " أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد عن مجاهد رضي الله عنه .

التكريم

هناك شيء واحد في هذا العالم ، لا ينبغي أن يُنسىَ .

إذا نسيت الأشياء كلها ، ولم تنس ذلك الشيء ، فقد ذكرت كل شيء .

ولو أنك أنجزت الأشياء كلها وتذكرتها ، ولم تنسها ، ونسيت ذلك الشيء ، فكأنك ما فعلت شيئاً .

مثل ملك أرسل أحد عبيده من أجل عمل معين ، فذهب ، فأدى مائة عمل آخر ، إلا ذلك العمل ، فهو في الحقيقة ما عمل شيئا ، واستحق سخط الملك . وهكذا الإنسان ، جاء إلى العالم من أجل عمل معين بعينه ، فإن لم يفعله ، فإنه لا يكون فعل شيئا : **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ}**(١) . انظر إلى السموات ، ولاحظ أن أعمالاً كثيرة ، ومنافعاً جسيمة ، تأتى منها ، وكذا الأرض وكذا الجبال ، وكذا كل المخلوقات سوى الإنسان ، ولكن هناك عمل أوحد لا يأتي إلا من الإنسان ، ولا يأتي من غيره : **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}**(٢) ولم يقل كرمنا السماء والأرض .

ولا تقل إذا أنا لم أفعل ذلك الفعل ، فإنني أفعل أفعالاً كثيرةً غيره ، فإن الإنسان لم يخلق من أجل تلك الأعمال الأخرى .

كما لو أنك أتيت بسيفٍ من ذهب ، لا يقدر بثمن ، فجعلته ساطوراً لقطع اللحم الفاسد ، قائلا : لن أدع هذا السيف معطلاً، سأقضي به مصالح كثيرة

١- آية ٥٦ سورة الذاريات .
٢- آية ٧٠ سورة الإسراء .

أو أتيت بقدرٍ مصنوعٍ من ذهب ، فطبخت فيه لفتاً .

الحق تعالى جعل لك قيمة عظيمة ، حيث خلقك لنفسه ، ولنفسه فقط لا لشيء آخر ، وخلق كل مافى الكون لك مسخراً لأمرك ، فأنت عنده في القيمة أثمن وأسمى من العالمين ، حتى من الجنة ، التي جعلها كلها لك .

أنت تفعل أشياءً كثيرةً ، وأعمالاً نبيلةً ، وتدرس الفقه ، والحكمة ، والمنطق ، والطب ، وغيرها ، ولكنك تفعلها كلها من أجلك ، لا من أجل الله تعالى ، لاتنس الله تعالى ، فينسيك نفسك : **{نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ}**(١) .

إن لك غذاء ، آخر سوى الأكل والنوم ، غذاء سماوي ، ولكنك شغلت بهذا القوت المادي ، وأخذت ليلا ونهارا تغذى جسمك به . وما علمت أن هذا الجسم جوادك ، وهذا العالم الوضيع اصطبلك ، وروحك هي الفارس .

غذاء الفرس ، لا يكون غذاءً للفارس . فلا تتخلف مع جوادك أيها الفارس في الاصطبل ، ولا تبيت فيه ، فتظل تأكل وتشرب من أكل الفرس وغذائه. أنت فارس غير محتاج للفرس ، لأنه سيتركك يوماً ما ، فاتركه أنت الأن ، حتى تصل بسرعة مجنون ليلى . عندما كان واعيا ، كان يسوق ناقته إلى ناحية ليلى ، وعندما يغدو لحظة مستغرقا في ليلى ، وينسى نفسه وناقته ، كانت الناقة تنتهز الفرصة فتعود إلى القرية ، وعندما يصحو المجنون ، كان يجد نفسه رجع في الطريق ، ما مشاه . وظل كذلك مدة ، وأخيراً هتف : هذه الناقة هي بلائي ، فنزل عنها ، وواصل السير مشياً ، حتى وصل .

١- آية ١٩ سورة الحشر .

الصلاة

ما يقوم به الناس من صلاة ، ليست هي الصلاة ، ولكنها قالب الصلاة . لها بداية ، وهي التكبير . ونهاية ، وهي التسليم . وكل شيء يعبر عنه بالحرف والصوت ، ويكون له أول وآخر ، يكون صورة وقالبا .

أما روحه ، فغير محدد ، ولا متناه ، بل متجدد ، لا أول له ولا آخر . فقولك الشهادة باللسان ، ليست هي الشهادة ، بل هي قالب الشهادة .

فروح الصلاة ، هي استغراق تام ، وغياب تام ، عن كل ما هو خلق .

كل العبادات ، قوالب ، فمن وقف مع القالب ، فهو لله ناسٍ ، وإن عبد مائة سنة ، فنور الحق هو روح القبلة ، والكعبة هي القبلة ، فإذا دعاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت إجابته أولى ، لظهور نور الحق فيه : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ}**(١) وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا أبي بن كعب رضي الله عنه ، وكان يصلي فلم يجبه وبعد أن انتهى ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ما منعك أن تجبني إذ دعوتك ؟ فقال : يا رسول الله إني كنت في الصلاة ، قال : أفلم تجد فيما أوحى الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ}(٢)))(٣) .**

١- آية ٢٤ سورة الأنفال .

٢- آية ٢٤ سورة الأنفال .

٣- أخرجه أبو عبيد وأحمد والدارمي والترمذي وصححه والنسائي وابن خزيمة وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والهروي في فضائل القرآن والبيهقي في سننه عن أبي هريرة . وأخرجه البخاري(حديث رقم٤٢٠٤ ،٤٣٧٠ ،٤٤٢٦ ،٤٧٢٠) وأحمد والدارمي وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن حبان وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد بن المعلى .

العدد

{وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً}(١) .

الجاذب واحد ، ولكنه يتراءى متعددا .

فالإنسان الجائع ، يقول : أريد حلوى ، أريد لحماً ، أريد فاكهةً ، أريد رطباً ، أريد أريد ، كل هذا التعدد يرجع إلى أصل واحد ، هو الجوع .

وعندما يأكل شيئاً واحداً ، ويشبع ، يقول : لا ضرورة لشيء من هذه الأشياء ، وهكذا يغدو معلوما أنها لم تكن عشرة أشياء ، ولكنها كانت شيئا واحداً . هذا التعدد للخلق فتنة ، ولا ينجو منها إلا من يرى الكل واحداً ، هو الله . لأن الله تعالى لا يراك إلا واحداً . حقيقة واحدة ثابتة .

فعندما يتسامى الإنسان عن كل هذه الأغراض ، والتعددات ، والغايات ، يتميز لك الواحد الأحد ، عن كل التعددات .

والعالم كله ، ليس سوى زبد لبحر عميق ، مليء بالجواهر . وماء البحر ، هو علوم الأولياء . أما جواهره ونفائسه ، فهي التوحيد الصرف .

فمؤسف ، أن يصل الإنسان إلى البحر ، ثم يقنع منه بالزبد ، أو بقليل الماء . بدوران أمواج البحر ، يكتسب ذلك الزبد ، المليء بالتبن ، قدراً من الجمال ، **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ}**(٢) ، فهي ليست جميلة حقاً بل

١- آية ٣١ سورة المدثر .
٢- آية ١٤ آل عمران .

إن الجمال فيها مستعار .

نعمة عظيمة ، أن يرى الإنسان الأشياء كما هي عليه ، فيرى حقائقها لا زينتها .

فالمعصية ، بعد أن غلفت بالزينة ، أغرت خلقا كثيراً ، ولو رأوها بغير زينة ، لرأوا شيئاً فظيعاً مريعاً مظلماً .

الموت ، شيء هين ، مقارنة بارتكاب المعصية .

فيظهر الشيء جميلاً ، وهو في الحقيقة قبيح .

ويظهر قبيحاً ، وهو في الحقيقة جميل .

أَظْهِر لنا يا ربنا كل شيء على الحقيقة ، حتى لا نضل .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أظهر الله له كل شيء على حقيقته .

فاتبعه ، تنجو وتسلم ، واترك رأيك مهما كان جميلاً ومضيئاً ، إلى رأيه صلى الله عليه وسلم .

وكل ضروب المحبة ، التي يكنها الإنسان للأشياء : من أب ، وأم ، وإبن، وسماء ، وأرض وحبيبة ، ونبات ، وحيوان ، إنما هي ضروبٌ من محبة الحق تعالى ، وتلك الأشياء جميعاً حجب ، فهو ما أحب إلا واحداً ، ولكن تعددت الحجب ، وعندما يموت وترتفع هذه الحجب ، يرى أنه أحب واحدا.

تأتي ريح عظيمة ، فتقلع الأشجار ، وتدمر البيوت ، وتفعل الأفاعيل في الدنيا ، من قتل وإماته وإحراق ، وفي الحقيقة أن السبب واحد ، وخلق الله تعالى هذه الحجب من أجل المصلحة ، لأن جمال الحق لو ظهر دون حجاب ، لما كانت لدينا القدرة على تحمله ، ولصعقنا قبل أن نستمتع به .

هذه الشمس البعيدة ، نمشي في ضيائها ، ونستدفيء بحرارتها ، وتُثَمِّر الأشجار ، ولها من المنافع ما لا يُعَد ، ولكن لا تستطيع النظر اليها بغير حجاب ، ولو اقتربت قليلا لاحترقت الأرض ومن عليها .

وعندما يتجلى ربنا على الجبل بحجاب ، يزدان بالأشجار والزهور والخضرة .
وعندما يتجلى له من دون حجاب ، يجعل عاليه سافله ، ويحيله إلى ذرات: **{فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا}**(١) .

١- آية ١٤٣ الأعراف .

الله أحد

((المؤمن ، مرآة المؤمن))(١) .

لا تجد إنسانا يستقبح كل الأخلاق السيئة - من ظلم ، وحقد ، وحسد وحرص، وقوة ، وكبر - وينفر منها ، عندما تكون فيه . أما عندما يجدها في شخص آخر ، فإنه ينفر منها ويتألم .

أتوا بفيل إلى عين ماء ، لكي يشرب ، فكان يرى نفسه في الماء ، فينفر .

كان يظن أنه ينفر من فيل آخر ، غير دارٍ أنه إنما ينفر من نفسه .

ومثلما تنفر أنت من أخيك ، أعذره أيضا ، إذا نفر منك ، وتأذى ، تأذيك منه .

في حضرة الحق ، لا مكان لاثنتين مِن (أنا) :

أنت تقول : أنا ، وهو يقول : أنا .

فإما أن تموت أمامه ، وإما أن يموت أمامك ، حتى لاتبقى الثنائية :

{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}(٢) .

أما أن يموت هو سبحانه ، فأمر غير ممكن ، فهو الحى الذي لا يموت .

إن للحق من اللطف والرحمة ، أنه لو كان ممكناً أن يموت من أجلك ، لمات .

فمت أنت ، حتى يتجلى عليك ، فتحيا بأنواره ، حياةً ما كنت تحلم بها .

١- سبق تخريجه ص ٢٩ .

٢- آية ٢٢ سورة الأنبياء .

القطرة من الماء ، قطرة .

فإذا ألقيت في البحر ، وامتزجت بمائه ، صارت تتكلم بلسان البحر كله .

عندما تربط طائرين حيين معا - برغم وجود التجانس بينهما ، وتحول جناحيهما إلى أربعة أجنحة - لا يطيران . لأن الثنائية قائمة . أما إذا ربطت طائراً ميتا ، بطائر حي ، فإن الطائر الحي يطير ، لأن الثنائية زالت .

عندما ينصب شخص الفخ ، ويوقع الطيور الصغيرة ليأكلها ويبيعها ، يسمى هذا مكراً .

أما إذا نصب ملك فخا ، لكي يمسك ببازٍ غير مدرب ، ولا قيمة له ، فيدربه على يده ، حتى يغدو مُعَلَّما ، مكرما ، مؤدبا ، فإن هذا لا يسمى مكرا . وبرغم أنه في الصورة الخارجية ، مكرٌ ، إلا أنه في الحقيقة عين الإكرام والعطاء والإنعام .

فحيث جعل الله تعالى المَنِيَّ إنسانا ، وصب عليه دروب البلاء ، ليجعله له حبيباً ، فهذا غاية التكريم .

فلو علم الباز ، ما سيصير إليه أمره من هذا التكريم ، لما كان في حاجة إلى الحَبِّ ، ولبحث بروحه وقلبه عن الفخ ، ولطار إلى يد الملك !!

الوحدة

إن عالم العداوة ، ضيق ، نسبةً إلى عالم المحبة .

وعالم المحبة ، ضيق أيضا ، نسبةً إلى العالم الذي وجدت منه المحبة والعداوة .

إذ المحبة والعداوة ، والإيمان والكفر ، كلها موجبة للثنائية .

فالكفر إنكار ، ولابد للمنكر ، من شخص ينكره .

والمقر ، لابد من شخص يقر له .

فالتوحيد عكس الكفر ، وكلاهما ثنائية .

أما الوحدة : فهو الوترية .

وهو عالم وراء الكفر والإيمان ، والمحبة والعداوة : **((إن الله تعالى وتر ، يحب الوتر))(١) .**

وفي عالم الوحدة ، تصير المحبة هي عين العداوة ، والعداوة هي عين المحبة ، فكلاهما حجاب . والوترية عالم بلا حجاب .

وفيه يقول الحلاج :

(أنا الله)

أي أنا فنيت ، وبقي الحق وحده .

أنا عدم ، ولا ثم إلا الله .

ومن الناس من ينكر هذا العالم .

١- تقدم تخريجه ص ١٩ .

مثل رجل قال : سمعت أن هناك كعبة ، ولكنى مهما نظرت فلا أرى الكعبة ، فلأصعد على السطح وأنظر إلى الكعبة ، وعندما علا السطح ومد عنقه ، ظل لا يرى الكعبة ، وهكذا أنكر وجود الكعبة . إن رؤيته الكعبة لا تحصل بمجرد فعل ذلك .

وكذا فناء النفس ، لا يحصل بمجرد الكلام والعلم ، ولكن له مجاهدة عظيمة ، وطريق طويل صعب .

ولو أن إنساناً قوياً ، وعنده فرس سريع ، أراد الذهاب إلى بلدٍ ما ، فأخذ طريقا خاطئا في الوصول . فإن قوته وسرعة فرسه لن تزيده إلا بعدا عن غرضه .

ولو أن إنسانا ضعيفا ، وبه عرج ، مشي في الطريق الصحيح ، فإنه سيصل ولو بعد حين .

أما الكلام ، فمجرد الكلام لا يوصل لشيء ، إذ أنه في النهاية كلام ، ولكنه يحث الناس ، ويشوقهم ليتخذوا الطريق الصحيح فحسب .

على سبيل المثال : جاء شخص لزيارتك ، فقلت له : أهلاً وسهلاً ، هما مجرد كلمتان ، ولكنهما سببا للمحبة والسرور .

وشخص آخر ، استقبلته بالسباب ، فكان ذلك سببا للبغض والعداوة .

وورد أيضا في الحديث القدسي : **((أنا الله لا إله إلا أنا ، رضائي كلام ، وغضبي كلام ، ورحمتي كلام ، وعذابي كلام))(١) .**

هذا الخبز الذي جعله الله سببا للحياة والقوة ، هو جماد . يعني ليس فيه حياة ، إذ لو فيه أية حياة ، لأحيا نفسه .

١- تقدم تخريجه ص ٤٠٩ .

*** أنت تدرك التوحيد بالعقل ***

*** أما الوحدة ، فليسجد العقل والقلب ، وبعد ذلك يكون ما يكون ***

*** فربك غير حاضر ، وغير غائب ***

*** لأنه خالق الحضور والغيبة ***

*** وعند العقل ، لا يجتمع الضدان ***

*** فليتوقف العقل ، ولا يتصرف ***

*** ها هنا لا يبقى للعقل تصرف أبعد ***

يأتي أحدهم إلى البحر ، فلا يرى سوى الماء المالح ، والتماسيح ، والأسماك .

فيقول : أين هذا الجوهر الذي يتحدثون عنه ؟

ربما لا يكون هناك أي جوهر ؟

وعجباً له ، كيف يطمع أن يحصل على الجوهر ، بمجرد رؤيته البحر .

لابد من غواص .

وليس كل غواص قادر على ذلك .

بل لابد أن يكون غواصاً ماهراً محظوظاً .

وهذه العلوم والفنون مثل من يكيل ماء البحر بالطست .

أما طريق الظفر بالجوهر ، فضرب أخر !!

الاتحاد

مراتب الإتحاد :

الأولى : صاحبها يقول : أنا المحبوب ، أو أنا الله ، أو أنا الحق ، نتيجة فناء عين التفرقة ، وبقاء أثرها .

الثانية : وصاحبها يقول : أنا ، أنا ، وهي غاية الاتحاد ، نتيجة فناء التفرقة ، عيناً وأثراً .

الثالثة : وصاحب هذه المرتبة يقول : أنا عبده(١) ، نتيجة بقاء وجود المحب بمحبوبه ، ورجوعه عن صرف الجمع ، إلى مقام التفرقة مع الجمع .

١- وهو لقب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأصالة ، وغيره بالتبعية ، كما قال تعالى في الآية ١ سورة الإسراء: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ }** ، وقال تعالى في آية ١٩ سورة الجن : **{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ }. وقال : {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}** (١٠) سورة النجم .

ولفظة (أنا عبد الله) قالها المصطفى صلى الله عليه وسلم في عدة مواضع منها :

- **يوم حنين ، حين قالها ، هزم الله المشركين :**

في المستدرك على الصحيحين للحاكم عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه : أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء ، والصبيان ، والإبل ،والغنم ، فصفوهم صفوفا ، ليكثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتقى المسلمون والمشركون ، فولى المسلمون ، مدبرين ، كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا عبد الله ورسوله) وقال : (يا معشر الأنصار ، أنا عبد الله ورسوله) فهزم الله المشركين، ولم يطعن برمح، ولم يضرب بسيف . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

- **وحديث العزل :**

في صحيح مسلم ، عن جابر بن عبدالله، قال: سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن عندي جارية لي. وأنا أعزل عنها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن ذلك لن يمنع شيئا أراده الله" قال: فجاء الرجل فقال : يا رسول الله : إن الجارية التي كنت ذكرتها لك حملت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا عبد الله ورسوله."

وفي شرح النووى على صحيح مسلم (أنا عبد الله ورسوله) معناه هنا : أن ما أقول لكم حق فاعتمدوه واستيقنوه ، فإنه سيأتي مثل فلق الصبح .

وعن هذه المرتبة الثالثة قال ابن عربي في الفتوحات :

قال تعالى : **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ}**(١) فقال ابن عباس معناه : **(ليعرفوني)**(٢). فما فسر بحقيقة ما تعطيه دلالة اللفظ ، وانما تفسيره : (ليذلّو إلي) ، ولا يذل له من لا يعرفه ، فلا بد من المعرفة به أولاً ، وانه ذو العزة التي تذل الأعزاء لها ، فلذلك عدل ابن عباس في تفسير العبادة إلى المعرفة ، هذا هو الظن به .

ولم يتحقق بهذا المقام على كماله مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان عبداً محضاً ، زاهداً في جميع الأحوال التي تخرجه عن مرتبة العبودية .

وشهد الله له بانه عبد مضاف إليه من حيث هويته ، واسمه الجامع :

- **فقال في حق اسمه : {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ}**(٣) .
- **وقال في حق هويته : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ}**(٤) .

فأسرى به عبداً .

١- آية ٥٦ سورة الذاريات .
٢- ذكر النسفي في معنى قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} أن معناه إلا ليعرفوني، ثم قال: وهذا حسن، لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده. ونقل القرطبي عن مجاهد أن معنى قوله تعالى {إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}. إلا ليعرفوني .
٣- آية ١٩ سورة الجن .
٤- آية ١ سورة الإسراء .

الطريق واحد

كل إنسان في هذه الدنيا ، مشغول بأمر من الأمور .

أحدهم مشغول بحب امرأة ، وآخر بالمال ، وثالث بالكسب ، ورابع بالعلم، كل منهم يعتقد أن سعادته وفرحته وراحته ، إنما هي في ذلك الشيء ، وحين يحصل على مطلوبه ، لا يجد فيه السعادة التي توقعها ، وعندما يبحث ثانية في شيء آخر أيضا ، لا يجد .

ولكن للحق عباد ، يرون طريق السعادة في الدنيا ، قبل يوم القيامة .

قال الإمام علي كرم الله وجهه : (لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقينا) .

وذلك مثل جماعة من الناس ، في ليلة مظلمة ، أقاموا الصلاة ، وكل منهم صلى إلى جهة ، يرى أنها القبلة .

وفي الصباح ، غيروا جميعا وجهتهم ، أما ذلك الذي كان متجها إلى القبلة الصحيحة بالليل ، فلماذا يدير وجهه ؟ والجميع قد أداروا وجوههم نحو وجهته التي كان عليها ؟

وهكذا ، فإن عباد الحق ، أولئك ظلوا متجهين إليه ، حتى في الليل ، وقد أداروا وجوههم عن كل ما سواه .

وهكذا فالقيامة عندهم ظاهرة وحاضرة .

الطاقة

قال تعالى : **{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ}**(١) .

لا نهاية للكلام ، ولكنه ينزل حسب طاقة الطالب ، واستعداده .

أرأيت كيف أن القرآن نزل ، كلمة ، كلمة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك كان يجد صلى الله عليه وسلم شدة من نزول الوحي ، فكيف لو نزل جملة واحدة : **{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}**(٢) .

إذا جئت إلى البقال ، وجدت لديه كثيرا من السكر ، لكنه يرى كم أحضرت من النقود ، وإلى الوعاء الذي جئت به ، لكم يتسع ؟ ويعطيك على قدر ذلك ، لا على قدر ما عنده من السكر .

- كل من يحمل ما فوق طاقته ، يكون ضرراً له ، قال صلى الله عليه وسلم : **((أكلِفوا من الأعمال ما تطيقون))(٣) .**
- فرعون لما فتح عليه من الدنيا ما فوق طاقته قال : أنا ربكم الأعلى .
- العشاق ، مثل المجنون وفرهاد ، عندما حملوا من الشوق والحب فوق ما يطيقون ، هاموا على وجوههم ، في الجبال والصحاري .

١- آية ٢١ سورة الحجر .

٢- آية ٢١ سورة الحشر .

٣- أخرجه البخاري ومسلم وأحمد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . ومسلم وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه . والطبراني عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

كلٌ من الله

قال تعالى : **{قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ}**(١) .

يعني أن : نسبة كل الأشياء إلى الله ، خير .

أما نسبتها إلى البشر : فمنها ما هو خير ، ومنها ما هو شر .

فالزنا والكفر والسرقة وغيرها ، شر بالنسبة للإنسان .

أما بروزها من التقدير الإلهي ، فهو خير .

كمثل ملك ، يكون لدية سجن ، ومشنقة ، وأموال ومآدب ، وخدم ، وحشم، وطبول ، وأعلام ، أما بالنسبة إلى الملك ، فهي جميعا من كمال ملكه ، أما بالنسبة إلى الخلق ، فكيف تكون الأموال ، والهدايا ، والمشنقة ، شيئا واحداً ؟؟

١- آية ٧٨ سورة النساء .

الاستغراق

عندما يحصل لعضو استغراق تام في شيء ، تستغرق فيه الأعضاء كلها ، وليس للعقل ولا للقلب ولا للروح ، قدرة على الإستغراق في شيئين : **{مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}**(١) .

وطبيعة الإستغراق : أن المستغرق لا يعود موجودا ، ولا يبقى له فعل أو حركة .

كمن يغدو غارقاً في الماء ، كل فعل يصدر عنه لا يكون فعله ، بل فعل الماء ، أما لو ضرب الماء بيديه ورجليه ، فلا يسمى مستغرقاً . ولو صرخ : آه أنا أغرق ، لما سمي هذا أيضاً استغراقاً .

استبد حب ليلى بالمجنون ، واستغرقه حبها ، حتى إنه لم يعد محتاجاً إلى رؤية ليلى بالعين ، ولا إلى سماع حديثها بالصوت ، لأنه لم يحس بأن ليلى منفصله عنه .

خيالك في عيني واسمك في فمي وذكرك في قلبي إلى أين أذهب

ومن هنا ، قال من قال : (أنا الحق) .
ويظن بعض الناس ، أنه ادعاء عظيم .
لكن (أنا الحق) على الحقيقة ، تواضع عظيم .

١- آية ٤ سورة الأحزاب .

* لأن من يقول : أنا عبد الحق *

* يثبت وجودين اثنين : أحدهما نفسه ، والآخر الله *

* أما من يقول : (أنا الحق) فقد نفى نفسه *

* كأنه يقول : (أنا عدم) ، وهو الكل *

* لا وجود إلا لله *

* وأنا – بكُلِّيَّتِي – عدم *

ملحق

عين الحياة

مقدمة

من أروع ما كُتِبَ ، وأجمل ما سُطِّرَ ، حكم ابن عطاء الله رحمه الله ، وكذلك المواقف والمخاطبات للنِّفَّري ، رحمه الله (١) .

فأحببت أن أجمع منهما باقة عطرة ، تجعل القاريء يقف على مضمون ما في الكتابين ، بغير ما إطالة أو إسهاب .

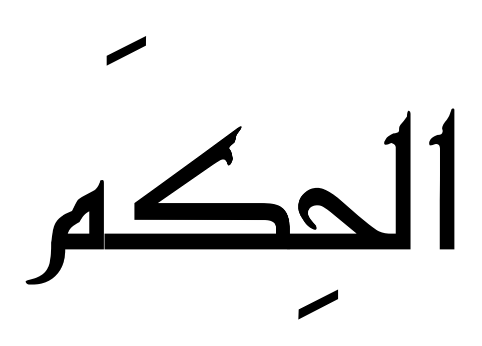
بل ويستطيع أن يحفظ هذه الألفاظ النورانية ، وتختلط بلحمه ودمه ، وروحه وعقله .

ولم أشرح هذه الحكم والمواقف ، لأن كل ما في هذا الكتاب ، هو شرح لها .

فمن قرأ الكتاب ، وانتهى إليها ، فهمها بغير شرح .

أسأل الله الكريم أن ينفع بها كل من قرأها . آمين .

١- أنظر ترجمة الشيخين الجليلين ، ابن عطاء الله والنفري رضي الله عنهما في فهرس تراجم الأعلام ، في نهاية الكتاب .



١- من علامة الاعتماد على العمل ، نقصان الرجاء عند وجود الزلل .

٢- رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً ، خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً .

٣- أنت إلى حلمه إذا أطعته ، أحوج منك إذا عصيته .

٤- تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب ، خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب .

٥- الصغيرة إذا قابلك عدله ، والكبيرة إذا واجهك فضله .

٦- أرح نفسك من التدبير ، فما قام به ، غيرك ، عنك ، لا تقم به ، أنت ، لنفسك .

٧- اجتهادك فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك ، دليل على انطماس البصيرة منك .

٨- إرادتك التجريد ، مع إقامة الله إياك في الأسباب ، من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب ، مع إقامة الله إياك في التجريد ، انحطاط عن الهمة العلية .

٩- ما ترك من الجهل شيئاً ، من أراد أن يحدث في الوقت ، غير ما أظهره الله فيه .

١٠- لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها ، فلو أرادك ، لا ستعملك من غير إخراج .

١١- حقوق في الأوقات ، يمكن قضاؤها . وحقوق الأوقات ، لا يمكن قضاؤها ، إذ ما من وقت يرد ، إلا ولله عليك فيه حق جديد ، وأمر أكيد ، فكيف تقضي فيه حق غيره ، وأنت لم تقض حق الله فيه ؟

١٢- ما من نفس تبديه ، إلا وله قدر فيك يمضيه .

١٣- من لم يقبل على الله ، بملاطفات الإحسان ، قيد إليه ، بسلاسل الامتحان .

١٤- رب عمر اتسعت آماده ، وقلت أمداده ، ورب عمر قليلة آماده ، كثيرة أمداده .

١٥- لو كنت لا تصل إليه ، إلا بعد فناء مساويك ، ومحو دعاويك ، لم تصل إليه أبدا . ولكن ، إذا أراد أن يوصلك إليه : غطى وصفك بوصفه ، ونعتك بنعته ، فوصلك إليه بما منه إليك ، لا بما منك إليه .

١٦- إذا أراد أن يظهر فضله عليك : خلق فيك ، ونسب إليك .

١٧- لا نهاية لمذامك ، إن أرجعك إليك . ولا تفرغ مدائحك ، إن أظهر جوده عليك .

١٨- من أكرمك ، إنما أكرم فيك جميل ستره ، فالحمد لمن سترك ، ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك .

١٩ـ متى أوحشك من خلقه ، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به .

٢٠ـ ما بسقت أغصان ذل ، إلا على بذر طمع .

٢١ـ ما قادك شيء مثل الوهم .

٢٢ـ أنت حر ، مما أنت عنه آيس . وعبد ، لما أنت له طامع .

٢٣ـ لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق ، إلا أن ترى أن المعطي فيهم ، مولاك .

٢٤ـ ما قل عمل ، برز من قلب زاهد ، ولا كثر عمل ، برز من قلب راغب .

٢٥ـ لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا ، يكفي من الجزاء لك على العمل ، أن كان له قابلا .

٢٦ـ كفى من جزائه إياك على الطاعة ، أن رضيك لها أهلا .

٢٧ـ كن بأوصاف ربوبيته متعلقا ، وبأوصاف عبوديتك متحققا .

٢٨ـ تحقق بأوصافك ، يمدك بأوصافه .

٢٩ـ إن أردت ورود المواهب عليك ، صحح الفقر والفاقة لديك .

٣٠ـ إذا فتح لك وجهة من التعرف ، فلا تبال معها إن قل عملك ، فإنه ما فتحها لك ، إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك ؟ والأعمال أنت مهديها إليه ؟ وأين ما تهديه إليه ؟ مما هو مورده عليك ؟

٣١ـ العطاء ، من الخلق حرمان ، والمنع ، من الله إحسان .

٣٢ـ متى أطلق لسانك بالطلب ، فاعلم أنه يريد أن يعطيك .

٣٣ـ طلبك منه ، اتهام له . وطلبك له ، غيبة ، منك ، عنه . وطلبك لغيره ، لقلة حيائك منه . وطلبك من غيره ، لوجود بعدك عنه .

٣٤ـ لا يكن تأخر أمد العطاء ، مع الإلحاح في الدعاء ، موجبا ليأسك . فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك ، لا فيما تختاره لنفسك ، وفي الوقت الذي يريد ، لا في الوقت الذي تريد .

٣٥ـ ربما دلهم الأدب ، على ترك الطلب . اعتمادا على قسمته ، واشتغالا بذكره عن مسألته .

٣٦ـ كيف يكون طلبك اللاحق ، سببا في عطائه السابق .

٣٧ـ جل حكم الأزل ، أن ينضاف إلى العلل .

٣٨ـ خير ما تطلبه منه ، ما هو طالبه منك .

٣٩ـ ما توقف مطلب ، أنت طالبه بربك . ولا تيسر مطلب ، أنت طالبه بنفسك .

٤٠ـ ليخفف ألم البلاء عليك ، علمك بأنه سبحانه هو المبتلي لك ، فالذي واجهتك منه الأقدار ، هو الذي عودك حسن الاختيار .

٤١ـ من ظن انفكاك لطفه عن قدره ، فذلك لقصور نظره .

٤٢ـ الكون كله ظلمة ، وإنما أناره ظهور الحق فيه ، فمن رأى الكون ، ولم يشهده فيه ، أو عنده ، أو قبله ، أو بعده ، فقد أعوزه وجود الأنوار ، وحجبت عنه شموس المعارف ، بسحب الآثار .

٤٣ـ أظهر كل شيء ، لأنه الباطن . وطوى وجود كل شيء ، لأنه الظاهر .

٤٤ـ الحق ، ليس بمحجوب . إنما أنت المحجوب عن النظر إليه .

٤٥ـ إنما احتجب لشدة ظهوره ، وخفي عن الأبصار لعظم نوره .

٤٦ـ ما حجبك عن الله وجود موجود معه ، ولكن حجبك عنه توهم موجود معه .

٤٧ـ إنما يستوحش العباد والزهاد ، من كل شيء ، لغيبتهم عن الله ، في كل شيء . فلو شهدوه في كل شيء ، لم يستوحشوا من شيء .

٤٨ـ أنت مع الأكوان مالم تشهد المكون ، فإذا شهدته ، كانت الأكوان معك .

٤٩ـ ليقل ما تفرح به ، يقل ما تحزن عليه .

٥٠ـ لا يشككنك في الوعد ، عدم وقوع الموعود ، وإن تعين زمنه ، لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك ، وإخمادا لنور سريرتك .

المواقف

و

المخاطبات

١- أنا العزيز الذي لا يستطاع مجاورته، ولا ترام مداومته:

أظهرت الظاهر، وأنا أظهر منه.

فما يدركني قربه، ولا يهتدي إلى وجوده.

وأخفيت الباطن، وأنا أخفى منه.

فما يقوم علي دليله، ولا يصلح إلي سبيله.

٢- إن لم تجعل كل ما أبديت وأبديه وراء ظهرك، لم تجتمع علي أبدا، كن بيني وبين ما بدا ويبدو، ولا تجعل بيني وبينك بدوا، ولا إبداء، فأنت معنى الكون كله.

٣- إن رأيت غيري، لم ترني.

٤- أنا أقرب إلى كل شيء، من معرفته بنفسه.

٥- لو نطق ناطق العز، لصمتت نواطق كل وصف، ورجعت إلى العدم مبالغ كل حرف.

٦- تعرف الذي أبديته، لا يحتمل تعرف الذي لم أبده.

٧- لا أنا التعرف، ولا أنا العلم، ولا أنا كالتعرف، ولا أنا كالعلم.

٨- ما مني شيء أقرب من شيء، وما مني شيء أبعد من شيء.

٩- القرب الذي تعرفه، في القرب الذي أعرفه، كمعرفتك في معرفتي.

١٠- أنا القريب البعيد، قربا هو البعد، وبعدا هو القرب.

١١- القرب الذي تعرفه مسافة ، والبعد الذي تعرفه مسافة ، وأنا القريب البعيد بلا مسافة .

١٢- أنا أقرب إلى اللسان ، من نطقه إذا نطق . فمن شهدني لم يذكر ، ومن ذكرني لم يشهد .

١٣- تعرفت إليك ، وما عرفتني ، ذلك هو البعد .

١٤- تراك ، وأنا أقرب إليك من رؤيتك ذلك ، هو البعد .

١٥- ما عرفني شيء . فإن كاد أن يعرفني ؛ فالواقف .

١٦- الواقف يأكل النعيم ، ولا يأكله . ويشرب الابتلاء ، ولا يشربه .

١٧- الوقفة روح المعرفة ، والمعرفة روح العلم ، والعلم روح الحياة .

١٨- كل واقف عارف ، وما كل عارف واقف .

١٩- الواقفون أهلي ، والعارفون أهل معرفتي .

٢٠- يموت جسم الواقف ، ولا يموت قلبه .

٢١- اطلب كل شيء ، عند الواقف ، تجده . واطلب الواقف ، عند كل شيء ، لا تجده .

٢٢- إذا نزل البلاء ، تخطى الواقف . ونزل على معرفة العارف ، وعلم العالم .

٢٣- الوقفة ، جواري ، وأنا غير الجوار .

٢٤- العلم لا يهدي إلى المعرفة ، والمعرفة لا تهدي إلى الوقفة ، والوقفة لا تهدي إلي .

٢٥ـ العالم في الرق ، والعارف مكاتب ، والواقف حر .

٢٦ـ الواقف فرد ، والعارف مزدوج .

٢٧ـ العارف ، يعرف ، ويعرف . والواقف ، يعرف ، ولا يعرف .

٢٨ـ الواقف ، يرث العلم ، والعمل ، والمعرفة .

٢٩ـ إحترق العلم في المعرفة ، واحترقت المعرفة في الوقفة .

٣٠ـ كل أحد له عدة ، إلا الواقف . وكل ذي عدة ، مهزوم .

٣١ـ العارف يشك في الواقف ، والواقف لا يشك في العارف .

٣٢ـ ما بلغت معرفة من لم يقف ، ولا نفع علم من لم يعرف .

٣٣ـ العالم ، يرى علمه ، ولا يرى المعرفة .

والعارف ، يرى المعرفة ، ولا يراني .

والواقف ، يراني ، ولا يرى سواي .

٣٤ـ العالم يخبر عن علمه . والعارف يخبر عن المعرفة . والواقف يخبر عني .

٣٥ـ العلم حجابي ، والمعرفة خطابي ، والوقفة حضرتي .

٣٦ـ قلب الواقف على يدي ، وقلب العارف على يد المعرفة .

٣٧ـ العارف ذو قلب ، والواقف ذو رب .

٣٨ـ الوقفة نار الكون ، والمعرفة نور الكون .

٣٩ـ إخباري للعارفين ، ووجهي للواقفين .

٤٠ـ إذا وقفت بي :

أعطيتك العلم ، فكنت أعلم به من العالمين .

وأعطيتك المعرفة ، فكنت أعرف بها من العارفين .

وأعطيتك الحكم ، فكنت أقوم به من الحاكمين .

٤١ـ طلبك مني ، وأنت لا تراني ، عبادة . وطلبك مني ، وأنت تراني ، استهزاء .

٤٢ـ آليت لا أقبلك ، وأنت ذو سبب أو نسب .

إن انتسبت ، فأنت لما انتسبت إليه ، لا ، لي .

وإن كنت لسبب ، فأنت للسبب ، لا ، لي .

خل المعرفة وراء ظهرك ، تخرج من النسب .

ودم لي في الوقفة ، تخرج من السبب .

٤٣ـ إن طلبت من سواي ، فادفن معرفتك في قبر أنكر المنكرين .

٤٤ـ قد تعلم علم المعرفة ، وحقيقتك العلم ، فلست من المعرفة .

وقد تعلم علم الوقفة ، وحقيقتك المعرفة ، فلست من الوقفة .

٤٥ـ معرفة المعارف ، هي الجهل الحقيقي ، حيث تشهد بسرك كل ، ملك ، وملكوت ، وكل سماء ، وأرض ، وبر ، وبحر ، وليل ، ونهار ، ونبي ، وملك ، وعلم ، ومعرفة ، وكلمات ، وأسماء ، وكل ما في ذلك ، وكل ما بين ذلك ، يقول : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وترى

قوله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ هو أقصى علمه، ومنتهى معرفته .

٤٦ـ إذا عرفت معرفة المعارف، جعلت العلم دابة من دوابك، وجعلت الكون كله طريقا من طرقاتك، فلم أزودك منه .

هل رأيت زاد من طريق؟ الزاد من المقر. ومقرك عندي. وزادك من مقرك. لو استضفت إليك الكون لوسعهم .

٤٧ـ إن أشأ تنكرت لتعرفني، كما عرفت به، وكيف بحكم علي علمي وأنا الحاكم به؟ إن أشأ أجهلت به، كما أعلمت به. إن لم ترني من وراء الضدين رؤية واحدة، لم تعرفني، فأنا أعارفي بجنس ما أبتلي به، وأبسط بما به أقبض، وأعطي بما به أمنع. ما أقبض إلا بما به أبسط، ولا أبسط إلا بما به أقبض، وما أحجب إلا بما به أوصل، وما أوصل إلا بما به أحجب .

٤٨ـ تعرفني لا يطالب بفراق سنتي، لكن يطالب بسنة دون سنة، وبعزيمة دون عزيمة، فاعمل بسنتي بما أشاء منك، لا بما تشاء لي، وتشاء مني، فإن عجزت في سنة دون سنة، فعذري لا يكتبك غادرا، وإن ضعفت في عزيمة دون عزيمة، فرخصتي لا تكتبك عاثرا. إنما أنظر إلى أقصى علمك، إن كان عندي، فأنا عندك .

٤٩ـ كما تدخل إلي في الصلاة، تدخل إلي في قبرك .

٥٠ـ آليت، لابد أن تمشي مع كل واحد أعماله، فإن فارقها في حياته، دخل إلي وحده، فلم

يضيق به قبره ، وإن لم يفارقها في حياته ، دخلت معه إلى قبره فضاق به . لأن أعماله لا تدخل معه علوما ، إنما تمثل له شخصا ، فتدخل معه .

٥١ـ تعلم ، ولا تسمع من العلم ، واعمل ، ولا تنظر إلى العمل .

٥٢ـ إذا أردت أن تثبت بين يدي في عملك : فقف بين يدي ، لا طلبا مني ، ولا هاربا إلي :

- إنك إن طلبت مني ، فمنعتك ، رجعت إلى الطلب ، لا إلي ، أو رجعت إلى اليأس ، لا إلى الطلب .
- وإنك إن طلبت مني فأعطيتك ، رجعت عني إلى مطلبك .
- وإن هربت إلي فأجرتك ، رجعت عني إلى الأمن من مهربك ، من خوفك .
- وأنا أريد أن أرفع الحجاب بيني وبينك .

فقف بين يدي لأني ربك ، ولا تقف بين يدي لأنك عبدي .

٥٣ـ المعرفة ، ما وجدته . والتحقيق بالمعرفة ، ما شهدته .

٥٤ـ إذا أمرتك فامض ، لما أمرتك ، ولا تنظر به علمك . إنك إن تنظر بأمري ، علم أمري ، تعص أمري .

٥٥ـ إن ذهب قلبك عني ، لم أنظر إلى عملك .

٥٦ـ إن لم أنظر إلى عملك ، طالبتك بعلمك ، وإن طالبتك بعلمك ، لم توفني بعملك .

٥٧- أوقفني في الموت ، فرأيت الأعمال كلها سيئات ، ورأيت الخوف يتحكم على الرجاء ، ورأيت الغنى قد صار نارا ولحق بالنار ، ورأيت الفقر خصما يحتج ، ورأيت كل شيء لا يقدر على شيء ، ورأيت الملك غرورا ، ورأيت الملكوت خداعا . وناديت : يا علم ، فلم يجبني ، وناديت : يا معرفة ، فلم تجبني ، ورأيت كل شيء قد أسلمني ، فما نفعني إلا رحمة ربي . وقال لي : أين عملك ؟ فرأيت النار . وقال لي : أين معرفتك ؟ فرأيت النار . وكشف عن معارفه الفردانية ، فخمدت النار . وقال لي : أنا وليك ، وأنا معرفتك ، وأنا طالبك .

٥٨- إذا بدت آيات العظمة ، رأى العارف معرفته نكرة ، وأبصر المحسن حسنته سيئة .

٥٩- إن ترددت بيني وبين شيء ، فقد عدلت بي ذلك الشيء .

٦٠- إذا رأيتني : فإن أقبلت على دنيا ، فمن غضبي .

وإن أقبلت على الآخرة ، فمن حجابي .

وإن أقبلت على العلوم ، فمن حبسي .

وإن أقبلت على المعارف ، فمن عتبي .

٦١- إذا رأيتني ، فانظر إلي ، أكن بينك وبين الأشياء . وإذا لم ترني ، فنادني لا لأظهر ، ولا لتراني ، لكن لأني أحب نداء أحبائي لي .

٦٢- إذا رأيتني ، أغنيتك الغنى الذي لا ضد له .

٦٣- إذا وقفت بين يدي، ناداك كل شيء، فاحذر أن تصغي إليه بقلبك، فإذا أصغيت إليه، فكأنك قد أجبته .

٦٤- بدنك بعد الموت، في محل قلبك قبل الموت .

٦٥- الصدق: أن لا يكذب اللسان . والصديقية: أن لا يكذب القلب . كذب اللسان: أن يقول ما لم يقل، وأن يقول ولا يفعل . وكذب القلب: استماع الكذب، وأن يعقد فلا يفعل . والتمني من كذب القلب . أسرع شيء عقوبة القلوب، كذب لا أغفر له، وكذب لا أأخذه .

٦٦- العلم، على من رآني، أضر من الجهل، على من لم يرني .

٦٧- إذا رأيتني، كانت سلامتك في الفترة، أكثر منها في العبادة . وإذا لم ترني، كانت سلامتك في العمل، أكثر منها في الفترة .

٦٨- خف حسنة، تهدم حسناتك . وخف ذنبا، يبني ذنوبك .

٦٩- شاور من لم يرني في دنياك وآخرتك، واتبع من رآني ولا تشاوره .

٧٠- إن جعلت لغيري عليك مطالبة، أشركت بي . فاهرب هربين، هربا من الغريم، وهربا من يدي .

٧١- القلب الذي يراني: محل البلاء .

٧٢- إذا رأيتني، كان بلاؤك بعدد كل شيء، وكان كل شيء بلاؤك .

٧٣- ما صرفت عنك من الحجاب بالآخرة ، أكثر وأعظم ، مما صرفته عنك من الحجاب بالدنيا .

٧٤- لي أعزاء : ما لهم عيون ، فيكون لهم دموع . ولا لهم إقبال ، فيكون لهم رجوع . وما لهم دنيا ، فتكون لهم آخرة .

٧٥- إن عبدتني لأجل شيء ، أشركت بي .

٧٦- كلما اتسعت الرؤية ، ضاقت العبارة .

٧٧- لا ترجع إلى ذكر الذنب ، فتذنب بذكر الرجوع .

٧٨- حتى متى ، لا تجمعك إلا الأقوال ؟ وحتى متى ، لا تجمعك إلا الأفعال ؟ . إن جمعتك الأقوال ، فلا قرب . وإن جمعتك الأفعال ، فلا حب .

٧٩- الليل لي ، لا للقرآن يتلى .

الليل لي ، لا للمحامد والثناء .

الليل لي ، لا للدعاء .

الليل لي ، فلا تفتح فيه أبواب قلبك ، إلا لي ، وحدي .

٨٠- أوقفني في البحر ، فرأيت المراكب تغرق ، والألواح تسلم . ثم غرقت الألواح . وقال لي : لا يسلم من ركب . خاطر من ألقى نفسه ولم يركب ، هلك من ركب وما خاطر ، في المخاطرة جزء من النجاة .

٨١- من لم يستقر في الجهل ، لم يستقر في العلم .

٨٢- إختم علمك بالجهل ، وإلا هلكت به . واختم عملك بالعلم ، وإلا هلكت به .

٨٣- المعرفة التي ما فيها جهل ، هي المعرفة التي ما فيها معرفة ، فلا أنا ما عرفت ، ولا أنا ما جهلت .

٨٤- إن بقيت للباطن عليك إمرة ، فقد بقيت للظاهر عليك فتنة .

٨٥- إذا نفيت ما سواي ، لقيتني بعدد ما خلقت ، حسنات .

٨٦- ما كل من نفى ما سواي رآني ، ومن رآني فقد نفى ما سواي .

٨٧- هيمنت الرؤية على المعرفة ، كما هيمنت المعرفة على العلم .

٨٨- المعرفة بلاء الخلق ، خصوصه وعمومه . وفي الجهل نجاة الخلق ، خصوصه وعمومه .

٨٩- إن عرفتني بمعرفة ، أنكرتني من حيث عرفتني .

٩٠- رأيت كل شيء ، وأطاعك كل شيء . ورؤيتك كل شيء بلاء ، وطاعة كل شيء لك بلاء . كله ، لا أنظر إليه ، ولا يصلح لي ، أنظر إلي ، فإني ما أنظر إلا إليك .

٩١- ما رضيتك لشيء ، ولا رضيت لك شيئا . سبحانك ، أنا أسبحك فلا تسبحني .

٩٢- احتجبت عن طائفة بنفسي ، واحتجبت عن طائفة بخلقي .

٩٣- تموت ، ولا يموت ذكري لك .

٩٤- ليس من عرفني ، منك ، كمن لم يعرفني .

٩٥- ما أنت ، لي ، في وجودك ، أوفى منك ، لي ، في عدمك .

٩٦- هبك جئتني بما أريد ، ورضيت ، كيف لك بعلمي بك ؟ لو بلوتك بما لم أبلك به ، ماذا تكون صانعا ؟ .

٩٧- كلما بدا علم ، فهو لما بين رضوان ومالك .

٩٨- إن شغلتك بدلالة الناس علي ، فقد طردتك .

٩٩- أنا ، وشيء ، لا نجتمع . وأنت ، وشيء ، لا تجتمع .

١٠٠- إن كان مأواك القبر ، فرشته لك بيدي .

وإن كان مأواك الذكر نشرت عليك ذكري .

وإن كنت أنا حسبك ، فما في قبر ، ولا ذكر .

١٠١- أنا في عين كل ناظر .

١٠٢- حصل لك كل شيء ، فأين غناك . فاتك كل شيء ، فأين فقرك .

١٠٣- ذكري ، أخص ما أظهرت . وذكري ، حجاب .

١٠٤- ما لي باب ، ولا طريق .

١٠٥- أحببت فيك البلاء : معرفتك بالبلاء ، بلاء .

إنكارك للبلاء ، بلاء .

١٠٦- اطرح ذنبك على عفوي ، وألق حسنتك على فضلي .

١٠٧- أين جعلت اسمي ، فثم ، أجعل اسمك .

١٠٨- من أنس بالحجاب الداني ، أماله إلى الحجاب القاصي .

١٠٩- تعرفي إليك بعبارة ، توطئة لتعرفي إليك بلا عبارة .

١١٠- إذا تعرفت إليك بلا عبارة ، خاطبك الحجر والمدر .

١١١- أخرج من العلم الذي ضده الجهل . ولا تخرج من الجهل الذي ضده العلم ، تجدني .

١١٢- أخرج من المعرفة التي ضدها النكرة ، تعرف ، فتستقر فيما تعرف ، فتثبت فيما تستقر ، فتشهد فيما تثبت ، فتتمكن فيما تشهد .

١١٣- العلم الذي ضده الجهل ، علم الحرف .

والجهل الذي ضده العلم ، جهل الحرف .

فاخرج من الحرف : تعلم علما لا ضد له ، وهو الرباني .

وتجهل جهلا لا ضد له ، وهو اليقين الحقيقي .

١١٤- إذا علمت علما لا ضد له ، وجهلت جهلا لا ضد له ، فلست من الأرض ، ولا من السماء . إذا لم تكن من أهل الأرض ، لم أستعملك بأعمال أهل الأرض . وإذا لم تكن من أهل السماء ، لم استعملك بأعمال أهل السماء . أعمال أهل الأرض الحرص والغفلة . فالحرص تعبدهم لنفوسهم ، والغفلة سكونهم إلى نفوسهم . وأعمال أهل السماء الذكر والتعظيم .

١١٥- لن تقف في الرؤية ، حتى ترى : حجابي رؤية ، ورؤيتي حجابا .

١١٦- من علوم الرؤية : أن تشهد صمت الكل . ومن علوم الحجاب : أن تشهد نطق الكل .

١١٧- إن جئتني بعلم -أي علم- جئتك بكل المطالبة . وإن جئتني بمعرفة -أي معرفة- جئتك بكل الحجة .

١١٨- إن لقيتني ، وبيني وبينك شيء مما بدا ، فلست مني ، ولا أنا منك .

١١٩- إعرض نفسك على لقائي في كل يوم مرة أو مرتين ، وألق ما بدا كله ، والقني وحدك ، كذا تتأهب للقائي .

١٢٠- إعرض نفسك علي في كل يوم مرة ، أحفظ نهارك . واعرض نفسك علي في كل ليلة ، أحفظ ليلك .

١٢١- إعرض نفسك علي ، في أدبار الصلوات .

١٢٢- أتدري كيف تلقاني وحدي ؟ أن ترى هدايتي لك بفضلي ، لا أن ترى عملك . وأن ترى عفوي ، لا أن ترى علمك .

١٢٣- أنظر ما به تسكن ، فإنه مضاجعك في القبر .

١٢٤- يتعلق العارف بالمعرفة ، ويدعي أنه تعلق بي . ولو تعلق بي ، هرب من المعرفة ، كما يهرب من النكرة .

١٢٥- سميت وليي : وليا ، لأن قلبه يليني دون كل شيء ، فهو بيتي الذي فيه أتكلم .

١٢٦- إما أن تدعوني فآتيك ، وإما أن أدعوك فتأتيني .

١٢٧- إذا جاء الليل ، فقف بين يدي ، وخذ بيدك الجهل ، فاصرف به عني علم السموات والأرض . فإذا صرفت ، رأيت نزولي .

١٢٨- لا يصلح لحضرتي العارف ، قد بنت سرائره قصورا في معرفته . فهو كالملك ، لا يحب أن يزول عن ملكه .

١٢٩- الواقف بحضرتي : يرى المعرفة أصناما ، ويرى العلم أزلاما . لأنه واقف بين يدي ، لا بين يدي العلوم والمعارف .

١٣٠- إذا قلت لك : قف ، فقف ، لي ، لا ، لك ، ولا ، لأخاطبك ، ولا ، لآمرك ، ولا ، لتسمع مني . بل أنظر إليك ، وتنظر إلي .

١٣١- إن لم تأكل من يدي ، وتشرب من يدي ، لم تستو على طاعتي .

١٣٢- إن أكلت من يدي ، لم تطعك جوارحك في معصيتي . إنما تطيع كل جارحة من تأكل من يده .

١٣٣- إطرح ذنبك ، تطرح جهلك .

١٣٤- إن ذكرت ذنبك ، لم تذكر ربك .

١٣٥- الذي يصدك عني في الدنيا ، هو الذي يصدك عني في الآخرة .

١٣٦- النعيم كله ، لا يعرفني . والعذاب كله ، لا يعرفني .

١٣٧- لو عرفني النعيم ، انقطع -بمعرفتي- عن النعيم .

ولو عرفني العذاب ، انقطع ـ بمعرفتي ـ عن التعذيب .

١٣٨ـ أعدى عدو لك ، إنما يحاول إخراجك من الجهل ، لا من العلم .

١٣٩ـ معناك ، أقوى من السماء والأرض .

معناك ، يبصر بلا طرف ، ويسمع بلا سمع .

معناك ، لا يسكن الديار ، ولا يأكل الثمار .

معناك ، لا يجنه الليل ، ولا يسرح بالنهار .

معناك ، لا تحيط به الألباب ، ولا تتعلق به الأسباب .

١٤٠ـ من تعرفت إليه ، توليت نعيمه بنفسي ، وتوليت عذابه بنفسي . فأمددت النعيم من نعيمه ، وأمددت العذاب من عذابه .

١٤١ـ أنظر إلى قبرك :

إن دخل معك العلم ، دخل معه الجهل .

وإن دخل معك العمل ، دخلت معه المحاسبة .

وإن دخل معك السوى ، دخل معه ضده من السوى .

أدخل إلى قبرك وحدك ، ترانى وحدى .

١٤٢ـ أخرج من العلم ، تخرج من الجهل .

واخرج من العمل ، تخرج من المحاسبة .

واخرج من الإخلاص ، تخرج من الشرك .

واخرج من الاتحاد ، إلى الواحد .

واخرج من الوحدة ، تخرج من الوحشة .

واخرج من الذكر ، تخرج من الغفلة .

واخرج من الشكر ، تخرج من الكفر .

١٤٣ـ أخرج من السوى ، تخرج من الحجاب .

واخرج من الحجاب ، تخرج من البعد .

واخرج من البعد ، تخرج من القرب .

واخرج من القرب ، ترى الله .

١٤٤ـ إن آخذتك بذنب ، آخذتك بكل ذنب ، حتى أسألك عن رجع طرفك ، وعن ضمير قلبك .

١٤٥ـ إن قبلت حسنة ، جعلت السيئات كلها حسنات .

١٤٦ـ أعلن توبتك لكل شيء ، يستغفر لك كل شيء .

١٤٧ـ تعلق بي ، فأول عارض يعترض لك الحسنات ، فإن أجبتها ، تعرضت لك السيئات .

١٤٨ـ إتبعني ، والا تلتفت يمينا على الحسنات . واتبعني ، والا تلتفت شمالا على السيئات .

١٤٩ـ ما حسنتك ، مطيتك ، فحملني . والاسيئتك ، تحجبني ، فتصدني . أنا أقرب إلى الحسنات ، من الهم بالحسنات . وأنا أقرب إلى السيئات ، من الهم بالسيئات .

١٥٠ـ كلما قويت في الجهل ، قويت في العلم .

١٥١ـ حكمي الذي يجري في كل شيء قهرا ، هو حكمي الذي يدنيك إلي طوعا .

١٥٢ـ إن وقفت والنار عن يمينك ، نظرت إليك فأطفأتها .

وإن وقفت والنار عن شمالك ، نظرت إليك فأطفأتها .

وإن وقفت والنار أمامك ، لم أنظر إليك .

لأني لا أنظر إلى من في النار .

١٥٣ـ لا أنظر إليك ، والنار أمامك ، ولا أسمع منك ، والجنة أمامك .

١٥٤ـ إنما أنت متوجه إلى ما هو أمامك ، فانظر إلى ما أنت متوجه إليه ، فهو الذي ينظر إليك ، وهو الذي تصير إليه .

١٥٥ـ أقسمت على نفسي بنفسي ، لا ترك لي تارك شيئا ، إلا آتيته ، ما ترك ، أو أزكى مما ترك .

١٥٦ـ ما أذنب مذنب ـ وهو غير واجد بي ـ إلا أصر . فإذا وجد بي ، أقلع . وما أذنب مذنب ـ وهو واجد بي ـ إلا تاب .

١٥٧ـ إن لم تنتسب إلى نسبي ، لم تنفصل عن نسب سواي .

١٥٨ـ إن لم تنقطع إلي ، فأنت من أهل الموازين . ميزان فيه ما أردت لي ، وميزان فيه ما أردت لك .

١٥٩ـ إنما أحشرك مع أبناء جنسك ، من كانوا ، وأين كانوا :

أبناء جنسك : أبناء شهوتك ، أو تركك .

وليس أبناء جنسك : أبناء عملك ، ولا أبناء معرفتك .

١٦٠ـ وكلت الظن بالعمل ، يحسن إذا حسن ، ويسوء إذا ساء .

١٦١ـ إن أنزلتني في حسنتك ، نزلت في سيئتك .

١٦٢ـ الذنب الذي أغضب منه : هو الذي أجعل عقوبته الرغبة في الدنيا . والرغبة في الدنيا ، باب إلى الكفر بي . فمن دخله أخذ من الكفر بما دخل .

١٦٣ـ أنا أولى بك من علمك . وأنا أولى بك من عملك . وأنا أولى بك من رؤيتك .

١٦٤ـ أنظر ما آتيتك من علم ومعرفة ، وما آتيتك من ذكر وموعظة ، وما آتيتك من حكمة وتبصرة ، فاجعل ذلك حرسا على أبواب قلبك ، وحجابا لسواي عنه .

١٦٥ـ إذا عراك أمر ، فكله إلي ، أكفك عقباه وعاجلته .

١٦٦ـ أنا لما عراك خير من فكرك ، وأنا على ما طرقك أقوى من دفعك .

١٦٧ـ الابتداء طاعة المحب .

١٦٨- إذا ضيعت فرض ما تعلم، فما تصنع بعلم ما تجهل .

١٦٩- لقد أستحييت من الحياء، إذ لم آمرك وأنهك، إلا من وراء حجاب .

١٧٠- لو علمت ما في الرؤية، لحزنت على دخول الجنة .

١٧١- سلني كل شيء، لأني أملك كل شيء . ولا تسألني شيئا، لأني لم أرضك لشيء .

١٧٢- أنت كل عبد، وليس كل عبد أنت .

١٧٣- لا تعتذر، فمخالفتي أعظم من العذر .

فإن تعتذر، فانظر إلى بري الذي جاء بك تعتذر .

١٧٤- من لم يرني في الدنيا، لا يراني في الآخرة .

١٧٥- قل : أعوذ بذاتك، من كل ذات . وبوجهك، من كل وجه .

١٧٦- إجعل ذنبك تحت رجليك، واجعل حسنتك تحت ذنبك .

١٧٧- نم، وأنت تراني . أميتك، وأنت تراني .

١٧٨- عكوفك على الدنيا، أحسن من عبادتك للآخرة .

١٧٩- أشركك : من استوقفه الحديث . أخلص : من استوقفه المحدث .

١٨٠- إستغن بي، تر فقر كل شيء .

١٨١- نظر القلب إلى سواي، حدثٌ، وطهوره التوبة .

١٨٢- لا تخرج بسري، فأخرج بسرك .

أنظر إلى كنفي عليك، كيف أسترك به، عن خلقي ؟

ثم انظر إلى يدي عليك ، كيف أسترك بهما ، عن كنفي ؟

ثم انظر إلى نظري إليك ، كيف أسترك به ، عن يدي ؟

ثم انظر إلي ، كيف أسترك بي ، عن نظري ؟

وكيف أسترك بنظري ، عن نفسي ؟

١٨٣ـ إن سترت ما بيني وبينك ، سترت ما بينك وبيني .

١٨٤ـ من لم يرني ، فلا علمه نفع ، ولا جهله أرتفع .

١٨٥ـ ما حجبك شيء . ولا أوصلك شيء . أنا الحاجب . وأنا الموصل .

١٨٦ـ إذا رأيتني أصرف عنك السوى ، ولا أصرفك عنه ، فسل عني العالم والجاهل . واسلك إلى الأمن والخطر . وإذا رأيتني أصرفك عن السوى ، ولا أصرفه عنك ، ففر إلي من فتنتي ، واستعذ بي من مكري .

١٨٧ـ أنا الراحم ، فلا تسبق رحمتي ذنوب المذنبين . وأنا العظيم ، فلا يستولي على معرفتي إجرام المجرمين .

١٨٨ـ وأنا الرؤوف ، فلا يحيط برأفتي إعراض المعرضين .

١٨٩ـ وأنا العواد بالجميل ، فلا يصرفني عنه غفلات الغافلين .

١٩٠ـ وأنا المنعم ، فلا يقطع نعمتي لهو اللاهين .

١٩١ـ وأنا المنان ، ما منني لأجل شكر الشاكرين .

١٩٢- وأنا الوهاب ، فلا يسلب موهبتي جحود الجاحدين .

١٩٣- وأنا القريب ، فلا تعرف قربي معارف العارفين .

١٩٤- وأنا البعيد ، فما تدرك بعدي علوم العالمين .

١٩٥- أنا الدائم ، فلا تخبر عني الآماد .

١٩٦- وأنا الواحد ، فلا تشبهني الأعداد .

١٩٧- أنا الظاهر ، فلا تراني العيون .

١٩٨- وأنا الباطن ، فلا تطيف بي الظنون .

١٩٩- أنا الودود ، فلا ينصرف وجهي ما انصرفت .

٢٠٠- وأنا الغفور ، فلا ينتظر عفوي ما اعتذرت .

فهارس عين الحياة

فهرس الآيات

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
١٨	فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ	١١٥	٢	البقرة	١٩ ، ٤٢ ، ٥٥ ، ١١٨ ، ١٥٧ ، ١٨٦ ، ٢٨٥
١٩	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ	١٢١			١٤٦
٢٠	وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى	١٢٥			٥٠٦
٢١	رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	١٢٧			٣٦١
٢٢	إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	١٣١			٢٩٧
٢٣	صِبْغَةَ اللّهِ.......... وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ	١٣٨			٢٠١
٢٤	لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ	١٤٣			٥٤٨
٢٥	فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	١٤٤			٨٥ ، ١٨٦
٢٦	فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	١٤٩			١٨٦
٢٧	فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ	١٥٠			٨٥ ، ١٨٦
٢٨	فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ	١٥٢			٩٣ ، ١٢٠ ، ١٧٤
٢٩	وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء	١٥٤			١١٢ ، ٥٠٢
٣٠	فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ	١٥٨			٥١ ، ٢٨٨
٣١	خَالِدِينَ فِيهَا	١٦٢			٥٤
٣٢	وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ	١٦٥			٢٨١
٣٣	وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ	١٨٤			٢٠٢
٣٤	يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	١٨٥			٣٦٥
٣٥	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ	١٨٦			١١٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٥٢٣
٣٦	وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ	١٩٥			٥٧٢
٣٧	رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ	٢٠١			٣٦١
٣٨	وَاذْكُرُواْ اللّهَ	٢٠٣			٢٧
٣٩	وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ	٢١٦			٢٩٩

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٤٠	إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ	٢٢٢	٢	البقرة	٣٣٩ ، ٣٤١
٤١	وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ	٢٢٨			٦٣ ، ٦٤
٤٢	وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا	٢٤٦			٣٦٩
٤٣	وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ	٢٤٨			٦٨ ، ٤٩٦
٤٤	رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ	٢٥٠			٣٦١
٤٥	وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ	٢٥١			٢٥٩ ، ٣١٨
٤٦	تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ	٢٥٣			٤٩
٤٧	وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا	٢٥٥			٤٢١
٤٨	اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ	٢٥٧			٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٠
٤٩	وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً	٢٦٨			٣٩٩
٥٠	يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء	٢٦٩			٣٩٣
٥١	تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ	٢٨١			٢٨٦
٥٢	وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ	٢٨٢			٢١٥ ، ٣٩٢ ، ٥٤٢ ، ٥٤٩ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ،
٥٣	رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً ...... رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ......	٢٨٦			٣٦١

م	الآيات - النص	الآيات - الرقم	السورة - رقم	السورة - اسم	الصفحة
٥٤	الم	١	٣	آل عمران	٥٣٤
٥٥	وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا	٧			٥٥٠
٥٦	رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ	٨			٣٦١
٥٧	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ	١٤			٢٧١ ، ٥٨٦
٥٨	رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ	١٦			٣٦١
٥٩	شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ	١٨			٣٥ ، ٢٠٤ ، ٤٦٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠
٦٠	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ	٢١			٥٤٨
٦١	وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ	٢٨ ، ٣٠			٤ ، ٣٠ ، ٥٣٣
٦٢	قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ	٣١			٢٥٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨٥
٦٣	وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى	٣٦			٨٢
٦٤	كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ	٣٧			٣٠٦
٦٥	رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء	٣٨			٣٦١ ، ٥٠٧
٦٦	وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا	٤١			٢٨
٦٧	وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ	٤٨			٣٩٢
٦٨	رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ	٥٣			٣٦٢
٦٩	وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ	٨١			١٣٢ ، ٥٤٧

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٧٠	اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ	١٠٢	٣	آل عمران	٧٠ ، ٤١٧
٧١	وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ	١٢٦			٤٢٨
٧٢	وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	١٣٤			٢٩٠
٧٣	هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ	١٣٨			١٤٥
٧٤	وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ	١٤٣			١١٤
٧٥	أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ	١٤٤			١١٤
٧٦	فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ	١٤٦			٢٨٧
٧٧	ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا	١٤٧			٣٦٢
٧٨	وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	١٤٨			٢٩٠
٧٩	مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ	١٥٢			٣٠٤
٨٠	إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ	١٥٩			٣٠٥
٨١	وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء	١٦٩			١١٣ ، ٥٠٠ ، ٥٠٣
٨٢	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ	١٧٣			٤٦٥
٨٣	وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	١٨٩			٤٢٤
٨٤	رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ	١٩٣ - ١٩٤			٣٦٢
٨٥	وَبَثَّ مِنْهُمَا ...	١	٤	النساء	٢٨٣ ، ٤٢١
٨٦	إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ	١٩			٦٢
٨٧	الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء	٣٤			٤١٢
٨٨	وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا	٤١			٥٤٧
٨٩	كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ	٥٦			٤٠١
٩٠	وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ......	٦٤			٤٩٤

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٩١	فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا	٦٥	٤	النساء	٢٩٦ ، ٢٩٧
٩٢	الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ ..... فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ	٧٦			٣٩٠
٩٣	قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ	٧٧			٤٠٦
٩٤	قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ	٧٨			٣٠١ ، ٥٤١ ، ٥٩٨
٩٥	مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ	٧٩			٣٠١ ، ٥٤١ ، ٥٤٧
٩٦	مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ	٨٠			٥٧ ، ٥٨١
٩٧	لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ	٩٥ - ٩٦			٣٦٥ ، ٣٦٦
٩٨	لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ	١٠٥			٨٤
٩٩	وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ	١١٣			٣٩٢
١٠٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ....	١٣٦			٣٨٩
١٠١	لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا	١٦٦			٥٤٧ ، ٥٤٨
١٠٢	وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	١٧	٥	المائدة	٤٢٤
١٠٣	وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	١٨			٤٢٤
١٠٤	وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ	٢٣			٣٠٥
١٠٥	ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ.......	٣٣			٤٠٢
١٠٦	وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ	٣٥			٤٩١
١٠٧	يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...... ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء	٥٤			٩٢ ، ٢٧٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٨
١٠٨	بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ	٦٤			٧٣
١٠٩	وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	٩٣			٢٩٠

م	الآيات: النص	الآيات: الرقم	السورة: رقم	السورة: اسم	الصفحة
١١٠	مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ	٩٩	٥	المائدة	٤٣٣
١١١	تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ	١١٦			٤ ، ٢٢
١١٢	إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	١١٨			١٣٣ ، ١٣٥
١١٣	رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ	١١٩			٩٢ ، ٢٦٩
١١٤	وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ	٣	٦	الأنعام	٤٤١
١١٥	وَلَهُ مَا سَكَنَ	١٣			٨٠
١١٦	قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللهِ	١٩			٢٢
١١٧	إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ	٣٦			٧٣
١١٨	يُرِيدُونَ وَجْهَهُ	٥٢			١١٨
١١٩	كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ	٥٤			٦٦
١٢٠	وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ	٥٩			١٤٢
١٢١	تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا	٦١			٩٧
١٢٢	وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ	٧٥			٤٨٩
١٢٣	الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ	٨٢			٥٣٠
١٢٤	وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ	٨٤			٤٥
١٢٥	فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ	٩٠			١٣٤
١٢٦	وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ..... قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ	٩١			١٩٥ ، ٢٦٥
١٢٧	وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ	٩٣			١١٥
١٢٨	وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ	٩٨			٢٠
١٢٩	وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ	١٢٠			٣٢٢
١٣٠	أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ	١٢٢			٥٥١
١٣١	وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ	١٥٣			٣٦٧
١٣٢	اسْجُدُواْ لآدَمَ	١١	٧	الأعراف	١٤٤
١٣٣	رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ	٢٣			٣٦٢
١٣٤	وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ	٤٣			٣٩٥
١٣٥	وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ	٤٦			٦٤
١٣٦	رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ	٨٩			٣٦٢

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
١٣٧	فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ	١١٧	٧	الأعراف	٤٧٣
١٣٨	رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ	١٢٦			٣٦٢
١٣٩	رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ..... فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً	١٤٣			١٥٠ ، ٢٩٥ ، ٥٨٨
١٤٠	يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي	١٤٤			١٥٠
١٤١	إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا	١٥٥			٢٦٨ ، ٣٦٢
١٤٢	وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ	١٥٦			٥٣ ، ٦٦
١٤٣	وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ .... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ	١٥٦ - ١٥٧			٤٥٥
١٤٤	وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ	١٦٨			٣٣٠ ، ٥٦٣
١٤٥	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا	١٧٢			٤٨ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ، ٢٩٦
١٤٦	وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ	١٨٠			٢٨
١٤٧	إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ	١٩٤			٣٠٥
١٤٨	وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ	٢٠٥			٢٨
١٤٩	وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى	١٧	٨	الأنفال	٣١ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٢٠٤ ، ٣٣٨ ، ٣٦٨ ، ٤٥٥ ، ٤٧٩
١٥٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ	٢٤			٥٨٥
١٥١	وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً	٢٥			٣١٦ ، ٤٠٣
١٥٢	إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً	٢٩			٥٤٩ ، ٥٥٥
١٥٣	وَاذْكُرُواْ اللّهَ	٤٥			٢٧
١٥٤	وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ	٤٩			٣٠٥

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
١٥٥	وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا	٦١	٨	الأنفال	٤٥٠
١٥٦	وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ	٧٢			٣٦٦
١٥٧	بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ	١	٩	التوبة	٣٥١
١٥٨	إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ	٢٨			٥٥٨
١٥٩	حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ	٢٩			٤٥٠
١٦٠	وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ	٤٩			٣٧٣
١٦١	قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا	٥١			٢٩٩
١٦٢	وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ	٥٨			٣٧٣
١٦٣	إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ	٦٠			٤٤٦
١٦٤	وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وِيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ	٦١			٣٧٣
١٦٥	وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ	٧٢			٢٦٩
١٦٦	وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ	٧٥			٣٧٣
١٦٧	اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ	٨٠			٥٨٢
١٦٨	رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ	١٠٠			٢٦٩
١٦٩	فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ	١٠٥			١٧٧
١٧٠	وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ	١٠٨			٢٨٧
١٧١	يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ	١١١			٣٦٦ ، ٣٦٧
١٧٢	فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ	١١٤			٥١٨
١٧٣	تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ	١١٨			٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩
١٧٤	لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ....رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ	١٢٨ - ١٢٩			٣٧٣
١٧٥	الر	١	١٠	يونس	٥٣٤
١٧٦	وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا	٧			١٠٣
١٧٧	وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	١٠			٢٩٠ ، ٣٦٤
١٧٨	هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم	٢٢			٥٢

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
١٧٩	لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ	٢٦	١٠	يونس	٩٧
١٨٠	إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ	٧٢			٤٠٨
١٨١	رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ	٨٥-٨٦			٣٦٢
١٨٢	فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ ..	٩٨			١٢٧
١٨٣	الر	١	١١	هود	٥٣٤
١٨٤	وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا	٦			٣١٠
١٨٥	إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ	٢٩			٤٠٨
١٨٦	إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	٣٨-٣٩			٢٦٤
١٨٧	مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا	٥٦			٣٧٠
١٨٨	أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ	٦٨			٢٦٧
١٨٩	أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ	٩٥			٢٦٧
١٩٠	وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ	١٢٣			٣٦٧ ، ٣٨٠
١٩١	الر	١	١٢	يوسف	٥٣٤
١٩٢	إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٢			٣٤٨
١٩٣	وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ	٢٤			٤٧٢
١٩٤	إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي	٨٦			٢٨٣
١٩٥	إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ	٩٥			٢٨٣
١٩٦	فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً.....	١٠١			٣٦٢
١٩٧	وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ	١٠٦			٢ ، ٢٠٤ ، ٣٢٢
١٩٨	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي	١٠٨			٢٠٧ ، ٢١١ ، ٥٤٨
١٩٩	رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا	٢	١٣	الرعد	١٦٦
٢٠٠	وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ	٨			٤٣
٢٠١	وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ	١٣			٩٢ ، ٣٧٠
٢٠٢	قُلْ سَمُّوهُمْ	٣٣			٦١
٢٠٣	فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ	٤٠			١٠٨

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٢٠٤	الر	١	١٤	إبراهيم	٥٣٤
٢٠٥	وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ	٤	١٤	إبراهيم	٣٤٨
٢٠٦	لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ	٧	١٤	إبراهيم	٢٨٨
٢٠٧	رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ	٤٠ - ٤١	١٤	إبراهيم	٣٦٢
٢٠٨	الر	١	١٥	الحجر	٥٣٤
٢٠٩	وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ	٢١	١٥	الحجر	٥٩٧ ، ٤٣
٢١٠	إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ	٤٠	١٥	الحجر	١٠٥
٢١١	إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ	٤٢	١٥	الحجر	٣٩٩
٢١٢	يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ	٢	١٦	النحل	٢٠٥
٢١٣	وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ	٨	١٦	النحل	٤٧٢
٢١٤	وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ	١٥	١٦	النحل	١٦٦
٢١٥	الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ	٣٢	١٦	النحل	٥٤٠ ، ٣٩٥
٢١٦	يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ	٥٠	١٦	النحل	٣٧٠ ، ٩٢
٢١٧	وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ	٦٨	١٦	النحل	٥٥٣
٢١٨	وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ	٧١	١٦	النحل	٤٩
٢١٩	وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ	٧٨	١٦	النحل	٥٥٣
٢٢٠	وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ......	٨١	١٦	النحل	٦٠
٢٢١	زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ	٨٨	١٦	النحل	٤٠٠
٢٢٢	فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ	٩٨	١٦	النحل	١٦٢
٢٢٣	لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ	١٠٣	١٦	النحل	٣٤٨
٢٢٤	وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ	١٢٧	١٦	النحل	٢٨٧ ، ١٠٥

م	الآيات: النص	الآيات: الرقم	السورة: رقم	السورة: اسم	الصفحة
٢٢٥	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ	١	١٧	الإسراء	٣٧٩ ، ٤٨٩ ، ٥٩٥
٢٢٦	وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ	٢٣			٥٥ ، ١٥٩ ، ٢٧٤
٢٢٧	وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ	٤٤			١٥١ ، ١٥٥ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٧ ، ٤٦٧
٢٢٨	وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ... دَاوُودَ زَبُورًا	٥٥			٤٩
٢٢٩	يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ	٥٧			٤٩١
٢٣٠	اسْجُدُواْ لآدَمَ	٦١			١٤٤
٢٣١	قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ ....إِلاَّ غُرُورًا	٦٣ - ٦٤			٣٢٤
٢٣٢	إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ	٦٥			٣٩٩
٢٣٣	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ	٧٠			٥٨٣
٢٣٤	أَقِمِ الصَّلاَةَ	٧٨			٤٤
٢٣٥	عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا	٧٩			١٨٠ ، ٥٤٦
٢٣٦	رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً	٨٠			٣٠٢ ، ٣٦٣
٢٣٧	وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً	٨٥			٣٦ ، ٥٤٨ ، ٥٥٥
٢٣٨	قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ	١١٠			٢٨
٢٣٩	رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً	١٠	١٨	الكهف	٣٦٣
٢٤٠	لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا	٢١			٥٠٧ ، ٥١٠
٢٤١	وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلا أَن يَشَاء اللَّهُ	٢٣- ٢٤			٥١
٢٤٢	يُرِيدُونَ وَجْهَهُ	٢٨			١١٨
٢٤٣	اسْجُدُواْ لآدَمَ	٥٠			١٤٤

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٢٤٤	وَمَا أنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ	٦٣	١٨	الكهف	١٦٣
٢٤٥	وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا	٦٥			٢١٥ ، ٥٤٤
٢٤٦	قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا	٦٩			٥١
٢٤٧	فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا	٧٩			١٦٣
٢٤٨	فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا	٨١			١٦٤
٢٤٩	فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا	٨٢			١٦٣
٢٥٠	قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ	١٠٩			١٥٢
٢٥١	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ	١١٠			٥٦٠
٢٥٢	كهيعص	١	١٩	مريم	٥٣٤
٢٥٣	ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا	٢			٢٩٦
٢٥٤	وَسَلامٌ عَلَيْهِ	١٥			٢٦٨
٢٥٥	وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا	٣٣			٢٦٨
٢٥٦	إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن	٤٥			٦٧ ، ٧١
٢٥٧	وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا	٥٣			٤٦
٢٥٨	تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا	٦٣			٣٩٥
٢٥٩	يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا	٨٥			٣٧٢
٢٦٠	سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا	٩٦			٢٨٢
٢٦١	الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى	٥	٢٠	طه	٢٧ ، ٧٠ ، ١٧٤ ، ٣٨٢ ، ٤٤١ ، ٤٥٠
٢٦٢	فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا	١٠			١١٩ ، ١٥٦
٢٦٣	رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي	٢٥-٢٨			١٦٨ ، ٣٦٣
٢٦٤	وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي	٤١			٢٧٨
٢٦٥	قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى	٥٠			٤٣ ، ٨٤ ، ٤٣١ ، ٤٤٦
٢٦٦	قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى	٦٦			٤٣٩ ، ٤٧٣

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٢٦٧	وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا	٦٩	٢٠	طه	٤٧٣
٢٦٨	وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى	٧٣			٤٠٧
٢٦٩	وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى	٨١			٤٠٤
٢٧٠	وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا	١١٣			٣٤٩
٢٧١	وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا	١١٤			١٧٢ ، ٣٦٣ ، ٣٨٣ ، ٥٥٠
٢٧٢	وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا	١١٥			٣٢٣
٢٧٣	اسْجُدُوا لآدَمَ	١١٦			١٤٤
٢٧٤	هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى	١١٧			٧٨ ، ٨٢
٢٧٥	فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى	١٢١			٣٧١
٢٧٦	فَتَابَ عَلَيْهِ	١٢٢			١٤٤
٢٧٧	وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا	١٣٢			٣٠٦
٢٧٨	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا	٢٢	٢١	الأنبياء	٥٨٩
٢٧٩	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ	٣٥			١١٤
٢٨٠	يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ	٦٩			١٤٩
٢٨١	وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ	٧٢			٤٥
٢٨٢	فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ.......	٧٩			٥٠ ، ٥٣٠
٢٨٣	أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ	٨٣			٢٨٨ ، ٣٦٣
٢٨٤	لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ	٨٧			٣٦٣
٢٨٥	رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ	٨٩			٣٦٣
٢٨٦	لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ	١٠٣			٢٦١
٢٨٧	أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ	١٠٥			٤٢٢
٢٨٨	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	١٠٧			١٣٢ ، ٣٥٨ ، ٤٥٦

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٢٨٩	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ	١٨	٢٢	الحج	٣٤٢
٢٩٠	فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ	٤٦			٢١١
٢٩١	وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى	٥٢			٣٨٨
٢٩٢	مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ	٧٨			٢٩٧ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢
٢٩٣	رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً......	٢٩	٢٣	المؤمنون	٣٦٣
٢٩٤	رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ	٩٧-٩٨			٣٦٣
٢٩٥	فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ	١٠١			٥٨١
٢٩٦	رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ	١١٨			٣٦٣
٢٩٧	يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	٢٤	٢٤	النور	٥٤٨
٢٩٨	الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ	٢٦			٥٥٨
٢٩٩	وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ	٣١			٣٣٧
٣٠٠	اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.... يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء	٣٥			٢١١ ، ٢٢٤ ، ٤١٥ ، ٥٧٩
٣٠١	رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ	٣٧			٦٤
٣٠٢	حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا	٣٩			٢٨٣
٣٠٣	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	٤١			٢٧٧ ، ٤٦٧
٣٠٤	وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	٤٢			٤٢٤
٣٠٥	مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ	٥٤			٤٣٣
٣٠٦	لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ	٣٢	٢٥	الفرقان	١٧٣
٣٠٧	وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ	٥٨			٣٠٦
٣٠٨	رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً	٦٥			٣٦٣
٣٠٩	فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ	٧٠			٣٤٧ ، ٥٢١
٣١٠	رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا	٧٤			٣٦٣

م	الآيات: النص	الآيات: الرقم	السورة: رقم	السورة: اسم	الصفحة
٣١١	إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ	٤	٢٦	الشعراء	٣٧١
٣١٢	فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ	٤٥			٤٧٣
٣١٣	الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ .... وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ	٧٨-٨٠			١٦٣
٣١٤	رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ	٨٣-٨٥			٣٦٣
٣١٥	وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ	١٩٢ - ١٩٥			١٤٧ ، ٢٠٥ ، ٣٤٨
٣١٦	وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ	٢١٤			١٦٥
٣١٧	الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ	٢١٨			٣٣٧
٣١٨	إِنِّي آنَسْتُ نَارًا	٧	٢٧	النمل	١١٩
٣١٩	حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ...	١٨			٤٦٧
٣٢٠	رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ	١٩			٣٦٤
٣٢١	فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ...	٢٢			٤٦٧
٣٢٢	قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ	٣٩			٣٧٤
٣٢٣	قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ	٤٠			٣٧٤
٣٢٤	وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ	٨٨			٨٦
٣٢٥	رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ	٢٤	٢٨	القصص	٣٦٤
٣٢٦	إِنِّي آنَسْتُ نَارًا	٢٩			١١٩
٣٢٧	نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ	٣٠			١٥٠
٣٢٨	وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا	٣٤			١٦٨
٣٢٩	إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ	٥٦			٤١١ ، ٤٥٢
٣٣٠	وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى	٦٠			٤٠٧

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٣٣١	وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ	٦٨	٢٨	القصص	٢٩٨
٣٣٢	وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ	٨٨			٢٢ ، ٩٦ ، ١١٨
٣٣٣	الم	١	٢٩	العنكبوت	٥٣٤
٣٣٤	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ	٤			٧٣
٣٣٥	اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ	١٢			٤٠١
٣٣٦	وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ	١٣			٤٠١
٣٣٧	فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ	١٧			٣٠٥
٣٣٨	مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ	١٨			٤٣٣
٣٣٩	وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ	٢٧			٤٥
٣٤٠	وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ	٤٣			٥٥٠
٣٤١	إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ	٤٥			١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٦٩
٣٤٢	أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ	٥١			١٤٥
٣٤٣	يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ	٥٦			١٤٠ ، ٣٧٩
٣٤٤	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ	٥٧			١١٤
٣٤٥	وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ	٦٤			١١٢ ، ٥٦١
٣٤٦	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا	٦٩			١٠٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
٣٤٧	الم	١	٣٠	الروم	٥٣٤
٣٤٨	وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً	٢١			٢٧١
٣٤٩	وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ	٢٣			٢١٢
٣٥٠	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ	٤٧			٤٨

م	الآيات - النص	الآيات - الرقم	السورة - رقم	السورة - اسم	الصفحة
٣٥١	الم	١	٣١	لقمان	٥٣٤
٣٥٢	وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ	١٠			١٦٦
٣٥٣	أَقِمِ الصَّلاةَ	١٧			٤٤
٣٥٤	إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ	١٨			٢٨٧
٣٥٥	الم	١	٣٢	السجدة	٥٣٤
٣٥٦	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً ...... لَمَّا صَبَرُوا	٢٤			٣١٨
٣٥٧	مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ	٤	٣٣	الأحزاب	٥٩٩
٣٥٨	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ.... وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا	٧			١٣٢
٣٥٩	لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ	٨			٤١٦
٣٦٠	رِجَالٌ صَدَقُوا	٢٣			٦٤
٣٦١	وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ	٣٣			٧٨
٣٦٢	وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ	٣٥			٢٧
٣٦٣	اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا	٤١			١٢٥
٣٦٤	هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ... وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا	٤٣			١٣٠ ، ١٧٤
٣٦٥	وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا	٥٢			٤٢١
٣٦٦	إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ .	٥٦			١٣٠
٣٦٧	إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	٥٧			٤١٨
٣٦٨	إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ....إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا	٧٢			٣٢ ، ٣٧٥
٣٦٩	يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ	١٠	٣٤	سبأ	١٦٧
٣٧٠	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ	٢٨			١٣٢
٣٧١	وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ	٣٩			٤٤٦
٣٧٢	إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ	٤٧			٤٠٨
٣٧٣	وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ	١٠	٣٥	فاطر	٣٥٩ ، ٤٥٩
٣٧٤	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ	١٥			٢٧٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨
٣٧٥	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء	٢٨			٥٥٠
٣٧٦	إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ	٤١			٣٤٤

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٣٧٧	مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا	٥٢	٣٦	يس	٤٣٨
٣٧٨	فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ	٥٥			١٩٩
٣٧٩	وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ	٥٩			٣٩٨
٣٨٠	وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ	١٤٧	٣٧	الصافات	٧١
٣٨١	وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ	١٦٤			٣٧٣ ، ١٢٩
٣٨٢	سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	١٨٠ - ١٨٢			٣٥٢
٣٨٣	ص وَالْقُرْآنِ	١	٣٨	ص	٣٤٤
٣٨٤	أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ	٥			٦١
٣٨٥	وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى	٢٦			٢٨٠ ، ١٥٢ ، ٤٣٥
٣٨٦	وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ	٣٠			٤٤٧
٣٨٧	فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ	٣٦			٤٧
٣٨٨	هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	٣٩			٤٧
٣٨٩	وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ	٤٣			٤٥
٣٩٠	وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا .. نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ	٤٤			٤٤٧ ، ٢٨٨
٣٩١	مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا .... مِّنَ الأَشْرَارِ	٦٢			٤٠٢
٣٩٢	مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ	٧٥			١٥٨ ، ١٣
٣٩٣	إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ	٨٣			١٠٥
٣٩٤	مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى	٣	٣٩	الزمر	٥١١ ، ٤٠٠
٣٩٥	إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ	١٠			٢٩٩
٣٩٦	الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ	١٨			١٤٩
٣٩٧	قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ	٢٨			٣٤٩
٣٩٨	إِنَّكَ مَيِّتٌ	٣٠			١١٣
٣٩٩	أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ	٣٦			٣٠٥
٤٠٠	اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا	٤٢			٩٧
٤٠١	وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ	٤٧			٤١
٤٠٢	قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ	٥٣			١١٠

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٤٠٣	لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	٦٣	٣٩	الزمر	١٤٢
٤٠٤	وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ	٦٧			١٩٥
٤٠٥	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْض	٦٨			٥٣٣
٤٠٦	الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	٧٥			٢٩٠
٤٠٧	رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ .... رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم ......وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ	٧ - ٩	٤٠	غافر	٣٦٤
٤٠٨	وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ	٧			٣٢٧ ، ٤٢٧
٤٠٩	رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ ....إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	٨			٤٢٧ ، ٤٢٨
٤١٠	وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ	٩			٣٢٦
٤١١	يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ	١٥			٢٠٥ ، ٢٠٦
٤١٢	كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ	٣٥			٢٨٧ ، ٣٨٠
٤١٣	لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ	٥٧			١٣
٤١٤	ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ	٦٠			٤٤ ، ٣٥٧
٤١٥	فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا	٨٤ - ٨٥			١٢٧ ، ١٢٨
٤١٦	كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	٣	٤١	فصلت	٣٤٩
٤١٧	ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا......	١١			٣٧٠ ، ٣٧١
٤١٨	شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	٢٠			٥٤٨
٤١٩	وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ	٢١			٤٦٧
٤٢٠	أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ	٥٣			٢٦٥ ، ٢٩٠ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٤٢١
٤٢١	إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ	٥٤			٣٣٧

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٤٦٥	فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ	٥٠	٥١	الذاريات	١٣ ، ٩٢ ، ١٩٨
٤٦٦	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ	٥٦	٥١	الذاريات	٢٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤٤٣ ، ٥٨٣ ، ٥٩٥
٤٦٧	وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ	٤٨	٥٢	الطور	٢٩٩
٤٦٨	وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى	٣	٥٣	النجم	١٠١ ، ١٥٢ ، ٣٨٨
٤٦٩	إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى	٤	٥٣	النجم	١٥٢ ، ٥٦٤
٤٧٠	فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى	١٠	٥٣	النجم	٢٠٥
٤٧١	مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى	١٧	٥٣	النجم	١٥٠ ، ١٦٤
٤٧٢	أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى	٢٤	٥٣	النجم	٢٩٨
٤٧٣	فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا	٢٩	٥٣	النجم	١٥٤
٤٧٤	الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ.... إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ	٣٢	٥٣	النجم	٥٣ ، ٢٣٠
٤٧٥	وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى	٤٢	٥٣	النجم	٤٢ ، ١١٧ ، ١٢٤
٤٧٦	وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى	٤٣	٥٣	النجم	٥٧٤
٤٧٧	فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ	١١-١٢	٥٤	القمر	٢١٤
٤٧٨	عَلَّمَ الْقُرْآنَ	٢	٥٥	الرحمن	١٤٥
٤٧٩	عَلَّمَهُ الْبَيَانَ	٤	٥٥	الرحمن	١٤٥ ، ٣٩٢
٤٨٠	وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ	٧	٥٥	الرحمن	٨٧
٤٨١	وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ	٩	٥٥	الرحمن	٤٤
٤٨٢	هَبَاء مُّنبَثًّا	٦	٥٦	الواقعة	٢٨٣
٤٨٣	لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ	٣٣	٥٦	الواقعة	٤١٣ ، ٤٤٠
٤٨٤	وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ	٨٥	٥٦	الواقعة	١١٥ ، ٣٣٧ ، ٤٠٣
٤٨٥	هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ	٣	٥٧	الحديد	٥٤ ، ٢٧٥ ، ٤٤١

م	الآيات		السورة		الصفحة
	النص	الرقم	رقم	اسم	
٥٠٠	رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ	٤	٦٠	الممتحنة	٣٦٤
٥٠١	رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	٨			٣٦٤
٥٠٢	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ	٤	٦١	الصف	٢٦٦ ، ٢٩٠
٥٠٣	ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء	٤	٦٢	الجمعة	٣٢٩ ، ٣٤٨ ، ٥٤٦ ،
٥٠٤	إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ	٦			١١٤ ، ٢٦٦
٥٠٥	وَاذْكُرُواْ اللَّهَ	١٠			٢٧
٥٠٦	إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ	١٥	٦٤	التغابن	٤٨٢
٥٠٧	فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ	١٦			٧٠ ، ٤١٧
٥٠٨	وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ	٦	٦٦	التحريم	٣٩٧
٥٠٩	الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ	٢	٦٧	الملك	١١٢
٥١٠	ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ	١	٦٨	القلم	١٦٩ ، ٣٤٤
٥١١	وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ	٤			١٦٤
٥١٢	الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ	٢٣	٧٠	المعارج	٣٨٤
٥١٣	أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا	١٥ - ١٦	٧١	نوح	٣٤٢
٥١٤	وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ	١٩	٧٢	الجن	٣ ، ١٠٤ ، ٥٩٥
٥١٥	وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا	٢٨			٧٠
٥١٦	وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا	٨	٧٣	المزمل	٢٨
٥١٧	وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً .... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ	٣١	٧٤	المدثر	٥٦٢ ، ٥٨٦
٥١٨	إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ	١٢	٧٥	القيامة	١١٧
٥١٩	إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا	٩	٧٦	الإنسان	٤٧ ، ١١٨
٥٢٠	وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا	٢٥			٢٨

م	الآيات: النص	الآيات: الرقم	السورة: رقم	السورة: اسم	الصفحة
٥٢١	قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ	٨- ٩	٧٩	النازعات	٢١١
٥٢٢	وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى	٤٠			٣٣٩
٥٢٣	يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ	٣٤ - ٣٥	٨٠	عبس	٥٨١
٥٢٤	وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ	٦	٨١	التكوير	٣٩٨
٥٢٥	ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ	٢٠			٤٥٦
٥٢٦	يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ	٦	٨٢	الإنفطار	٣٣٨
٥٢٧	كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ	٧	٨٣	المطففين	٤٩٧
٥٢٨	كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم	١٤			٣٢٥
٥٢٩	إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ	١٢	٨٥	البروج	٤٠٤
٥٣٠	وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ	١١	٨٦	الطارق	٣٥٩
٥٣١	فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا	١٥- ١٦	٨٩	الفجر	٩٠
٥٣٢	ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً	٢٨			٣٩
٥٣٣	فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا	٧- ٨	٩١	الشمس	٣٨٦
٥٣٤	إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى	٢٠	٩٢	الليل	١١٨
٥٣٥	وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى	٥	٩٣	الضحى	٥٣٢
٥٣٦	لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	٤	٩٥	التين	٣٠
٥٣٧	عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ	٥	٩٦	العلق	٣٩٢ ، ٥٥٣
٥٣٨	كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى	٦ - ٧			٤٤٦
٥٣٩	أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى	١٤			٣٣٧ ، ٤٢١
٥٤٠	كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ	١٩			١٨٥
٥٤١	وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ	٥	٩٨	البينة	٦٢
٥٤٢	رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ	٨			٢٦٩
٥٤٣	وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ	١٠	١٠٠	العاديات	٤٥٩
٥٤٤	الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ	٧	١٠٤	الهمزة	١٠٣
٥٤٥	إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ	١	١١٠	النصر	٥٣٣
٥٤٦	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ	١	١١٢	الإخلاص	١٠ ، ٤٢

فهرس الحديث

ملحوظة : تم ترتيب الأحاديث هجائيا

م	الحديث	الصفحة
٦٢	ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاما	٣٤٢
٦٣	إليك عني من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا	٣١٥
٦٤	إن ابني هذا ارتحلني ، فكرهت أن أعجله	٤٨٢
٦٥	إن أحب صلاة المرأة إلى الله فى أشد مكان فى بيتها ظلمة	٨٠
٦٦	إن أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات ، فإن كان خيرا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا	٥٠٠
٦٧	أن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار، وأن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه" .	٣٠
٦٨	إن الله إذا أحب عبده حماه من الدنيا	٢٥٨
٦٩	إن الله إذا تجلى لشيء خشع له	٢٩٣
٧٠	إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها	٣٨ ، ٢٣٠
٧١	إن الله تعالى رفيق يحب الرفق	٢٣
٧٢	إن الله تعالى عفو يحب العفو	٢٤
٧٣	إن الله تعالى : طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود	٢٤
٧٤	إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يفعلها كتبها الله عنده	٤٦٣
٧٥	إن الله تعالى كريم يحب الكرم	٤٣
٧٦	إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك	٢٦٩
٧٧	إن الله تعالى يحب أن يحمد	١٨٠
٧٨	إن الله حرم من المسلم دمه وماله ، وأن يظن به ظن السوء	٣٣٣
٧٩	إن الله جميل يحب الجمال	١٢، ٧٠ ، ٧١ ، ٢٦٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٣
٨٠	إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها	٤٨٩
٨١	إن الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم	٣٢٩ ، ٤٥٣
٨٢	إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم	٥٧٥
٨٣	إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء	٣١٧
٨٤	إن الله وتر يحب الوتر - إن الله تعالى وتر يحب الوتر	١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٥٩١

م	الحديث	الصفحة
١٠١	إن للمَلَك في الإنسان لمة ، وللشيطان لمة	٣٨٦
١٠٢	إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين	٦٧
١٠٣	إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ما يسمع من نفس من حس تلك الحجب إلا زهقت نفسه	١٢٤ ، ٤٠٣
١٠٤	إن لله عز وجل في الخلق : ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ، ولله في الخلق : أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ،	٢٢١
١٠٥	إن لله ملائكة فى الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد أعينوا عباد الله	٥٠٣
١٠٦	إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر	٤٢٩
١٠٧	إن لهذا الحجر لسانا وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق	٥٠٨
١٠٨	إن المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى والغربي فيقال: من هؤلاء فيقال هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل	٢٦٢
١٠٩	إنَّ مسح الركن اليماني والركن الأسود يحط الخطايا حطا	٥٠٩
١١٠	أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرساً من أعرابي، فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم ......شهادة خزيمة بشهادة رجلين.	٣٧٣ ، ٥٤٣
١١١	أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد على الحجر الأسود	٥٠٨
١١٢	أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى قبرا منتبذا فصف أصحابه فصلى عليه	٥١٢
١١٣	أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على قبر أم سعد بن عبادة بعد شهر	٥١٢
١١٤	إن نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة	٤٩٩
١١٥	إن هذه القلوب تصدأ	٤٠
١١٦	أنا الله لا إله إلا أنا ، رضائي كلام ، وغضبي كلام ، ورحمتي كلام ، وعذابي كلام	٤٠٩ ، ٥٩٢
١١٧	أنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر	١٨١
١١٨	أنا جليس من ذكرني	٣٨ ، ٧٧ ، ٣٨٣ ، ٥٦٥

م	الحديث	الصفحة
١١٩	أنا رجل ضرير البصر فصلِّ يا رسول الله في بيتي ، مكانا أتخذه مصلى ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين تحب أن أصلي لك ؟	٥٠٧
١٢٠	أنا سيد ولد آدم ولا فخر	١٣٢ ، ٢٩٨
١٢١	أنا عند ظن عبدي بى فليظن بى ماشاء	١٠٧ ، ٤١٦
١٢٢	أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب	٤٤٢
١٢٣	الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون	٥٠٢
١٢٤	أنتم أعلم بأمور دنياكم	٢٢٩
١٢٥	أنتم فى زمان من ترك فيه عشر ما هو عليه دخل النار، وسيأتي زمان من فعل فيه عشر ما أنتم عليه دخل الجنة	٨٧
١٢٦	انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم ، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدت عليهم الغار، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم : فقال رجل منهم :	٤٩٢
١٢٧	انظروا إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف........عام الفتق	٤٩٥
١٢٨	إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا	٢٩٣
١٢٩	إنما الأعمال بالنيات	٤٥٩
١٣٠	إنما أنا رحمة مهداة	٤٥٤
١٣١	إنما أنا قاسم ويعطي الله	٤٥٦ ، ٥٣٩
١٣٢	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٤٥٠
١٣٣	أنهم لما رجعوا من الغزو حيث فروا قالوا نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم : "بل أنتم الكرارون، أنا فئة المؤمنين " قال : فقبلنا يده	٥١٥
١٣٤	إني أراكم من خلف ظهري	١٩
١٣٥	إني حرمت الظلم على نفسي	٥٧
١٣٦	إني لأعلم آخر أهل الدنيا دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها	٣٢٨ ، ٥٢١
١٣٧	إني لما قُتلت بالأمس ، مر بي رجل من المسلمين ، فانتزع مني درعا نفيسة ، ومنزله أقصى العسكر،..............	٥٠١
١٣٨	أهل القرآن هم أهل الله وخاصته	١٤٧

م	الحديث	الصفحة
١٥٩	حجابه النور. لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه	١٢٠ ، ٤١٤
١٦٠	الحجر يمين الله	١٣٥ ، ٤٣٧
١٦١	حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات ، وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجات	٨٩
١٦٢	حديث عهد بربه	٤٨٢
١٦٣	حديث بالمعنى : إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم وليعظم الرغبة ، فإن الله عز وجل لا يتعاظمه شيء أعطاه .	٨٦
١٦٤	حديث بالمعنى : آل القرآن آل الله	٢٣٣
١٦٥	حديث بالمعنى : آل محمد كل تقي .	١٣٠
١٦٦	حديث : أنه صلى الله عليه وسلم أطعم ألفا من صاع	٤٤٤
١٦٧	حديث : أنه صلى الله عليه وسلم أكل مع المجذوم في إناء واحد	٣١٣
١٦٨	حديث : أنه صلى الله عليه وسلم شد الحجرين على بطنه من شدة الجوع	٤٤٤
١٦٩	حديث البطاقة	٥١٩
١٧٠	حديث : تأويل اللبن بالعلم	٤٣٩
١٧١	حديث : التشهد	٥٩
١٧٢	حديث : تمثل جبريل عليه السلام في صورة الصحابي دحية الكلبي .	١٩٥ ، ٤٣٩
١٧٣	حديث " جبريل له ستمائة جناح "	٤٣٩
١٧٤	حديث : دعاؤه صلى الله عليه وسلم على رعل وذكوان	٣٢٠
١٧٥	حديث : رؤيا " القيد ثبات في الدين"	٤٣٩
١٧٦	حديث بالمعنى : سد أبوبكر منافذ الحيات بقدمه	٣٠٩
١٧٧	حديث : صلاته بموسى عليه السلام في بيت المقدس	٤٤٠
١٧٨	حديث : فرضية الوتر على رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٣
١٧٩	حديث : القبضة : فإذا فيها آدم وذريته - فقال له الله ويداه مقبوضتان : إختر أيهما شئت ؟ قال : اخترت يمين ربي ، وكلتا يديه يمين مباركة . ثم بسطها ، فإذا فيها آدم وذريته فقال :	٤٤٠ ، ٥٣٨
١٨٠	حديث بالمعنى : كينونة الحق في قبلة المصلي	٤٤٢

م	الحديث	الصفحة
٢٢٢	سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى لأحد إلا لعبد من عباد الله أرجو أن أكون أنا هو	١٧١
٢٢٣	سمع الله لمن حمده	١٤١
٢٢٤	شر البلدان أسواقها	١٠٩
٢٢٥	شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل. فضرب بيده في صدري وقال: "اللهم! ثبته. واجعله هاديا مهديا"	٤٧٠
٢٢٦	شيبتنى هود وأخواتها	١٧٣ ، ٢٦٧
٢٢٧	صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة	٥٧٨
٢٢٨	الصلاة نور	١١٩
٢٢٩	صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الفجر ، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضر الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى وخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة ، قال : فأعلمنا ، أحفظنا	٥٢٩ ، ٥٣٦
٢٣٠	عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبها الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه	٤٦٨
٢٣١	عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة فى السلاسل	١٩٩
٢٣٢	العلم علمان : فعلم ثابت في القلب فذاك علم نافع ، وعلم في اللسان فذاك حجة الله على عباده	٥٣٩
٢٣٣	علماء أمتي كأنبياء بنى إسرائيل	١٠١
٢٣٤	العلماء ورثة الأنبياء – العلماء هم ورثة الأنبياء	٥٠ ، ٢٢٢ ، ٥٥١
٢٣٥	علمه بحالي يغني عن سؤالي	٢٩٧ ، ٣٠٨
٢٣٦	غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدَّى له جبريل، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه، وتقرُّ نفسه، فيرجع	٢٧٠
٢٣٧	غزوة فى البحر بعشر غزوات فى البر	٨٨
٢٣٨	فإذا تلك المرأة أم الصبي فجاءت ومعها شاة مصلية...فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أسيم : ناولني ذراعها،... وقل ذلك للرجم، فأتيت النخلات فقلت لهن الذي أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ...	٤١١
٢٣٩	فأقبل الحسن والحسين -رضي الله عنهما- عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما فصعد بهما...	٤٨٢

م	الحديث	الصفحة
٢٤٠	فانطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلى فيقال لي ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود	١٨٠
٢٤١	فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم ورجله	٥١٥
٢٤٢	فر من المجذوم فرارك من الأسد	٣١٣
٢٤٣	فكرة ساعة خير من عبادة ستين عاما	١٠٩ ، ١٦٢
٢٤٤	فلما سئل ، قال : كنت أدعو لأمتي	١٣٣
٢٤٥	في أصحابي اثني عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط	٥٣٦
٢٤٦	في الجنة سوق ليس فيه إلا الصور	٧٥ ، ٤٣٨
٢٤٧	..... فيأتون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشد فرحا من أحدكم بغائبه يقدم عليهم فيسألونه ما فعل فلان؟ وما فعلت فلانة؟ فيقولون دعوه فإنه كان فى غم الدنيا فإذا قال أو ما أتاكم ؟ قالوا: ذُهب به إلى أمة الهاوية	٤٩٩
٢٤٨	قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه، هل ؟ يعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٤٧٠
٢٤٩	قال يا رسول الله ائذن لي أن أقبل رأسك ورجليك فأذن له	٥١٦
٢٥٠	قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي ... إلى أن قال قبلوا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبي	٥١٥
٢٥١	قام لجنازة يهودي فسئل فقال : "أليست نفسا"	٥٤
٢٥٢	قبَّل أبو عبيدة يد عمر حين قدم	٥١٦
٢٥٣	قبل أبو لبابة يد رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥١٥
٢٥٤	قبَّل (ثابت) يد أنس	٥١٦
٢٥٥	قبَّل زيد بن حارثة يد ابن عباس حين أخذ ابن عباس بركابه	٥١٦
٢٥٦	قبل كعب بن مالك وصاحباه يد النبي صلى الله عليه وسلم حين تاب الله عليهم	٥١٥
٢٥٧	كان معاوية يستلم الأركان ، فقال له بن عباس رضي الله عنهما : إنه لا يستلم هذان الركنان	٥٠٩
٢٥٨	القبلة بحسنة والحسنة بعشر أمثالها	١٥٩
٢٥٩	قد أسمعت من ناجيت ..... أوقظ الوسنان ، وأطرد الشيطان	٣٠٢
٢٦٠	قد أوجبت فلا عليك أن تعمل بعدها	٥٢٢

م	الحديث	الصفحة
٢٨١	كثرة الضحك تميت القلب	٤٠
٢٨٢	كمُل من الرجال كثير	٤٣١
٢٨٣	"كن أبا خيثمة "، - رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كن أبا خيثمة "، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري	٤١٠
٢٨٤	كن أبا ذر - يا رسول الله، هذا رجل يمشي على الطريق ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم " كن أبا ذر" فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله، هو والله أبو ذر	٣٥١ ، ٤١٠
٢٨٥	كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا ؟........	٣٧٤
٢٨٦	كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فشخص بنظره إلى السماء ، ثم قال : " هذا أوان يختلس العلم	٥٣١
٢٨٧	كنا في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا على ناضح . إنما هو في أخريات الناس . قال : فضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو قال نخسه . (أراه قال) بشيء كان معه	٤٧١
٢٨٨	كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه - لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل	٤٦٩
٢٨٩	كنت نبيا وآدم بين الماء والطين	٢٠ ، ١٣٣
٢٩٠	كنت كنزا مخفيا	٥٥٩
٢٩١	كيتان	٨٨ ، ٣١١
٢٩٢	لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع الجبار فيها قدمه	٣٩٩
٢٩٣	لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن الدنيا ...... وإذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه .	٤٢٣
٢٩٤	لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم	٥١٣ ، ٥١٤
٢٩٥	لا تفضلوني	١٣٣
٢٩٦	لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله	٢٨ ، ١٢٥
٢٩٧	لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني	٤٢٦ ، ٤٥٦ ، ٥٧٩
٢٩٨	لا حاجة لي فيها	٣١٥
٢٩٩	لا شخص أغير من الله	٢٢

م	الحديث	الصفحة
٣١٨	لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها	٣٨١
٣١٩	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا	٥٣٧
٣٢٠	لو تعلمون ما في الصف الأول ما كانت إلا قرعة	٥٣٧
٣٢١	لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا	٣٠٢
٣٢٢	لو دليتم بحبل لهبط على الله	١٨٥
٣٢٣	لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها	٦٣ ، ١٥٩
٣٢٤	لو وزن إيمان الأمة بإيمان أبي بكر لوزنهم	٨٧
٣٢٥	لو يعلم المتخلفون عن صلاة العشاء وصلاة الغداة ما لهم فيهما لأتوهما ولو حبوا	٥٣٧
٣٢٦	لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه ؟ لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه	٥٣٧
٣٢٧	لو يعلم الناس من الوحدة ما أعلم ، ما سار راكب بليل وحده	٥٣٧
٣٢٨	لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء	٢١٤
٣٢٩	ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات قالوا : لم يا رسول الله ؟ قال : الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات	٣٢٨ ، ٣٤٨ ، ٥٢١
٣٣٠	ليس أحد أصبر على أذىً سمعه من الله - لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله	٢٨٨ ، ٣١٧ ، ٤١٨
٣٣١	ليس شيء خير من ألف مثله إلا الإنسان	٨٧
٣٣٢	ليس هذا ، إنما هو الشرك	٥٣٠
٣٣٣	ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده .	٥٧٨
٣٣٤	ما أصبنا من دنياكم إلا نساءكم	٦٤
٣٣٥	ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم إني رسول الله إلا عاصي الإنس والجن	٤٦٩
٣٣٦	ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ، إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن	١١٨
٣٣٧	ما تظنون أني فاعل بكم فقالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء	١٠٨
٣٣٨	ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن	٨١

م	الحديث	الصفحة
٣٥٨	من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة	٣٥٨
٣٥٩	من أطاع أميري فقد اطاعني	٥٨١
٣٦٠	من أعرف الناس بربه قال أعرفهم بنفسه	٣٥
٣٦١	من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنه ورزقه من حيث لا يحتسب	٣٠٥
٣٦٢	من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا	٢٨٤
٣٦٣	من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد	٨٨
٣٦٤	من جلس إلى قينة صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة	١٠٤
٣٦٥	من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل	١٧٠ ، ١٧١ ، ٣٥٨
٣٦٦	من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي	١٢٦ ، ٣٨٣
٣٦٧	من رآني فقد رأى الحق	٥٧ ، ٢٩١ ، ٤٣٧
٣٦٨	من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل	٢٦٩
٣٦٩	من زار قبري وجبت له شفاعتي	٥١٣
٣٧٠	من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه	٣٠٥
٣٧١	من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ....ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئا	٥٠ ، ٨٥ ، ٣٨٧ ، ٤٠١ ، ٤٦٤
٣٧٢	من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب	٣٤٣
٣٧٣	من صلى الصلاة لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت بيضاء مسفرة تقول حفظك الله	٤٦١
٣٧٤	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ،	٣٠ ، ٣٥ ، ٥٥ ، ٦١ ، ١٢٠ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ٤٧٨ ، ٥٤٥
٣٧٥	من عرف نفسه فقد عرف ربه	٣٥ ، ٣٧ ، ٦٠ ، ٤٣٠
٣٧٦	من عمل بما علم أورثه الله ما لم يعلم	٥٤٩ ، ٥٥٥

م	الحديث	الصفحة
٤١٧	يا عبادي كلكم ضال إلا من هديت، وضعيف إلا من قويت، وفقير إلا من أغنيت، فسلوني أعطكم.... ذلك بأني واحد، عذابي كلام، ورحمتي كلام، فمن أيقن بقدرتي على المغفرة فلم يتعاظم في نفسي أن أغفر له ذنوبه ولو كثرت	٤٠٩
٤١٨	يا صاحب القبر انزل من على القبر لا تؤذي صاحب القبر ولا يؤذيك	٥٠٢
٤١٩	يا محمد قف إن ربك يصلي	١٢٩
٤٢٠	يبعث الناس على نياتهم	١٠٧
٤٢١	يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق به أقتابه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه	٥٤٦
٤٢٢	ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا	٣٨٢
٤٢٣	يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح ، يذبحه نبي الله يحيى عليه السلام بين الجنة والنار	١١٢ ، ٤٣٩ ، ٤٦٦
٤٢٤	يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران – وضرب..........	٤٦٢
٤٢٥	يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه	٨٨

فهرس تراجم الأعلام

ملحوظة : في هذا الفهرس ، أوردنا أولا ترجمة سيدنا ومولانا أبو العباس أحمد التجاني ، رضي الله عنه ، وعنا به ، ثم أوردنا باقي التراجم مرتبة هجائيا .

الشيخ أبو العباس التجاني (١١٥٠- ١٢٣٠) هـ . ص ١٠٦ ، ١٩٢ .

هو شيخ الطريقة ، القطب المكتوم والختم المحمدي المعلوم الشريف العفيف أبو العباس سيدي أحمد بن الولي الشهير والعالم الكبير الإمام القدوة ، أبي عبد الله ، سيدي محمد ، بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن أبي العيد بن سالم بن أحمد بن أحمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن اسحق بن على زين العابدين بن احمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، من سيدتنا فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنها بنت سيد الوجود وقبلة الشهود سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فهو الشريف الأصل صاحب الفتح الأكبر والمقام الأفخم وهو الإمام الأعظم رضي الله عنه .
فهو الذي لم يشم له الأولياء رائحة أصلا . لأنهم دخلوا وخرجوا من باب القدرة . ومن كان في مقام القدرة لا يرى من هو في المخدع يدخل ويخرج من باب السر .
وطريقته رضي الله عنه هي التفويض مع التبري من الحول والقوة وتجريد التوحيد وتوحيد التفريد مع الحضرة في موقف العبودية لسر خاص مستمد من لحظ كمال الربوبية لا بشيء ولا لشيء .
ولد سيدي أحمد التجاني عام ١٧٣٧ ميلادية الموافق ١١٥٠هجرية بقرية عين ماضي بالجزائر .
كان رضي الله عنه كريم الأخلاق والخلال طيب النفس والفعال كثير الحياء والأدب حسن السمت طويل الصمت كثير القراءة ، معتادا للتلاوة ، يعلوه الوقار إذا سكت ، والهيبة إذا نطق .
حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين .
عندما اجتمع بالشيخ محمود الكردي سأله عن مطلبه ؟ فأجابه سيدنا رضي الله عنه بأنه القطبانية العظمى فقال له الكردي : ولك أكثر منها .
واجتمع في المدينة المنورة - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام – بسيدي محمد عبد الكريم الشهير بالسمان فأخبره بما سيئول إليه حاله وأنه هو القطب الجامع .
فتح عليه بقرية أبي سمعون واستوطن بها . وأذن له سيد الوجود صلى الله عليه وسلم في تلقين الخلق - بعد أن كان فارا منهم - وكان ذلك يقظة لا مناما .
وأخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنه هو مربيه وكافله وأنه لا يصله شيء من الله إلا على يديه وبواسطته صلى الله عليه وسلم .
ثم انتقل رضي الله عنه إلى فاس وأقام بها وأخذ يعرج في المقامات ويترقي في الدرجات حتى انتهى إلى مقام الختمية وحصل الكتمية رضي الله عنه .

وقد وصف الشيخ محيي الدين ابن عربي - في كتاب (عنقاء مغرب) له – وصف لقاء روحانيا جرى بينه وبين سيدي أبو العباس التجاني حيث قال :
((سألت الله أن أجتمع بخاتم الأولياء فأجابني واجتمعت به اجتماعا روحانيا منزها عن الزمان وكان بمدينة فاس ورأيت العلامة التي أخفاها الله فيه عن عباده وكشفها لي حتى رأيت خاتم الولاية المحمدية منه ورأيته مبتلى بالإنكار عليه لما يتحقق به في سره من العلوم اللدنية . وكان ذلك عام ٥٩٥ هـ وكنيته أبو العباس وإنه مكتوم الإسم عنهم . ثم قبلت يده الكريمة وسألته الدعاء وانصرفت)) .

ومما أشار إليه سيدي أبو العباس التجاني رضي الله عنه ، أن الله تفضل عليه به : قوله رضي الله عنه :

- من أراد منكم العلم بسند طريقتي فإن سند طريقتي أخذتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة لا في المنام .
- وقال رضي الله عنه : طريقتنا تنسخ جميع الطرق وتبطلها ولا تدخل طريقة على طريقتنا .
- وقال رضي الله عنه : أنا سيد الأولياء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ، فلا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور .
- وقال رضي الله عنه : أنا الذي إذا كان يوم القيامة ينادي مناد في الموقف يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي مددكم منه من نشأة العالم إلى الآن .
- وقال رضي الله عنه : لا مطمع لأحد في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الأكابر ما عدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- وقال رضي الله عنه : إن الله تعالى أعطاني (يعني له ولأصحابه) ما لم يعطه لأحد من الشيوخ ولا يعطيه لأحد من بعدهم أبدا فضلا منه وجودا بلا استحقاق شيء عليه سبحانه بل في سابق أزله قضى بذلك فله الحمد ومزيد من الشكر والله يرزق من يشاء بغير حساب .
- وقال رضي الله عنه : إن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة حتى الإمام المهدي إذا قام آخر الزمان يأخذ عنا ويدخل زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء .
- وقال رضي الله عنه : إن لنا مرتبة عند الله تعالى تناهت في العلو عند الله تعالى إلى حد يحرم ذكره ليس هو ما أفشيه لكم ولو صرحت به لاجتمع أهل الحق والعرفان على كفري فضلا عمن عداهم وليست هي التي ذكرت لكم بل هي من ورائها . ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يتحفظ على تغير قلبي من أصحابنا بعدم حفظ حرمة أصحابنا طرده الله تعالى عن قربه وسلبه ما منحه .
- وقال رضي الله عنه : قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أنت من الآمنين وكل من أحبك من الآمنين . أنت حبيبي وكل من أحبك حبيبي . وفقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وأصحابك أصحابي وكل من أخذ وردك فهو محرر من النار .
- وقال رضي الله عنه : إياكم ولباس حلة الأمان ، من مكر الله في الذنوب ، فإنها عين الهلاك.

ومن كلامه رضي الله عنه لمن سأل عن التصرفات بالأسرار الروحانية كالدائرة الشاذلية وأسمائها :
قال رضي الله عنه : إعلم أن التمسك بما في كتب أهل الخواص من دائرة الشاذلي رضي الله عنه وأسماء الله والحروف والجداول كله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . ما في جميعها إلا التعب والطمع ...... فإذا تجلى الله لسر عبد ملكه جميع الأسرار وألحقه بدرجة الأحرار وكان له تصرف ذاتي متى ما توجهت إرادته لأي خارق كان انخرق له في الحين إلا أن بعضهم يضيف لها كلمة ((كن)) وبعضهم بمجرد الإرادة .

ومن كلامه رضي الله عنه في كيفية تلقي الأسرار :
لله نفحات وتوقعات من الغيب يهبها لمن يشاء ، لكنه سبحانه وتعالى يبعث تلك النفحات على أيدي صور الغيب يظهرها الله متصورة في صور بعض الأولياء الأحياء أو الأموات تلقي تلك الصور بعض الأسرار التي يقع عنها الفعل والإنفعال أو بعض النفحات لمن أراد الله في النوم وفي اليقظة فينتفع بها من ألقيت إليه ويراها (أي الصورة) في صورة ولي يعرفه فيقول من نال ذلك : أعطاني سيدي (فلان) السر . ولا علم لذلك الولي بشيء مما ذكر ، ثم أن من وقع له ذلك - شرط انتفاعه في ذلك الولي - الذي جاءته الصورة على صورته – فإذا نقص تعظيمه من قلبه ، سلبه الله سره ، وتحولت عنه تلك الصورة ، فلا تأتيه أبدا ولا ينال سرا أبدا ، وبقي في ذل وإهانة .

ومن كلامه رضي الله عنه في أدب الأولياء في التصريف :
ما قام ولي في أمر باختياره ولا تصرف ولي في شيء بأمره وإرادته بل ذلك كله جارٍ على حكم مشيئة الله فإنه هو الفاعل لما يريد فكم من ولي عظيم القدر عالي المقام قد أدبر عن الكون بحيث أن لا علم له بكل ما سوى الله فإذا أراد التصرف وإظهار الكرامة على حد ما هو معروف للأولياء منه من ذلك يحكم مشيئة الله لأمر لا يعلمه غيره . قال الجنيد رضي الله عنه : لقد مشى باليقين رجال على الماء ومات بالعطش رجال أفضل منهم .

ومن كلامه رضي الله عنه عن القابلية :
إعلم أن تهيؤ المحل لقبول العلوم له مراتب أعلاها رسوخ الروح في العلم وهو المعبر عنه بمقام المعرفة بالله الذوقية العيانية المعروفة عند القوم وهي التي يشهد العبد فيها نفسه عين كل شيء وكل شيء عينه مما اتصل أو انفصل إجمالا وتفصيلا . ووصول الروح إلى هذا المطلب أصعب من الصعود إلى العرش بلاسلم بغير من انخرقت له العادة الإلهية خالية من العوائق والعلائق والوصول إلى هذا المطلب لا يتأتى إلا على يدي شيخ كامل برسوخ روحه في هذا المقام عيانا ذوقيا ووقع له من الله بصريح العبارة نصه :

(إنا أقمناك لإدخال العباد إلى حضرتنا : إما جذبا وإما سلوكا) .

ولا يفيد الإذن العام مثل قوله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة) فإن ذلك في العام للعام ، وهذا في الخاص للخاص فلابد من خصوص الإذن وإلا فلا سبيل .
ثم من شروطه كون التلميذ علم منه هذا قطعا وصار بين يديه على حالة اعتقاد على أنه إن خالفه في مثقال ذرة هلك دنيا وأخرى أو مات كافرا فوضع نفسه بين يديه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء بغير اختيار .
ومما قاله رضي الله عنه وعنا به في رساله لأحد أصحابه يرد فيها على بعض من اعترض عليه وسأله عن مورد تلك العلوم والمعارف ؟ : من أين لك هذا ؟ (يعني من أين لك تلك المعارف؟) :

لو سألوني وقالوا لي : من أين لك هذا ؟
لقلت : من عند الله .
فإن قيل لي : أ بوحي ؟ أو برؤيا ؟ أو بهاتف ؟
لقلت : دفعت في ابتداء أمري إلى الحضرة الربانية دفعة واحدة منذ أنا يافع .
فصار أولي آخري ، وآخري أولي .
وبعضي كلي ، وكلي جزئي .
فكنت أنا هو ، من حيث أنا ، لا من حيث هو .
وحينئذ لو سئلت عن ألف ألف مسألة من أهم المسائل لأجبت عنها بجواب واحد .
إذ صرت كالمصباح .
فلو شعلت مني جميع المصابيح ، ما نقصت من ضوئي شيئا . ولله الحمد .
وهذا السر ، المكتوم أوله ، الظاهر آخره ، إنما وقع لي بمحروسة فاس حين كنا نقرأ على الدقاق في السبع وعلى الشيخ الجمال في تعليم الإسم وسر الحرف وعلى الشيخ الجلماسي في صغرى السنوسي .
وكنت ذات يوم ، وهو يوم الإثنين سألتني ونحن بالجامع - تلقاء الإسطوانة التي يجلس إليها الدقاق - عن حالي .
فقلت لك : يا أخي ، الله أعلم بحالي .
فوضعتَ يدك على قلبي . فأحسستَ له خفقانا يشبه ارتعاد الورقة عند عاصف الرياح .
فقلتَ لي : أتجد لهذا ألما ؟
فقلتُ لك : لا .
فقلتَ لي : هذا شيء ستخشى عواقبه ، أو ترجى مواهبه .
ففي ذلك اليوم ، وأنا بذلك المكان ، قبل مجيئك :
هتف بي هاتف : أيا أحمد لقد بلغتَ المنى .
فاستعذتُ بالله ، وقرأت ما يسر الله من القرآن .
ثم سمعت صوتا ، وكلاما يتوقع من جميع أعضائي ، ومن كل ناحية .
ثم نظرت إلى السماء ، فوقع بصري على اسمي مكتوبا في عالم الملكوت العلوي وبإزائه : أيا أحمد ، قد بلغت المنى ، فحدِّث ولا حرج .
ثم نظرت إلى الأرض : يمينا وشمالا وخلفا وأماما ، فكذلك .
ثم فتح الله بصيرتي في الحال ، فرأيت بعيني رأسي الرجل الذي لا يحتمل كلامه الكذب (صلى الله عليه وسلم) فدنا مني ، وأخذ بعضدي الأيمن ، وأوقفني ، ووكزني بيده اليسرى بين ثديي ، وقال لي : أنت من أمثال الصحابة ، فحدث ولا حرج . فوقع في قلبي ذلك الخفقان ، وإنه لم يزل إلى الآن .
ثم وقع لي أكثر من هذا ، حين كنا في زيارة مولانا عبد السلام ابن مشيش مما يطول ذكره .
ثم تحقق لي الأمر لما توطنت وسكنت إلى أهلي .

وقال رضي الله عنه شارحا الخلوة لمن سأله عنها :
فهي خمس أربعينيات :
تأكل في الليلة الأولى ما اعتدته من الطعام وخذ قدره بالميزان ، ثم من تلك الليلة انقص كل يوم مقدار درهمين واجعل ستة أوقات للذكر :
١- في آخر النهار .
٢- وبعد صلاة الصبح .
٣- ووقت الضحى .

٤- وقبل الظهر .
٥- وبعد العصر .
٦- وبعد المغرب .

ذكرا لا يشق على النفس من أي الأذكار كان ، وحين تكمل الأربعين الأولى أخرج واعط حق الزوجة من المرة إلى المرتين ، وكذلك بعد تمام كل أربعين :

- وفي هذه الأربعين ، تذهب عنك التعلقات الدنيوية .
- وفي الأربعين الثانية ، تظهر لك الخوارق .
- وفي الأربعين الثالثة ، تسمع قلبك يقول بلسان فصيح : الله الله .
- وفي الرابعة ، ترى حين شروعك في الذكر يخرج النور من فيك ، ويحوم حول رأسك كالطائر . وربما ترى الروحانيين العلويين والسفليين .
- وفي الأربعين الخامسة ، تطلع لك ناصية التوحيد الفعلي لأفعال الله السارية في الوجود . وترى العالم جامدا ، لا حركة له ، ويد القدرة تحركه عيانا لا اعتقادا .

فحين تعثر على هذا المقام ، فأتني نخلصك منه ، لأنك لا تطيقه بنفسك ، لما فيه من التلف والغلط والسباسب .

وإذا أراد الله بك المعرفة ، فأتني ، لأنك لا تقدر على سلوك هذا ، إلا على يد شيخ كامل .

قيل له : أيُكذب عليك ؟

قال : نعم ، إذ سمعتم عني شيئا ، فزنوه بميزان الشرع ، فإن وافق ، فاعملوا به ، وإن خالف ، فاتركوه .

فلولا اتباع الشرع ما وصل من وصل ، ومن ترك الأصول حرم الوصول .

توفي رضي الله عنه عام ١٢٣٠ هـ وضريحه بمدينة فاس في المغرب .

١- الإمام أحمد ابن حنبل(١٦٤- ٢٤١) هـ. ص ١٤٥ ، ٣٣٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ .

شيخ الأمة وعالم أهل العصر أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي، الشيباني، المروزي، ثم البغدادي، أحد الأعلام ، صاحب المسند ، كان أبوه جندياً فمات شاباً أول طلب أحمد للعلم في سنة تسع وسبعين ومائة، فسمع أحمد من هشيم وإبراهيم بن سعد وطبقتهما، وكان شيخاً أسمر، مديد القامة، مخضوباً، عليه سكينة ووقار، وقد جمع ابن الجوزي أخباره في مجلد، وكذلك البيهقي وشيخ الإسلام الهروي، وكان إماماً في الحديث وضروبه، إماماً في الفقه ودقائقه، إماماً في السنة ودقائقها، إماماً في الورع وغوامضه، إماماً في الزهد وحقائقه وولد ببغداد، ونشأ بها ومات بها، ورحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، وسمع من سفيان ين عيينة وإبراهيم بن سعد ويحيى بن سعيد القطان وهشيم بن بشير ومعتمر بن سليمان وإسماعيل بن علية ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي وخلق، وروى عنه عبد الرزاق بن همام ويحيى بن آدم وأبو الوليد هشام ابن عبد الملك الطيالسي وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي والأسود بن عامر شاذان والبخاري ومسلم وأبو داود وأكثر عنه في كتاب السنن، وروى الترمذي عن أحمد بن الحسن الترمذي عنه، وروى النسائي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عنه وعن محمد بن عبد الله عنه، وروى ابن ماجه عن محمد بن يحيى الذهلي عنه وإبراهيم الحربي والأثرم وأبو بكر أحمد المروزي وعمر بن سعيد الدارمي ومحمد بن يحيى الذهلي النيسابوري وخلق لا يحصون، قال إبراهيم الحربي: أدركت ثلاثة لن ير مثلهم أبداً يعجز النساء أن يلدن مثلهم، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام ما أمثله إلا بحبل نفخ فيه روح، ورأيت بشر بن الحارث ما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً، ورأيت أحمد بن حنبل كأن الله عز وجل جمع له علم الأولين من كل صنف، يقول ما شاء ويمسك ما شاء. وعن الحسن بن العباس قال: قلت لأبي مسهر: هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الأمة أمر دينها؟، قال: لا أعلم إلا شاباً بالمشرق، يعني أحمد بن حنبل. وقال قتيبة بن سعيد: لو أدرك أحمد بن حنبل عصر الثوري والأوزاعي ومالك والليث بن سعد لكان هو المقدم، وقيل لقتيبة: يضم أحمد بن حنبل إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين، وقال يحيى بن معين: دخلت على أبي عبد الله أحمد بن حنبل فقلت له: أوصني، فقال: لا تحدث المسند إلا من كتاب، وقال علي بن المديني: قال لي سيدي أحمد بن حنبل: لا تحدث إلا من كتاب، وقال يوسف بن مسلم قال: حدث الهيثم بن جميل بحديث عن جميل بحديث عن هشيم فوهم فيه، فقيل له: خالفوك في هذا، فقال: من خالفني؟، قالوا: أحمد بن حنبل، قال: وددت أنه نقص من عمري وزيد في عمر أحمد بن حنبل، وقيل لأبي زرعة: من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟، قال: أحمد بن حنبل، حزر كتبه اليوم الذي مات فيه فبلغ اثني عشر حملاً وعدلاً، ما على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان وكل ذلك كان يحفظه من ظهر قلبه، وروي عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل إمام الحفاظ أنه قال : إذا جاء الحديث في فضائل الأعمال وثوابها وترغيبها تساهلنا في إسناده ، وإذا جاء الحديث في الحدود والكفارات والفرائض تشددنا فيه ، وقال إبراهيم بن شماس: خاض الناس فقالوا : إن وقع أمر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمن الحجة على وجه الأرض؟، فاتفقوا كلهم على أن أحمد بن حنبل حجته. وقال ابن الأهدل : كأن أحمد من خواص أصحاب الشافعي، وكان الشافعي يأتيه إلى منزله رضي الله عنهما، وكان أحمد يحفظ ألف ألف حديث، قال الربيع: كتب إليه الشافعي من مصر فلما قرأ الكتاب بكى، فسألته عن ذلك، فقال: إنه يذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه مني السلام

وقل له: إنك ستمتحن على القول بخلق القرآن فلا تجبهم، نرفع لك علماً إلى يوم القيامة، قال الربيع: فقلت له البشارة، فخلع عليَّ قميصه، وأخذت جوابه، فلما قدمت على الشافعي وأخبرته بالقميص، قال: لا نفجعك به، ولكن بله وادفع إليَّ ماءه حتى أكون شريكاً لك فيه ، وكان يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني .
قال أبو نعيم في الحلية حدثنا ظفر بن محمد حدثنا عبدالله بن إبراهيم الحريري قال : قال أبو جعفر محمد بن صالح بن دريج : قال بلال الخواص : رأيت الخضر في النوم ، فقلت له : ما تقول في بشر ؟ قال : لم يخلف بعده مثله ، قلت : ما تقول في أحمد بن حنبل ؟ قال : صِدِّيق .
وقيل أن من حضر جنازته من الرجال كانوا ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألفاً .
وأسلم يوم موته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس .
وحكي عن إبراهيم الحربي قال : رأيت بشر الحافي في النوم كأنه خارج من مسجد الرصافة وفي كمه شيء يتحرك ، فقلت : ما هذا في كمك ؟ فقال : نثر علينا لقدوم روح أحمد الدر والياقوت ، فهذا ما التقطته .
و توفي في ثاني عشر ربيع الأول بكرة الجمعة عام ٢٤١ هـ وقد تجاوز سبعاً وسبعين سنة بأيام .

٢- الشيخ زروق (٨٤٦ ـــ ٨٩٩) هـ . ص ٤٤٥ .

هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرلسي شهاب الدين أبو العباس المعروف زروق الفاسي المالكي الصوفي ولد سنة ٨٤٦ .
حبب إليه التصوف فانتظم في طريق القوم على يد الشيخ عبد الله المكي فأخذ عنه الطريقة ولازم خدمته زمانا واتفق له أنه دخل على شيخه في خلوته يوما فرأى عنده امرأتان جميلتان أحدهما عن يمينه والأخرى عن يساره وهو يلتفت إلى هذه تارة وإلى هذه تارة فقال الشيخ زروق في نفسه : إن هذا زنديق . فقال له الأستاذ : إذهب يا يهودي . فخرج من عنده فكأنه ألقي عليه سمة اليهود فصار يبكي ويتضرع إلى الله وأرسل إلى الأستاذ من يستعطفه عليه فعطف عليه وقال له بشرط أن لا يجلس معنا في بلاد أنا فيها . وقال له : يا زروق المرأتان اللتان تشبهتا عليك فهي الدنيا والآخرة فالدنيا تريد إقبالي عليها والآخرة تريد إقبالي عليها وأنا لا ألتفت إلى قولهما .
فخرج من فاس وقدم إلى مصر وأخذ الطريق على الشيخ أبو العباس الحضرمي وكان فتحه على يديه . وذاع سيطه واجتمع الخلق عليه ورويت عنه كرامات كثيرة منها أنه كان في قافلة فطلع عليهم قطاع الطرق فنهبوها وتركوهم بما يستر عوراتهم ثم أتي أحد القطاع إلى الشيخ زروق ظنا منه أنه يخبيء ذهبا تحت سرواله فأمره أن يخلعه وإلا قتله . فقال له الشيخ زروق : سبحان الله العورة يحرم علينا كشفها فتقدم البدوي إلى الشيخ زروق . فقال الشيخ زروق للأرض : ابلعيهم يا أرض فأخذتهم الأرض جميعا . فصاروا يتضرعون ويقولون تبنا فقال الشيخ زروق : أطلقيهم يا أرض ، فأطلقتهم ، فخرجوا منها وتابوا جميعا .
وله مؤلفات كثيرة منها إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين. تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في التصوف. تعليق على البخاري في ضبط الألفاظ. الجامع لجمل من الفوائد والمنافع. جمع البيان شرح أبيات الجمع للشيخ علوان. الجنة للمعتصم من البدع للسنة. حزب البركات ووسيلة الفوز والنجاة. الدر المنتخبة في الأدوية المجربة. الرحلة. سفينة النجا وظيفة الزروقية في الأوراد. شرح

أسماء الله الحسنى. شرح البسملة والحمدلة. شرح حقائق المغري. شرح المراصد لشيخه. عمدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وحوادث الوقت. فتح المواهب وكنز المطالب في الشبيه على بعض ما يتعلق بصدور المراتب. الفتوحات الرحمانية في حل ألفاظ الحكم العطائية. قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة رسالة كبيرة مطبوعة بمصر. قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة كتاب الأنس في شرح عيوب النفس لأبي عبد الرحمن السلمي. كتاب النصيحة وحث القريحة. كفاية المريد قصيدة في الكلام. الكناش. مفاتيح العز والنصر في التنبيه على ما يتعلق بحزب البحر. مفتاح الفضائل والنعم في الكلام على ما يتعلق بالحكم. النصح الأنفع. النصيحة الكافية لمن خصه الله تعالى بالعافية.
وتوفي في طرابلس الغرب سنة ٨٩٩ هـ تسع وتسعين وثمانمائة هجرية .

٣- الشيخ ابن عربي (٥٦٠ – ٦٣٨) هـ . ص ١٦٠ ، ٣٥١ ، ٤٦٤ ، ٥٢٤ ، ٥٩٥ .

هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي العارف الكبير ابن عربي ويقال ابن العربي . قال الشعراوي في كتاب نسب الخرقة : كان مجموع الفضائل مطبوع الكرم والشمائل قد فض له فضله ختام كل فن وبل له وبله رياض ماشرد من العلوم وعن نظمه عقود العقول وفصوص الفصول وحسبك بقول زروق وغيره من الفحول ذاكرين بعض فضله هو أعرف بكل فن من أهله ولد بمرسية سنة ستين وخمسمائة ونشأ بها وانتقل إلى إشبيلية سنة ثمان وسبعين ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والمشرق ودخل بغداد وحدث بها بشيء من مصنفاته وأخذ عنه بعض الحفاظ كذا ذكره ابن النجار في الذيل وقال الشيخ عبد الرؤف المناوي في طبقات الأولياء له : كان عارفاً بالآثار والسنن قوى المشاركة في العلوم أخذ الحديث عن جمع وكان يكتب الإنشاد لبعض ملوك المغرب ثم تزهد وساح ودخل الحرمين والشام وله في كل بلد دخلها مآثر انتهى وقال بعضهم برز منفرداً مؤثراً للتخلي والانعزال عن الناس ما أمكنه حتى إنه لم يكن يجتمع به إلا الأفراد ثم آثر التآليف فبرزت عنه مؤلفات لا نهاية لها تدل على سعة باعه وتبحره في العلوم الظاهرة والباطنة .

وكان المجد صاحب القاموس عظيم الاعتقاد في ابن عربي ويحمل كلامه على المحامل الحسنة وطرز شرحه للبخاري بكثير من كلامه انتهى وأقول ومما يشهد بذلك ما أجاب به على سؤال رفع إليه لفظه : ما تقول العلماء شد الله بهم أزر الدين وألم بهم شعث المسلمين في الشيخ محي الدين بن العربي وفي كتبه المنسوبة إليه كالفتوحات والفصوص وغيرهما ؟ هل تحل قراءتها وإقراؤها للناس أم لا ؟ أفتونا مأجورين ؟

فأجاب رحمه الله رحمة واسعة : اللهم أنطقنا بما فيه رضاك . الذي أقوله في حال المسئول عنه ، وأعتقده ، وأدين الله سبحانه وتعالى به :

أنه كان شيخ الطريقة حالاً وعلماً وأمام الحقيقة حداً ورسماً ومحي رسوم المعارف فعلاً واسماً إذا تغلغل فكر المرء في طرف من بحره غرقت فيه خواطره في عباب لا تدركه الدلاء وسحاب تتقاصر عنه الأنواء وأما دعواته فإنها تخرق السبع الطباق وتفترق بركاته فتملأ الآفاق وإني وصفته وهو يقيناً فوق ما وصفته وغالب ظني أني ما أنصفته :

وما على إذا ما قلت معتقدي ... دع الجهول يظن الجهل عدوانا
والله ، تالله ، بالله العظيم ، ومن ... أقامه ، حجة لله ، برهانا
إن الذي قلت بعض من مناقبه ... مازدت ، إلا لعلي زدت نقصانا

وقال تلميذه الصدر القونوي الرومي : كان شيخنا ابن عربي متمكناً من الاجتماع بروح من شاء من الأنبياء والأولياء الماضين على ثلاثة أنحاء :

- إن شاء الله استنزل روحانيته في هذا العالم وأدركه متجسداً في صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العصرية التي كانت له في حياته الدنيا .
- وإن شاء الله أحضره في نومه .
- وإن شاء انسلخ عن هيكله واجتمع به .

وهو أكثر القوم كلاماً في الطريق فمن ذلك ما قال :

- وقال عرضت أحاديثه صلى الله عليه وسلم جميعها عليه فكان يقول عن أحاديث صحت من جهة الصناعة ما قلتها وعن أحاديث ضعفت من جهتها قلتها .

هذا ، ومانقم عليه أحد فيما أعلم بغير ما فهمه من كلامه من الحلول أو الاتحاد وما تفرع عليهما من كفر أو إلحاد وساحته النزهة منهما وشأوه أبعد شأو عنهما وكلامه بنفسه يشهد بهذا :

- قال في فتوحاته المكية التي هي قرة عين السادة الصوفية في الباب الثاني والتسعين ومائتين : من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلاً أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء وإن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها وإنما كان القمر محلاً لها فلذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه .

- وقال أيضاً فيها في الباب الثامن والسبعين كما نقله عنه الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر إن الله تعالى لم يوجد العالم لافتقاره إليه وإنما الأسباب في حال عدمها الإمكاني لها طلبت وجودها ممن هي مفتقرة إليه بالذات وهو الله تعالى لا تعرف غيره لما طلبت بفقرها الذاتي من الله تعالى أن يوجدها قبل الحق سؤالها لا من حاجة قامت به إليها لأنها كانت مشهودة له تعالى في حال عدمها النسبي كما هي مشهودة له في حال وجودها سواء فهو يدركها سبحانه على ما هي عليه في حقائقها حال وجودها وعدمها بإدراك واحد فلهذا لم يكن إيجاده للأشياء عن فقر بخلاف العبد فإن الحق تعالى لو أعطاه جزء (كن) وأراد إيجاد شيء لا يوجده إلا عن فقر إليه وحاجة فما طلب العبد إلا ما ليس عنده فقد افترق إيجاد العبد عن إيجاد الحق تعالى . قلت : وهذه مسئلة لو ذهبت عينك جزاء لتحصيلها لكان قليلاً في حقها فإنها مزلة قدم زل فيها كثير من أهل الله تعالى والتحقوا فيها بمن ذمهم الله تعالى في قوله (لقد كفر الذين قالو إن الله فقير ونحن أغنياء) انتهى .

توفي رحمه الله ورضي عنه في الثاني والعشرين من ربيع الآخر بدمشق في دار القاضي محيي الدين بن الزكي وحمل إلى قاسيون فدفن في تربته المعلومة الشريفة التي هي قطعة من رياض الجنة والله تعالى أعلم .

٤- ابن عطاء الله السكندري (٦٥٥ - ٧٠٩) هـ . ص ٤٦٠ ، ٦٠٢ .

الشيخ الكبير العارف بالله الخبير إمام الفريقين، وموضح الطريقين، ودليل الطريقة، ولسان الحقيقة ركن الشريعة المظفرة الرفيعة تاج الدين أحمد بن عطاء الله الشاذلي الإسكندري، كان فقيهاً عالماً ينكر على الصوفية، ثم جذبته العناية إلى إتباع طريقتهم الرضية، فصحب شيخ الشيوخ أبا العباس المرسي، وانتفع به وفتح له على يديه بعد أن كان من المنكرين عليه، وله عدة تصانيف مشتملة على أسرار ومعارف وحكم ولطائف نثراً ونظماً كلها في غاية من الجودة .

ولد رضي الله عنه في مدينة الإسكندرية في حوالي سنة ٦٥٥ هـ واشتغل بحفظ القرآن الكريم فحفظه في العاشرة ثم تفقه في التفسير والحديث وصار عالما في الفقه واللغة والأصول وعلم الكلام .

وكان يحمل على رجال التصوف وينكر على أهل الطرق المنتشرة في عصره انكارا شديدا ويعترض على ما يسمعه عنهم من علوم وأذكار ويتحدثون به من كرامات ومكاشفات .

ثم شاءت الأقدار الإلهية أن يحدث اللقاء بينه وبين القطب الكبير المرسي أبو العباس رضي الله عنه : فيقول ابن عطاء الله عن نفسه أنه كان لأمره (أي لأمر المرسي) من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله عنه ، حتى جرت بيني وبين أصحابه مقاولة وذلك قبل صحبتي إياه ، وقلت لذلك الرجل : ليس إلا أهل العلم الظاهر ، وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظيمة وظاهر الشرع يأباها . وبعد هذه المجادلة والإنكار على الشيخ أحس ابن عطاء الله في نفسه أزمة شديدة فذهب بنفسه إلى المرسي .

وقال : وكان سبب اجتماعي به ، أن قلت في نفسي - بعد أن جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل - دعني أذهب أنظر إلى هذا الرجل ، فصاحب الحق له أمارات ولا يخفى شأنه فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها :

فقال : الأول : إسلام ، والثاني : إيمان ، والثالث : إحسان .

وإن شئت قلت : الأول : عبادة ، والثاني : عبودية ، والثالث : عبودة .

وإن شئت قلت : الأول : شريعة ، والثاني : حقيقة ، والثالث : تحقق .

أو نحو هذا ، فما زال يقول : وإن شئت قلت ...وإن شئت قلت : ....

إلى أن أبهر عقلي وعلمت أن الرجل يغترف من فيض بحر إلهي ومدد رباني فأذهب الله ما كان عندي . ثم أتيت تلك الليلة إلى المنزل فلم أجد شيئا يقبل الإجتماع بالأهل على عادتي ووجدت معنى غريبا لا أدري ما هو ؟ فانفردت في مكان أنظر إلى السماء وإلى كواكبها وما خلق فيها من عجائب قدرته فحملني ذلك على العودة إليه مرة أخرى فأتيت إليه فاستؤذن لي عليه . فلما دخلت عليه قام قائما وتلقاني ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسي أن أكون أهلا لذلك فكان أول ما قلت له : سيدي أنا والله أحبك فقال : أحبك الله كما أحببتني .

ثم شكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان :

فقال : أحوال العبد أربع لا خامس لها : النعمة - والبلية - والطاعة - والمعصية :

فإن كنت بالنعمة : فمقتضى الحق منك الشكر .

وإن كنت بالبلية : فمقتضى الحق منك الصبر .

وإن كنت بالطاعة : فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها .

وإن كنت بالمعصية : فمقتضى الحق منك الإستغفار .

فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبا نزعته فما أجده . فقال :

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس ساري
والناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار

ثم قال : الزم . فوالله لئن لزمت لتكون مفتيا في المذهبين يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن .

وقال ابن عطاء الله : كنت أسمع الطلبة يقولون من صحب المشايخ لا يجيء منه في العلم الظاهر شيء . فشق علي أن يفوتني العلم وشق علي أن يفوتني صحبة الشيخ . فأتيت إلى الشيخ فوجدته يأكل لحما بخل . فقلت في نفسي ليت الشيخ يطعمني لقمة من يده فما استتممت الخاطر إلا وقد دفع في فيّ لقمة من يده ثم قال : نحن إذا صحبنا تاجرا ما نقول له أترك تجارتك وتعال أو صاحب صنعة ما نقول له أترك صنعتك وتعال أو طالب علم لا نقول له اترك طلبك وتعال ولكن نقر كل واحد فيما أقامه الله تعالى فيه وما قسم له على أيدينا هو واصل إليه وقد صحب الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قال لتاجر اترك تجارتك ولا لذي صنعة اترك صنعتك بل أقرهم على أسبابهم وأمرهم بتقوى الله فيها .

قال ابن عطاء الله : سمعته (أي الشيخ) يقول أريد أن أستنسخ كتاب التهذيب لولدي جمال الدين ، فذهبت أنا فاستنسخته من غير أن أعلم الشيخ وأتيته بالجزء الأول ، فقال : ما هذا ؟ فقلت : كتاب التهذيب استنسخته لكم . فأخذه . فلما نهض ليقوم قال: إجعل بالك الولي لا يتفضل عليه أحد ، تجد هذا إن شاء الله في ميزانك .

فلما أتيته بالجزء الثاني لقيني بعض أصحابه بعد نزولي من عنده وقال : قال الشيخ عنك والله لأجعلنه عينا من عيون الله يقتدى به في العلم الظاهر والباطن .

فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقيني بعض أصحابه وقال : طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء . فقال : هذا كتاب استنسخه لي ابن عطاء الله والله ما أرضى له بجلسة جده ولكن بزيادة التصوف . وكان جد ابن عطاء الله فقيها في مذهب أهل الظاهر .

وقال الشيخ أبو العباس : صبرنا على جد هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه !

قال رضي الله عنه في مناجاته :

إلهي ، كيف يُسْتَدَلُّ عليك بما هو في وجوده مُفْتَقِرٌ إليك ؟ أيكونُ لغيركَ من الظهور ما ليس لك ، حتى يكون هو الْمُظْهِرَ لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ؟

إلهي ، عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقةُ عبدٍ لم تجعلْ من حُبِكَ نصيباً .

إلهي ، أمرتَ بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار ، حتى أرجع إليك منها ، كما دخلت عليك منها ، مصون السِّر عن النظر إليها ، مرفوع الهمَّة عن الاعتماد عليها ، إنَّك على كل شيء قدير .

إلهي ، هذا ذلي ظاهرٌ بين يديك ، وهذا حالي لا يخفى عليك ، منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدلُ عليك ، لا بغيرك ، فاهدني بنورك إليك ، وأقمني بصدق العبودية بين يديك .

وقال في الحِكَم :

كيف يُشرقُ قَلْبٌ ، صُوَرُ الأكوانِ مُنْطَبِعَةٌ في مرآته ؟
أمْ كيف يرحلُ إلى الله ، وهو مكَبَّلٌ بشَهواته ؟
أم كيف يطمع أن يدخل حضرةَ الله ، وهو لم يتطهَّر من جَنَابَةِ غَفَلاتِهِ ؟
أم كيف يرجو أن يفهم دقائقَ الأسرارِ ، وهو لم يَتُبْ من هَفَواتِهِ ؟
كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أن يَحْجِبَهُ شيءٌ ، وهو الذي أظهر كل شيء ؟
كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أن يَحْجِبَهُ شيءٌ ، وهو الذي ظهر بكل شيء ؟
كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أن يَحْجِبَهُ شيءٌ ، وهو الذي ظهر في كل شيء ؟
كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أن يَحْجِبَهُ شيءٌ ، وهو الذي ظهر لكل شيء ؟
كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أن يَحْجِبَهُ شيءٌ ، وهو الظاهرُ قبل وجود كل شيء ؟
كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أن يَحْجِبَهُ شيءٌ ، وهو أظْهَرُ من كل شيء ؟
كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أن يَحْجِبَهُ شيءٌ ، وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟
كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أن يَحْجِبَهُ شيءٌ ، وهو أقرب إليك من كل شيء ؟
كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أن يَحْجِبَهُ شيءٌ ، ولولاه ما كان وجودُ كل شيء ؟
يا عجباً ! كيف يَظْهَرُ الوجودُ في العَدَم ؟
أم كيف يثبت الحادثُ ، مع مَنْ له وصْفُ القِدَم ؟

٥- سلطان العاشقين - ابن الفارض (٥٧٦-٦٣٢)هـ . ص ٤١٩ .

هو ناظم الديوان المشهور شرف الدين أبو القسم عمر بن علي بن مرشد الحموي المصري الملقب في جميع الآفاق بسلطان المحبين والعشاق المنعوت بين أهل الخلاف والوفاق بأنه سيد شعراء عصره على الإطلاق له النظم الذي يستخف أهل الحلوم والنثر الذي تغار منه النثرة بل سائر النجوم قدم أبوه من حماة إلى مصر فقطنها وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض ثم ولد له بمصر عمر في ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمسمائة فنشأ تحت كنف أبيه في عفاف وصيانة وعبادة وديانة بل زهد وقناعة وورع أسدل عليه لباسه وقناعه فلما شب وترعرع اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر وعنه الحافظ المنذري وغيره ثم حبب إليه الخلاء وسلوك طريق الصوفية فتزهد وتجرد وصار يستأذن أباه في السياحة فيسيح في الجبل الثاني من المقطم ويأوي إلى بعض أوديته مرة وفي بعض المساجد المهجورة في خربات القرافة مرة ثم يعود إلى والده فيقيم عنده مدة ثم يشتاق إلى التجرد ويعود إلى الجبل وهكذا حتى ألف الوحشة وألفه الوحش فصار لا ينفرد منه ومع ذلك لم يفتح عليه بشيء حتى أخبره البقال أنه إنما يفتح عليه بمكة فخرج فوراً في غير أشهر الحج ذاهباً إلى مكة فلم تزل الكعبة أمامه حتى دخلها وانقطع بواد بينه وبين مكة عشر ليال فصار يذهب من ذلك الوادي وصحبته أسد عظيم إلى مكة فيصلي بها الصلوات الخمس ويعود إلى محله من يومه وأنشأ غالب نظمه حالتئذ وكان الأسد يكلمه ويسأله أن يركب عليه فيأبى وأقام كذلك نحو خمسة عشر عاماً ثم رجع إلى مصر فأقام بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر وعكف عليه الأئمة وقصد بالزيارة من الخاص والعام . ورأى المصطفى صلى الله عليه وسلم في نومه فقال إلى من تنتسب فقال يا رسول الله إلى بني سعد قبيلة حليمة فقال بل نسبك متصل بي يعني نسبة محبة وتبعية .

وتائيته شرحها الفرغاني والقاشاني والقيصري وغيرهم . وعلى الخمرية وغيرها شروح عدة . وقال بعض أهل الرسوخ أن الديوان كله مشروح . وذكر بعض الأكابر أن بعض أهل الظاهر في عصر الحافظ ابن حجر كتب على التائية شرحاً وأرسله إلى بعض عظماء صوفية الوقت ليقرضه فأقام عنده مدة ثم كتب عليه عند إرساله إليه :

سارت مشرقة وسرت مغربا   شتان بين مشرق و مغرب

فقيل له في ذلك ، فقال : مولانا الشارح اعتنى بإرجاع الضمائر والمبتدأ والخبر والجناس والاستعارة وما هنالك من اللغة والبديع ، ومراد الناظم وراء ذلك كله .

وقد أثنى على ديوانه حتى من كان سيء الاعتقاد ومنهم ابن أبي حجلة الذي عزره السراج الهندي بسبب الوقيعة فيه فقال :

هو من أرق الدواوين شعراً وأنفسها دراً براً وبحراً وأسرعها للقلوب جرحاً وأكثرها على الطول نوحاً إذ هو صادر عن نفثة مصدور وعاشق مهجور وقلب بحر النوى مكسور والناس يلهجون بقوافيه وما أودع من القوى فيه وكثر حتى قل من لا رأى ديوانه أو طنت بأذنه قصائده الطنانة .

ففي فائيته يقول :

قلبي يُحَدّثني بأَنّكَ مُتْلِفِي   روحي فِداكَ عرَفْتَ أمَ لم تَعْرفِ
لم أَقْضِ حَقّ هَواكَ إن كُنتُ الذي   لم أقضِ فيه أسىً ومِثْليَ مَنْ يَفي
ما لي سِوَى روحي وباذِلُ نفسِهِ   في حُبّ مَن يَهْواهُ ليسَ بمُسرفِ
فلَئِنْ رَضِيتَ بها فقد أسعَفْتَني   يا خَيبَة المَسْعَى إذا لم تُسْعِفِ
يا مانِعي طيبَ المَنام ومانِحي   ثوبَ السّقام بهِ ووَجْدِي المُتْلِفِ
عَطفاً على رَمقي وما أبقَيتَ لي   منْ جسميَ المُضْنى وقلبي المُدنفِ
فالوَجْدُ باقٍ والوِصَالُ مُماطلي   والصّبْرُ فانٍ واللّقاء مُسَوّفي

وفي لاميته يقول :

هو الحُبّ فاسلم بالحشا ما الهَوى سهل   فما اختارَهُ مُضْنىً به وله عقْلُ
وعِشْ خالياً فالحُبّ راحتُهُ عَنا   وأَوّلُهُ سُقْمٌ وآخرُهُ قَتْلُ
ولكنْ لديّ الموتُ فيه صَبابةً   حياةٌ لمَن أهوى عليّ بها الفضل
نصحْتُك عِلماً بالهَوَى والذي أرى   مخالَفَتي فاختر لنفسكَ ما يحلو
فإن شِئت أن تحيا سعيداً فَمُتْ بهِ   شهيداً وإلاّ فالغرامُ لهُ أهْل
فمن لم يمُتْ في حُبِّه لم يَعِشْ بهِ   ودون اجتناءِ النَّحل ما جنتِ النَّحل
تَمَسّكْ بأذْيالِ الهَوَى واخْلَعِ الحيا   وخَلّ سَبيلَ الناسكينَ وإن جَلُّوا

وفي خمريته يقول :

شَرِبْنَا على ذكْرِ الحبيبِ مُدامَةً سكِرْنَا بها من قبل أن يُخلق الكَرْمُ
لهاَ البدرُ كأسٌ وَهيَ شمسٌ يُدِيرُهَا هلالٌ وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجم
ولولا شذَاها ما اهتَدَيتُ لِحانِها ولولا سَناها ما تصَوَّرَها الوَهْمُ
يقولونَ لي صِفْهَا فأنتَ بوَصفها خبيرٌ أَجَلْ عِندي بأوصافها عِلم
صفاءٌ ولا ماءٌ ولُطْفٌ ولا هَواً ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جِسْمٌ
تَقَدّمَ كُلَّ الكائِناتِ حديثُها قديماً ولا شكلٌ هناك ولا رَسمُ
وقامت بها الأشياءُ ثَمَّ لحكمَةٍ بها احتَجَبَتْ عن كلِّ مَن لا له فَهْمُ

ولم يزل على حاله راقياً في سماء كماله حتى احتضر فسأل الله أن يحضره في ذلك الهول العظيم جماعة من الأولياء فحضره جماعة منهم البرهان الجعبري فقال فيما حكاه سبط ابن الفارض رأى الجنة مثلت له فبكى وتغير لونه ثم قال :

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت ، فقد ضيعت أيامي

قال فقلت له يا سيدي هذا مقام كريم .

فقال يا ابراهيم : رابعة وهي امرأة تقول : وعزتك ما عبدتك رغبة في جنتك بل لمحبتك وليس هذا ما قطعت عمري في السلوك إليه .

فسمعت قائلاً يقول له : فما تروم ؟ فقال :

أرومُ وقد طال المدَى منْك نظْرَةً وكم من دماء دونَ مَرْمَايَ طُلّتِ

فتهلل وجهه وقضى نحبه . فقلت أنه أعطى مرامه انتهى .

توفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى عن ست وخمسين سنة إلا شهرا ودفن بالمقطم .

٦- أبو الحسن الشاذلي (٥٩٣ - ٦٥٦) هـ . ص ٣١٨ .

هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي ، الضرير الزاهد نزيل الإسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية ، وكان كبير المقدار عالي المنار له عبارات فيها رموز، فوق ابن تيمية سهمه إليه فرده عليه ، وصحب الشيخ وابن مشيش ، وحج مرات ، وتوفي بصحراء عيذاب قاصداً الحج فدفن هناك في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة ، وقد أفرده سيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله هو وتلميذه أبو العباس بالترجمة . حيث قال : قطب الزمان، والحامل في وقته لواء أهل العيان حجة الصوفية علم المهتدين زين العارفين أستاذ الأكابر زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار القطب الغوث الجامع أبو الحسن علي الشاذلي رضي الله عنه لم يدخل طريق القوم

حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة، وشهد له الشيخ أبو عبد الله بن النعمان بالقطبانية جاء رضي الله عنه في هذه الطريق بالعجب العجاب، وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رضي الله عنه يقول ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه. من كلامه رضي الله عنه: عليك بالاستغفار وإن لم يكن هناك ذنب، واعتبر باستغفار النبي صلى الله عليه وسلم بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه، وما تأخر هذا في معصوم لم يقترف ذنباً قط وتقدس عن ذلك فما ظنك بمن لا يخلو عن العيب، والذنب في وقت من الأوقات، وكان رضي الله عنه يقول إذا عارض كشفك الكتاب، والسنة فتمسك بالكتاب، والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف، ولا الإلهام، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة، وكان رضي الله عنه يقول: لقيت الخضر عليه السلام في صحراء عيذاب فقال لي: يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل، وكان لك صاحباً في المقام والرحيل، وكان رضي الله عنه يقول إذا جاذبتك هواتف الحق فإياك أن تستشهد بالمحسوسات على الحقائق الغيبيات وتردها فتكون من الجاهلين، واحذر أن تدخل في شيء من ذلك بالعقل، وكان رضي الله عنه يقول: إذا عرض عارض يصدك عن الله فاثبت قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم نفلحون" "الأنفال: ٤٥" وكان يقول: كل علم يسبق إليك فيه الخواطر، وتميل إليه النفس، وتلذ به الطبيعة فارم به وإن كان حقاً وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله، واقتد به، وبالخلفاء، والصحابة، والتابعين من بعده وبالأئمة الهداة المبرئين عن الهوى، ومتابعته تسلم من الشكوك، والظنون، والأوهام، والدعاوي الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه، وماذا عليك أن تكون عبد الله، ولا علم، ولا عمل، وحسبك من العلم : العلم بالوحدانية، ومن العمل : محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة الصحابة، واعتقاد الحق للجماعة . قال رجل : "متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال : لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال : المرء مع من أحب " وكان يقول : إذا كثر عليك الخواطر ، والوساوس فقل سبحان الملك الخلاق " إن يشأ يذهبكم، ويأتي بخلق جديد، وما ذلك على الله بعزيز" وكان يقول لا تجد الروح والمدد ، ويصح لك مقام الرجال ، حتى لا يبقى في قلبك تعلق بعلمك ، ولا جدك ، ولا اجتهادك ، وتيأس من الكل دون الله تعالى . وكان رضي الله عنه يقول : من أحصن الحصون من وقوع البلاء على المعاصي ، الاستغفار . قال الله تعالى : "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون" "الأنفال: ٣٣"، وكان يقول : إذا ثقل الذكر على لسانك ، وكثر اللغو في مقالك، وانبسطت الجوارح في شهواتك ، وانسد باب الفكرة في مصالحك فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك أو لكون إرادة النفاق في قلبك ، وليس لك طريق إلا التوبة ، والإصلاح ، والاعتصام بالله والإخلاص في دين الله تعالى ألم تسمع إلى قوله تعالى : "إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين" ولم يقل من المؤمنين ، فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيهاً . وكان رضي الله عنه يقول : ارجع عن منازعة ربك تكن موحداً، واعمل بأركان الشرع تكن سنياً ، واجمع بينهما تكن محققاً . وكان يقول : قيل لي : يا علي ، ما علي وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ عبد العظيم المنذري وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك وكان يقول من أحب أن لا يعصي الله تعالى في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته، ورحمته وأن لا يكون لنبيه صلى الله عليه وسلم شفاعة، وكان يقول لا تشم رائحة الولاية، وأنت غير زاهد في الدنيا وأهلها وكان رضي الله عنه يقول أسباب القبض ثلاثة ذنب أحدثته أو دنيا ذهبت عنك أو

شخص يؤذيك في نفسك أو عرضك فإن كنت أذنبت فاستغفر، وإن كنت ذهبت عنك الدنيا فارجع إلى ربك، وإن كنت ظلمت فاصبر، واحتمل هذا دواؤك، وإن لم يطلعك الله تعالى على سبب القبض فاسكن تحت جريان الأقدار فأنها سحابة سائرة، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما حقيقة المتابعة؟ فقال رؤية المتبوع عند كل شيء، ومع كل شيء وفي كل شيء، وكان يقول الشيخ من دلك على الراحة لا من دلك على التعب، وكان يقول: من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بدعي، وكان يقول: من آداب المجالس للأكابر التخلي عن الأضداد، والميل، والمحبة، والتخصيص لهم، وترك التجسس على عقائدهم. وكان يقول: إذا جالست العلماء فلا تحدثهم إلا بالعلوم المنقولة، والروايات الصحيحة إما أن تفيدهم، وإما أن تستفيد منهم، وذلك غاية الربح منهم. وإذا جالست العباد، والزهاد فاجلس معهم على بساط الزهد، والعبادة، وحل لهم ما استمرءوه، وسهل عليهم ما استوعروه، وذوقهم من المعرفة ما لم يذوقوه، وإذا جالست الصديقين ففارق ما تعلم تظفر بالعلم المسكون، وكان يقول إذا انتصر الفقير لنفسه، وأجاب عنها فهو، والتراب سواء، وكان يقول إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس في الجماعة فلا تعبأن به، وكان يقول من غلب عليه شهود الإرادة تفسخت عزائمه لسرعة المراد، وكثرته، واختلاف أنواعه، وأي وقفة تسعه حتى يحل أو يعقد أو يعزم أو ينوي شيئاً من أموره مع تعداد إرادته، واضمحلال صفاته أين أنت من نور من نظر، واتسع نظره بنور ربه، ولم يشغله المنظور إليه عمن نظر به فقال: ما من شيء كان، ويكون، وإلا وقد رأيته الحديث، وكان رضي الله عنه يقول: إذا استحسنت شيئاً من أحوالك الباطنة أو الظاهرة، وخفت زواله فقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وكان يقول، ورد المحققين إسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محباً لغير محبوبه.

٧- أبو طالب المكي (؟ - ٣٨٦) هـ . ص ٥٣ .

هو أبو طالب محمد بن علي بن عطية، الحارثي المكي صاحب كتابقوت القلوب؛ كان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة، ويتكلم في الجامع، وله مصنفات في التوحيد، ولم يكن من أهل مكة، وإنما كان من أهل الجبل وسكن مكة فنسب إليها، وكان يستعمل الرياضة كثيرا حتى قيل عنه هجر الطعام زمانا واقتصر على أكل الحشائش المباحة فاخضر جلده من كثرة تناولها. ولقي جماعة من المشايخ في الحديث وعلم الطريقة وأخذ عنهم،وشيخه هو أبو الحسن البصري وتوفي لست خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وثلثمائة ببغداد، ودفن بمقبرة المالكية رحمه الله تعالى.

ومن أقواله في كتاب قوت القلوب : قال الحواريون : ياروح الله صف لنا أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون فقال: هم الذين نطق بهم الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها وعاينوا أجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فأماتوا منها ماخشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم فصار دركهم منها فواتاً وفرحهم بها حرماناً ما عارضهم منها رفضوه وما أشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت في صدورهم فلم يحيوها قدموها فبنوا بها آخرهم أحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم خبر عجيب وعندهم أعجب الخبر العجيب .

٨- أبو مدين الغوث (٥١٤- ٥٩٣) هـ. ص ٢١٩ ، ٣٩٤ ، ٤٥٢ .

هو شعيب بن حسين الأندلسي الزاهد أبو مدين. شيخ أهل المغرب جال وساح، واستوطن بجاية مدة، ثم تلمسان وكان من أخره كلامه: "الله الحي!، ثم فاضت نفسه". وقال محي الدين بن العربي: كان سلطان الوارثين أخاه عبد الحق، وكان إذا دخل عليه وجد حالة حسنة سنية، فيقول: "وهذا وارث على الحقيقة! ومن علامات صدق المريد-في بدايته- إنقطاعه عن الخلق، أو فراره؛ ومن علامات دق فراره عنهم وجوده للحق؛ ومن علامات صدق وجوده للحق رجوعه للخلق". فأما قول أبي سليمان الداراني: "لو وصلوا ما رجعوا!". فليس بمناقض لهذا. فإن أبا مدين على رجوعهم إلى إرشاد الخلق. كان الشيخ سيدي أبو مدين فرداً من أفراد الرجال، وصدراً من صدور الأولياء الأبدال، جمع الله له علم الشريعة والحقيقة، وأقامه ركن الوجود هادياً وداعياً للحق، فقصد بالزيارة من جميع الأقطار، واشتهر بشيخ المشايخ، وذكر أنّه خرج على يده ألف شيخ من الأولياء أولي الكرامات، كان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى، خاض بحار الأحوال، ونال أسرار المعارف ، خصوصاً مقام التوكّل، لا يشق غباره، ولا تجهل آثاره، قال التادلي: كان مبسوطاً بالعلم ، مقبوضاً بالمراقبة، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم له بذلك، أخبرني من شهد وفاته أنّه رآه في آخر الرمق يقول: الله الحق. وكان من أعلام العلماء، وحفّاظ الحديث، خصوصاً جامع الترمذي، وكان يقوم عليه، ورواه عن شيوخه عن أبي ذر، وكان يلازم كتاب الإحياء ويعكف عليه، وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت ، وله مجلس وعظ يتكلّم فيه، فتجتمع عليه الناس من كل جهة، وتمر به الطيور وهو يتكلّم فتقف تسمع، وربما مات بعضها، وكثيراً ما يموت بمجلسه أصحاب الحب، تخرّج عليه جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين وأرباب الأحوال، وكان شيخه أبو يعزى يثني عليه جميلاً ، ويخصّه بين أصحابه بالتعظيم والتبجيل، قرأ بفاس بعد قدومه من الأندلس على الشيخ الحافظ أبي الحسن ابن حرزهم، وعلى الفقيه الحافظ العلامة أبي الحسن ابن غالب. وذكر عنه أنّه قال: كنت في أوّل أمري وقراءتي على الشيوخ إذا سمعت تفسير آية أو معنى حديث قنعت به وانصرفت لموضع خال خارج فاس أتخذه مأوى للعمل بما فتح به عليّ، فإذا خلوت به تأتيني غزالة تأوي إليّ وتؤنسني، وكنت أمرّ في طريقي بكلاب القرى المتصلة بفاس، فيدورون حولي، ويبصبصون لي، فبينا أنا يوماً بفاس إذا برجل من معارفي بالأندلس سلّم علي، فقلت: وجبت ضيافته، فبعث ثوباً بعشرة دراهم، فطلبت الرجل لأدفعها له، فلم أجده هنالك، فخليتها معي، وخرجت لخلوتي على عادتي، فمررت بقريتي، فتعرض لي الكلاب، ومنعوني الجواز، حتى خرج من القرية من حال بيني وبينهم، ولمّا وصلت لخلوتي جاءتني الغزالة على عادتها، فلمّا شمّتني نفرت عنّي، وأنكرت علي ، فقلت : ما أوتي علي إلاّ من أجل هذه الدراهم التي معي، فرميتها، فسكنت الغزالة، وعادت لحالها معي، ولمّا رجعت لفاس جعلت الدراهم معي، ولقيت الأندلسي، فدفعتها إليه، ثم مررت بالقرية في خروجي للخلوة، فدار بي كلابها وبصبصوا على عادتهم، وجاءتني الغزالة فشمتني من مفرقي لقدمي، وأنست بي كعادتها، وبقيت كذلك مدّة، وأخبار سيدي أبي يعزى ترد عليّ، وكراماته يتداولها الناس وتنقل إليّ، فملأ قلبي حبّه، فقصدته مع جماعة الفقراء، فلمّا وصلنا إليه أقبل على الجماعة دوني، وإذا حضر الطعام منعني من الأكل معهم، وبقيت كذلك ثلاثة أيام، فأجهدني الجوع، وتحيرت من خواطر ترد عليّ، ثم قلت في نفسي: إذا قام الشيخ من مكانه أمرغ وجهي في المكان، فقام، ومرغت وجهي فقمت وأنا لا أبصر شيئاً، وبقيت طول ليلتي باكياً، فلمّا أصبح دعاني وقرّبني، فقلت له: يا سيدي، قد عميت ولا أبصر شيئاً، فمسح بيده على عيني، فعاد بصري، ثم مسح على صدري، فزالت عني تلك الخواطر، وفقدت ألم الجوع، وشاهدت

في الوقت عجائب من بركاته، ثم استأذنته في الانصراف بنية أداء الفريضة، فأذن لي وقال: ستلقى في طريقك الأسد فلا يرعك فإن غلب خوفه عليك فقل له: بحرمة يدنور إلا انصرفت عني، فكان الأمر كما قال. فتوجّه الشيخ أبو مدين للشرق وأنوار الولاية عليه ظاهرة، فأخذ عن العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء، وتعرّف في عرفة بالشيخ سيدي عبد القادر الكيلاني، فقرأ عليه في الحرم الشريف كثيراً من الحديث، وألبسه خرقة الصوفية، وأودعه كثيراً من أسراره، وحلاه بملابس أنواره، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته، ويعدّه أفضل مشايخه الأكابر. وعن بعض الأولياء قال: رأيت في النوم قائلاً يقول: قل لأبي مدين: بثّ العلم ولا تبالِ، ترتع غداً مع العوالي، فإنّك في مقام آدم أبي الذراري، فقصصتها عليه فقال لي: عزمت على الخروج للجبال والفيافي حتى أبعد عن العمران، ورؤياك هذه تعدل بي عن هذا العزم، وتأمرني بالجلوس، فقولك ترتع غداً مع العوالي إشارة لحديث حلق الذكر مراتع أهل الجنّة، والعوالي: أصحاب عليين، ومعنى قوله أبي الذراري أن آدم أعطي قوّة على النكاح وأمر به، ولم يجعل له قوّة على كون ذريته مطيعين مؤمنين، وكذا نحن أعطانا الله العلم وأمرنا ببثّه وتعليمه، ولا قدرة لنا على كون أتباعنا موفّقين. وكان يقول: كرامات الأولياء نتائج معجزات نبينا صلى الله عليه وسلّم، وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي بالسند إلى رب العزة جل جلاله. وعن العارف عبد الرحيم المغربي قال: سمعت سيدي أبا مدين يقول: أوقفني ربي عزّ وجل بين يديه وقال لي: يا شعيب ماذا عن يمينك؟ قلت: يا رب عطاؤك، قال: وعن شمالك؟ قلت: يا رب قضاؤك، فقال: يا شعيب قد ضاعفت لك هذا، وغفرت لك هذا، فطوبى لمن رآك أو رأى من رآك. وعن سيدي أبي العباس المرسي: جلت في ملكوت الله تعالى، فرأيت سيدي أبا مدين متعلّقاً بساق العرش وهو يومئذ أشقر أزرق، فقلت له: وما علومك؟ وما مقامك؟ فقال: علومي أحد وسبعون علماً، وأما مقامي فرابع الخلفاء، ورأس السبعة الأبدال. وسئل رضي الله عنه عمّا خصّه الله تعالى به، فقال: مقامي العبودية، وعلومي الألوهية، وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية، ملأت علومه سرّي وجهري، وأضاء بنوره برّي وبحري، فالمقرب من كان به عليماً، ولا يسمو إلاّ من أوتي قلباً سليماً، الذي يسلم ممّا سواه، ولا يكون في الوعاء إلاّ مما جعل فيه مولاه، فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شك "وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السّحاب" النمل: ٨٨. وسئل عن الحياء، فقال: أوّله دوام الذكر، وأوسطه الأنس بالمذكور، وأعلاه أن لا ترى شيئاً سواه.

وذكر التادلي وغيره أن رجلاً جاءه ليعترض عليه، فجلس في الحلقة، فأخذ صاحب الدولة في القراءة، فقال له أبو مدين: أمهل قليلاً، ثم التفت للرجل، وقال له: لم جئت؟ فقال: لأقتبس من نورك، فقال له: ما الذي في كمك؟ قال له: مصحف، فقال له: افتحه واقرأ في أوّل سطر يخرج لك، ففتحه وقرأ أوّل سطر فإذا فيه "الّذين كذّبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها، الذين كذّبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين" الأعراف: ٩٢ فقال له أبو مدين: أما يكفيك هذا؟ فاعترف الرجل وتاب وصلح حاله. وذكر صاحب الروض عن الشيخ الزاهد أبي محمد عبد الرزاق أحد خواص أصحابه قال: مر شيخنا أبو مدين في بعض بلاد المغرب، فرأى أسداً افترس حماراً وهو يأكله، وصاحبه جالس بالبعد على غاية الحاجة والفاقة، فجاء أبو مدين وأخذ بناصية الأسد، وقال لصاحب الحمار: أمسك الأسد واستعمله في الخدمة موضع حمارك، فقال له: يا سيدي أخاف منه، فقال: لا تخف، لا يستطيع أن يؤذيك، فمرّ الرجل يقوده والناس ينظرون إليه، فلمّا كان آخر النهار جاء الرجل ومعه الأسد للشيخ وقال له: يا سيدي هذا الأسد يتبعني حيث ذهبت، وأنا شديد الخوف منه، لا طاقة لي بعشرته، فقال الشيخ للأسد: اذهب ولا تعد، ومتى آذيتم بني آدم سلطتهم عليكم . ومن مشهور كراماته أنّه

كان ماشياً يوماً على ساحل، فأسره العدوّ، وجعلوه في سفينة فيها جماعة من أسرى المسلمين، فلمّا استقرّ في السفينة توقفت عن السير، ولم تتحرّك من مكانها، مع قوّة الريح ومساعدتها، وأيقن الروم أنهم لا يقدرون على السير، فقال بعضهم : أنزلوا هذا المسلم فإنّه قسيس، ولعلّه من أصحاب السرائر عند الله تعالى، وأشاروا له بالنزول، فقال : لا أفعل إلاّ إن أطلقتم جميع من في السفينة من الأسارى، فعلموا أن لا بد لهم من ذلك، فأنزلوهم كلّهم، وسارت السفينة في الحال . توفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بتلمسان.

٩- أبو السعود الشبلي (؟ -٥٨٢) هـ . ص ٤٣٣ .

هو أحمد بن أبي بكر بن المبارك أبو السعود الزاهد المعروف بابن الشبلي صحب الشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ عنه طريق المعاملة والزهد وصار ممن يشار إليه بالمعرفة والولاية وظهرت له الكرامات وفتح عليه بالكلام في طريق القوم وصار له القبول التام عند الناس وأكثر الناس زيارته والتبرك به، سمع شيئاً من الحديث من أبي المعالي محمد بن محمد ابن محمد بن النحاس وحدث باليسير، قال محب الدين ابن النجار: وقد أدركت أيامه وتوفي سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة.

روى عنه الشيخ الأكبر في الفتوحات قائلا : عن الشيخ أبي السعود بن الشبلي إمام وقته في الطريق قال كنت بشاطىء دجلة بغداد فخطر في نفسي هل لله عباد يعبدونه في الماء قال فما استتممت الخاطر إلا وإذا بالنهر قد انفلق عن رجل فسلم علي وقال نعم ياأبا السعود لله رجال يعبدون الله في الماء وانا منهم انا رجل من تكريت وقد خرجت منها لانه بعد كذا وكذا يوماً يقع فيها كذا وكذا ويذكر أمراً يحدث فيها ثم غاب في الماء فلما انقضت خمسة عشر يوما وقع ذلك الأمر على صورة ماذكره ذلك الرجل لأبي السعود .

١٠- أبو المواهب التونسي الشاذلي . ص ٤٤٥ .

محمد بن أحمد، أبو المواهب التونسي الشاذلي نزيل مصر، الشيخ الإمام، المدقق الصالح. وهو الذي كان متصدراً في قبالة رواق المغاربة بالجامع الأزهر، وكان صاحب أوراد وأحوال، وكان من الظرفاء الأجلاء الأخيار، والعلماء الراسخين، والأبرار أعطى رضي الله عنه ناطقة سيدي على أبي الوفاء، وعمل الموشحات الربانية، وألف الكتب الفائقة اللدنية، وكان مقيماً بالقرب من الجامع الأزهر، وكان له خلوة فوق سطحه موضع المنارة التي عملها السلطان الغوري، وكان يغلب عليه سكر الحال، فينزل يتمشى ويتمايل في الجامع الأزهر، فيتكلم الناس فيه بحسب ما في أوعيتهم حسناً، وقبحاً، وله كتاب القانون في علوم الطائفة، وهو كتاب بديع لم يؤلف مثله يشهد لصاحبه بالذوق الكامل في الطريق ، وصار كلامه ينشد في الموالد، والاجتماعات والمساجد على رؤوس العلماء والصالحين، فيتمايلون طرباً من حلاوته، وما خلا جسد من حسد، وكان هو معهم في غاية الأدب، والرقة، والخدمة، وأمسكوه مرة، وهو داخل يزور السادات فضربوه حتى أدموا رأسه، وهو يتبسم، ويقول: أنتم أسيادي، وأنا عبدكم، ومن كلامه رضي الله عنه إذا أردت أن تهجر إخوان السوء، فاهجر قبل أن تهجرهم أخلاقك السوء فإن نفسك أقرب إليك، والأقربون أولى بالمعروف، وكان يقول: كل أبناء الدنيا يقبلون عليها، وهم راحلون عنها في كل نفس لأنهم عمي عن شهود ما إليه يصيرون، وكان رضي الله عنه يقول: تفاخر الغنى، والفقر، فقال: الغنى أنا وصف الرب الكريم فمن أنت يا غير فقال له: الفقر لولا وصفي ما تميز وصفك، ولولا تواضعي ما رفع قدرك، وأنا وصفي وسم بذل العبودية،

وأنت وصفك نازع الربوبية، وكان يقول: الفقيه منا يرتضع بلبن حي الصدور دون قديد ميت السطور وكان يقول: من علامة المرائي إجابته عن نفسه إذا أضيف إليه نقص، وتنقيص الصالحين من أهل زمانه إذا ذكروا، وكان يقول: الفقراء يراءون بالأحوال والفقهاء يراءون بالأقوال وكان يقول من طلب الشهرة بين الناس فمن لازمه أن يرضيهم بما يسخط الله تعالى، وأن يصحبهم لهواه لا لله، وكان يقول: العارف ينمو حال حال حياته، ولا يشتهر إلا بعد مماته، وكان يقول: العارف كلما علا به المقام صغر في أعين العوام كالنجم يرى صغيراً، وإنما العيب من العيون، وكان يقول: لو أن الحلاج رضي الله عنه كمل حقيقة الفناء لتخلص مما وقع فيه من الغلط بقوله: أنا هو، ومن قوله أدنيتني منك حتى ظننت أنك أنا، وكان يقول: ثم من يدخل في مقام البقاء قبل الفناء بحكم الإرث للأنبياء ولكنه قليل وقوعه في القوم، ولذلك أنكروه، وكان يقول: إذا أردت أن تفتح كنزاً، فإياك أن تلهو عن صرف العوائق أو تغفل عن العزيمة قبل حضور صاحب الكنز فإذا فتحت الكنز فإياك أن تشتغل بشيء من الأمتعة عن الملك بل اجعل قصدك الملك لا غير حتى يهبك الخاتم خادم الاستخدام إن شاء، فإن لم يعطك الملك سر الخاتم، فإنما ذلك لكونه يريد اتخاذك جليساً له، وذلك أعظم من سر الخاتم فإن جليس الملك لا يحتاج قط إلى استخدام، ولا تعب .

- وقال : في معنى قولهم إن للربوبية سراً لو ظهر لعطل نور الشريعة .

المراد به الفناء، وإعطاء سر التكوين، وأن العبد يفعل ما يشاء يعني لو أعطى العبد ذلك لتعطلت أفعال الشريعة كلها، وبطل القول بالكسب، واختل النظام .

- وقال رضي الله عنه في معنى قول بعضهم يصل الولي إلى حد يسقط عنه التكليف.

المراد به سقوط كلفة الأعمال ومشقتها من باب "أرحنا بها يا بلال"

- وقال: في معنى قول سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه: وكل بلا أيوب بعض بليتي .

أي لأن بلاء أيوب عليه السلام في الجسد دون الروح، وبلاء العارف فيهما معاً .

- وقال في معنى قول بعضهم:

مقام النبـوة فـي بـرزخ ـــــ فويق الرسول، ودون الولي

يعني أن : **مقام النبوة** يعطي للأخذ عن الله بواسطة، وحي الله .

ومقام الرسالة يعطي تبليغ ما أمره الله به للعباد .

ومقام الولاية الخاصة يعطي الأخذ عن الله بالله من الوجه الخاص.

قال: وهذه الحقائق الثلاثة كلها موجودة فيمن كان رسولا فافهم، ولا تظن أن أحداً من أهل الله تعالى يعتقد تفضيل الولاية على النبوة والرسالة .

- وقال في معنى قول: الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى:

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر	وإلا تيمم بالصعيد وبالصخر
وقدم إماماً كنت أنت إمامه	وصل صلاة الفجر في أول العصر
فهذي صلاة العارفين بربهم	فإن كنت منه فانضح البر بالبحر

المراد بالوضوء طهارة أعضاء الصفات القلبية من النجاسات المعنوية، وماء الغيب هو خلوص التوحيد فإن لم يخلص لك بالعيان فتطهر بصعيد البرهان، وقدم إماماً كان إمامك في يوم الخطاب ثم صرت أنت إمامه بعد سدل الحجاب وصل صلاة الفجر التي هي صلاة نهار كشف الشهود بعد حجاب ظلمة الوجود في أول العصر الذي هو أول زمان انفجار، فجرك، ولا تتأخر لآخر دورك لأن الحكم للوقت، والتأخير له مقت فهذه صلاة العارفين بربهم، وهم الذين لم يخرجوا عن متابعة الأحكام الشرعية في جميع مشاهدة الربوبية، فإن كنت منهم، فانضح يعني اغسل بماء بحر الحقيقة ما تدنس من بر الشريعة.

- وقال: في قولهم النبي مشرع للعموم، والولي مشرع للخصوص

أي النبي مبين للعوام برسالته ومبين للخواص بولايته لا أن الولي يشرع الأحكام الشرعية، فإنه ليس له ذلك، وإنما له تبيين الحقائق الكشفية ، بطريق الولاء ، والوراثة للأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام . كما أن الأولياء رضي الله عنهم تبين ما أجمل في السنة ، والنبي يبين ما أجمل في القرآن .

- وقال: في إنكار بعض المنكرين على قول: بعض العارفين إن الخضر مقام لا إنسان .

قال : لا إنكار لأن الولي المحبوب يعطي من الكرامات كما كان للخضر من المعجزات وذلك عند الوراثة، والوراثة الخضرية قبل الوراثة الموسوية، والوراثة بلا شك مقام فافهم يا غلام.

- وقال: في إنكار بعضهم على من قال: حدثني قلبي عن ربي

قال : لا إنكار لأن المراد أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء، وهو دون وحي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا إنكار على من قال: كلمني الله تعالى كما كلم موسى، ففرق بين أخبر، وكلم يا من أنكر، وتوهم .

وكان يقول : إثبات المسألة بدليلها تحقيق، وإثباتها بدليل آخر تدقيق، والتعبير عنها بفائق العبارة ترقيق ، ومراعاة علم المعاني والبيان في تركيبها تنميق، والسلامة من اعتراض الشرع فيها توفيق، وكان يقول : أقسم الحي القدوس ألا يدخل حضرته أحد من أصحاب النفوس، وكان يقول: احذر أن تخرق سور الشرع يا من لم يخرج عن عادة الطبع، واحذر أن تقول: أنا مطلق من الحدود لأنني دخلت حضرة الشهود فإن الذي دعاك هو الذي نهاك . وكان يقول: أهل الخصوصية مزهود فيهم أيام حياتهم متأسف عليهم بعد مماتهم، وهناك يعرف الناس قدرهم حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم، وكان يقول: لأصحابه عليكم بالتسليم للفقراء فيما ادعوه من المقامات، والأحوال.

١١- أبو يزيد (١٨٨ - ٢٦١) هـ . ص ٦٢ ، ٦٨ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٦٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ، ٣٩٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٧٧ ، ٤٨٩ .

هو أبو يزيد البسطامي ، العارف ، الزاهد المشهور ، واسمه طيفور بن عيسى ، بن سروسان البسطامي ، وسروسان كان مجوسياً فأسلم ، وكانوا ثلاثة أخوة : آدم أكبرهم، وطيفور أوسطهم، وعلي أصغرهم، وكلهم كانوا زهاداً عباداً .
تاه فغاب وهام فآب ، غاب عن المحدودات إلى موجد المحسوسات والمعدومات فارق الخلق ووافق الحق فأيد بإخلاء السر وأمد باستيلاء البر إشاراته هائنة وعباراته كامنة لعارفيها ضامنة ولمنكريها فاتنة :
قال : ليس العجب من حبي لك وأنا عبد وإنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير وكان يقول : غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري ومعرفته سبقت معرفتي ومحبته أقدم من محبتي وطلبه لي أولا حتى طلبته . وكان يقول : اللهم إنك خلقت هذا الخلق بغير علمهم وقلدتهم أمانة إرادتهم فأن لم تعنهم فمن يعينهم . وقال : إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار . جلس قوم إلى أبي يزيد ، فأطرق مليا ثم رفع رأسه إليهم فقال : منذ أجلستم إلي هو ذا أجيل فكري التمس حبة عفنة أخرجها إليكم تطيقون حملها فلم أجد . وقال : غبت عن الله ثلاثين سنة وكانت غيبتي عنه ذكري إياه فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا . فقال لي رجل مالك لا تسافر قال لأن صاحبي لا يسافر وأنا معه مقيم فعارضه السائل بمثل فقال : أن الماء القائم قد كره الوضوء منه فقال أبو يزيد : لم يروا بماء البحر بأسا هو الطهور ماؤه الحل ميتته ثم قال قد ترى الأنهار تجري لها دوي وخرير حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به سكن خريرها وحدتها ولم يحس بها ماء البحر ولا ظهر فيه زيادة ولا إن خرجت منه استبان فيه نقص . وكان يقول : لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن ذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالا لله أن أذكره . وقال : لم أزل أجول في ميدان التوحيد حتى خرجت إلى دار التفريد ثم لم أزل أجول في دار التفريد حتى خرجت إلى الديمومية فشربت بكأسه شربة لا أظمأن من ذكره بعدها أبدا قال يوسف وكنت أسمع هذا الكلام هذا اللفظ من ذي النون وفيه زيادة كان ذو النون لا يبديها إلا في وقت نشاطه وغلبة حاله عليه فيقول ذلك ويقول بعده لك الجلال والجمال ولك الكمال سبحانك سبحانك قد ستك ألسن التماديح وأفواه التسابيح أنت أنت أزلى أزلي حبه لي أزلي . جاء رجل إلى أبي يزيد فقال أوصني فقال له أنظر إلى السماء فنظر صاحبه إلى السماء فقال له أبو يزيد : أتدري من خلق هذا ؟ قال الله . قال أبو يزيد : إن من خلقها لمطلع عليك حيث كنت فاحذره . جاء رجل إلى أبي يزيد فقال : بلغنى أنك تمر في الهواء قال وأى أعجوبة في هذه طير يأكل الميتة يمر في الهواء والمؤمن أشرف من الطير . ووجه إليه أحمد بن خرب حصيرا وكتب معه إليه صل عليه بالليل فكتب أبو يزيد إليه : إني جمعت عبادات أهل السموات والأرضين السبع فجعلتها في مخدة ووضعتها تحت خدي .

قال أبو يزيد : طلقت الدنيا ثلاثا ثلاثا بتاتا لا رجعة فيها ، وصرت إلى ربي وحدي ، فناديته بالاستغاثة : إلهي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك ، فلما عرف صدق الدعاء من قلبي والإياس من نفسي كان أول ما ورد علي من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم . وقال : إن في الطاعات من الآفات مالا تحتاجون إلى أن تطلبوا المعاصي .

وقال : ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر . وقال : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا أشد علي من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لتعبت واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد . وقال : لا يعرف نفسه من صحبته شهوته . وقال : الجنة لا خطر لها عند المحبين وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم . وكان يقول : عالجت كل شيء فما عالجت أصعب من معالجة نفسي وما شيء أهون علي منها . وكان يقول : دعوت نفسي إلى الله فأبت علي واستصعبت فتركتها ومضيت إلى الله . وقال : أشد المحجوبين عن الله ثلاثة بثلاثة : فأولهم الزاهد بزهده والثاني العابد بعبادته والثالث العالم بعلمه ثم قال مسكين الزاهد قد ألبس زهده وجرى به في ميدان الزهاد ولو علم المسكين أن الدنيا كلها سماها الله قليلا فكم ملك من القليل ؟ وفي كم زهد مما ملك ؟ ثم قال إن الزاهد هو الذي يلحظ إليه بلحظة فيبقى عنده ثم لا ترجع نظرته إلى غيره ولا إلى نفسه . وأما العابد فهو الذي يرى منة الله عليه في العبادة أكثر من العبادة حتى تغرق عبادته في المنة . وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله من العلم سطر واحد من اللوح المحفوظ فكم علم هذا العالم من ذلك السطر ؟ وكم عمل فيما علم ؟ . وكان يقول : المعرفة في ذات الحق جهل والعلم في حقيقة المعرفة جناية والإشارة من المشير شرك في الأشارة . وقال : العارف همه ما يأمله والزاهد همه ما يأكله . وقال : طوبى لمن كان همه هما واحدا ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه . ومن عرف الله فأنه يزهد في كل شيء يشغله عنه . وسئل ما علامة العارف ؟ فقال : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها الآية . وقال : عجبت لمن عرف الله كيف يعبده ؟ . وقيل له : إنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض . فقال : أنا كل السبعة . وسئل متى يبلغ الرجل حد الرجال في هذا الأمر ؟ قال إذا عرف عيوب نفسه فحينئذ يبلغ مبلغ الرجال . وقال : إن الله تعالى ليرزق عبده الحلاوة فمن أجل فرحه يمنعه من حقائق القرب . وسئل عن درجة العارف ؟ فقال : ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العارف وجوده ربه . وقال : عرفت الله بالله وعرفت ما دون الله بنور الله . وسئل بماذا يستعان على العبادة ؟ فقال بالله إن كنت تعرفه . وقال : أدل عليك بك ، وبك أصل اليك . وقال : نسيان النفس ذكر بارئ النسم . وقال : من تكلم في الأزل يحتاج أن يكون معه سراج الأزل . وقال : ما وجد الواجدون شيئا من الحضور إلا كانوا غائبين في حضورهم وكنت أنا المخبر عنهم في حضورهم . وكان يقول : ما ما ذكروه إلا بالغفلة ولا خدموه إلا بالفترة . وكان يقول : لا تقطعني بك عنك . وسمعوه يوما وهو يقول : أكثر الناس إشارة أبعدهم منه . وسأله رجل : من أصحب ؟ فقال : من لا يحتاج أن تكتمه شيئا مما يعلمه الله منك . وسأله رجل من أصاحب فقال من إذا مرضت عادك وإذا أذنبت تاب عليك . وسمعوه يوما يقول : أقربهم من الله أوسعهم على خلقه . وسمعوه يوما وهو يقول : لا يحمل عطاياه إلا مطاياه المذللة المروضة . قال أحد أصحابه : بينا أنا قاعد خلف أبي يزيد يوما إذ شهق شهقة فرأيت أن شهقته تخرق الحجب بينه وبين الله فقلت يا أبا يزيد : رأيت عجبا فقال يا مسكين وما ذلك العجب فقلت رأيت شهقتك تخرق الحجب حتى وصلت إلى الله تعالى فقال يا مسكين إن الشهقة الجيدة هي التي إذا بدت لم يكن لها حجاب تخرقه . وسأله رجل فقال يا أبا يزيد العارف يحجبه شيء عن ربه ؟ فقال يا مسكين من كان هو حجابه أي شيء يحجبه . وقال : من سمع الكلام ليتكلم مع الناس رزقه الله فهما يكلم به الناس ومن سمعه ليعامل الله رزقه الله فهما يناجي به ربه .

وكان يقول : هذا فرحي بك وأنا أخافك فكيف فرحي بك إذا أمنتك .

وكان يقول : رب أفهمني عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك . قال أبو يزيد : كفر أهل الهمة أسلم من إيمان أهل المنة . وقال : ليت الخلق عرفوني فكفاهم من ذلك معرفتهم بأنفسهم . وسئل أبو يزيد : بم نالوا المعرفة ؟ قال : بتضييع مالهم والوقوف على ماله .

وقال : اطلع الله على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة . وسئل ما علامة العارف ؟ قال : ألا يفتر من ذكره ولا يمل من حقه ولا يستأنس بغيره . وقال : إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه فخلع عليهم خلعة من خلعه فاشتغلوا بالخلع عنه وإني لا أريد من الله إلا الله . وكان يقول: العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول والعارف ما فرح بشيء قط ولا خاف من شيء قط والعارف يلاحظ ربه والعالم يلاحظ نفسه بعلمه والعابد يعبده بالحال والعارف يعبده في الحال وثواب العارف من ربه : هو ، وكمال العارف احتراقه فيه له . وقال رجل لأبي يزيد : علمني اسم الله الأعظم قال : ليس له حد محدود إنما هو أفطر قلبك لوحدانيته فإذا كنت كذلك فارفع إلي أي اسم شئت فأنك تصير به إلى المشرق والمغرب ثم تجيء وتصف .

١٢- التستري (٢٠١ - ٢٨٣) هـ . ص ١٩٣ ، ٥٥٤ .

القدوة العارف أبو محمد سهل بن عبد اللَّه التستري، الزاهد، وله مواعظ وأحوال وكرامات، وكان من أكبر مشايخ القوم، ومن كلامه وقد رأى أصحاب الحديث، فقال: اجتهدوا أن لا تلقوا اللَّه إلا ومعكم المحابر، وقيل له: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟، قال: حتى يموت ويصب باقي حبره في قبره، وقال: من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة، وقال السلمي في الطبقات: هو سهل بن عبد اللَّه بن يونس بن عيسى بن عبد اللَّه بن رفيع، وكنيته أبو محمد، أحد أئمة القوم وعلمائهم، والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات وعيوب الأفعال، صحب خاله محمد بن سوار، وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه إلى الحج، وأسند الحديث وأسند عنه قال: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، وإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم الندامة. وقال: شكر العلم العمل وشكر العمل زيادة العلم. وقال: ما من قلب ولا نفس إلا واللَّه مطلع عليه في ساعات الليل والنهار، فأي قلب أو نفس رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس. وقال: الذي يلزم الصوفي ثلاثة أشياء: حفظ سره، وأداء فرضه، وصيانة فقره. وقال: من أراد أن يسلم من الغيبة فليسد على نفسه باب الظنون، فمن سلم من الظن سلم من التجسس، ومن سلم من التجسس سلم من الغيبة، ومن سلم من الغيبة سلم من الزور، ومن سلم من الزور سلم من البهتان. وقال: ذروا التدبير والاختيار، فإنهما يكدران على الناس عيشهم. وقال: الفتن ثلاثة: فتنة العامة من إضاعة العلم، وفتنة الخاصة من الرخص والتأويلات، وفتنة أهل المعرفة أن يلزمهم حق في وقت فيؤخرونه إلى وقت الثاني. وقال: أصولنا ستة: التمسك بكتاب اللَّه، والإقتداء بسنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، وأداء الحقوق. وقال: لا معين إلا اللَّه، ولا دليل إلا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه. وقال: الأعمال بالتوفيق، والتوفيق من اللَّه، ومفتاحه الدعاء والتضرع. وطريقة سهل تشبه طريق الملامتية، وله كرامات كثيرة، وكان يعتقد مذهب مالك رضي اللَّه عنهما ، وقال عنه في الحلية : عامة كلامه في تصفية الأعمال من المعايب والإعلال، وأسند عنه فيها أنه قال : من كان إقتداؤه بالنبي صلى اللَّه عليه وسلم لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء سوى ما أحب اللَّه ورسوله. وقال: الدنيا كلها جهل إلا العلم منها، والعلم كله وبال إلا العمل به، والعمل كله هباء منثور إلا الإخلاص فيه، والإخلاص أنت منه على وجل حتى تعلم هل قبل أم لا. انتهى ملخصاً أيضاً. وقال الشيخ الأكبر محي الدين محمد بن عربي الحاتمي والطائي رضي اللَّه عنه في كتاب بلغة الغواص ما معناه إن لم يكن لفظه : قال إمامنا وعالمنا سهل بن عبد اللَّه التستري: رأيت إبليس فعرفته، وعرف أني عرفته، فجرى بيننا كلام ومذاكرة

كان من آخره أن قلت له: لِمَ لَمْ تسجد لآدم؟، فقال: غيرةٍ مني عليه أن أسجد لغيره، فقلت: هذا لا يكفيك بعد أن أمرك، وأيضاً فآدم قبلة والسجود لله تعالى ، ثم قلت له : وهل تطمع بعد هذا بالمغفرة؟، فقال: كيف لا أطمع، وقد قال تعالى: {ورحمتي وسعت كل شيء}، قال: فوقفت كالمتحير، ثم تذكرت ما بعدها فقلت : إنها مقيدة بقيود، قال: وما هي؟، قلت: قوله تعالى بعدها: {فسأكتبها للذين يتقون} الآية. قال: فضحك وقال: والله ما ظننت أن الجهل يبلغ بك هذا المبلغ، أما علمت أن القيد بالنسبة إليك لا بالنسبة إليه، قال: فو الله لقد أفحمني، وعلمت أنه طامع في مطمع. انتهى فتأمل.

قال الحاكم في المستدرك على الصحيحين في المجلد الثالث : حدثنا شيخ التصوف في عصره أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، حدثنا أبو أحمد الجريري قال : سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول : لما بعث الله -عز وجل- النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كان في الدنيا سبعة أصناف من الناس : الملوك، والمزارعون، وأصحاب المواشي، والتجار، والصناع، والأجراء، والضعفاء، والفقراء، لم يأمر أحدا منهم أن ينتقل مما هو فيه، ولكن أمرهم بالعلم، واليقين، والتقوى، والتوكل في جميع ما كانوا فيه . قال سهل رحمة الله عليه : وينبغي للعاقل أن يقول : ما ينبغي لي بعد علمي بأني عبدك، أن أرجو واؤمل غيرك، ولا أتوهم عليك، إذ خلقتني وصورتني عبدا لك، أن تكلني إلى نفسي، أو تولي أموري غيرك . قال الحاكم بعد أن أورد ما سبق : وقد وصف رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- هذه الطائفة -بما خصهم الله تعالى به من بين الطوائف- بصفات، فمن وجدت فيه تلك الصفات، إستحق بها اسم التصوف .

قال سهل رضي الله عنه : نظر الأكياسُ في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن يكون حركتُه وسكونه في سرِّه وعلانيته لله تعالى، ولا يُمازجه نَفسٌ ولا هوىً ولا دنيا .

وقال : لا يشمّ رائحة الصدق عبدٌ داهن نفسه أو غيره، وأقوالهم في هذا غير منحصرة، وفيما أشرت إليه كفاية لمن وُفق.

وقال سهل بن عبد الله التستري -رضي الله عنه-: التوكل: الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد.

وكان سهل بن عبد الله التستري - أحد أفراد هذه الأمة وعبادها - كان يأتي أبا داود السجستاني صاحب السنن ويقول أخرج لي لسانك الذي تحدث به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقبله فيقبله.

ومن كلامه رضي الله عنه : أمس قد مات واليوم في النزع وغد لم يولد.

١٣- الجنيد (٢١٥ - ٢٩٧) هـ . ص ٤١ ، ٥٣٠ .

هو المربي بفنون العلم المؤيد بعيون الحلم المنور بخالص الإيقان وثابت الإيمان العالم بمودع الكتاب والعامل بحلم الخطاب الموافق فيه للبيان والصواب تاج العارفين أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري ، الخزاز ، - بالزاي المكررة - ، كان كلامه بالنصوص مربوطا وبيانه بالأدلة مبسوطا فاق أشكاله بالبيان الشافي واعتناقه للمنهج الكافي ولزومه للعمل الوافي .

وكان يقول : علمنا مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به . وكان في أول أمره يتفقه على مذهب أصحاب الحديث مثل أبي عبيد وأبي ثور فأحكم الأصول وصحب الحارث بن أسد المحاسبي وخاله السري بن مغلس

السقطي فسلك مسلكهما في التحقيق بالعلم واستعماله . وكان يقول إن أول ما يحتاج إليه من عقد الحكمة تعريف المصنوع صانعه والمحدث كيف كان أحدثه وكيف كان أوله وكيف أحدث بعد موته فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث فيعرف المربوب ربه والمصنوع صانعه والعبد الضعيف سيده فيعبده ويوحده ويعظمه ويذل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه ولم يضف الخلق في تدبيره إلى وليه . والتوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد في أوليته وأزليته لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله وأفعاله التي أخلصها لنفسه أن يعلم أن ليس شيء يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ولا يسقم ولا يبرى ولا يرفع ولا يضع ولا يخلق ولا يرزق ولا يميت ولا يحيي ولا يسكن ولا يحرك غيره جل جلاله . فقد سئل بعض العلماء فقيل له : بَيِّن التوحيد وعَلِمنا ما هو ؟ فقال هو اليقين . فقيل له : بين لنا ؟ فقال هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونها فعل الله وحده لا شريك له ، فإذا فعلت ذلك فقد وحدته وتفسير ذلك أنك جعلت الله واحدا في أفعاله إذا كان ليس شيء يفعل أفعاله وإنما اليقين اسم للتوحيد إذا تم وخلص وإن التوحيد إذا تم تمت المحبة والتوكل وسمي يقينا فالتوكل عمل القلب والتوحيد قول العبد فإذا عرف القلب التوحيد وفعل ما عرف فقد تم وقد قال بعض العلماء إن التوكل نظام التوحيد فإذا فعل ما عرف فقد جاء بالمحبة واليقين والتوكل وتم إيمانه وخلص فرضه لأنك إذا عرفت أن فعل الله لا يفعله شيء غير الله ثم تخاف غيره وترجو غيره لم تأت بالأمر الذي ينبغي فلو عملت ما عرفت لرجوت الله وحده حين عرفت أنه لا يفعل فعله غيره فالقول فيمن يقصر علم قلبه أنه ناقص التوحيد لأن القلب مشتغل بالفتنة التي هي آفة التوحيد قلت ماهو ؟ قال ظنك أن شيئا يفعل فعل الله فاسم ذلك الظن فتنة والفتنة هي الشرك اللطيف قلت أو ليس الفتنة من أعمال القلب ؟ قال لا ولكنها داخلة عليه ومفسدة له قلت وما هي ؟ قال ظنك بالله إذ ظننت أن من يشاء يفعل فعله والكلام في هذا يطول ولكن من يفهم يقنع باليسير . وكان يقول : يا فتى الزم العلم ولو ورد عليك من الأحوال ما ورد ويكون العلم مصحوبك فالأحوال تندرج فيك وتنفد لأن الله عز وجل يقول والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا . رأى أحدهم الجنيد في النوم فقلت ما فعل الله بك قال طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار . وقال : العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك . وكان يقول الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول واتبع سنته ولزم طريقته فإن طريق الخيرات كلها مفتوحة عليه . وسئل عن المعرفة وأسبابها فقال : المعرفة من الخاصة والعامة هي معرفة واحدة لأن المعروف بها واحد ولكن لها أول وأعلى فالخاصة في أعلاها وإن كان لا يبلغ منها غاية ولا نهاية إذ لا غاية للمعروف عند العارفين وكيف تحيط المعرفة بمن لا تلحقه الفكرة ولا تحيط به العقول ولا تتوهمه الأذهان ولا تكيفه الرؤية وأعلم خلقه به أشدهم إقرارا بالعجز عن إدراك عظمته أو تكشف ذاته لمعرفتهم بعجزهم عن إدراك من لا شيء مثله إذ هو القديم وما سواه محدث وإذ هو الأزلي وغيره المبدأ وإذ هو الإله وما سواه مألوه وإذ هو القوي من غير مقو وكل قوي فبقوته قوي وإذ هو العالم من غير معلم ولا فائدة استفادها من غيره وكل عالم فبعلمه علم . سبحانه الأول بغير بداية والباقي إلى غير نهاية . ولا يستحق هذا الوصف غيره . ولا يليق بسواه . فأهل الخاصة من أوليائه في أعلى المعرفة أن يبلغوا منها غاية ولا نهاية . والعامة من المؤمنين في أولها ولها شواهد ودلائل من العارفين على أعلاها وعلى أدناها فالشاهد على أدناها الإقرار بتوحيد الله وخلع الأنداد من دونه والتصديق به وبكتابه وفرضه فيه ونهيه والشاهد على أعلاها القيام فيه بحقه واتقاؤه في كل وقت وإيثاره في جميع خلقه واتباع معالي الأخلاق واجتناب مالا يقرب منه

فالمعرفة التي فضلت الخاصة على العامة هي عظيم المعرفة في قلوبهم بعظيم القدر والإجلال والقدرة النافذة والعلم المحيط والجود والكرم والآلاء فعظم في قلوبهم قدره وقدر جلالته وهيبته ونفاذ قدرته وأليم عذابه وشدة بطشه وجزيل ثوابه وكرمه وجوده بجنته وتحننه وكثرة أياديه ونعمه وإحسانه ورأفته ورحمته فلما عظمت المعرفة بذلك عظم القادر في قلوبهم فأجلوه وهابوه وأحبوه واستحيوا منه وخافوه ورجوه فقاموا بحقه واجتنبوا كل ما نهى عنه وأعطوه المجهود من قلوبهم وأبدانهم أزعجهم على ذلك ما استقر في قلوبهم من عظيم المعرفة بعظيم قدره وقدر ثوابه وعقابه فهم أهل الخاصة من أوليائه فلذلك قيل فلان بالله عارف وفلان بالله عالم لما رأوه مجلا هائبا راهبا راجيا طالبا مشتاقا ورعا متقيا باكيا حزينا خاضعا متذللا فلما ظهرت منهم هذه الأخلاق عرف المسلمون أنهم بالله أعرف وأعلم من عوام المسلمين وكذلك وصفهم الله فقال إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال داود عليه السلام إلهي ما علم من لم يخشك . فالمعرفة التي فضلت بها الخاصة العامة هي عظيم المعرفة فإذا عظمت المعرفة بذلك واستقرت ولزمت القلوب صارت يقينا قويا فكملت حينئذ أخلاق العبد وتطهر من الأدناس فنال به عظيم المعرفة بعظيم القدر والجلال والتذكر والتفكر في الخلق كيف خلقهم وأتقن صنعتهم وفي المقادير كيف قدرها فاتسقت علىالهيئات التي هيأها والأوقات التي وقتها وفي الأمور كيف دبرها على إرادته ومشيئته فلم يمتنع منها شيء عن المضي على إرادته والاتساق على مشيئته .
وكان يقول : اعلم يا أخي أن الوصول إذا ما سألت عنه مفاوز مهلكة ومناهل متلفة لا تسلك إلا بدليل ولا تقطع إلا بدوام ورحيل وأنا واصف لك منها مفازة واحدة فافهم ما أنعته لك منها وقف عند ما أشير لك فيها واستمع لما أقول وافهم ما أصف اعلم أن بين يديك مفازة إن كنت ممن أريد بشيء منها وأستودعك الله من ذلك وأسأله أن يجعل عليك واقية باقية فإن الخطر في سلوكها عظيم والأمر المشاهد في الممر بها جسيم فإن من أوائلها أن يوغل بك في فيح برزخ لا أمد له إيغالا ويدخل بك بالهجوم فيه إدخالا وترسل في جويهنته إرسالا ثم تتخلى منك لك ويتخلى منك له فمن أنت حينئذ ؟ وماذا يراد بك ؟ وماذا يراد منك ؟ وأنت حينئذ في محل أمنه روع ، وأنسه وحشة ، وضياؤه ظلمة ، ورفاهيته شدة ، وشهادته غيبة ، وحياته ميتة ، لا درك فيه لطالب ، ولا مهمة فيه لسارب ، ولا نجاة فيه لهارب ، وأوائل ملاقاته اصطلام ، وفواتح بدائعه احتكام ، وعواطف ممره احترام، فإن غمرتك غوامره انتسفتك بوادره ، وذهب بك في الارتماس ، وأغرقتك بكثيف الانطماس ، فذهبت سفالا في الانغماس درك نهاية ، ولا مستقر لغاية فمن المستنقذ لك مما هنالك؟ ومن المستخرج لك من تلك المهالك ؟ وأنت في فرط الإياس من كل فرج مشوه بك في إغراق لجة اللجج فاحذر ثم احذر فكم من متعرض اختطف ومتكلف انتسف وأتلف بالغرة نفسه وأوقع بالسرعة حتفه جعلنا الله وإياك من الناجين ولا أحرمنا وإياك ما خص به العارفين واعلم يا أخي أن الذي وصفته لك من هذه المفاوز وعرضت ببعض نعته إشارة إلى علم لم أصفه وكشف العلم بها يبعد والكائن بها يفقد فخذ في نعت ما تعرفه من الأحوال وما يبلغه النعت والسؤال ويوجد في المقاربين والأشكال فإن ذلك أقرب بظفرك لظفرك وأبعد من حظك لحظك وأحذر من مصادمات ملاقاة الأبطال والهجوم على حين وقت النزال والتعرض لرئيس أهل الكمال قبل أن تمات من حياتك ثم تحيى من وفاتك وتخلق خلقا جديدا وتكون فريدا وحيدا وكل ما وصفته لك إشارة إلى علم ما أريده .

١٤- الجيلاني (٤٧١ ــ ٥٦١) هـ . ص١٧٠ ، ١٩١ ، ٤٣٣ ، ٤٤٦ ، ٤٨٨ ، ٥٢٤ .

هو الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الحوزي ابن عبد الله المحص بن الحسن بن علي بن أبي طالب الجيلاني نسبة إلى جيل وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان وبها ولد ويقال لها أيضاً جيلان وكيلان . أمه أم الخير بنت أبي عبد الله وأخوه الشيخ أبو أحمد عبد الله أصغر منه سناً نشأ في العلم والخير ومات بجيلان شاباً وعمته الصالحة أم عائشة استسقى بها أهل جيلان فلم يسقوا فكنست رحبة بيتها وقالت يارب كنست رحبة بيتي فرش أنت فمطروا كأفواه القرب . كان شيخ الشيوخ الشيخ عبد القادر نحيف الجسم عيض الصدر عريض اللحية أسمر مدور الحاجبين ذا صوت جهوري وسمت بهي ولما ترعرع وعلم أن طلب العلم فريضة شمر ساق الأجتهاد في تحصيله وسارع في تحقيق فروعه وأصوله بعد أن أشنغل بالقرآن حتى أتقنه ثم تفقه مذهب الإمام أحمد بن حنبل على أبي الوفاء بن عقيل وأبي الخطاب وأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى والمبارك المخرمي وسمع الحديث من جماعة وعلوم الأدب من آخرين وصحب حماد الدباس وأخذ عنه علم الطريقة بعد أن لبس الخرقة من أبي سعد المبارك المخرمي وفاق أهل وقته في علوم الديانة ووقع له القبول التام مع القدم الراسخ في المجاهدة وقطع دواعي الهوى والنفس ولما أراد الله إظهاره أضيف ضيفا على مدرسة أستاذه أبي سعد المخرمي فعمرها وماحولها وأعانه الأغنياء بأموالهم والفقراء بأنفسهم فكملت في سنة ثمان وعشرين ثم تصدر فيها للتدريس والوعظ والتذكير وقصد بجمع الفريقين وموضح الطريقين وكريم الجدين ومعلم العراقين وتلمذ له أكثر الفقهاء في زمنه ولبس منه الخرقة المشايخ الكبار وصار قطب الوجود قال الشيخ عبد القادر فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام أود لو كانت الدنيا بيدي فأطعمها الجياع وقال الخلق حجابك عن نفسك ونفسك حجاب عن ربك مادمت ترى الخلق لاترى نفسك وما دمت ترى نفسك لاترى ربك وقال ابن السمعاني هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره فقيه صالح دين خير كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة كتبت عنه وكان يسكن بباب الأزج في المدرسة التي بنيت له وقال ابن رجب ظهر الشيخ عبد القادر للناس وجلس للوعظ بعد العشرين وخمسمائة وحصل له القبول التام من الناس واعتقدوا ديانته وصلاحه وانتفعوا بكلامه وانتصر أهل السنة بظهوره واشتهرت احواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته وهابه الملوك فمن دونهم وصنف الشطنوفي المصري في أخبار عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات ذكر فيه بإسناده إلى موسى بن الشيخ عبد القادر وقال سمعت والدي يقول خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ومكثت أياماً لا أجد ماء فأشتد بي العطش فأظلتني سحابة ونزل على منها شيء يشبه الندى فرويت ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق وبدت لي صورة ونوديت منها ياعبد القادر أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات أوقال ما حرمت على غيرك فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أخسأ يالعين فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان ثم خاطبني وقال ياعبد القادر نجوت مني بعلمك بحكم ربك وقوتك في أحوال منازلاتك ولقد أضللت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقلت لربي الفضل والمنة قال فقيل له كيف علمت أنه شيطان قال بقوله قد حللت لك المحرمات وذكر فيه أيضاً الحكاية المعروفة عن الشيخ عبد القادر أنه قال قدمي هذه على رقبة كل ولي لله ساقها عنه من طرق متعددة . وكان الشيخ عبد القادر متمسكاً في مسائل الصفات والقدر ونحوهما بالسنة مبالغاً في الرد على من خالفها قال في كتابه الغنية المشهور وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك

يحيط علمه بالأشياء إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال أنه في السماء على العرش كما قال (الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال وينبغي إطلاق صفة الأستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش قال وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف وذكر كلاماً طويلاً وذكر نحو هذا في سائر الصفات وذكر الشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري الشاعر المشهور عن شيخه العارف على بن أدريس أنه سأل الشيخ عبد القادر فقال يا سيدي هل كان لله ولي على غير أعتقاد أحمد بن حنبل فقال ما كان ولا يكون . ونقل عن الشيخ عبد القادر أنه قال كنت أقتات الخرنوب والشوك وقامة البقل وورق الخس من جانب النهر والشط وبلغت بي الضائقة في غلاء نزل ببغداد إلى أن بقيت أياماً لم آكل فيها طعاماً بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها فخرجت يوماًمن شدة الجوع إلى الشط لعلي أجد ورق الخس أو البقل أو غير ذلك فأتقوت به فما ذهب إلى موضع إلا وغيري قد سبقني إليه وإذا وجدت الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حياء فرجعت أمشي وسط البلد فلا أدرك منبوذاً إلا وقد سبقت إليه حتى وصلت إلى مسجد بسوق الريحانيين ببغداد وقد أجهدني الضعف وعجزت عن التماسك فدخلت إليه وقعدت في جانب منه وقد كدت أصافح الموت إذ دخل شاب أعجمي ومعه خبز رصافي وشواء وجلس يأكل فكنت أكاد كلما رفع يده بالقمة أن أفتح في من شدة الجوع حتى انكرت ذلك على نفسي وقلت ماهذا إذ ألتفت إلى العجمي فرآني فقال بأسم الله يا أخي فأبيت فأقسم علي فبادرت نفسي فخالفتها وأقسم أيضاً فأجبته فأكلت فأخذ يسائلني من أين أنت وبمن تعرف فقلت أنا متفقه من جيلان فقال وأنا من جيلان فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر يعرف بأبي عبد الله الصومعي الزاهد فقلت أنا هو فأضطرب وتغير وجهه وقال والله لقد وصلت إلى بغداد ومعي بقية نفقة لي فسألت عنك فلم يرشدني أحد ونفذت نفقتي ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلاما كان لك معي وقد حلت لي الميتة وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء فكل طيباً فإنما هو لك وأنا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي فقلت له وما ذاك فقال أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير فاشتريت منها هذا للأضطرار وأنا معتذر إليك فطيبت نفسه ودفعت إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب برسم النفقة فقبله وانصرف قال وكنت أشتغل بالعلم فيطرقني الحال فأخرج إلى الصحارى ليلاً أو نهاراً وأصرخ واهج على وجهي فصرخت ليلة فسمعني العيارون ففزعوا فجاءوا فعرفوني فقالوا عبد القادر مجنون افزعتنا كان ربما أغشى علي فيلفوني ويحسبون أني مت من الحال التي تطرقني وربما أردت الخروج من بغداد فيقال لي ارجع فإن للناس فيك منفعة .

ولما اشتهر أمر سيدنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ، إجتمع مائة فقيه من أعيان فقهاء بغداد وأذكيائهم على أن يسأله كل واحد منهم مسألة واحدة في فن من العلوم غير مسألة صاحبه ليقطعوه بها ، وأتوا مجلس وعظه ، وكنت يومئذ فيه ، فلما استقر بهم الجلوس ، أطرق الشيخ ، فظهرت من صدره بارقة من نور لا يراها إلا من شاء الله تعالى ، ومرت على صدور المائة ، ولا تمر على أحد منهم إلا ويبهت ويضطرب ، ثم صاحوا صيحة واحدة ، ومزقوا ثيابهم ، وكشفوا رؤوسهم ، وصعدوا إليه فوق الكرسي ، ووضعوا رؤوسهم على رجليه ، وضج أهل المجلس ضجة واحدة ، ظننت أن بغداد رجت لها فجعل الشيخ يضم إلى صدره واحدا منهم بعد واحد ، حتى أتى إلى آخرهم ، ثم قال لأحدهم ، أما أنت فمسئلتك كذا وجوابها كذا ، حتى ذكر لكل واحد منهم مسألته وجوابها ، فلما انقضى المجلس ، أتيتهم ، وقلت لهم : ما شأنكم ؟ قالوا : إنا لما جلسنا ،

فقدنا جميع ما نعرفه من العلم ، حتى كأنه لم يمر بنا قط ، فلما ضمنا إلى صدره رجع إلى كل منا ما نزع من العلم ، ولقد ذكر لنا مسائلنا التي بيتناها له ، وذكر عنها أجوبة لا نعرفها ، رضي الله عنه .

وقال ابن النجار سمعت عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر يقول ولد والدي تسعاً وأربعين ولداً سبع وعشرون ذكوراً والباقي إناث ومات الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى بعد عتمة ليلة السبت عاشر ربيع الآخر وفرغ من تجهيزه ليلاً وصلى عليه ولده عبد الوهاب في جماعة من حضر من أولاده وأصحابه وتلامذته ثم دفن في رواق مدرسته ولم يفتح باب المدرسة حتى علا النهار وأهرع الناس للصلاة على قبره وزيارته وكان يوماً مشهوداً انتهى، وبلغ تسعين سنة .

١٥- الجيلي (٧٦٧ ــ ٨٢٦) هـ . ص ١٦٠ ، ١٩١ ، ٣٣١ ، ٤١٥ ، ٤٩٠ .

هو قطب الدين عبد الكريم ، بن إبراهيم ، بن عبد الكريم ، بن خليفة ، بن أحمد ، بن محمود ، الكيلاني نسبا ، البغدادي أصلا ، الربيعي عربا ، الصوفي حسبا صاحب كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل . ولما كان صاحب الترجمة هو صاحب الإنسان الكامل فلابد أن نتعرض في الترجمة لتركيز على الإنسان الكامل من خلال علاقة الجيلي بشيخه الجبرتي . فقد سلك الجيلي على يد الشيخ شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبي بكر الجبرتي ، المتوفي عام ٨٠٦ هـ . وكان فتحه على يديه .

وكان الجيلي يرى أن الشيخ لا يكون تأثيره كاملا في توصيل المريد إلى مبتغاه إلا إذا كانت المعاملة بين الشيخ والمريد في ضوء الآية (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) آية ٢١ سورة الأحزاب .

فلابد لكمال الإقتداء أن يرى صفاته صلى الله عليه وسلم متمثلة في شيخه وإلا فما كان هذا الشيخ صالحا للإقتداء به . بل وأكثر من ذلك أن تنضح هذه الصفات على صورة الشيخ فيشابه الرسول صلى الله عليه وسلم في الصورة مصداقا للحديث الذي أخرجه ابن أبي عاصم وأبو نعيم عن أبي هريرة قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني، فإني أرى في كل صورة " ومعلوم أن رؤيا المنام كرؤيا اليقظة في حقه صلى الله عليه وسلم .

قال الجيلي في الباب الستين من الجزء الثاني من كتاب الإنسان الكامل : اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس فيسمى به باعتبار لباس ولا يسمى به باعتبار لباس آخر . فاسمه الأصلي الذي هو له : (محمد) ، وكنيته : (أبو القاسم) ، ووصفه : (عبد الله) ، ولقبه : (شمس الدين) . ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام ، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان ؛ فقد اجتمعت به صلى الله عليه وسلم وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين اسماعيل الجبرتي ولست أعلم أنه النبي صلى الله عليه وسلم وكنت أعلم أنه الشيخ وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة . وسر هذا الأمر تمكنه صلى الله عليه وسلم من التصور بكل صورة ، فالأديب إذا رآه في الصورة المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة ، ثم لا

يوقع ذلك الإسم إلا على الحقيقة المحمدية . ألا تراه صلى الله عليه وسلم ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه ، فقال الشبلي لتلميذه : اشهد أني رسول الله ، وكان التلميذ صاحب كشف ، فعرفه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وهذا أمر غير منكور ، وهو كما يرى النائم فلانا في صورة فلان. وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم . لكن بين النوم والكشف فرق . وهو أن الصورة التي يرى فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، في النوم ، ولا يوقع إسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية ، لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة في اليقظة ، بخلاف الكشف ، فإنه إذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين ، فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية ، ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد صلى الله عليه وسلم ، لما أعطاك الكشف أن محمد صلى الله عليه وسلم متصور بتلك الصورة ، فلا يجوز ذلك بعد شهود محمد صلى الله عليه وسلم فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها من قبل ، ثم إياك أن تتوهم شيئا في قولي من مذهب التناسخ ، حاشا الله وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يكون ذلك مرادي . بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم له من التمكين في التصور بكل صورة حي ، يتجلى في هذه الصورة . وقد جرت سنته صلى الله عليه وسلم أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ليعلي شأنهم ويقيم مَيَلانِهم . فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم .

قال الجيلي في كتاب (الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم) :

إجتمعنا في بعض الليالي ، سنة ست وتسعين وسبعمائة ، بمسجد شيخنا وسيدنا وأستاذنا ، العالِم ، القطب الأكبر ، والكبريت الأحمر ، شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي ، على سماع عام ، كان في جبانة المسجد ، فقرأ في حضرة الشيخ ، أحد إخواننا **(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)** آية ٨٧ سورة الحجر :

- فأشهدني الحق سبحانه وتعالى ، إتصاف نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بالسبعة الأوصاف النفسية التي هي : **(الحياة ، والعلم ، والإرادة ، والقدرة، والسمع ، والبصر ، والكلام)** .
- وشهدته ، صلى الله عليه وسلم - بعد اتصافه بأوصافه - عين الذات ، الغائب في هوية الغيبيات وهو المشار إليه في الآية **(بالقرآن العظيم)** إذ قراءته لا نهاية لها . فكلما قرأته الورثة - أهل قرآن الحقيقة ، من ذات الله تعالى - هو عين محمد ، صلى الله عليه وسلم .

وقال الجيلي في بعض كتبه :

إني أشهد الله تعالى ، وأشهد ملائكته ، وأنبياءه ، ورسله ، وجميع خلقه :

أني أحب محمدا ، رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مُؤْثِرا له ، على نفسي ، وروحي ، ومالي، وولدي . وأجد لمحبته في قلبي ، وجسمي ، وشعري ، وبشري ، سريانا ، ودبيبا

محسوسا . لا ينكره من حصل له ذلك . وأنا أستودع الله تعالى هذه المحبة لنبيه ، صلى الله عليه وسلم ، ليحفظها عليَّ ، إلى يوم القيامة ، وبعد أن ألقاه ، إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير .

وقال في عينيته :

أَتَينا تجارَ الذُلِّ نَحوَ عَزيزِكُم ... وَأَرواحُنا المُزجاةُ تِلكَ البَضائِعُ
فَإِن يَكُ عَطفاً أَنتَ أَهل وَأَهلُهُ ... وَإِن لَم يَكُن كانَ العَذابُ مواقِعُ
فَكُلُّ الَّذي يَقضيهِ فِيَّ رِضاكُمُ ... مرامي وَفَوقَ القَصدِ ما أَنا صانِعُ
تَلَذُّ لِيَ الآلامُ إِذ أَنتَ مُسقِمي ... وَإِن تَمتَحِنّي فَهيَ عِندي صَنائِعُ
تَحَكَّم بِما تَهواهُ فِيَّ فَإِنَّني ... فَقَيرٌ لِسُلطانِ المَحَبَّةِ طائِعُ
حَبَبتُكَ لا لي بَل لأَنَّكَ أَهلُهُ ... وَما لِيَ في شَيءٍ سِواكَ مَطامِعُ

وقال في الكهف والرقيم :

تعالوا بنا حتى نعود كما كنا ... فما عهدنا خُنتم ، ولا عهدكم خُنَّا
ونترك وشيا والوشاة وطائرا ... غرابا ، لوقع البين في ربعنا غنا
ونطوى بساط العتب والحب والجفا ... ونرمى السوى والبين ليت السوى يفنى
عسى أن يعود الشمل في الحى مثلما ... عهدنا ، وعود الوصل ، أثماره تجنى
وينشد حادى الحال عني مترجما ... ألا لا أعاد الله بيننا نأى عنا
أأحبابنا طيبوا فلم يك مامضي ... سوى حلم ، كاللفظ ليس له معنى
فلا طال هجران ، ولا ثمَّ عازل ... ولا سهر المشتاق ليلا وقد حنَّا
ولا كان ما قلتم ، ولا كان ما قلنا ... ولا بنتم عنَّا ، ولا عنكم بنَّا

١٦- الحسن البصري (؟ - ١١٠) هـ . ص ٥٢٨ .

هو حليف الخوف والحزن أليف الهم والشجن عديم النوم والوسن أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن الفقيه الزاهد المتشمر العابد كان لفضول الدنيا وزينتها نابذا ولشهوة النفس ونخوتها واقذا وقد قيل إن التصوف التنقية من الدرن والتوقية من البدن للتبقية في العدن . قال الحسن : ذهبت المعارف وبقيت المناكر ومن بقي من المسلمين فهو مغموم . قال الحسن : إن المؤمن يصبح حزينا ويمسي حزينا ولا يسعه غير ذلك لأنه بين مخافتين بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله يصنع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من المهالك . وكان الحسن رحمه الله قلبه محزونا . لما مات ابن سيرين رئي في المنام يعني ابن سيرين فرأيته في قصر فذكر من هيئته وأنه على أفضل حال فقلت له أي أخي قد أراك في حال يسرني فما صنع الحسن قال رفع فوقي بتسعين درجة فقلت : ومم ذاك قال بطول حزنه . قال الحسن : يحق لمن يعلم أن الموت مورده وأن الساعة موعده وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده أن المطلوب حزنه . وقال : والله ما من الناس رجل أدرك القرن الأول أصبح بين ظهرانيكم إلا أصبح مغموما وأمسى مغموما . وقال : والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل وإلا نصب وإلا ذاب و إلا تعب . وعن علقمة بن مرثد قال انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين فمنهم الحسن بن أبي الحسن فما رأينا أحدا من الناس كان أطول حزنا منه ما كنا نراه إلا أنه حديث عهد بمصيبة ثم

قال نضحك ولا ندري لعل الله قد يتحقق على بعض أعمالنا فقل لا أقبل منكم شيئا ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله طاقة إنه من عصى الله فقد حاربه والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف ولو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ولقد رأيت أقواما يمسي أحدهم وما يجد عنده إلا قوتا فيقول لا أجعل هذا كله في بطني لأجعلن بعضه لله عز وجل فيتصدق ببعضه وإن كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه . وكان يقول والله لقد أدركت أقواما ما طوى لأحدهم في بيته ثوب قط ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط وما جعل بينه وبين الأرض شيئا قط وإن كان أحدهم ليقول لوددت أني اكلت أكلة في جوفي مثل الآجرة قال ويقول بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلثمائة سنة ولقد أدركت أقواما إن كان أحدهم ليرث المال العظيم قال وإنه والله لمجهود شديد الجهد قال فيقول لأخيه يا أخي إني قد علمت أن ذا ميراث وهو حلال ولكني اخاف أن يفسد علي قلبي وعملي فهو لك لا حاجة لي فيه قال فلا يرزأ منه شيئ أبدا و إنه مجهود شديد . وقال الحسن يا ابن آدم سرطا سرطا جمعا جمعا في وعاء وشدا شدا في وكاء ركوب الذلول ولبوس اللين ثم قيل مات فأفضى والله إلى الآخرة إن المؤمن عمل لله تعالى أياما يسيرة فوالله ما ندم أن يكون أصاب من نعيمها ورخائها ولكن راقت الدنيا له فاستهانها وهضمها لآخرته وتزود منها فلم تكن الدنيا في نفسه بدار ولم يرغب في نعيمها ولم يفرح برخائها ولم يتعاظم في نفسه شيء من البلاء إن نزل به مع احتسابه للأجر عند الله ولم يحتسب نوال الدنيا حتى مضى راغبا راهبا فهنيئا هنيئا فأمن الله بذلك روعته وستر عورته ويسر حسابه وكان الأكياس من المسلمين يقولون إنما هو الغدو والرواح وحظ من الدلجة والاستقامة لا يلبثك يا ابن آدم أن على الخير حتى أن العبد إذا رزقه الله تعالى الجنة فقد أفلح وأن الله تعالى لا يخدع عن جنته ولا يعطي بالأماني وقد اشتد الشح وظهرت الأماني وتمنى المتمني في غروره . وروي أنه سئل الحسن عن شيء فقيل له إن الفقهاء يقولون كذا وكذا فقال وهل رأيت فقيها بعينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا البصير بدينه المداوم على عبادة ربه عز وجل قال سفيان بن عيينة عن أيوب قال لو رأيت الحسن لقلت إنك لم تجالس فقيها قط . عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي قال كان الحسن ابنا لجارية أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فبعثت أم سلمة جاريتها في حاجتها فبكى الحسن بكاء شديدا فرقت عليه أم سلمة رضي الله تعالى عنها فأخذته فوضعته في حجرها فألقمته ثديها فدر عليه فشرب منه فكان يقال إن المبلغ الذي بلغه الحسن من الحكمة من ذلك اللبن الذي شربه من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . وعن الأعمش كان يقول مازال الحسن البصري يعي الحكمة حتى نطق بها وكان إذا ذكر عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء . وعن خالد بن صفوان قال لما لقيت مسلمة بن عبدالملك بالحيرة قال يا خالد أخبرني عن حسن أهل البصرة قلت أصلح الله الأمير أخبرك عنه بعلم أنا جاره إلى جنبه وجليسه في مجلسه واعلم من قبلي به : أشبه الناس سريرة بعلانية وأشبه قولا بفعل إن قعد على أمر قام به وإن قام على أمر قعد عليه وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له رأيته مستغنيا عن الناس ورأيت الناس محتاجين إليه قال حسبك يا خالد كيف يضل قوم هذا فيهم . عن طلحة بن عمرو الحضرمي قال قدم علينا الحسن فجلست إليه مع عطاء فسمعته يقول بلغنا أن الله تعالى يقول يا ابن آدم خلقتك وتعبد غيري وأذكرك وتنساني وأدعوك وتفر مني إن هذا لأظلم ظلم في الأرض ثم تلا الحسن : (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) . وقال : ما من رجل يرى نعمة الله عليه فيقول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات إلا أغناه الله تعالى وزاده . وقال : ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك . وكان يقول إن أفسق الفاسقين الذي يركب كل كبيرة ويسحب على ثيابه

ويقول ليس علي بأس سيعلم أن الله تعالى ربما عجل العقوبة في الدنيا وربما أخرها ليوم الحساب . ولما استخلف عمر بن عبدالعزيز كتب إليه الحسن البصري كتابا بدأ فيه بنفسه أما بعد فإن الدنيا دار مخيفة إنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة واعلم أن صرعتها ليست كالصرعة من أكرمها يهن ولها في كل حين قتيل فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه يصبر على شدة الدواء خيفة طول البلاء والسلام . وقال رحم الله رجلا لبس خلقا وأكل كسرة ولصق وضوء وبكى على الخطيئة ودأب في العبادة وكان يقول : أما والله لئن تدقدقت بهم الهماليج ووطئت الرجال أعقابهم إن ذل المعاصي لفي قلوبهم ولقد أبى الله أن يعصيه عبد إلا أذله وقال : فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذي لب فرحا .

١٧- الحلاج (٢٤٤ - ٣٠٩) هـ . ص ١٩٣ ، ٥٩١ .

هو أبو عبد اللَّه الحسين بن منصور بن محمي الفارسي، الحلاج، وكان محمي مجوسياً ، تصوف الحلاج وصحب سهل بن عبد اللَّه التستري، ثم قدم بغداد فصحب الجنيد والثوري، وتعبد فبالغ في المجاهدة والترقب، و جال بخراسان وما وراء النهر والهند فكانوا يكاتبونه من الهند بالمغيث ومن بلاد الترك بالمقيت، وكانوا يكاتبونه من خراسان بأبي عبد اللَّه الزاهد، ومن خورستان بالشيخ حلاج الأسرار، وسماه أشياعه ببغداد المصطلم، وبالبصرة المحير، ثم سكن بغداد في حدود الثلاثمائة وقبلها، وقبله أبو العباس بن عطاء ومحمد بن جعفر الشيرازي وأبو القاسم النصر أباذي، وصححوا حاله، ودونوا كلامه، حتى قال ابن خفيف وهو محمد بن جعفر الشيرازي: الحسين بن منصور عالم رباني، وعوتب النصر أباذي في شيء، حكى عن الحلاج في الروح فقال: إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج، وقال السلمي: سمعت منصور بن عبد اللَّه يقول: سمعت الشبلي يقول: كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر وكتمت .

عن إبراهيم بن فاتك قال: لما أُتي بالحسين بن منصور ليصلب رأى الخشبة والمسامير فضحك كثيراً حتى دمعت عيناه. ثم التفت إلى القوم فرأى الشبليّ فيما بينهم فقال له: يا أبا بكر هل معك سجادتك. فقال: بلى يا شيخ. قال: افرشها لي. ففرشها فصلى الحسين بن منصور عليها ركعتين وكنت قريباً منه. فقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقوله تعالى (لنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوع) الآية، وقرأ في الثانية فاتحة الكتاب وقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) الآية، فلما سلم عنها ذكر أشياء لم أحفظها وكان مما حفظته: اللهم إنك المتجلي عن كل جهة، المتخلي من كل جهة. بحق قيامك بحقي، وبحق قيامي بحقك. وقيامي بحقك يخالف قيامك بحقي. فإنّ قيامي بحقك ناسوتيّة، وقيامك بحقي لاهوتيّة. وكما أنّ ناسوتيّتي مستهلكة في لاهوتيّتك غير ممازجة إياها فلاهوتيتك مستولية على ناسوتيتي غير مماسّة لها. وبحق قِدَمك على حدثي، وحق حدثي تحت ملابس قدمك، أن ترزقني شكر هذه النعمة التي أنعمت بها عليَّ حيث غيّبت أغياري عمّا كشفت لي من مطالع وجهك وحرمت على غيري ما أبحت لي من النظر في مكنونات سرّك، وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصُّباً لدينك وتقرُّباً إليك. فاغفر لهم، فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي لَما فعلوا ما فعلوا، ولو سترت عني ما سترت عنهم لَما ابتُليتُ. فلك الحمد فيما تفعل ولك الحمد فيما تريد، ثم سكت وناجى سراً. فتقدم أبو الحارث السياف فلطمه لطمةً هشم أنفه وسال الدم على شيبه. فصاح الشبليّ ومزق ثوبه وغشى على أبي الحسين الواسطيّ وعلى جماعة من الفقراء المشهورين.

ذكر عن قاضي القضاة أبي بكر بن الحدّاد المصريّ قال: لمّا كانت الليلة التي قُتل في صبيحتها الحلاّج قام واستقبل القبلة متوشحاً بردائه ورفع يديه وتكلم بكلام كثير جاوز الحفظ . فكان مما حفظته منه أن قال: نحن بشواهدك نلوذ. وبسنا عزتك نستضيء ، لتبدي ما شئت من شأنك.

وأنت الذي في السماء عرشك، وأنت (الذي في السماء إله وفي الأرض إله) . تتجلى كما تشاء مثل تجلّيك في مشيئتك كأحسن صورة، والصورة فيها الروح الناطقة بالعلم والبيان والقدرة والبرهان. ثم أوعزتَ إلى شاهدك الأنيّ في ذاتك الهويّ. كيف أنت إذا مثّلت بذاتي، عند عقيب كرّاتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق علومي ومعجزاتي، صاعداً في معارجي إلى عروش أزلياتي، عند القول من بريّاتي. إني أُخذت وحُبست وأُحضرت وصُلبت وقُتلت وأُحرقت واحتملت السافيات الذاريات أجزائي. وإنّ لذرّةً من ينجوج مظانَّ هاكول متجلّياتي اعظم من الراسيات. ثم أنشأ يقول:

أنعي إليك نفوساً طاح شاهدُها ... فيما ورا الحيثِ بل في شاهد القِدَمِ
أنعي إليك قلوباً طالما هطَلت ... سحائبُ الوحي فيها أبحُرَ الحِكَمِ
أنعي إليك لسانَ الحقّ مذ زَمَنٍ ... أوْدَى وتذكارُه في الوهمِ كالعدمِ
أنعي إليك بياناً تستكين لهُ ... أقوالُ كلّ فصيحٍ مقولٍ فَهِمِ
أنعي إليك إشاراتِ العقول معاً ... لم يبقَ منهنّ إلاَّ دارسُ الرمَمِ
أنعي وحُبّكَ أخلاقاً لطائفةٍ ... كانت مطاياهمُ من مكمدِ الكَظَمِ
مضى الجميعُ فلا عينٌ ولا أثرٌ ... مُضِيَّ عادٍ وفُقدانَ الأُلي إرَمِ
وخلّفوا معشراً يحذون لبسَهمُ ... أعمى من البهْم بل أعمى من النَّعَمِ

قال ابن عربي في الفتوحات : قال الحلاج – وإن لم يكن من أهل الإحتجاج - : **(بسم الله منك بمنزلة كن منه)** .

وشرح الجيلي معنى عبارة ابن عربي في كتاب شرح مشكلات الفتوحات المكية حيث قال في الشرح : قال الشيخ (أي ابن عربي) إنه (أي الحلاج) ليس من أهل الإحتجاج ، لأنه لما تحدى وقال : **أنا الحق** ، قتله سيف الشريعة ، فلو امتنع بمقتضى صفات الحق ، لم يستطع أن يقتله أحد ، فكانت حجته ثابتة ، ودعواه صحيحة عند الغير . كما جرى لأبي يزيد ، رضي الله عنه ، في قوله : **سبحاني ما أعظم شأني وأعز سلطاني !** وفي قول الشيخ عبد القادر الجيلاني ، رضي الله عنه : **معاشر الأنبياء : أوتيتم اللقب ، وأوتينا ما لم تؤتوه !** وفي قول الشيخ أبي الغيث ابن جميل ، رضي الله عنه : **خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله !** وقوله حين قال له الحكمي (أي قال لابن جميل) رضي الله عنه : ما حالك ؟ قال : **أصبحت أحيي وأميت ، وأفعل ما أريد ، وأنا على كل شيء قدير !** فكل من هؤلاء السادة ، منع بحاله أن يسطو عليه أحد ، فأقام حجته . وكان الحلاج دون هذه المرتبة – ولو كان على حق – ولهذا أخذته سيوف الشريعة . ولا مؤاخذة على من قام عليه (أي لا لوم على من قتلوه) لأنهم قاموا بالحق ، ولو كان حقه أعلى من حقهم . ونهاية الأمر ، إن الذين فعلوا هذا الفعل ، إذا ظهرت عليهم الحقائق ، نكسوا رؤوسهم ، وآمنوا بقوله . ولولا الحقيقة ، ما أخذته سيوف الشريعة ، لأنه لما طلب ظهوره بالربوبية في عالم العبودية – وذلك أعز من وجود النار في قعر البحار – أطلقه لسان الوقت ، عن قيد الهيكل الجسماني ، ليتحقق بما ادعاه في العالم اللائق بتلك الدعوى ، فجرى عليه ما جرى ، غيرةً من الحقائق على الحقائق ، لئلا يدعي هذا المقام من ليس له ذلك . ولو كان متحققا بذلك - كمال التحقق - كما كان عليه غيره من الكمَّل المذكورين - لامتنع بحق صفات الربوبية عن تلك القتلة - كما امتنع غيره . فكان الحلاج على بَيِّنَة من الله - ولو لم يكن له شاهد تلك البَيِّنَة - وكان من ذكرناهم من الكمَّل - على بَيِّنَة من الله - ويتلوه شاهد منه !

١٨- الإمام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤) هـ . ص ٣٤٩ .

فقيه العصر والإمام الكبير والجليل الخطير أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، المطلبي، أخذ عن مالك ومسلم بن خالد الزنجي وطبقتهما، وكان مولده بغزة، ونقل إلى مكة وله سنتان، قال المزني: ما رأيت أحسن وجهاً من الشافعي، إذا قبض على لحيته لا تفضل عن قبضته، وقال الزعفراني: كان خفيف العارضين، يخضب بالحناء، وكان حاذقاً بالرمي، يصيب تسعة من العشرة، وقال الشافعي: استعملت اللبان سنة الحفظ فأعقبني صب الدم سنة، قال يونس بن عبد الأعلى: لو جمعت أمة لوسعها، وقال إسحاق بن راهويه: لقيني أحمد بن حنبل بمكة، فقال: تعال حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله، قال: فأقامني على الشافعي، وقال أبو ثور الفقيه: ما رأيت مثل الشافعي ولا رأى مثل نفسه، وقال الشافعي: سميت ببغداد ناصر الحديث، وقال أبو داود: ما أعلم للشافعي حديثاً خطأ، وقال الشافعي: ما شيء أبغض إلي من الكلام وأهله، قاله في العبر. وقال السيوطي في حسن المحاضرة: الإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسائب جده صحابي أسلم يوم بدر، وكذا ابنه شافع لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع، ولد الشافعي سنة خمسين وماية بغزة، أو بعسقلان، أو اليمن، أو منى، أقوال. ونشأ بمكة، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، والموطأ وهو ابن عشر، وتفقه على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة، وأذن له في الإفتاء وعمره خمس عشرة سنة، ثم لازم مالكاً بالمدينة، وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، فاجتمع عليه علماؤها، وأخذوا عنه، وأقام بها حولين، وصنف بها كتابه القديم، ثم عاد إلى مكة، ثم خرج إلى بغداد سنة ثمان وتسعين، فأقام بها شهراً، ثم خرج إلى مصر، وصنف بها كتبه الجديدة، [ص ١٠] كالأم، والأمالي الكبرى، والإملاء الصغير، ومختصر البويطي، ومختصر المزني، ومختصر الربيع، والرسالة، والسنن. قال ابن زولاق: صنف الشافعي نحواً من مائتي جزء، ولم يزل بها ناشراً للعلم، ملازماً للاشتغال، إلى أن أصابته ضربة شديدة، فمرض بسببها أياماً، ثم مات يوم الجمعة سلخ رجب سنة أربع ومائتين، قال ابن عبد الحكم: لما حملت أم الشافعي به رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر، ثم وقع في كل بلد منه شظية، فتأوله أصحاب الرؤيا أنه يخرج عالم يخص علمه أهل مصر، ثم يتفرق في سائر البلدان، وقال الإمام أحمد: إن الله تعالى يقيض للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن، وينفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب، فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي، وقال ابن الربيع: كان الشافعي يفتي وله خمس عشرة سنة، وكان يحيي الليل إلى أن مات، وقال أبو ثور: كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع مقبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب الرسالة، قال الأسنوي: الشافعي أول من صنف في أصول الفقه بإجماع، وأول من قرر ناسخ الحديث من منسوخه، وأول من صنف في أبواب كثيرة من الفقه معروفة. وكان يقول: وددت أن لو أخذ عني هذا العلم من غير أن ينسب إليَّ منه شيء، وقال: ما ناظرت أحداً إلا وددت أن يظهر الله الحق على يديه، وكان يقول لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله! أنت أعلم بالحديث مني، فإذا صح الحديث فأعلمني، حتى أذهب إليه، شامياً كان أو كوفياً أو بصرياً. وكان رضي الله عنه مع جلالة قدره شاعراً مفلقاً، مطبوعاً .

قال اليافعي في مرآة الجنان : وقد رويت بالسند الصحيح المتصل إلي الشيخ الكبير العارف بالله الشهير أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنه قال: **(ما مات الشافعي حتى قطب).**

رواه الشيخ الأمام العارف بالله شهاب الدين بن المليق عن الشيخ الفقيه الإمام العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله، عن شيخه الشيخ الكبير المعظم ذي النور القدسي العارف بالله أبي العباس المرسي عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله ذي المقام العالي المشهود له بالقطبية أبي الحسن الشاذلي قدس الله أرواح الجميع. توفي رضي الله عنه في سلخ رجب عام ٢٠٤ هـ بمصر ، وله أربع وخمسون سنة .

١٩- الشيخ الشبلي (٢٤٧- ٣٣٤) هـ . ص ٢٢٧ .

هو أبو بكر دلف بن جحدر، الشبلي الزاهد المشهور، صاحب الأحوال والتصوف، قال أحدهم : وكان عائدا من الحج : قال لي الشبلي : عقدت الحج ؟ فقلت : نعم فقال لي فسخت بعقدك كل عقد عقدته منذ خلقت مما يضادّ ذلك العقد ؟ فقلت لا فقال لي ما عقدت . ثم قال لي نزعت ثيابك ؟ قلت نعم . فقال لي تجردت من كل شيء ؟ فقلت لا فقال لي ما نزعت . ثم قال لي تطهرت ؟ قلت نعم . فقال لي زال عنك كل علة بطهرك ؟ قلت لا قال ما تطهرت . ثم قال لي لبيت ؟ قلت نعم . فقال لي وجدت جواب التلبية بتلبيتك مثله ؟ قلت لا فقال ما لبيت . ثم قال لي دخلت الحرم؟ قلت نعم قال اعتقدت في دخول الحرم ترك كل محرم ؟ قلت لا قال ما دخلت ثم قال لي أشرفت على مكة ؟ قلت نعم قال أشرف عليك حال من الحق لإشرافك على مكة ؟ قلت لا قال ما أشرفت على مكة . ثم قال لي دخلت المسجد ؟ قلت نعم قال دخلت في قربه من حيث علمت ؟ قلت لا قال ما دخلت المسجد ثم قال لي رأيت الكعبة ؟ فقلت نعم فقال رأيت ما قصدت له ؟ فقلت لا قال ما رأيت الكعبة. ثم قال لي رملت ثلاثاً ومشيت أربعاً ؟ فقلت نعم فقال هربت من الدنيا هرباً علمت أنك قد فاصلتها وانقطعت عنها وجدت بمشيك الأربعة أمناً مما هربت منه فازددت لله شكراً لذاك ؟ فقلت لا قال ما رملت . ثم قال لي صافحت الحجر وقبلته؟ قلت نعم فزعق زعقة وقال ويحك إنه قد قيل أن من صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه وتعالى ومن صافح الحق سبحانه وتعالى فهو في محل الأمن أظهر عليك أثراً لأمن ؟ قلت لا قال ما صافحت . ثم قال لي وقفت الوقفة بين يدي الله تعالى خلف المقام وصليت ركعتين ؟ قلت نعم قال وقفت على مكانتك من ربك فأريت قصدك ؟ قلت لا قال فما صليت . ثم قال لي خرجت إلى الصفا فوقفت بها ؟ قلت نعم قال إيش عملت ؟ قلت كبرت سبعاً وذكرت الحج وسألت الله القبول فقال لي كبرت بتكبير الملائكة ووجدت حقيقة تكبيرك في ذلك المكان ؟ قلت لا قال ما كبرت . ثم قال لي نزلت من الصفا ؟ قلت نعم قال زالت كل علة عنك حتى صفيت؟ قلت لا فقال ما صعدت ولا نزلت . ثم قال لي هرولت ؟ قلت نعم قال ففرت إليه وبرئت من فرارك ووصلت إلى وجودك ؟ قلت لا قال ما هرولت . ثم قال لي وصلت إلى المروة ؟ قلت نعم قال رأيت السكينة على المروة فأخذتها أو نزلت عليك ؟ قلت لا قال ما وصلت إلى المروة . ثم قال لي خرجت إلى منى ؟ قلت نعم قال تمنيت على الله غير الحال التي عصيته فيها ؟ قلت لا قال ما خرجت إلى منى . ثم قال لي دخلت مسجد الخيف ؟ قلت نعم قال خفت الله في دخولك وخروجك ووجدت من الخوف ما لا تجده إلا فيه ؟ قلت لا قال ما دخلت مسجد الخيف . ثم قال لي مضيت إلى عرفات ؟ قلت نعم قال وقفت بها ؟ قلت نعم قال عرفت الحال التي خلقت من أجلها والحال التي تريدها والحال التي تصير إليها وعرفت المعرّف لك هذه الأحوال ورأيت المكان الذي إليه الإشارات فإنه هو الذي نفس الأنفاس في كل حال ؟ قلت لا قال ما وقفت بعرفات . ثم قال لي نفرت إلى المزدلفة ؟ قلت نعم قال رأيت

المشعر الحرام ؟ قلت نعم قال ذكرت الله ذكراً أنساك ذكر ما سواه فاشتغلت به ؟ قلت لا قال ما وقفت بالمزدلفة . ثم قال لي دخلت منى؟ قلت نعم قال ذبحت ؟ قلت نعم قال نفسك ؟ قلت لا قال ما ذبحت . ثم قال لي رميت؟ قلت نعم قال رميت جهلك عنك بزيادة علم ظهر عليك ؟ قلت لا قال ما رميت ثم قال لي حلقت ؟ قلت نعم قال نقصت آمالك عنك ؟ قلت لا قال ما حلقت . ثم قال لي زرت ؟ قلت نعم قال كوشفت بشيء من الحقائق أو رأيت زيادات الكرامات عليك للزيارة ؟ فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال الحجاج والعمار زوار الله وحق على المزور أن يكرم زواره ؟ قلت لا قال ما زرت . ثم قال لي أحللت ؟ قلت نعم قال عزمت على أكل الحلال ؟ قلت لا قال ما أحللت . ثم قال لي ودّعت ؟ قلت نعم قال خرجت من نفسك وروحك بالكلية ؟ قلت لا قال ما ودّعت ، وعليك العود ، وانظر كيف تحج بعد هذا ، فقد عرّفتك ، وإذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك .

قال الجنيد: الشبلي تاج هؤلاء. وقال الجنيد : لا تنظروا إلى الشبلي بالعين التي ينظر بعضكم إلى بعض ، فإنه عين من عيون اللهَّ . سئل الشبلي : إذا اشتبه على المرأة دم الحيض بدم الاستحاضة كيف تصنع؟، فأجاب بثمانية عشر جواباً للعلماء.

وقد ذكرت له أحوال وكرامات ، ولما حضرته الوفاة قال لخادمه : قد كان عليّ درهم مظلمة فتصدقت عن صاحبه بألوف ، ومع هذا ما على قلبي شغل أعظم منه.

ودخل بعض اصحابنا يوما على الشبلي وهو يقول افلا شجا بحنين افلا رنة بانين من قلب قريح حزين افلا شارب بكاس العارفين افلا مستيقظ عن رقدة الغافلين يا مسكين ستقدم فتعلم وينكشف الغطاء فتندم. وقال الشبلي العارف سيار الى الله عز وجل تعالى غير واقف. وسئل أي شيء اعجب قال قلب عرف ربه ثم عصاه.

وكان الشبلي ينوح يوما ويقول مكر بك في احسانه فتناسيت وامهلك في غيك فتماديت واسقطك من عينه فما دريت ولا باليت. وقال ليت شعري ما اسمي عندك غدا يا علام الغيوب وما انت صانع في ذنوبي ياغفار الذنوب وبم تختم عملي يا مقلب القلوب؟ وكان الشبلي يقول في جوف الليل قرة عيني وسرور قلبي ما الذي اسقطني من عينك ثم يصرخ ويبكي. وقال الشبلي لا تأمنن على نفسك وان مشيت على الماء حتى تخرج من دار الغرة الى دار الامل. وقال الشبلي اذا وجدت قلبك مع الله فاحذر من نفسك واذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله.

وقال احمد الحلقاني سمعت الشبلي يقول من عرف الله عز وجل لا يكون له غم وسمعته يقول احبك الخلق لنعمائك وانا احبك لبلائك. وعن ابي حاتم الطبري قال سمعت ابا بكر الشبلي يقول ان اردت ان تنظر الى الدنيا بحذافيرها فانظر الى مزبلة فهي الدنيا واذا اردت ان تنظر الى نفسك فخذ كفاً من تراب فانك منه خلقت وفيه تعود ومنه تخرج واذا اردت ان تنظر ما انت فانظر ماذا يخرج منك في دخولك الخلاء فمن كان حاله كذلك فلا يجوز أن يتطاول أو أن يتكبر على من هو مثله. قال الشبلي ليس للاعمى من رؤية الجوهرة الا مسها وليس للجاهل من الله الا ذكره باللسان. وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري وكان يخدم الشبلي ما الذي رأيت منه؟ يعني عند وفاته فقال قال لي علي درهم مظلمة تصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد امسك علي لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات.

فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره ادب من اداب الشريعة؟ وكان يقول: يا دليل المتحيرين زدني تحيراً.

وحكى عنه أنه دخل يوماً على الجنيد فوقف بين يديه وصفق بيديه وأنشد :

عودوني الوصال والوصل عذب ورموني بالصد والصد صعب
زعموا حين اعتبوا أن جرمي فرط حبي لهم وما ذاك ذنب
لا وحق الخضوع عند التلاقي ما جزاء من يُحِبْ إلا يُحَبْ

وكانت مجاهدته - في بدايته - فوق الحد ودخل الشبلي - يوماً - على علي بن عيسى الجراح الوزير وعنده بن مجاهد المقرئ فقال بن مجاهد للوزير: سأسكته الساعة وكان من شأن الشبلي إذا لبس شيئاً خرق فيه موضعاً فلما جلس قال له بن مجاهد: يا أبا بكر أين في العلم: إفساد ما ينتفع به؟ فقال الشبلي: أين في العلم: "فطفق مسحاً بالسوق والأعناق"؟ فسكت بن مجاهد فقال له بن الجراح: أردت أن تسكته فأسكتك؟ ثم قال الشبلي: قد أجمع الناس أنك مقرئ الوقت أين في القرآن: الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فسكت بن مجاهد وقال: قل يا أبا بكر فقال: قوله تعالى: "وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير" المائدة: ١٨. قال ابن مجاهد: كأني ما سمعتها قط .

كانت وفاته رحمه الله تعالى ليلة الجمعة في ذي الحجة، ودفن بالخيزرانية ببغداد بقرب الإمام الأعظم وله سبع وثمانون سنة .

٢٠- النِّفَّري (؟ - ٣٥٤) هـ . ص ٦٠٢ .

ملحوظة : قال الدكتور جمال المرزوقي في شرح المواقف : أن النفري صاحب المواقف الحقيقي هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله واللقب الغالب عليه هو النفري نسبة إلى نفر بأرض الكوفة أما محمد بن عبد الجبار النفري فهو حفيد مؤلف المواقف .
وكان له رضي الله عنه كلام عال في طريق القوم ، وهو صاحب المواقف نقل عنه الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه ، وغيره، وكان إماماً بارعاً في كل العلوم . ومن كلامه رضي الله عنه في المواقف يقول الله عز وجل : كيف لا تحزن قلوب العارفين، وهي تراني أنظر إلى العمل، فأقول: لسيئه كن صورة تلقى بها عاملك، وأقول لحسنه كن صورة تلقى بها عاملك، وكان يقول: قلوب العارفين تخرج إلى العلوم بسطوات الإدراك، وذلك كفرها، وهو الذي ينهاها الله عنه، وكان يقول: كأن الحق تعالى يقول: إذا تعلق العارف بالمعرفة، وادعى أنه تعلق بي هرب من المعرفة كما هرب من النكرة، وكان يقول: كأن الحق تعالى يقول: لقلوب العارفين أنصتوا، واصمتوا لا لتعرفوا، وإن ادعيتم الوصول إلي فأنتم في حجاب بدعواكم، ووزن معرفتكم كوزن ندمكم، فإن عيونكم ترى المواقيت ، وقلوبكم ترى الأبد ، فإن لم تستطيعوا أن تكونوا من وراء الأقدار، فكونوا من وراء الأفكار، وكان يقول: التقطوا الحكمة من أفواه الغافلين عنها كما تلتقطونها من أفواه العامدين لها، فإنكم ترون الله وحده في حكمة الغافلين لا في حكمة العامدين. وكان يقول: حق المعرفة أن تشهد العرش، وحملته، وما حواه من كل في معرفة يقول: بحقائق إيمانه ليس كمثله شيء، وهو أي العرش في حجاب عن ربه،

فلو رفع حجابه لاحترق العالم بأسره في لمح البصر، أو أقرب، وكان يقول: لا تفارق مقامك يميد بك كل شيء، وليس مقامك إلا رؤيته تعالى، فإذا دمت على رؤيته رأيت الأبد بلا عبارة، إذ الأبد لا عبارة فيه لأنه وصف من أوصاف الله عز وجل لكن لما سبح الأبد خلق الله من تسبيحه الليل، والنهار، وكان يقول: إذا اصطفيت أخاً فكن معه فيما أظهر، ولا تكن معه فيما أسر، فإن ذلك له من دونك سر، فإن أشار إليه فأشر إليه، وإن أصفح به فأفصح عنه، وكان يقول: كأن الحق تعالى يقول: اسمي وأسمائي عندك، ودائعي لا تخرجها، فأخرج من قلبك، فإذا خرجت من قلبك عبد ذلك القلب غيري، وأنكرني بعد المعرفة وجحدني بعد الإقرار، فلا تخبر باسمي، ولا بمعلوم اسمي، ولا تحدث من يعلم اسمي، ولا بأنك رأيت من يعرف اسمي، وإن حدثك محدث عن اسمي، فاسمع منه، ولا تخبره أنت .

فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

****

دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ

وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ

الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

****

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٤١٣٥ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي .I.S.B.N : ٨-٠١٠-٤٠١-٩٧٧

للاستفسار

الزاوية التجانية بامبابة

٩ ش مدينة التحرير – امبابة – القاهرة

ت ٣٣١٥٤٢٥٥

salaheldinaltijany@yahoo.com

www.sheikhsalah.com

https://www.facebook.com/groups/sheikh.salah